

مخارج النوازل

لجامعنا لدرر كبريا لائمة الأطهار

تأليف
العلامة الحجة في الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي
"قدس الله سره"

مؤسسة الوفاء
بيروت - لبنان



Bibliotheca Alexandrina
0129670

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الجامعة للتدريس والبحوث الإسلامية

مَجَلَّةُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرْرِ الْأَخْبَارِ وَالْأَيْمَّةِ الْأَطْهَارِ

تَأَلَّفَتْ

الْعَلَمُ الْعَلَامَةُ الْحُجَّةُ فَخْرُ الْأُمَّةِ الْمَوْلَى

الْشَيْخُ مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْمَجْلِسِيِّ

«تَدْوِينُ سِرِّهِ»

لِلْحِزْبِ الثَّامِنِ وَالْحَفِظُونَ

دَارُ أَحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

بَيْرُوت - لُبْنَانُ

الطبعة الثالثة المصححة
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

دار احياء التراث العربى

بيروت - لبنان - بناية كليوباترا - شارع دكاش - ص.ب ٧٤٥٧/١١
تلفون المستودع: ٢٧٤٦٩٦ - ٢٧٣٠٣٢ - ٢٧٨٧٦٦ - المنزل ٨٢٠٧١١ - ٨٣٠٧١٧
كبرقياً: التراث - تليكس LE/٢٣٦٤٤ تراث

١ ﴿ باب ﴾

﴿ العرش والكرسى وحملتهما ﴾

الآيات :

- البقرة : وسع كرسية السماوات والأرض . (١)
الاعراف : ثم استوى على العرش . (٢)
يونس : ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيح إامن بعد إذنه . (٣)
هود : وكان عرشه على الماء . (٤)
الرعد : ثم استوى على العرش . (٥)
طه : الرحمن على العرش استوى . (٦)
المؤمنون : قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . (٧)
الفرقان : ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً . (٨)
النمل : رب العرش العظيم . (٩)

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) الاعراف : ٥٤ .

(٣) يونس : ٣ .

(٤) هود : ٧ .

(٥) الرعد : ٢ .

(٦) طه : ٥ .

(٧) المؤمنون : ٨٦ .

(٨) الفرقان : ٥٩ .

(٩) النمل : ٢٦ .

التنزيل : ثم استوى على العرش . (١)

المؤمن : الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . (٢)

الحديد : ثم استوى على العرش . (٣)

الحاقة : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . (٤)

تفسير : « وسع كرسية السماوات والأرض » قال الطبرسي - ره - : اختلف فيه على أقوال : أحدها وسع علامه السماوات والأرض عن ابن عباس ومجاهد ، و هو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ويقال للعلماء « كراسي » كما يقال لهم « أوتاد الأرض » لأن بهم قوام الدين والدنيا وثانيتها أن الكراسي ههنا هو العرش عن الحسن ، وإنما سمي كرسياً لتركب بعضه على بعض وثالثها أن المراد بالكرسي ههنا الملك و السلطان والقدرة كما يقال « اجعل لهذا الحائط كرسياً » أي عماداً يعمد به حتى لا يقع ولا يميل ، فيكون معناه : أحاطت قدرته بالسماوات و الأرض وما فيهما ورابعها أن الكراسي سرير دون العرش وقد روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام و قريب منه ما روي عن عطاء ^(٥) أنه قال : ما السماوات و الأرض عند الكراسي إلا كحلقة خاتم في فلاة ، وما الكراسي عند العرش إلا كحلقة في الفلاة ^(٦) ، ومنهم من قال : إن السماوات و الأرض جميعاً على ^(٧) الكراسي ، و الكراسي تحت العرش ^(٨) فالعرش فوق السماوات . و روى الأصمعي بن نباته أن

(١) لسجدة ، ٤ .

(٢) المؤمن ، ٧ .

(٣) الحديد ، ٤ .

(٤) الحاقة ، ١٧ .

(٥) بالمد وقد يقصر .

(٦) في المصدر : في فلاة .

(٧) في بعض النسخ : في الكراسي .

(٨) في المصدر « تحت الأرض كالعرش فوق السماء » والظاهر انه تعجيف .

علياً عليه السلام قال : السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي" (١) .
 وساق الحديث إلى آخره كما سيأتي في رواية علي بن إبراهيم .
 « ثم استوى على العرش » منهم من فسر العرش هنا بمعنى الملك ، قال القفال :
 العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ، ثم جعل العرش كناية عن
 نفس الملك يقال « ثل عرشه » أي انتقص ملكه وقالوا : استوى على عرشه واستقر
 على سرير ملكه . ومنهم من فسر العرش بالجسم الأظم . والاستواء بمعنى الاستيلاء
 كما مر . قال الرازي في تفسيره : اتفق المسلمون على أن فوق السماوات جسماً
 عظيماً هو العرش ، واختلف في المراد بالعرش هنا ، فقال أبو مسلم : المراد أنه لما
 خلق الله السماوات والأرض سطحها ورفع سمكها ، فإن كل بناء يسمى عرشاً
 وبانيه يسمى عارثاً ، قال تعالى « ومما يعرشون » (٢) والاستواء على العرش هو الاستعلاء
 عليه بالقهر ، والمشهور بين المفسرين أن المراد بالعرش فيها الجسم العظيم الذي
 في السماء ، وقيل : المراد من العرش الملك ، وملك الله تعالى عبارة عن مخلوقاته
 وجود مخلوقاته إنما حصل بعد خلق السماوات والأرض ، فلا جرم صح إدخال
 حرف « ثم » عليه ، والحاصل أن المراد استوائه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة
 والتدبير والحفظ ، يعني أن من فوق العرش إلى ماتحت الثرى في حفظه وتدبيره
 وفي الاحتياج إليه (٣) .

« فاسأل به خبيراً » قال الطبرسي - ره - : قيل أي فاسأل عنه خبيراً والباء
 بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى أو محمد عليه السلام وقيل : إن الباء على أصلها ، و
 المعنى : فاسأل سؤالك (٤) أيها الإنسان خبيراً يخبرك بالحق في صفته . وقيل : إن
 الباء فيه مثل الباء في قولك « لقيت بفلان ليثاً » إذا وصفت شجاعته ، والمعنى : إذا

(١) مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٣٦٢

(٢) النحل ، ٦٨ .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٤ ، ٧٨٢ .

(٤) سؤالك (خ) .

رأيته رأيت الشيء المشبه بأنه الخبير به (١) .

«الذين يحملون العرش» قال الطبرسي - ره - : عبادة الله وامتنالاً لأمره
«و من حوله» يعني الملائكة المطيِّفين بالعرش وهم الكروبيون وسادة الملائكة
«يسبِّحون بحمد ربهم» أي ينزهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون ، وقيل :
يسبِّحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على إنعامه «ويؤمنون به» أي ويصدقونه (٢)
ويعترفون بوحدانيته «ويستغفرون» أي ويسألون الله المغفرة «للذين آمنوا» من
أهل الأرض أي صدقوا بوحدانية الله واعترفوا لهيئته وبما يجب الاعتراف به (٣)
وقال في قوله تعالى «ويحمل عرش ربك فوقهم» : يعني فوق الخلائق «يومئذ»
يعني يوم القيامة «ثمانية» من الملائكة عن ابن زيد ، وروي ذلك عن النبي ﷺ
أنهم اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة أخرى (٤) فيكونون ثمانية .
وقيل : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس (٥)
وقال الرأزي : نقل عن الحسن أنه قال : لأدري أنهم ثمانية أشخاص أو ثمانية
آلاف يصفون ، وحمله على ثمانية أشخاص أولى لما روي أنهم ثمانية أملاك أرجلهم
في تخوم الأرض السابعة ، والعرش فوق رؤوسهم ، وهم يطوفون يسبِّحون . وقيل :
بعضهم على صورة الإنسان ، وبعضهم على صورة الأسد ، وبعضهم على صورة الثور ، و
بعضهم على صورة النسر . وروي : ثمانية أملاك على صورة الأوعال . ما بين أظلافها
إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً . و عن شهر بن حوشب (٦) : أربعة منهم يقولون :

(١) في مجمع البيان . و المعنى أنك إذا رأيته رأيت الشيء المشبه به و المعنى فاسأله
عنه فانه الخبير ج ٧ ، ص ١٧٦ .

(٢) ويصدقون به (خ) .

(٣) مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٥١٥

(٤) في المصدر ، آخرين .

(٥) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٤٦ .

(٦) شهر بن حوشب هولى اسماء بنت يزيد بن السكنين اوسعيد الشامي ، يروى عن امير -

« سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك » وأربعة تقول « سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك » (١).

١ - الخصال والمعاني والعياشي والدر المنثور : في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال : يا باذر ، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة (٢).

٢ - الفقيه والعلل والمجالس للصدوق : روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل : لم سمي (٣) الكعبة كعبة ؟ قال : لأنها مربعة ، فقليل له : ولم صارت مربعة ؟ قال : لأنها بحذاء بيت المعمور وهو مربع ، فقليل له : ولم صار البيت المعمور مربعاً ؟ قال : لأنه بحذاء العرش وهو مربع ، فقليل له : ولم صار العرش مربعاً ؟ قال : لأن الكلمات التي بنى عليها الإسلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر (٤).

بيان و تأويل عليل : قال السيد الداماد - ره - في بعض تعليقاته على الفقيه : العرش هو فلك الأفلاك ، وإنما حكم ﷺ بكونه مربعاً لأن الفلك يتعين له بالحرارة المنطقية و القطبان ، وكل دائرة عظيمة منصفة للمكرة ، و الفلك يتربع بمنطقة الحركة والدائرة المارة بقطبها ، و العرش وهو الفلك الأقصى و الكرسي وهو فلك الثوابت يتربعان بمعدل النهار ومنطقة البروج والدائرة المارة بالأقطاب

→ المؤمن عليه السلام و ابن عباس وجابر وام سلمة ، وعائشة . قال الخزرجي (خلاصة تذهيب الكمال : ١٤٣) وثقه ابن معين واحمد ، وقال النسائي ، ليس بالقوى ، وقال البخاري وجماعة ، مات سنة مائة ، وقيل سنة احدى عشرة . (انتهى) أقول : المراد بقوله « احدى عشرة » مائة و احدى عشرة ، ويؤيد القول الاخير في تاريخ وفاته مارواه في الكافي عنه عن ابي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام في باب قسمة الغنيمة من كتاب الجهاد والله العالم .

(١) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٢٨٤ .

(٢) معاني الاخبار : ٣٣٣ الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٢٨ وسيأتي تحت الرقم ١٠

من هذا الباب

(٣) في العلل ، لم سميت .

(٤) الفقيه ، ج ٢ ص ٢٠١ ، العلل ، ج ٢ ، ص ٨٨

الأربعة ، و أيضاً دائرة الأفق على سطح الفلك الأعلى يتربع بدائرة نصف النهار و دائرة المشرق والمغرب ، فيقع منها بينها أرباعها ، ويتعيّن عليها النقاط الأربعة : الجنوب ، والشمال ، والمشرق ، والمغرب . والحكماء نزّلوا الفلك منزلة إنسان مستلق على ظهره ، رأسه إلى الشمال ، ورجلاه إلى الجنوب ، و يمينه إلى المغرب وشماله إلى المشرق . و أيضاً التربع والتسديس أوّل الأشكال في الدائرة على ما قد استبان في مظانّه ، إذ التربع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم ، والتسديس بنصف قطر ، فإنّ وترسدس الدوريساوي نصف القطر ، وربع الدور قوس تامّة ، ومانقصت عن الربع فتمتممها إلى الربع تمامها ، و أيضاً الفلك الأقصى له مادة ، و صورة ، و عقل هو العقل الأوّل و يقال له عقل الكلّ ، ونفس هي النفس الأولى ويقال لها نفس الكلّ ، فيكون مربّعاً و أوّل المربّعات في نظام الوجود ، و هنالك وجوه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتعرف (انتهى) ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع و مصطلحات أهله ، وسيأتي القول فيها ، وقد مرّ بعض ما يزيّفها .

٣ - المتجهّد والفقير والتهذيب : في خطبة الاستسقاء : الذي جعل السماوات لكرسيّه عماداً ، والجبال ^(١) أو تاداً ، و الأرض للعباد مهاداً ، و ملائكته على أرجائها و حملة عرشه على أمطائها ، و أقام يعزّته أركان العرش وأشرق بضوئه شعاع الشمس ، و أطفأ ^(٢) بشعائه ظلمة الغطش ، و فجر الأرض عيوناً ، و القمر نوراً و النجوم بهورا ^(٣) .

٤ - الاقبال : عن التلعكبري ، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في دعاء يوم عرفة : « و أسألك بكل اسم هولك ، و كل مسألة حتّى ينتهي إلى اسمك الأعظم الأعظم الأكبر الأكبر العليّ الأعلى ، الذي استويت به على عرشك ، و استقللت به على كرسيك ^(٤) .

(١) في الفقيه ، والجبال للأرض .

(٢) في الفقيه : وأحبي .

(٣) الفقيه ، ص ١٣٩ ، ح ١٦ .

(٤) الاقبال ، ٢٧٤ .

٥ - العقائد للصدوق : اعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق ، و العرش في وجه آخر هو العلم . وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل " الرحمن على العرش استوى " فقال : استوى من كل شيء ، فليس شيء أقرب منه من شيء ، وأما العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة ، لكل واحد ثمانى أعين ، كل عين طباق الدنيا ، واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله تعالى لبني آدم ، و واحد منهم على صورة النور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها و واحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسباع ، و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله تعالى للطيور ، فهم اليوم هؤلاء الأربعة فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية و أما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح ، و إبراهيم ، و موسى ، و عيسى عليه السلام ، و أما الأربعة من الآخرين فمحمد ، و علي ، و الحسن ، و الحسين عليه السلام ، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليه السلام في العرش وحملته ، و إنما صار هؤلاء جملة العرش الذي هو العلم ، لأن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا صلى الله عليه وآله على شرائع الأربعة من الأولين : نوح ، و إبراهيم ، و موسى ، و عيسى عليه السلام ، و من قبل هؤلاء الأربعة صارت العلوم إليهم ، و كذلك صار العلم بعد صلى الله عليه وآله و علي و الحسن و الحسين إلى من بعد الحسين من الأئمة عليه السلام .

اقول : قال الشيخ المفيد - ره - : العرش في اللغة هو الملك ، قال :

إذا ما بنوا مروان ثلثت^(١) عروشهم ☆ و أودت كما أودت أباد و حميره
يريد : إذا ما بنوا مروان هلك ملكهم و بادوا .

و قال آخر :

أظننت عرشك لا يزول ولا يغير ؟

يعني أظننت ملكك لا يزول ولا يغير ؟ وقال الله تعالى مخبراً عن واصف ملك

(١) قال الجوهري ، « ثل الله عرشهم » أى هدم ملكهم ، و يقال للقوم إذا ذهب عزهم ،

قد ثل عرشهم و قال ، أودى فلان أى هلك (منه طاب ثراه)

ملكة سبأ « وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ^(١) » يريد : ولها ملك عظيم
 فعرش الله تعالى هو ملكه ، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك والعرب
 تصف الاستيلاء بالاستواء ، قال :

قد استوى بشر على العراق ✽ من غير سيف ودم مهراق
 يريد به : قد استولى على العراق ، فأما العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض
 الملك ، وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة ، وتعبّد الملائكة بحمله و
 تعظيمه ، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحج إليه
 وتعظيمه ، وقد جاء الحديث : إن الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سماه « البيت
 المعمور » تحجّه الملائكة في كل عام ، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سماه « الضراح »
 وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله ، وخلق البيت الحرام في الأرض
 فجعله تحت الضراح وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : لو ألقى حجر من العرش
 لوقع على ظهر بيت المعمور ولو ألقى من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام
 ولم يخلق الله عرشاً لنفسه يستوطنه ، تعالى الله عن ذلك ، لكنّه خلق عرشاً أضافه
 إلى نفسه تكريماً له وإعظماً ، وتعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم
 يخلقه لنفسه ولا يسكنه ، تعالى الله عن ذلك ، لكنّه خلقه لخلقه ، وأضافه إلى نفسه
 إكراماً له وإعظماً ، وتعبّد الخلق بزيارته والحج إليه فأما الوصف للعلم بالعرش
 فهو في مجاز اللّغة دون حقيقتها ، ولا وجه لتأويل قوله تعالى « الرحمن على العرش
 استوى » بمعنى أنه احتوى على العلم ، وإنّما الوجه في ذلك ما قدّمناه ، والأحاديث
 التي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد ، وروايات أفراد ، لا
 يجوز القطع بها ولا العمل عليها ، والوجه الوقوف عندها ، والقطع على أن العرش
 في الأصل هو الملك ، والعرش المحمول جزء من الملك تعبّد الله بحمله الملائكة
 على ما قدّمناه .

٦ - العقائد: اعتقادنا في الكرسي أنه وعاء جميع الخلق من العرش و السماوات والأرض وكل شيء خلق الله تعالى في الكرسي، وفي وجه آخر الكرسي هو العلم، وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل «وسع كرسيه السماوات والأرض» قال: علمه.

٧ - التوحيد: عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق، عن أحمد بن محمد بن أبي سعيد عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصفدي، عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ عن محمد بن سنان الحنظلي، عن عبد الله بن عاصم، عن عبد الرحمن بن قيس، عن أبي هاشم الرماني^(١) عن زاذان، عن سلمان الفارسي، قال: سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل؟ فقال: إن ربنا جل جلاله يحمل ولا يُحمل. قال النصراني: كيف ذلك^(٢) ونحن نجد في الإنجيل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية؟ فقال علي عليه السلام: إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير، ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر وربك عز وجل مالكه، لأنه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه. قال النصراني: صدقت رحمك الله^(٣).

٨ - الكافي: عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد البرقي، رفعه قال: سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أو^(٤) العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عز وجل حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عز وجل: «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من

(١) الرماني بضم الراء المهملة وتشديد الميم، قال في خلاصة تذهيب الكمال (ص:

٣٩٨): اسمه يحيى بن دينار الواسطي، كان نزل قصر الرمان، وثقه ابن معين والنسائي و

أبو زرعة، مات سنة اثنتين وعشرين ومائة.

(٢) في المصدر، فكيف ذلك؟

(٣) التوحيد، ٢٣٢.

(٤) في المصدر، أم.

بعده إنّه كان حليماً غفورا ، قال : فأخبرني عن قوله « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » فكيف ذاك و قلت إنّه يحمل العرش و السماوات و الأرض ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ العرش خلقه الله تبارك و تعالى من أنوار أربعة : نور أحمر منه اجرت الحمرة ، و نور أخضر منه اخضرت الخضرة ، و نور أصفر منه اصفرت الصفرة ، و نور أبيض منه ابيض البياض ، و هو العلم الذي حمّله الله الحملة ، و ذلك نور من نور عظمته ، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين ، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون ، و بعظمته و نوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة ، و الأديان المشتبهة ^(١) فكل [شيء] محمول يحمله الله بنوره و عظمته و قدرته لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكل شيء محمول و الله تبارك و تعالى الممسك لهما أن تزولا ، و المحيط بهما من شيء و هو حياة كل شيء ، و نور كل شيء ، سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً . قال له : فأخبرني عن الله عزّ وجلّ "أين هو ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هو ههنا و ههنا و فوق و تحت و محيط بنا و معنا ، و هو قوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » فالكرسي محيط بالسماوات و الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ و أخفى ، و ذلك قوله تعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما و هو العليّ العظيم » فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّهم الله علمه ، و ليس يخرج من ^(٢) هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته ، و هو الملكوت الذي أراه الله أصفياه ، و أراه خليله عليه السلام فقال : « و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين » و كيف يحمل حملة العرش الله و بحياته حييت قلوبهم و بنوره اهدوا إلى معرفته . ^(٣) ١٩

(١) المتشبهة (ح) .

(٢) عن (خ) .

(٣) الكافي ج ١ ص ١٢٩ .

توضيح : الجائليق - بفتح الناء - رئيس للنصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام ، ذكره الثيروز آبادي . « أن تزولا ، أي يمسهما كراهة أن تزولا بالعدم والبطلان ، أو يمنعهما ويحفظهما أن تزولا ، فإن الإمساك متضمن للمنع والحفظ وفيه دلالة على أن الباقي يحتاج في بقاءه إلى المؤثر . إن أمسهما « أي ما أمسهما من أحد » من بعده « أي من بعد الله ، أو من بعد الزوال ، و « من » الأولى زائدة للمبالغة في الاستعراق ، و الثانية للابتداء « فأخبرني عن قوله » لعلة توهم المنافاة من جهتين : الأولى أن حملة العرش ثمانية و قلت هو سبحانه حامله و الثانية أن الثمانية إذا حملوا عرشه فقد حملوه أيضاً لأنه على العرش و قلت إنه حامل جميع ما سواه خلقه الله من أنوار أربعة .

اقول : قد تحيَّرت الأفهام في معنى تلك الأنوار التي هي من غوامض الأسرار فمنهم من قال هي الجواهر القدسية العقلية التي هي وسائط جوده تعالى ، وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسني ، كالعناصر والأخلاق وأجناس الحيوانات أعني الإنسان والمهائم والسباع والطيور ، ومراتب الإنسان أعني الطبع والنفس الحساسة والنفس المتخيلة والعقل ، وأجناس المولدات كالمعدن والنبات والحيوان والإنسان . وقيل : إنه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار ، فالنور الأبيض هو الأقرب ، والأخضر هو الأبعد ، فكأنه ممتزج بضرب من الظلمة ، والأحمر هو المتوسط بينهما ، ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس . وقيل : المراد بها صفاته تعالى فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضة الأرواح التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة ، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب والأبيض رحمته ولطفه على عباده ، قال تعالى « أمّا الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله » .

وأحسن ما سمعته في هذا المقام ما استغفرت من والذي العلامة - رفع الله

في الجنان مقامه - وملخصه أن لكل شيء شبيهاً ومثلاً في عالم الرؤيا والعوالم التي تطاع عليها الأرواح سوى عالم الحس ، وتظهر تلك الصور والمثل على النفوس مختلفة بحسب اختلاف مراتبها في الكمال ، فبعض النفوس تظهر لها صورة أقرب إلى ذي الصورة وبعضها أبعد ، وشأن المعبر الكامل أن ينتقل من تلك الصور إلى ماهي صور لها بحسب أحوال ذلك الشخص ، ولذا لا يطلع عليها كما ينبغي إلا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام المطلعون على مراتب استعدادات الأشخاص واختلافهم في التقص والكمال ، فالنور الأصفر كناية عن العبادة وصورة لها كما هو المجرّب في الرؤيا أنه إذا رأى العارف في المنام صفرة يوفق بعده لعبادة ، كما هو المشاهد في وجوه المتجهدين ، وقد ورد في الخبر أنه ألبسهم الله من نوره ما خلوا به ، والنور الأبيض العلم ، كما جرّب أن من رأى في المنام لبناً أو ماء صافياً يفاض عليه علم خالص عن الشكوك والشبهات ، والنور الأحمر المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيانها ، وجرّب أيضاً في الرؤيا ، والنور الأخضر المعرفة وهو العلم المتعلق بذاته وصفاته سبحانه كما هو مجرّب في الرؤيا ، ويومئ إليه ما روي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يروى أن محمداً عليه السلام رأى ربه في صورة الشاب الموفق في صورة أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة ، فقال عليه السلام : إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسنّ أبناء ثلاثين سنة . فقال الراوي : جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة ؟ قال : ذلك محمداً عليه السلام كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب ، إن نور الله منه أخضر ، ومنه أحمر ، ومنه أبيض ، ومنه غير ذلك (تمام الخبر) لأنه صلى الله عليه وآله كان حينئذ في مقام كمال العرفان ، وخائضاً في بحار معرفة الرحيم المنان ، وكانت رجلاه في النور الأخضر وقائماً في مقام المعرفة لا يطبقها أحد من الملائكة والبشر وإنما عبسوا بهذه العبارات والكنايات لقصور أفهامنا عن إدراك صرف الحق كما تعرض على النفوس الناقصة في المنام هذه الصور ، ونحن في منام طويل من الغفلة عن المعارف الربانية ، والناس نيام ، فإذا ماتوا انقبهوا ، والأحوط في أمثال

هذه الأخبار الايمان بها مجملاً ، وردت علمها إليهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ثم اعلم أنه على الوجه الأخير الضمير في قوله « وهو العلم » راجع إلى النور الأبيض ، وعلى سائر الوجوه راجع إلى العرش ، أي وقد يطلق العرش على العلم أيضاً ، أو العرش المركب من الأنوار الأربعة هو العلم .
« أبصر قلوب المؤمنين » أي ما أبصروا وعلموا .

« عاداه الجاهلون » لأن الجاهل مساوق الظلمة التي هي ضد النور، والمعادة إنما تكون بين الضدين كذا قيل ، و الأظهر أن المراد به أن غاية ظهوره صادت سبباً لخفائه كما قيل « يا خفيماً من فرط الظهور » فإنه لو لم يكن للشمس غروب وأقول كان يشتبه على الناس أن ضوء النهار منها ، ولما كان شمس عالم الوجود في نهاية الاستواء و الكمال أبدأ و فيضه جارٍ على المواد القابلة دائماً يتوهم الملحد الجاهل أنها بأنفسها موجودة غنيّة عن العلة أو منسوبة إلى الدهر أو الطبيعة .

« ابتغى » أي طلب ، ولعل المعنى أن نوره سبحانه لما طلع على عالم الوجود وآثاره سبحانه ظهر في كل موجود طلبه جميع الخلق ، لكن بعضهم أخطؤوا طريق الطلب وتعيين المطلوب ، فصاروا حيارى ، فمنهم من يعبد الصنم لتوهمه أن مطلوبه هناك ، ومنهم من يعتقد الدهر أو الطبيعة لزعمه أن أحدهما إلهه ومدبره ، فكل منهم يعلمون اضطرابهم إلى خالق ورازق وحافظ ومدبر ، ويطلبونه ويتغنون إليه الوسيلة ، لكنهم لضلالهم ^(١) وعماهم خاطؤون وعن الحق معرضون ، وهذا المعنى الذي خطر بالبال من غوامض الأسرار ، و له شواهد من الأخبار ، وإنما أومأنا إليه على الإجمال ، إذ بسط المقال فيه يؤدي إلى إبداء ما تأتي عنه الأذهان السقيمة لكن استعذبه العقول المستقيمة .

« الممسك لهما » أي للسموات والأرض « والمحيط » بالجر عطفاً على ضمير لهما و « من » بيان له أي الممسك للشيء المحيط بهما ، أو متعلق بقوله « أن تزولاً » وقوله « من شيء » للتعميم ويجوز رفعه بالعطف على الممسك ، و « من » بيان لضمير

(١) لضلالهم (خ) .

« بهما » لقصد زيادة التعميم ، أو بيان طحذوف يعني المحيط بهما مع ما حوته من شيء « وهو حياة كل شيء » أي من الحيوانات أو الحياة بمعنى الوجود و البقاء مجازاً « و نور كل شيء » أي سبب وجوده و ظهوره ، فالكرسي يمكن أن يكون المراد تفسير الكرسي أيضاً بالعلم « ولا يؤده » أي لا يثقل عليه « هم العلماء » إذا كان المراد بالعرش عرش العلم كان المراد بالأ نوار الأربعة صنوف العلم و أنواعه ولا يخرج عن تلك الأنواع أحد ، و إذا كان المراد بالأ نوار نور العلم و المحبة و المعرفة و العبادة كما مر فهو أيضاً صحيح ، إذ لا يخرج شيء منها أيضاً ، إذ ما من شيء إلا وله عبادة و محبة و معرفة وهو يسبح بحمده ، وقال الوالد - ره - : الظاهر أن المراد بالأربعة العرش و الكرسي و السماوات و الأرض ، و يحتمل أن يكون المراد بها الأ نوار الأربعة التي هي عبارة عن العرش ، لأنه محيط على ما هو المشهور .

٩ - الكافي : عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، قال : سألتني أبو قرّة المحدث أن ادخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لي فدخل ، فسأله عن الحلال و الحرام ، ثم قال له : أفنقر أن الله محمول ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج و المحمول اسم نقص في اللفظ ، و الحامل فاعل ، و هو في اللفظ مدحة ، و كذلك قول القائل فوق ، و تحت ، و أعلى ، و أسفل ، و قد قال الله « و له الأسماء الحسنى فادعوه بها » ولم يقل في كتبه إنه المحمول ، بل قال : إنه الحامل في البر و البحر و الممسك السماوات و الأرض أن تزولا ، و المحمول ما سوى الله ، ولم يسمع أحد آمن بالله و عظمته قط قال في دعائه « يا محمول » . قال أبو قرّة : فإنه قال « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » و قال « الذين يحملون العرش » فقال أبو الحسن عليه السلام : العرش ليس هو الله ، و العرش اسم علم و قدرة و عرش فيه كل شيء ، ثم أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه ، و هم حملة علمه ، و خلقاً يسبحون حول عرشه و هم يعملون ^(١) بعلمه ، و ملائكة يكتبون أعمال

(١) في المصدر ، يعملون .

عباده ، و استعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته ، والله على العرش استوى ، كما قال ، و العرش ومن يحمله و من حول العرش والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كل نفس ، و فوق كل شيء ، و على كل شيء ، و لا يقال محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ و المعنى . قال أبو قرّة : فتكذب بالرواية التي جاءت : أن الله تعالى إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم ، فيخروا و يسجدوا ، فإذا ذهب الغضب خفوا و رجعوا إلى مواضعهم ؟ فقال أبو الجسن عليه السلام : أخبرني عن الله تبارك و تعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه فمتى رضي و هو في صفتك لم يزل غضباناً عليه و على أوليائه و على أتباعه ؟ كيف تجزى ، أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال ، و أنه ^(٢) يجري عليه ما يجري على المخلوقين ؟ سبحانه و تعالى ! لم يزل مع الزائلين ، ولم يتغير مع المتغيرين ، ولم يتبدل مع المتبدلين ، و من دونه في يده و تدبيره ، و كلمهم إليه محتاج ، و هو غني عنهم سواء ^(٣) .

بيان : « و المحمول اسم نقص ، أي كل اسم مفعول دل على تأثر و تغيير من غيره و فاقه إليه فهو اسم نقص كالمحفوظ و المربوب و المحمول و أمثالها ، لا كل ما هو على هذه الصيغة ، إذ يجوز إطلاق الموجود و المعبود و المحمود و أمثالها عليه تعالى » و كذلك قول القائل فوق و تحت « يعني أن مثل ذينك اللفظين في كون أحدهما اسم مدح و الآخر اسم نقص قول القائل فوق و تحت ، فإن فوق اسم مدح و تحت اسم نقص ، و كذلك أعلى اسم مدح و أسفل اسم نقص ، و قوله عليه السلام « خلق » بالجر بدل « غيره » و أشار بذلك إلى أن الحامل لما كان من خلقه فيرجع الحمل إليه تعالى « وهم حملة علمه » أي وقد يطلق حملة العرش على حملة العلم أيضاً ، أو حملة العرش في القيامة هم حملة العلم في الدنيا و قوله عليه السلام « خلقنا » و « ملائكة » معطوفان

(١) و إذا (خ)

(٢) و أن (خ) .

(٣) الكافي ج ١ ، ص ١٣٠ .

على خلقه ، أي استعبد خلقاً وملائكة ، والحاصل أنه تعالى لا يحتاج في حمل العرش إلى غيره ، بل استعبد أصناف خلقه بأنواع الطاعات ، وحملة العرش عبادتهم حمل العرش من غير حاجة إليهم « وهم يعملون بعلمه » أي بما أعطاهم من العلم ، ويحتمل أن يكون هذا مبنياً على كون العرش بمعنى العلم ، فحملة العرش الأندباء والأوصياء ومن حول العرش الذين يأخذون العلم عنهم ويعملون بالعلم الذي حملة الحملة فهم مطيفون بهذا العرش ومقتبسون من أنواره « كما قال » أي استواؤه سبحانه على العرش على النحو الذي قال ، وأراد من الاستواء النسبة أو الاستيلاء كما مر لا كما تزعمه المشبهة . وقوله « والعرش » وما عطف عليه مبتدأ خبره محذوف أي محمول كلهم أو سواء في نسبتهم إليه سبحانه .

« قولاً مفرداً لا يوصل بشيء » أي لا يقرن بقريضة صارفة عن ظاهره ، أو ينسب إلى شيء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلق بأن يقال : عرشه محمول ، أو أرضه تحت كذا ، أو جهيمه أسفل ونحو ذلك ، وإلا « فيفسد اللفظ » لعدم الإذن الشرعي وأسمائه توقيفية ، وأيضاً هذا اسم نقص كما مر « والمعنى » لأنه يوجب نقصه وعجزه تعالى عن ذلك علواً كبيراً « وهو في صفتك » أي في وصفك إياه أنه لم يزل غضباناً على الشيطان وعلى أوليائه ، والحاصل أنه لما فهم من كلامه أن الملائكة الحاملين للعرش قد يكونون قائلين وقد يكونون ساجدين بطريقتان الغضب وضده وحمل الحديث على ظاهره نبه عليه السلام على خطائه إلزاماً عليه بقدر فهمه بأنه لا يصح ما ذكرت ، إذ من غضبه تعالى ما علم أنه لم يزل كغضبه على إبليس ، فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن سجداً غير واقفين إلى موافقهم فعلم أن ما ذكرته وفهمته خطأ ، والحديث على تقدير صحته محمول على أن المراد بغضبه سبحانه إنزال العذاب ، وبوجدان الحملة ثقل العرش اطلاعهم عليه بظهور مقدّماته وأسبابه ، وبسجودهم خضوعهم وخشوعهم له سبحانه خشية وخوفاً من عذابه ، فإذا انتهى نزول العذاب وظهرت مقدّمات رحمته اطمانوا ورجعوا في طلب رحمته . ثم بعد إلزامه عليه السلام بذلك شرع في الاستدلال على تنزيهه سبحانه مما فهمه

فقال « كيف تجترىء أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال ، وهو من صفات المخلوقات والممكنات » لم يزل ، بضم الزاي من زال يزول وليس من الأفعال الناقصة ، ووجه الاستدلال بما ذكره عليه السلام قد مر مفصلاً في كتاب التوحيد .

١٠ - الدر المنثور : عن أبي ذر قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكرسي ، فقال يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة (١) .
١١ - عن ابن عباس و ابن مسعود قالوا : السماوات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش (٢) .

١٢ - وعن ابن عباس قال : إنما سمّي العرش عرشاً لارتفاعه (٣) .

١٣ - وعن وهب قال : إن الله تعالى خلق العرش والكرسي من نوره ، و العرش ملتصق بالكرسي ، والملائكة في جوف الكرسي ، و حول العرش أربعة أنهار : نهر من نور يتلأأ ، و نهر من نار تنلطي ، و نهر من ثلج أبيض تلتمع منه الأبصار ، و نهر من ماء ، و الملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون الله ، و للعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم ، فهو يسبح الله و يذكره بتلك الألسنة (٤) .

١٤ - وعن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : العرش من ياقوتة حمراء و إن ملكاً من الملائكة نظر إليه و إلى عظمته (٥) فأوحى الله إليه أني قد جعلت فيك قوتة سبعين ألف ملك لكل ملك سبعون ألف [ألف] جناح فطر ، فطار الملك بما فيه من القوة و الأجنحة ما شاء الله أن يطير ، فوقف فنظر فكان أنه لم يرم (٦) .

١٥ - وعن حماد قال : خلق الله العرش من زمردة خضراء ، وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ، و خلق له ألف لسان ، و خلق في الأرض ألف أمة ، كل

(١) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٢٨ ، وقد مر تحت الرقم (١) من هذا الباب .

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٤) في المصدر ، عظمه .

(٥) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

- أُمَّة تَسْبِحُ اللَّهَ بِلِسَانٍ مِنْ أَلْسِنِ الْعَرْشِ (١) .
- ١٦ - و عن ابن عباس قال : ما يقدّر قدر العرش إلاّ الذي خلقه ، و إنّ السماوات في خلق الرحمن (٢) مثل قبّة في صحراء (٣) .
- ١٧ - و عن مجاهد قال : ما أخذت السماوات و الأرض من العرش إلاّ كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة (٤) .
- ١٨ - و عن كعب قال : إنّ السماوات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض (٥) .
- ١٩ - و عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : ما الكرسي في العرش إلاّ كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض (٦) .
- ٢٠ - و عن وهب قال : خلق الله العرش و للعرش سبعون ألف ساق كل ساق كاستدارة السماء و الأرض (٧) .
- ٢١ - و عن جابر أنّ النبي ﷺ قال : أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام (٨) .
- ٢٢ - و عن حسان بن عطية قال : حملة العرش ثمانية ، أقدامهم منبثة (٩) في الأرض السابعة ، و رؤوسهم قد جاوزت السماء السابعة ، و قرونها مثل طولهم عليها العرش (١٠) .
- ٢٣ - و عن زاذان قال : حملة العرش أرجلهم في التخوم ، لا يستطيعون أن

(١) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٢) في المصدر ، في خلق العرش .

(٣) (٥٣ و ٥٤) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٤) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٥) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٦) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٦ . و فيه « سبعمائة سنة » .

(٧) في المصدر : « مثقبة » و الصواب ما في المتن .

(٨) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

يرفعوا أبصارهم من شعاع النور (١) .

٢٤ - وعن هارون بن رئاب قال: حمله العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم (٢) يقول أربعة منهم « سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك » وأربعة منهم يقولون: « سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك (٣) » .

٢٥ - وعن وهب قال: حمله العرش الذين يحملونه لكل ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة: جناحان على وجهه من أن (٤) ينظر إلى العرش فيصعق، وجناحان يطير بهما، أقدامهم في الثرى، والعرش على أكتافهم، لكل واحد منهم وجه ثور، ووجه أسد ووجه إنسان، ووجه نسر، وليس لهم كلام إلا أن يقولوا « قدّوس الله القويّ، ملأت عظمته السماوات والأرض (٥) » .

٢٦ - وعن وهب قال: حمله العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيّدوا بأربعة آخرين، ملك منهم في صورة إنسان يشفع لبني آدم في أرزاقهم، وملك (٦) في صورة نسر يشفع للطير (٧) في أرزاقهم، وملك (٨) في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها، وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها، فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم من عظمة الله فلقنوا « لا حول ولا قوة إلا بالله » فاستوتوا قياماً على أرجلهم (٩) .

٢٧ - وعن ميسرة قال: لا تستطيع الملائكة الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور (١٠) .

(١) الدر المنثور: ج ٥، ص ٣٤٦ .

(٢) أي رقيق لين .

(٣) الدر المنثور: ج ٥، ص ٣٤٦ - وقد ذكر الشبيحان في المصدر بالتقديم والتأخير .

(٤) في المصدر: على وجهه ينظر .

(٥) الدر المنثور: ج ٥، ص ٣٤٦ .

(٦ و٨) في المصدر: وملك منهم .

(٧) للطيور (خ) .

(٩) الدر المنثور: ج ٥، ص ٣٤٦ .

(١٠) الدر المنثور: ج ٥، ص ٣٤٧ .

٢٨ - وعن ابن عباس قال : حملة العرش ما بين كعب (١) أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ، وذكر أن خطوة ملك المطوت ما بين المشرق والمغرب (٢) .
٢٩ - وعن ميسرة قال : حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى و رؤوسهم قد خرقت العرش ، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم ، وهم أشدّ خوفاً من أهل السماء السابعة ، وأهل السماء السابعة أشدّ خوفاً من أهل السماء التي تليها ، والتي تليها أشدّ خوفاً من التي تليها (٣) .

٣٠ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال : ما جمعكم فقالوا : اجتمعنا نذكر ربنا و نتفكر في عظمته . فقال : لن تدركوا التفكر في عظمته ! ألا أخبركم ببعض عظمة ربكم ؟ قيل : بلى يا رسول الله قال : إن ملكاً من حملة العرش يقال له «إسرافيل» زاوية من زوايا العرش على كاهله ، قدماه (٤) في الأرض السابعة السفلى ، ورأسه (٥) في السماء السابعة العليا ، في مثله من خليفة ربكم تبارك وتعالى (٦) .

٣١ - وعن ابن عباس في قوله « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال : يقال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله ، ويقال ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش في السماء السابعة ، وأقدامهم في الأرض السفلى ، ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه (٧) خمسمائة عام (٨)
٣٢ - وعن الربيع قال : ثمانية من الملائكة (٩) .

(١) في المصدر ، منكب .

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(٤) في المصدر ، « قد مرقت قدماه » و مرقت أى نفذ و خرج .

(٥) في المصدر ، و مرقت رأسه .

(٦) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .

(٧) في المصدر ، مسيرة خمسمائة عام .

(٨) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .

٣٣ - وعن ابن زيد قال : لم يسم من حملة العرش إلا إسرافيل ، و ميكائيل ليس من حملة العرش (١) .

٣٤ - وعن كعب قال : لبنان أحد الثمانية تحمل العرش يوم القيامة (٢) .
وعن ميسرة قال : ثمانية أرجلهم في التخوم ، ورؤوسهم عند العرش ، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور (٣) .

٣٦ - المهج : في دعاء مروى عن موسى بن جعفر عليه السلام : يا من خافت الملائكة من نوره المتوقد حول كرسيه وعرشه ، صافون مسبحون طائفون خاضعون مذعنون (الدعاء) .

٣٧ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم قال : سألت الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الكرسي "أهو أعظم" (٤) أم العرش ؟ فقال عليه السلام : كل شي خلقه الله في جوف الكرسي خلا (٦) عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي (٧) .

٣٨ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه عن إسحاق بن الهيثم ، عن سعد بن طريف ، عن الأصبع بن نباتة ، أن علياً عليه السلام سئل عن قول الله تبارك وتعالى «وسع كرسيه السماوات والأرض» قال : السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي ، وله أربعة أملاك يحملونه باذن الله ، فأما ملك منهم في صورة آدميين ، وهي أكرم الصور على الله ، وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق (٨) لبني آدم ، والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم [هو] يطلب إلى الله ويتضرع إليه ، ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم (٩) ، والملك الثالث في صورة

(١) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦١ .

(٢) في المصدر : فالكرسي أكبر أم العرش ؟

(٣) في المصدر ، خلقه الله .

(٤) في المصدر ، ما خلا عرشه .

(٥) الاحتجاج ، ١٩٣ .

(٦) والسعة في الرزق (خ) -

(٧) في المخطوطة ، لجميع البهائم .

النسر وهو سيد الطير ^(١) وهو يطلب إلى الله ويتضرع إليه و يطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير ، والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيد السباع وهو يرغب إلى الله ويتضرع إليه و يطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع ، ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور ، ولا أشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملائم من بني إسرائيل العجل فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه ، وتخوف ^(٢) أن ينزل به العذاب . ثم قال عليه السلام : إن الشجر لم يزل حصيداً ككلمة حتى دعى للرحمن ولد ، عز الرحمن وجل أن يكون له ولد ، فكادت ^(٣) السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدأً ، فعند ذلك اقشعر الشجر وصار له شوك ، حذاراً أن ينزل به العذاب ، فما بال قوم غيروا سنة رسول الله ﷺ وعدلوا عن وصيته لا يخافون أن ينزل بهم العذاب ؟ ثم تلا هذه الآية « الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ^(٤) » ثم قال : نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده ، بنا فاز من فاز ^(٥) .

بيان : قد تحمل هؤلاء الحملة على أرباب الأنواع التي قال بها أفلاطون وأضرابه ، وما يظهر من صاحب الشريعة لا يناسب ما ذهبوا إليه بوجه ، كما لا يخفى على العارف بمصطلحات الفريقين .

٣٩ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن النضر ، عن موسى بن بكر عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض » السماوات والأرض وسع الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض ؟ قال : بل الكرسي

(١) في المخطوطة : سيد الطيور

(٢) في المصدر : ما يشبهه ، وينخاف .

(٣) في المصدر : تكاد .

(٤) ابراهيم ، ٢٩٠ .

(٥) تفسير علي بن ابراهيم ، ٧٥ .

وسع السماوات والأرض والعرش و كل شيء خلق الله في الكرسي^(١) .
 بيان : لعل سؤال زرارة لاستعلام أن في قرآن أهل البيت « كرسية » منصوب
 أو مرفوع ، وإلا فعلى تقدير العلم بالرفع لا يحسن هذا السؤال لاسيما من مثل زرارة
 ويروى عن الشيخ البهائي - ره - أنه قال : سألت عن ذلك والذي فأجاب - ره - بأن
 بناء السؤال على قراءة « وسع » بضم الواو و سكون السين مصدراً مضافاً ، و على
 هذا يتجه السؤال ، وإنني تصفحت كتب التجويد فما ظفرت على هذه القراءة إلا
 هذه الأيام رأيت كتاباً في هذا العلم مكتوباً بالخط الكوفي وكانت هذه القراءة
 فيه وكانت النسخة بخط مصنفه . وقوله « والعرش » لعله منصوب بالعطف على الأرض
 أو مرفوع بالابتدائية فالمراد بالكرسي السلم أو بالعرش فيما ورد أنه محيط بالكرسي
 العلم ، وقيل : العرش معطوف على الكرسي ، أي والعرش أيضاً وسع السماوات
 والأرض ، فالمعنى أن الكرسي والعرش كلاهما وسع السماوات والأرض فالمراد
 بكل شيء خلق الله كل ما خلق فيهما .

٤٠ - التوحيد : عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن أبيه ، عن أحمد بن
 محمد بن عيسى ، عن عبد الله بن محمد الحجاج ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة قال :
 سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « وسع كرسية » - إلى قوله والعرش و كل
 شيء في الكرسي^(٢) .

ومنه : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الحسن^(٣) بن الحسن بن أبان ، عن

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي : ٧٥

(٢) التوحيد : ٢٣٩ .

(٣) في المصدر « الحسين بن الحسن بن أبان » وهو الصحيح ، قال الشيخ - ره - في
 باب أصحاب العسكري عليه السلام : الحسين بن الحسن بن أبان أدركه (يعني العسكري عليه
 السلام) ولم أعلم أنه روى عنه ، وقال ، أنه روى عن « الحسين بن سعيد » كتبه كلها ، وروى
 عنه ابن الوليد و ذكر ابن قولويه أنه قرأه الصفار و سعيد بن عبد الله لكنه أقدم منهما لأنه
 يروى عن الحسين بن سعيد دونهما والظاهر أنه من الثقات لرواية أجلة القميين كسعد بن عبد الله
 وابن الوليد عنه ، وكونه من مشايخ الاجازة ، مضافاً الى أن العلامة - ره - في المنتهى والمختلف
 والشهيد في الذكري وصفا حديثه بالصحة .

الحسين بن سعيد ، عن فضالة ، عن ابن بكير ، عن زرارة مثله .

العياشي : عن زرارة مثله .

٤١ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم ابن عمر اليماني ، عن أبي الطفيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام فقال له : إن ابن عباس يزعم أنه يعلم كل آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت وفيمن نزلت ! فقال أبي عليه السلام : سله فيمن نزلت « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ^(١) » ؟ وفيمن نزلت « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ^(٢) » ؟ وفيمن نزلت « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ^(٣) » ؟ فأتاه الرجل فسأله فقال : وددت أن الذي أمرك بهذا واجهني به ^(٤) فأسأله عن العرش مم خلقه الله ^(٥) وكم هو وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام : فهل أجابك بالآيات؟ قال : لا ، قال أبي : لكن أجيبك فيها بعلم و نور غير المدعي ولا المنتحل ، أمّا قوله « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » ففيه نزلت وفي أبيه ، وأمّا قوله « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم » ففي أبيه نزلت ، و أمّا الأخرى ففي ابنه ^(٦) نزلت وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به ، و سيكون ذلك من نسلنا المرابط ، و من نسله المرابط ، وأمّا ما سأل عنه من العرش مم خلقه الله فإن الله خلقه أربعاً ، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء : الهواء ، و القلم ، و النور ثم خلقه من ألوان أنوار مختلفة من ذلك النور : نور أحضر منه أخضرت الخضرة

(١) الاسراء : ٧٢ .

(٢) هود ، ٣٣ .

(٣) آل عمران ، ٢٠٠ .

(٤) في بعض النسخ : واجهني به فأسأله ، ولكن سله ما العرش و متى خلق وكيف هو؟

(٥) في المصدر ، و متى خلق ؟

(٦) في المصدر ، ففي أبيه

و نور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، و نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، و نور أبيض و هو نور الأنوار ، و منه ضوء النهار ، ثم جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين ، ليس من ذلك طبق إلا يسبح بحمد ربّه و يقدره بأصوات مختلفة و ألسنة غير مشتبهة ، لو أذن للسان واحد فأسمع شيئاً ممّا تحته لهدم الجبال و المدائن و الحصون ، و كشف البحار و لهلك ما دونه ، له ثمانية أركان يحمل كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله . يسبحون بالليل (١) و النهار لا يفترّون ، ولو أحسّ حسّ شيء ممّا فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه و بين الإحساس حجب الجبروت و الكبرياء و العظمة و القدس و الرحمة و العلم (٢) و ليس وراء هذا مقال ، لقد طمع الجائر في غير مطعم ، أما إن في صلبه وديعة قد ذرّعت لنار جهنّم فيخرجون أقواماً من دين الله ، و ستصبغ الأرض بدماء أفراخ من أفراخ آل محمد تنهض تلك الفراخ في غير وقت ، و تطلب غير مدرك ، و يرابط الذين آمنوا ، و يصبرون و يصابرون ، حتّى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين (٣) .

٤٢ - التوحيد : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفّار عن عليّ بن إسماعيل ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي الطفيل (٤) عن أبي جعفر ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عزّ وجلّ خلق العرش أربعاً - و ذكر مثله إلى قوله - و ليس بعد هذا مقال (٥) .

الكشي : عن جعفر بن معروف ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد بن عيسى

(١) الليل (خ) .

(٢) القلم (خ) .

(٣) تفسير عليّ بن إبراهيم ، ٣٨٥ .

(٤) هو عامر بن وائل الكنانى اللبى ، ذكر فى خلاصه تذهيب الكمال (ص ، ١٥٧)

أنه ولد عام أحد ، و اثبت مسلم و ابن عدى صحبته - إلى ان قال - كان من شيعة على ثم سكن مكة إلى ان مات سنة مائة و قيل سنة عشر (يعنى بعد المائة) و هو آخر من مات من جميع الصحابة على الاطلاق .

(٥) التوحيد ، ٢٣٨ .

مثل ما رواه علي بن إبراهيم إلى آخر الخبر .

وقال أيضاً : حدثني علي بن محمد بن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان ، عن محمد ابن أبي عمير ، قال : جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام و ذكر نحوه .

الاختصاص : عن جعفر بن الحسين ، عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد ابن الحسن الصفار ، عن علي بن إسماعيل عن حماد مثله ^(١)

بيان : « غير المدعي » أي بلا حقيقة ، و الاتحال أن يدعي شعر غيره أو قوله لنفسه . وفي رواية الكشي بعد ذلك : أمالأ و لتان فنزلتا في أبيه ، وأمأ الأخيرة فنزلت في أبي و فينا و كذا في الاختصاص و فيه بعده : و لم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد . و على التقادير يدل على أن العمى المذكور في الآية ليس عمى العين بل عمى القلب ، إذ العباس لم ينقل عماء بل عبد الله صار أعمى « فقي ابنه نزلت » لعل الظاهر فقي بنيه ، و يمكن أن يراد به الجنس ، أو أول من خرج منهم أي نزلت في المرابطة ، و الانتظار الذي أمرنا به في دولة ذر يتيم الملعونة ، فقوله عليه السلام « من نسله المرابط » على النهك ، أو بزعمهم ، فإنهم كانوا يترقبون الدولة في زمن بني أمية ، أو المراد المرابطة اللغوية لا المذكورة في الآية ، و يحتمل أن يكون المراد بالمرابط الخارج بالسيف ، و المرابط من الأئمة القائم عليه السلام و منهم أولهم أو كلهم و في القاموس : ربطه : شده ، و الرباط : ما ربط به ، و المواظبة على الأمر و ملازمة ثغر العدو كالمرابطة و المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره و كل معد لصاحبه فسمي المقام في الثغر رباطاً و منه قوله تعالى « و صابروا و رابطوا ^(٢) » (انتهى) « ولو أحس شي ، مما فوقه » لعل قوله مما فوقه مفعول « أحس » أي شيئاً مما فوقه و في الاختصاص « ولو أحس شيئاً مما فوقه » أي حاس أو كل من الملائكة الحاملين . و في بعض النسخ « ولو أحس حس شيء » و في بعضها « ولو أحس حس شيئاً » . و هو أظهر « بينه و بين الإحساس » أي بين الملك أو الحاس و بين إحساس ما فوقه

(١) الاختصاص : ٧١ - ٧٣ .

(٢) آل عمران ، ٢٠٠ .

« حجب الجبروت و الكبرياء » أي الصوريّة أو المعنويّة « و ليس وراء هذا مقال » أي لا يمكن وصف ما وراء هذه الحجب « لقد طمع الحائر » أي ابن عباس ، و في بعض النسخ « الخائن » و في بعضها « الخاسر » « في غير مطمع » أي في أمر لا ينفع طمعه فيه و هو فوق مرتبته .

« فيخرجون ، وفي الكشي : » يستخرجون أقواماً من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه « والمراد بالأفراخ السادات الذين خرجوا وقتلوا ، لأنهم خرجوا في غير وقت الخروج و عند استقرار دولة المخالفين « و تطلب غير مدرك » على بناء المفعول أي مالا يمكن إدراكه . و في الكشي : غير ما تدرك . و قد مرّت الوجوه الكثيرة في تأويل الأنوار في كتاب التوحيد ، و في هذا الباب أيضاً فلا نعيدها هنا .

٤٣ - التفسير : « و الملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون » قال : حملة العرش ثمانية لكل واحد ثمانية أعين ، كل عين طباق الدنيا و في حديث آخر : حملة العرش ثمانية : أربعة من الأولين و أربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح ، و إبراهيم ، و موسى و عيسى عليهم السلام و أما الأربعة من الآخرين ، فمحمد ، و علي ، و الحسن ، و الحسين . و معنى « يحملون العرش » يعني العلم ^(١) .

٤٤ - الخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن سعد بن عبدالله ، عن القاسم بن محمد الأصبهاني ، عن سليمان بن داود ، عن حفص بن ^(٢) غياث قال : سمعت

(١) تفسير على بن إبراهيم : ٦٩٤ .

(٢) هو حفص بن غياث - بكسر المعجمة - ابن طلق بن معاوية ابو عمر النخعي قاضي الكوفة ، عنده الشيخ - ره - من اصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام و ادعى في المدة اجماع الطائفة على العمل بروايته ، و قال النجاشي (١٠٣) انه ولى القضاء ببغداد الشرقية لهارون ثم ولاه قضاء الكوفة و مات بها سنة اربع و تسعين و مائة (انتهى) و لتوليّه القضاء من قبل هارون استظهر جماعة كونه عامياً لكنه كما ترى ، و النجاشي لم يشر إلى عامية مذهبه عند التعرض لترحمته ولو كان عامياً لشار إليه كما هو دأبه ، و قال في تنقيح المقال (ج ١ ، ص ٣٥٥) : يدل على كونه شيعياً جملة من اخباره و رواياته ثم ذكر بعضها .

أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن "حملة العرش ثمانية لكل" واحد منهم ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا ^(١) .

٤٥ - ومنه : عن ابن الوليد ، عن الصفار ، مرسلًا قال : قال الصادق عليه السلام :
 إن "حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم ، والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير ، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للمسباع والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو-إسرائيل العجل ، فإذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية ^(٢) .

بيان : يمكن أن يكون الذي يسترزق للطير شبيهاً بالنسر والديك معاً ، فلذا شبه بهما .

٤٥ - التوحيد : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ^(٣) (الخبر) .

٤٦ - التوحيد والمعاني : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث ، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل "وسع كرسيه السماوات والأرض" قال : علمه ^(٤) .

٤٧ - المعاني : عن أحمد بن الحسن ، عن عبد الرحمن بن محمد الحسني ، عن أحمد بن عيسى بن أبي مريم ، عن محمد بن أحمد العرزمي ، عن علي بن حاتم المنقري ، عن المفضل بن عمر ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما ؟

(١) الخصال ، ٣٩ .

(٢) الخصال : ٣٠ .

(٣) التوحيد : ٦٤ .

(٤) التوحيد : ٢٣٩ ، المعاني : ٣٠ .

فقال : العرش في وجهه هو جملة الخلق ، و الكرسي وعاقبه ؛ و في وجه آخره العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه و رسله و حججه ، و الكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحداً من أنبيائه و رسله و حججه عليهم السلام (١) .

٤٨ - ومنه : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن موسى بن جعفر البغدادي عن محمد بن جمهور ، عن عبدالله بن عبد الرحمن ، عن محمد بن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال في كل يوم من شعبان سبعين مرة « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم وأتوب إليه » كتب في الأفق المبين . قال : قلت : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدي العرش فيه أنهار تطرد ، فيه من القدحان عدد النجوم (٢) .

٤٩ - التوحيد : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد ، عن ربعي (٣) ، عن الفضيل ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل « وسع كرسيه السماوات والأرض » قال : يا فضيل السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي (٤) .

٥٠ - ومنه : عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل « وسع كرسيه السماوات والأرض » فقال : السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي ، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره (٥) .

(١) المعاني : ٢٩ .

(٢) المعاني : ٢٢٨ .

(٣) بكسر الراء وسكون الباء ، قال النجاشي ، ربعي بن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي أبو نعيم بصري ثقة روى عن أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام و صاحب الفضيل بن يسار و أكثر الأخذ عنه وكان خصيصاً به - إلى ان قال - وله كتاب رواه عن عدة من اصحابنا رحمهم الله منهم حماد بن عيسى .

(٤) التوحيد : ٢٣٩ .

(٥) التوحيد : ٢٣٩ .

٥١ - ومنه : عن عليّ بن أحمد الدقاق ، عن محمد بن جعفر الأسدي ، عن محمد بن إسماعيل البرمكي ، عن الحسين بن الحسن ، عن أبيه ، عن حنان بن سدير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال : إن للعرش صفات كثيرة مختلفة ، له في كل سبب وصنع ^(١) في القرآن صفة على حدة ، فقوله « رب العرش العظيم » يقول : الملك العظيم ، وقوله « الرحمن على العرش استوى » يقول : على الملك احتوى ، وهذا ملك الكيفوية في الأشياء . ثم العرش في الوصل مفرد ^(٢) من الكرسي ، لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب ، وهما جميعا غيبان ، وهما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها ^(٣) الأشياء كلها ، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشية وصفة الإرادة و علم الألفاظ والحركات والترك و علم العود والبداء ، فهما في العلم بابان مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي ، وعلمه أغيب من علم الكرسي ، فمن ذلك قال « رب العرش العظيم » أي صفته أعظم من صفة الكرسي ، وهما في ذلك مقرونان . قلت : جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسي ؟ قال عليه السلام : إنّه صار جاره لأن علم الكيفوية فيه وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها ^(٤) وحدّ رتقها وفتقها ، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف . وبمثل صرف العلماء ، وليستدلوا ^(٥) على صدق دعواهما لأنّه يختص برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز .

فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى « ربّ العرش - ربّ الوحدانية - عمّا يصفون » وقوم وصفوه بيدين فقالوا « يدالله مغلولة » وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنا ارتقى إلى السماء ، و

(١) وضع (خ) .

(٢) في بعض النسخ وفي المصدر : متفرد .

(٣) في المصدر : « منه » وهو الظاهر .

(٤) في بعض النسخ : ابنيتها .

(٥) في المصدر : يستدلوا .

وصفوه (١) بالأنامل فقالوا: إن محمدًا ﷺ قال « إنني وجدت برداً أنامله على قلبي » فلمثل هذه الصفات قال « رب العرش عما يصفون » يقول: رب المثل الأعلى عما به مثله ، والله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم ، فذلك المثل الأعلى . و وصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمتشابه منهم فيما جعلوا به ، فلذلك قال « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » فليس له شبه ولا مثل ولا عدل ، وله الأسماء الحسنى التي لا يسمي بها غيره ، وهي التي وصفها في الكتاب فقال « فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه » جهلاً بغير علم ، فالذي يلحد في أسمائه [جهلاً] بغير علم يشرك وهو لا يعلم ، و يكفر به وهو يظن أنه يحسن ، فلذلك قال « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم ، فيضعونها غير مواضعها .

ياحنان ! إن الله تبارك وتعالى أمر أن يتخذ قوم أولياء ، فهم الذين أعطاهم الفضل و خصهم بما لم يخص به غيرهم ، فأرسل محمدًا ﷺ فكان الدليل على الله بأذن الله عز وجل حتى مضى دليلاً هادياً ، فقام من بعده وصيته ﷺ دليلاً هادياً على ما كان هودل عليه من أمر ربته من ظاهر علمه ثم الأئمة الراشدون ﷺ (٢) .

بيان ، « صفات كثيرة » أي معان شتى و إطلاقات مختلفة « ملك الكيفوفية في الأشياء » أي كيفية ارتباطه سبحانه بمخلوقاته و تدبيره لها و علمه بها و مباينته عنها ، و لذا وصف ذلك بالاستواء فليس بشيء أقرب من شيء ، و رحمته و علمه وسعاً كل شيء ، و يحتمل أن يكون المراد تدبير صفات الأشياء و كیفياتها و أوضاعها و أحوالها ، و لعلمه أظهر . « ثم العرش في الوصل مفرد » أي إذا عطف أحدهما على الآخر و وصل بينهما في الذكر فالعرش مفرد عن الكرسي و مبائن له ، و في غير ذلك قد يطلقان على معنى واحد كالعلم « وهما جميعاً غيبان » أي مغيبان عن الحواس قوله ﷺ « لأن الكرسي هو الباب الظاهر » يظهر منه مع غاية غموضه أن المراد

(١) في المصدر ، وقوم وصفوه .

(٢) التوحيد ، ٢٣٦ .

بالكرسي* والعرش هنا نوعان من علمه سبحانه ، فالكرسي* العلم المتعلق بأعيان الموجودات ، ومنه يطلع و يظهر جميع الموجودات بحقائقها و أعيانها ، و الأمور البدئية في السماوات و الأرض وما بينهما ، والعرش العلم المتعلق بكيفيات الأشياء و مقاديرها و أحوالها و بدئها و عودها ، و يمكن أن يكون أحدهما عبارة عن كتاب المحو و الإثبات ، و الآخر عن اللوح المحفوظ . قوله ﷺ « لأن علم الكيتوفية» أي إنهما إنما صارا جارين مقرونين لأن أحدهما عبارة عن العلم المتعلق بالأعيان و الآخر عن العلم المتعلق بكيفيات تلك الأعيان فهما مقرونان ، و من تلك الجهة صح جعل كل* منها ظرفاً للآخر ، لأن الأعيان لما كانت محال* للكيفيات فهي ظروفها و أوسع منها ، ولما كانت الكيفيات محيطة بالأعيان فكانت ظرفها و أوسع منها وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار ولعله أشير إلى هذا بقوله « أحدهما حمل صاحبه في الظرف » بالظاء المعجمة أي بحسب الظرفية ، و في بعض النسخ بالمهملة أي حيث ينتهي طرف أحدهما بصاحبه إذا قرىء بالتحريك ، و إذا قرىء بالسكون فالمراد نظر القلب . « و بمثل صرف العلماء » أي علماء أهل البيت ﷺ عبروا عن هذه الأمور بالعبارات المتصرفة المتنوعة على سبيل التمثيل و التشبيه ، فتارة عبروا عن العلم بالعرش ، و تارة بالكرسي* ، و تارة جعلوا العرش و عاء الكرسي* ، و تارة بالعكس ، و تارة أرادوا بالعرش و الكرسي* الجسمين العظيمين ، و إنما عبروا بالتمثيل ليستدلوا على صدق دعواهما ، أي دعواهم لهما ، و ما ينسبون إليهما و يبينون من غرائبهما و أسرارهما ، و في أكثر النسخ « و ليستدلوا » فهو عطف على مقدر أي لتفهم أصناف الخلق و ليستدلوا ، و لعل* الأظهر « دعواهم » .

قوله ﷺ « فمن اختلاف صفات العرش » أي معانيه قال في سورة الأنبياء « فسبحان الله رب* العرش عمتا يصفون » فالمراد بالعرش هنا عرش الوجدانية ، إذ هي أنسب بمقام التنزيه عن الشريك ، إذ المذكور قبل ذلك « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون » لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب* العرش عمتا يصفون » و قال سبحانه في سورة الزخرف « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين

سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون» والمناسب هنا عرش التقدس والتنزّه عن الأشباه والأمثال والأولاد ، فالعرش في كل مقام يراد به معنى يعلمه الراسخون في العلم . ثم إنه ظاهر الكلام يوهم أن الظرف في قوله «عما يصفون» متعلق بالعرش و هو بعيد ، بل الظاهر تعلقه بسبحان ، و على ما قررنا عرفنا أنه لا حاجة إلى ارتكاب ذلك ، و يدل الخبر على أن خطاب «و ما أوتيتم» متوجه إلى السائلين عن الروح وأضرابهم لا إلى النبي ﷺ . قوله ﷺ «من ظاهر علمه» إنما خص بالظاهر لأن باطن علمه لا يطيقه سائر الخلق سوى أوصيائه ﷺ . و اعلم أن هذا الخبر من المتشابهات ، وغوامض المخبيات ، و الظاهر أنه وقع من الرواة و النسخ لعدم فهمهم معناه تصحيقات و تحريفات أيضاً ، فلذا أجمعت الكلام فيه ، و ما ذكرته إنما هو على سبيل الاحتمال ، والله يعلم و حججه حقائق كلامهم عليهم السلام .

٥٢ - العياشي : عن الأصمغ ، قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله «وسع كرسيه السماوات والأرض» فقال : إن السماء (١) والأرض و ما فيهما من خلق مخلوق في جوف الكرسي ، وله أربعة أملاك يحملونه باذن الله .

٥٣ - تفسير العسكري : قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لما خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن ، و خلق عند كل ركن ثلاثمائة وستين ألف ملك ، لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلا كالرملة في المفاضة الفضفاضة ! فقال لهم الله : يا عبادي احتملوا عرشي هذا ، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه ، فخلق الله عز وجل مع كل واحد منهم واحداً فلم يقدرُوا أن يززعوه ، فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة فلم يقدرُوا أن يجر كوه ، فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدرُوا أن يجر كوه ، فقال الله عز وجل لجميعهم : خلّوه عليّ أمسكه بقدرتي ، فخلّوه فأمسكه الله عز وجل بقدرته ، ثم قال لثمانية منهم : احمّلوه أتم . فقالوا : يا ربنا

(١) السماوات (خ) .

لم نطقه نحن و هذا الخلق الكثير و الجمّ الغفير ، فكيف نطقه الآن دونهم ؟! فقال الله عزّ وجلّ : " لا نبيّ أنا الله المقرّب للبعيد ، و المذلل للعبيد ، و المخفّف للشديد و المسهّل للعسير ، أفعل ما أشاء و أحكم ما أريد ، أعلّمكم كلمات تقولونها يخفّ" (١) بها عليكم . قالوا : و ما هي ؟ قال : تقولون « بسم الله الرحمن الرحيم و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم و صلّى الله علىّ محمد و آله الطيبين » فقالوها فحملوه ، و خفّ علىّ كواهلهم كشعرة نابتة علىّ كاهل رجل جلد قويّ . فقال الله عزّ وجلّ لسائر تلك الأملاك : خلّوا علىّ هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه ، و طوفوا أنتم حوله و سبحوني و مجدّوني و قدّسوني ، فأنا الله القادر [المطلق] علىّ ما رأيتم و علىّ كلّ شيء قدير .

بيان : « الفضفاضة » الواسعة ذكره الجوهريّ ، و قال : الجلد الصلابة و الجلادة ، تقول منه جلد الرجل بالضمّ فهو جلد .

٥٤ - روضة الواعظين : روى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام أنّه قال : في العرش تمثال ما خلق الله من البرّ و البحر (٢) قال : وهذا تأويل قوله « و إن من شيء إلاّ عندنا خزائنه (٣) » و إنّ بين القائمة من قوائم العرش و القائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام ، و العرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله ، و الأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة ، و إنّ الله تعالىّ لكأ يقال له « خرقائيل » له ثمانية عشر ألف جناح ، ما بين الجناح إلىّ الجناح خمسمائة عام ، فخطر له خاطر : هل فوق العرش شيء ؟ فزاده الله تعالىّ مثلها أجنحة أخرى ، فكان له ستّ و ثلاثون ألف جناح ، ما بين الجناح إلىّ الجناح خمسمائة عام ، ثمّ أوحى الله إليه : أيّها الملك طر ، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس (٤) قائمة من قوائم العرش ، ثمّ ضاعف الله له في الجناح و القوّة

(١) يخفّف (خ) .

(٢) في المصدر ، في البرّ و البحر .

(٣) الحجر : ٢١ .

(٤) رأسه (خ) .

و أمره أن يطير ، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً ، فأوحى الله إليه : أيها الملك ! لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك و قوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي (١) ! فقال الملك « سبحان ربِّي الأعلى » فأنزل الله عز وجل « سبح اسم ربك الأعلى » فقال النبي ﷺ : اجعلوها في سجودكم .

٥٥ - و روي من طريق المخالفين في قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قال : ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله ، لكل ملك منهم أربعة وجوه لهم قرون كقرون الوعلة ، من أصول القرون إلى منتهاها مسيرة خمسمائة عام ، و العرش على قرونهم ، و أقدامهم في الأرض السفلى ، و رؤوسهم في السماء العليا ، و دون العرش سبعون حجاباً من نور (٢) .

بيان : قال الجزري : الوعول تيوس الجبل ، واحداها وعل بكسر العين ، و منه الحديث في تفسير قوله تعالى « و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قيل : هي ثمانية أوعال ، أي ملائكة على صورة الأوعال .

٥٦ - تأويل الايات الظاهرة : نقلاً من كتاب محمد بن العباس بن ماهيار عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن أحمد بن الحسين العلوي ، عن محمد بن حاتم ، عن هارون بن الجهم ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى « الذين يحملون العرش ومن حوله » قال : يعني محمداً ، وعلياً ، و الحسن ، و الحسين و نوحاً ، و إبراهيم ، و موسى ، و عيسى عليه السلام .

٥٧ - الاختصاص : عن ابن عباس ، قال : سألت ابن سلام النبي ﷺ فكان فيما سأله : ما الستة عشر ؟ و ما الثمانية عشر ؟ قال : ستة عشر صفاً من الملائكة حافين من حول العرش ، و ذلك قوله « حافين من حول العرش » و أما الثمانية عشر فثمانية عشر حجاباً من نور معلق بين الكرسي و الحجب ، ولولذلك لذايات

(١) في المصدر : إلى ساق العرش .

(٢) روضة الواعظين ، ٥٩ .

صمّ الجبال الشوامخ ، واحترقت الجنّ والإانس من نور الله . قال : صدقت يا محمد (١) .

٥٨ - في بعض الكتب عن عليّ بن الحسين عليهما السلام : إنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله .

٥٩ - المتهجد : في دعاء ليلة الجمعة : اللهم ربّ النور العظيم وربّ الكرسيّ الواسع ، وربّ العرش العظيم ، وربّ البحر المسجور (الدعاء) .

٦٠ - وفي تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : وأسألك باسمك الذي خلقت به عرشك الذي لا يعلم ما هو إلا أنت - إلى قوله - وأسألك يا الله باسمك الذي تضعع به سكاّن سماواتك ، واستقرّ به عرشك - إلى قوله - وأسألك باسمك الذي أقمت به عرشك وكرسيّك في الهواء - إلى قوله - وأسألك باسمك الذي دعاك به حملة عرشك فاستقرّت أقدامهم ، وحملتهم عرشك بذلك الاسم يا الله الذي لا يعلمه ملك مقرّب ولا حامل عرشك ولا كرسيّك إلا من علّمته ذلك .

٦١ - بيان التنزيل لابن شهر آشوب عن الصادق عليه السلام : إنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير عشرة آلاف عام (١) .

(١) الاختصاص ، ٢٧ .

(١) حاصل ما استفاد من الروايات الشريفة أنّ العرش مخلوق عظيم جداً يشتمله على مادونه من الموجودات ، خلق من انوار اربعة ، ويحملة اربعة من الملائكة ، وله اربع قوائم وليس اول المخلوقات بل رابعها ، وهو الملكوت الذي اراه الله اصفياه ، وفيه تمثال ما خلق الله في البر والبحر ، وفيه خزائن جميع الاشياء ، وهو الباب الباطن من العلم ، وفيه علم الكيف والكون والمود والبداء وقد يستعمل بمعنى الملك والقدرة بمعنىة ، ومنه قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » ولعل منه ايضاً « وكان عرشه على الماء » .

وقد تكلف بعض الحكماء لتطبيقه على الفلك التاسع من الافلاك المفروضة في الهيئة القديمة ، لكنه لا يوافق ما ذكر له من الخواص في الروايات و الذي يفيد التدبر البالغ في خواص المذكورة في الروايات الشريفة ان اشتماله على مادونه من الموجودات ليس كاشتمال جسم مجوف على آخر ، بل معناه اشتماله على صور الاشياء وحقائقها وكمالاتها ، قال عليه السلام « في العرش تمثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وهذا تأويل قوله وان من شيء الا عندنا ←

تحقيق وتوفيق : اعلم أن ملوك الدنيا لمّا كان ظهورهم وإجراء أحكامهم على رعيتهم إنّما يكون عند صعودهم على كرسي* الملك وعروجهم على عرش السلطنة ومنهما تظهر آثارهم وتبين أسرارهم ، والله سبحانه لتقدّسه عن المكان لا يوصف بمحل* ولا مقر* وليس له عرش ولا كرسي* يستقر* عليهما ، بل يطلقان على أشياء من مخلوقاته أوصافه الكمالية على وجه المناسبة ، فالكرسي* والعرش يطلقان على معان : أحدها جسمان عظيمان خلقهما الله تعالى فوق سبع سماوات ، وظاهر أكثر الأخبار أنّ العرش أرفع وأعظم من الكرسي ، ويلوح من بعضها العكس ، والحكماء يزعمون أنّ الكرسي* هو الفلك الثامن ، والعرش هو الفلك التاسع ، وظواهر الأخبار تدلّ على خلاف ذلك من كونهما مربعين ذاتي قوائم وأركان ، وربما يؤوّلان بالجهات والحدود والصفات التي بها استحققت التعظيم والتكريم ، ولا حاجة لنا إلى هذه التكلفات ، وإنّما سمّيا بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما ، وإحاطة الكرسي* وبين وبين المقر* بين وأرواح النبيين والأوصياء بهما ، وعروج من قرّبه من جنابه إليهما ، كما أنّ أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبدو منهنّ ، وتطيف مقر* بواجنابهم وخواص* ملكهم بهما ، وأيضاً لمّا كانا أعظم مخلوقاته الجسمانية وفيهما من الأنوار العجيبة والآثار الغريبة ما ليس في غيرهما من الأجسام فدالتهما على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من سائر الأجسام ، فلذا خصّاهم بهذين الاسمين من بينهما ، وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت ، وفي الآخرة إنّما الملائكة أو أولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام كما عرفت ، و

→ خزائنه « وقال هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون . وهما (يعنى العرش والكرسي) غيبان وهما فى العلم مقرونان ، فبالنظر الى هذه الخواص لا يبعد استظهار كونه من الموجودات النورانية العالية و الجواهر المجردة العقلية ، و كونه رابعها بحسب المرتبة الوجودية ، مشتقلا على اربع حيثيات مختلفة يبقى اشكال وهو انه ربما يظهر من بعض الروايات كونه جسماً عظيماً فوق السماء السابعة فلو كان المراد غير ذلك لم لم يصرح به ؟ و الجواب قوله عليه السلام فى روايه حثان المتقدمة « بمثل صرف العلماء » والله العالم .

يمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازاً لقيام العرش بهم في القيامة وكونهم الحكام عنده والمقر بين لديه .

وثانيها : العلم كما عرفت إطلاقهما في كثير من الأخبار عليه ، و قد مرّ الفرق بينهما في خبر معاني الأخبار وغيره ، وذلك أيضاً لأن منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة ، و به يتجلى على العباد ، فكانه عرشه و كرسيه سبحانه وحملتهما نبينا وأئمتنا عليهم السلام لأنهم خزّان علم الله في سمائه وأرضه لاسيما ما يتعلق بمعرفة سبحانه .

وثالثها الملك ، و قد مرّ إطلاقهما عليه في خبر « حنان » والوجه مأمراً أيضاً . ورابعها : الجسم المحيط و جميع ما في جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق - ره - ويستفاد من بعض الأخبار ، إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلا وهي من آيات وجوده وعلامات قدرته ، و آثار وجوده وفيضه وحكمته فجميع المخلوقات عرش عظمته و جلاله ، و بها تجلى على العارفين بصفات كماله وهذا أحد المعاني التي خطرت ببالي الفاتر في قولهم عليهم السلام « ارتفع فوق كل منظر » فتدبر .

وخامسها : إطلاق العرش على كل صفة من صفاته الكمالية و الجلالية إذ كل منها مستقر لعظمته و جلاله ، و بها يظهر لعباده على قدر قابليتهم و معرفتهم فله عرش العلم ، و عرش القدرة ، و عرش الرحمانية ، و عرش الرحيمية ، و عرش الوجدانية ، و عرش التنزه كما مرّ في خبر حنان وغيره . و قد أوّل الوالد - ره - الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » أن المعنى : استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء ، أن المراد بالعرش هنا عرش الرحمانية والظرف حال أي الرب سبحانه حال كونه على عرش الرحمانية استوى من كل شيء ، إذ بالنظر إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصة بالمؤمنين أقرب ، أو المراد أنه تعالى بسبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك و العظمة و الجلال استوى نسبه إلى كل شيء ، و حينئذ فائدة التقييد بالحال نفي

توهم أن هذا الاستواء مما ينقص من عظمته وجلاله شيئاً .
 و سادسها إطلاق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام و كمثل المؤمنين
 فإن قلوبهم مستقر محبته ومعرفته سبحانه ، كما روي أن قلب المؤمن عرش الرحمن
 و روي أيضاً في الحديث القدسي « لم يسعني سمائي ولا أرضي و وسعني قلب عبدي
 المؤمن » .
 ثم أعلم أن إطلاقهما على بعض المعاني عند التصريح به أو إقامة القرائن
 عليه لا ينافي وجوب الإذعان بالمعنى الأول الذي هو الظاهر من أكثر الآيات
 والأخبار ، والله المطلع على الأسرار .

٥

﴿ باب ﴾

﴿ الحجب و الأستار و السراقات ﴾

١ - التوحيد و الخصال : عن أحمد بن الحسن القطان ، عن أحمد بن يحيى
 ابن زكريا القطان ، عن بكر بن عبد الله ، عن تميم بن بهلول ، عن نصر بن مزاحم
 المنقري ، عن عمرو بن سعد ، عن أبي مخنف ^(١) لوط بن يحيى ، عن أبي منصور ، عن
 زيد بن وهب ، قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب ، فقال : أول الحجب
 سبعة ، غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام ، و بين كل حجابين مسيرة خمسمائة
 عام ، و الحجاب الثاني سبعون حجاباً ، بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام ^(٢)

(١) وزان « منبر » و أبو مخنف هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ اصحاب
 الاخبار بالكوفة - كما عن النجاشي - يروي عن الصادق عليه السلام و كان من اعظم مؤرخي
 الشيعة ، ومع اشتهاره بالتحقيق اعتمد عليه علماء السنة كالطبري والجزري وغيرهما ، له كتب في
 التاريخ والسير منها « مقتل الحسين عليه السلام » الذي نقل عنه اعظم العلماء المتقدمين توفي
 سنة (١٥٧) و جده « مخنف » صحابي شهد الجمل في اصحاب علي عليه السلام حاملاً راية الازد
 فاستشهد في تلك الواقعة سنة (٣٦) .

(٢) في المصدر : و طوله خمسمائة عام .

حجبة كل حجبا منها سبعون ألف ملك ، قوّة كل ملك منهم قوّة الثقلين ، منها ظلمة ، ومنها نور ، ومنها نار ، ومنها دخان ، ومنها سحب و منها برق (١) ، ومنها رعد ، ومنها ضوء ، ومنها رمل ، ومنها جبل ، ومنها عجاج ، ومنها ماء ، ومنها أنهار . وهي حجبا مختلفة غلظ كل حجبا مسيرة سبعين ألف عام ، ثم سرادقات الجلال وهي ستون (٢) سرادقا ، في كل سرادق سبعون ألف ملك ، بين كل سرادق و سرادق مسيرة خمسمائة عام ، ثم سرادق العز ، ثم سرادق الكبرياء ، ثم سرادق العظمة ، ثم سرادق القدس ، ثم سرادق الجبروت ، ثم سرادق الفخر ، ثم سرادق النور الأبيض ، ثم سرادق الوجدانية و هو مسيرة سبعين ألف عام ، ثم الحجبا الأعلى . و انتضى كلامه عليه السلام و سكت فقال له عمر : لا بقيت ليوم لأراك فيه يا أبا الحسن (٣) !

قال الصدوق - ره - : ليست هذه الحجبا مضروبة على الله ، تعالى عن ذلك لأنه لا يوصف بمكان ، ولكنها مضروبة على العظمة العليا من خلقه التي لا يقدر قدرها غيره تبارك و تعالى (٤) .

بيان : قوله عليه السلام « منها ظلمة » لعل المراد من مطلق الحجبا لامن الحجبا المتقدمة كما يدل عليه قوله « غلظ كل حجبا » الخ .

٢ - المعاني والخصال : عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرئ ، عن محمد بن إبراهيم الجرجاني ، عن عبد الصمد بن يحيى الواسطي ، عن الحسن بن علي المدني ، عن عبد الله بن المبارك (٥) ، عن السفينان الثوري ، عن جعفر بن محمد الصادق

(١) مطر (خ)

(٢) في المخطوطة ، سبعون

(٣) التوحيد : ٢٠١ .

(٤) الخصال ، ٣٦ - ٣٧ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي العالم الزاهد المحدث من تابعي التابعين ، ذكر ترجمته مفصلا في تاريخ بغداد و الحلية وغيرهما و اثنوا عليه كثيراً ، روى عنه انه قال ، كتبت عن اربعة آلاف شيخ ، فرويت عن ألف ، و روى انه قال لابي ←

عن أبيه ، عن جده [عن] علي بن أبي طالب عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد عليه السلام قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار ، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وكل من قال الله عز وجل في قوله « ووهبنا له إسحاق ويعقوب - إلى قوله - وهديناهم إلى صراط مستقيم ^(١) » ، وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربعمائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة ، وخلق عز وجل معه اثني عشر حجاباً : حجاب القدرة ، وحجاب العظمة وحجاب المنة ، وحجاب الرحمة ، وحجاب السعادة ، وحجاب الكرامة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الهداية ، وحجاب النبوّة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الشفاعة ، ثم حبس نور محمد عليه السلام في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول « سبحان ربي الأعلى » وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول « سبحان عالم السر [وأخفى] » وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو قائم ليلته » وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان الرفيع الأعلى » وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو دائم لا يسهو » وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو غني لا يفتقر » وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول « سبحان ربي العلي الكريم » وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول « سبحان ذي ^(٢) العرش العظيم » وفي حجاب النبوّة أربعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان رب العزّة عما يصفون » وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول « سبحان ذي الملك

→ جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام ، قد اتيتك مسترقاً مستعبداً ، فقال : قد قبلت ، واعتقه وكتب له عهداً ، حكى الدميري انه استعمار قلماً من الشام فمرض له سفر فسار الى انطاكية وكان قد نسي القلم معه ، فذكره هناك ، فرجع من انطاكية الى الشام ماشياً حتى رد القلم الى صاحبه وعاد ولد سنة (١١٨) بمرور وتوفي سنة (١٨١) بهيت وهي - بكسر الهاء - مدينة على الفرات فوق الانبار من اعمال العراق .

(١) الانعام : ٨٧ .

(٢) في الحصول ، رب العرش .

والملكوت « وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول « سبحان الله وبحمده » وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول « سبحان ربّي العظيم وبحمده » ثمّ أظهر عزّ وجلّ اسمه على اللوح فكان على اللوح منوراً أربعة آلاف سنة ، ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبّتاً سبعة آلاف سنة ، إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام إلى آخر ما مرّ في المجلد السادس (١) .

٣ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال جبرئيل في ليلة المعراج : إنّ بين الله و بين خلقه تسعين ألف حجاب ، و أقرب الخلق إلى الله أنا و إسرافيل و بيننا و بينه أربعة حجج : حجاب من نور ، و حجاب من ظلمة ، و حجاب من الغمام و حجاب من ماء (الخبر) (٢) .

٤ - المجالس للصدوق : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ؛ عن أحمد بن أبي - عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن خلف بن حماد ، عن أبي الحسن العبدي ، عن الأعمش (٣)

(١) الخصال : ٨١ - ٨٢ المعاني : ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٢) تفسير علي بن ابراهيم : ٣٧٣ .

(٣) هو ابو محمد سليمان بن جهران الاسدي مولا هم الكوفي معروف بالفضل و الثقة و الجلالة و التشيع و الاستقامة ، و العامة ايضاً يشنون عليه ، مطبفون على فضله و ثقته ، مقررون بجلالته مع اعترافهم بتشيعه ، و قرنوه بالزهري و نقلوا منه نوادر كثيرة ، و صنف « ابن طولون » كتاباً في نوادره سماه « الزهر الانمش في نوادر الاعمش » و ذكر ابن خلكان انه كان ثقة عالماً فاضلاً و كان ابو من « دماوند » من رساتيق الري ، و لقي كبار التابعين ، و روى عنه سفيان الثوري و شعيب بن الحجاج و حفص بن غياث و خلق كثير من اجلة العلماء و كان لطيف الخلق مزاحاً . و ذكره الخطيب في تاريخ بغداد و اتنى عليه كثيراً ثم قال : كان محدث اهل الكوفة في زمانه ، يقال انه ظهر له اربعة آلاف حديث و لم يكن له كتاب ، و كان يقرء القرآن و رأس فيه ، قرأ على « يحيى بن وثاب » و كان فصيحاً و لم يكن في زمانه من طبقتة اكثر حديثاً منه و كان فيه تشيع و روى عن هشيم انه قال : ما رأيت بالكوفة احداً قرأ لكتاب الله من الاعمش ولا اجود حديثاً ولا افهم ولا اسرع اجابة لما يسأل عنه ، توفي سنة (١٤٨) .

عن عباية بن ربيعي^١ ، عن ابن عباس ، في ذكر خبز المعراج قال : فعبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى الحجب ، والحجب خمسمائة حجاب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام (الخبز) .

٥ - التوحيد : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي^٢ ، والكرسي^٣ جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر (الخبز) (١) .

٦ - المتعجب : في تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : وأسألك بنور اسمك الذي خلقت به نور حجابك النور - إلى قوله عليه السلام - وأسألك باسمك الزكي^٤ الظاهر المكتوب في كنه حجبك ، المخزون في علم الغيب عندك على سدرة المنتهى ، وأسألك باسمك المكتوب على سرادق السرائر - إلى قوله - باسمك الذي كتبته على حجاب عرشك ، وبكل اسم هولك في اللوح المحفوظ .

٧ - الاقبال : في تعقيبات نوافل شهر رمضان ، روي عن أبي عبد الله عليه السلام : اللهم^٥ إنني أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر ، السابق الفائق الحسن النضير ، ورب الملائكة الثمانية ورب العرش العظيم (٢) (الدعاء) .

٨ - الدر المنثور للسيوطي : نقلاً من عدة كتب عن ابن عباس قال بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور (٣) .

(١) قد مر الحديث بعينه في باب العرش والكرسي تحت الرقم (٣٥) .

(٢) لم يوجد هذا الدعاء في تعقيبات النوافل .

(٣) لم يوجد في المصدر .

٩ - وعن أنس ، عن النبي ﷺ قال : قال جبرئيل : إن بيني وبين الرب سبعين حجاباً من نار أو نور ، لورأيت أدناها لا احترقت (١) .

١٠ - وعن أبي هريرة أن رجلاً من اليهود أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السموات ؟ قال : نعم ، بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور ، وسبعون حجاباً من ظلمة ، وسبعون حجاباً من رفارف الاستبرق ، وسبعون حجاباً من رفارف السندس ، وسبعون حجاباً من درّ أبيض ، وسبعون حجاباً من درّ أحمر ، وسبعون حجاباً من درّ أصفر ، وسبعون حجاباً من درّ أخضر ، وسبعون حجاباً من ضياء ، وسبعون حجاباً من ثلج ، وسبعون حجاباً من ماء ، وسبعون حجاباً من برد ، وسبعون حجاباً من عظمته التي لا توصف . قال : فأخبرني عن ملك الله الذي يليه . فقال النبي ﷺ : إن ملك الذي يليه إسرافيل ، ثم جبرئيل ، ثم ميكائيل ، ثم ملك الموت ﷺ (٢)

١١ - وعن مجاهد ، قال : بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً ، حجاباً (٣) من نور ، وحجاباً (٤) من ظلمة .

١٢ - وعن سهل بن سعد ، وعبدالله بن عمرو قالوا : قال رسول الله ﷺ : دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة لا يسمع (٥) من نفس [من خس] تلك الحجب إلا زهقت نفسه .

١٣ - شرح النهج للكيدري : عن النبي ﷺ في حديث المعراج قال : فخرجت من سدرة المنتهى حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ، ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق ، وبين كل حجاب وحجاب مسيرة

(١) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٩٣ وفيه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل ،

هل ترى ربك ؟ قال ، ان بيني ..

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٩٣ .

(٣) حجاب (خ)

(٤) في المخطوطة : ما يسمع

خمسائة سنة - إلى أن قال - ورأيت في عليين بحاراً وأنواراً وحجباً وغيرها لولا تلك لا حترق كل ما تحت العرش من نور العرش . قال : وفي الحديث أن جبرئيل عليه السلام قال : لله دون العرش سبعون حجباً لودنونا من أحدها لأحرقنا سبحات وجه ربنا .

فذلكة : اعلم أنه قد تظافت الأخبار العامية والخاصية في وجود الحجب و السراقات وكثرتها ، وفي القاموس : السراق الذي يمد فوق صحن البيت ، و الجمع سراقات ، والبيت من الكرسف، وبيت مسردق أعلاه وأسفله مشدود كله^(١) وفي النهاية : السراق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء^(٢) (انتهى) و ظاهر أكثر الأخبار أنها تحت العرش و يلوح من بعضها أنها فوقه ، ولا تنافي بينها ، وروي من طرق المخالفين عن النبي ﷺ أن الله تبارك و تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه مادونه . وقال الجزري : فيه أن جبرئيل قال : لله دون العرش سبعون حجباً لودنونا من أحدها لأحرقنا سبحات وجهه^(٣) . وفي حديث آخر : حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدر كه بصره . سبحات الله : جلاله وعظمته ، وهي في الأصل جمع « سبحة » و قيل : أضواء وجهه ، وقيل : سبحات الوجه محاسنه ، لأنك إذا رأيت الحسن الوجه قلت سبحان الله ، وقيل : معناه تنزيه له ، أي سبحان وجهه ، وقيل : إن سبحات وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول ، أي لو كشفها لأحرق كل شيء بصره كما تقول لو دخل الملك البلد لقتل - العياذ بالله - كل من فيه ، و أقرب من هذا كله أن المعنى : لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى صعقاً ، و تقطع الجبال دكاً لما تجلّى الله سبحانه و تعالى^(٤) . و قال النووي في شرح صحيح مسلم : سبحات

(١) القاموس ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

(٢) النهاية ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

(٣) في المصدر ، وجه ربنا .

(٤) النهاية ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

- بضم السين والباء - أي نوره ، وأراد بالوجه الذات ، و بما انتهى إليه بصره جميع المخلوقات ، لأن بصره محيط بجميعها ، أي لو أزال المانع من رؤية أنواره لأحرق جلاله جميعهم .

والتحقيق أن لتلك الأخبار ظهراً و بطناً و كلاهما حق فأما ظهرها فإنه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك خلق عندهما أستاراً و حجباً و سرادقات ، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيين و لمن يسمعا من غيرهم عظمة قدرته و جلال هيئته وسعة فيضه و رحمته ولعل اختلاف الأعداد باعتبار أن في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع و في بعضها الأصناف و في بعضها الأشخاص أو ضم بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات ، أو اكتفي بذكر بعضها في بعض الروايات و أما بطنها فلأن الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته وصفاته أمور كثيرة ، منها ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه ومداركه بسبب الإمكان والافتقار والاحتياج والحدوث و ما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز ، وهي الحجب الظلمانية . و منها ما يرجع إلى نوريته و تجرّده و تقدّسه و وجوب وجوده و كماله و عظّمته و جلاله و سائر ما يتبع ذلك وهي الحجب النورانية ، و ارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال ، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء ، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلّي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانية ، والتخلّق بالأخلاق الربّانية بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقّة ، فترتفع الحجب بينه و بين ربه سبحانه في الجملة ، فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم وإراداتهم وشهواتهم ، فيرون بعين اليقين كماله سبحانه و نقصهم ، و بقاءهم و فناءهم و ذلهم ، و غناهم و افتقارهم ، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدماً ، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلّون عن إرادتهم و علمهم و قدرتهم ، فيتصرف فيهم إرادته و قدرته و علمه سبحانه ، فلا يشاؤون إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون سوى ما أراد الله ، و يتصرفون في الأشياء بقدره الله ، فيحيون الموتى ، ويردون الشمس ، و يشقّون القمر ، كما

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية » والمعنى الذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى ^(١) . وبعبارة أخرى : الحجب النورانية الموانع التي للبعد عن الوصول إلى قربهِ و غاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرئاء والعجب والسمعة والمراء وأشباهاها ، والظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه ، فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه ، وأحرق محبة ما سواه حتى نفسه عن نفسه و سيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الإيمان والكفر إنشاء الله تعالى ، وكل ذلك لا يوجب عدم وجوب الإيمان بظواهرها إلا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها وأول الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) الطريق الذي سلكه العلامة المؤلف رضوان الله عليه في كلامه هذا أشبه بطرق أهل الذوق وبياناتهم فلا بأس بالإشارة إلى طريق أهل البحث والنظر ليكون النفع أعم والفائدة أتم والله المستعان .

العالم المادى عالم الحركة والتكامل ، والنفس أيضاً لتعلقها بالبدن المادى بل اتحادها به محكوم بهذا الحكم فهي لا تزال تسير في منازل السير وتخرج على مدارج الكمال وتقترب إلى الحق المتعال حتى تصل إلى ثغور الامكان والوجوب فمئذ ينتهى السير و يقف الحركة « وان إلى ربك المنتهى » ومنازل السير هي المراتب المتوسطة بين المادة وبين اشرف مراتب الوجود وهي بوجه ينقسم إلى مادية وغير مادية والاولى هي المراحل التي تقطعها حتى تصل إلى حد التجرد والثانية هي المراتب الكمالية العالية التي فوق ذلك و حيث إن نسبة كل مرتبة عالية بالنسبة إلى ما تحته نسبة العلة إلى المماول والمعنى الاسمى إلى الحرفى و المستقل إلى غير المستقل كانت المرتبة العالية مشتملة على كمالات المرتبة الدانية من غير عكس فكلما أخذ قوس الوجود في النزول ضعفت المراتب وكثرت الحدود المدمية ، وكلما أخذ في الصعود اشتدت المراتب و قلت الحدود إلى ان تصل إلى وجود لاحدله أصلاً و وصول النفس إلى كل مرتبة عبارة عن تعلقها بتلك المرتبة ، و بمباراة اخرى بمشاهدة ارتباطها بها بحيث لا ترى لنفسها استقلالاً بالنسبة إليها ، وإن شئت قلت ، بفنائها عن ذاتها و خروجها عماله من الحدود بالنسبة إليها .

و بعد هذه المقدمة نقول : الحدود اللازمة لكل مرتبة العارضة لحقيقة وجود الشيء ←

٦ ﴿ باب ﴾

﴿ سدرة المنتهى ومعنى عليين وسجين ﴾

الآيات :

النجم : ولقد رآه نزلة أخرى ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ ﴿ عندها جنّة المأوى ﴾

→ الذى فى تلك المرتبة هى التى تحجب ذلك الشئ من الوصول الى المرتبة العالية وإدراك مالها من الكمال والعظمة فاذا خرج الشئ عن هذه الحدود وخلع تلك القيود أمكنه الترقى الى درجة ما فوقه فىرى عندئذ ذاته متملقة به غير مستقلة عنه و يعرف ماله من البهاء والشرف والكمال والمظمة ، فتلك الحدود هى الحاجبة عن حقيقة الوجود المطلقة عن كل قيد فالنفس الواهية الى اللذائذ المادية هى المتوغلة فى ظلمات الحدود و غواشى القيود ، و هى ابعد النفوس عن الحق تعالى ، فكلما انخلت من القيود المادية و قطعت تعلقها عن زخارف هذه الدنيا الدنية اقتربت من عالم النور و السرور و البهاء و الحبور ، حتى تتجرد تجرداً سامياً فتشاهد نفسها جوهرأ مجرداً عن المادة والصورة و عند ذلك خرجت عن الحجب الظلمانية ، وهى حقيقة الذنوب و المعاصى و الاخلاق الذميمة ، و رأسها حب الدنيا و الاخلاذ الى أرض الطبيعة ، وقد روى الفريقان عن النبى صلى الله عليه و آله « حب الدنيا رأس كل خطيئة » لكنها ببد محتجبة بالصجب النورانية و هى ألطف و أرق ولذا كان تشخيصها أصعب ، ومعرفتها الى الدقة والحذاقة أحوج ، فرب سالك فى هذه المسالك لما شاهد بعض المراتب الدانية زعم أنه وصل إلى أقصى الكمالات و أرفع الدرجات ، و صار ذلك سبباً لتوقفه فى تلك المرتبة و احتجابه بها ، و نعم ما قيل :

رق الزجاج ورقى الخمر * فتشابهها و تشابه الامر
فكأنها خمر ولا قدح * و كأنها قدح ولا خمر

فمن شمله عناية الحق و ساعده التوفيق فخصه الله بمبادئه ، وهيم قلبه لارادته ، و فرغ فؤاده لمحبتة ، و أزال محبة الاغيار عن قلبه ، و أشرق له نوره ، و كشف له سبحات وجهه ، و رفع عنه حجب كبريائه و سرادقات عزه و جلاله ، و تجلى له فى سره ، ثم وفقه للاستقامة فى أمره و التمكن فى مقامه فانرفع عنه كل حجاب ، و تعلق بهمقدس رب الارباب فقد هنا عيشه و طاب حياته ←

إذ يغشى السدرۃ ما يغشى (١) .

المطففين : كلاً إن كتاب الفجر لفي سجين ✽ وما أدريك ما سجين - إلى قوله تعالى - كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليين ✽ وما أدريك ما عليون ✽ كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون (٢) .

تفسير : قال الطبرسي - ره - : « ولقد رآه » أي جبرئيل (٣) في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء « نزلة أخرى » وذلك أنه رآه مرتين على صورته « عند سدرۃ المنتهى » هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة ، انتهى إليها علم كل ملك عن الكلي ، ومقاتل ، وقيل : إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء ، وما يهبط من فوقها من أمر الله عن ابن مسعود والضحاك ، وقيل : إليها ينتهي أرواح الشهداء وقيل : إليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء ، وهذه الشجرة حيث تنتهي إليه الملائكة فأضيفت إليه ، وقيل : هي شجرة طوبى عن مقاتل ، والسدرۃ هي شجرة النبق « عندها جنة المأوى » أي جنة المقام وهي جنة الخلد ، وهي في السماء السابعة ، وقيل في السماء السادسة ، وقيل هي الجنة التي كان أوى إليها آدم وتصير إليها أرواح الشهداء عن الجبائي و قتادة ، وقيل : هي التي تصير إليها أهل الجنة عن الحسن ، وقيل : هي التي يأوي إليها جبرئيل والملائكة عن عطاء عن ابن عباس « إذ يغشى السدرۃ ما يغشى » قيل : يغشها الملائكة أمثال الغربان حتى يقعن على الشجرة عن الحسن ومقاتل ، وروي أن النبي ﷺ قال : رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكاً

→ فطوبى له ثم طوبى له . وقد ظهر مما ذكرنا أن معنى ارتفاع الحجاب مشاهدة عدم استقلال النفس فلا يوجب ارتفاع الحجب كالأندام العالم رأساً بل إنما يوجب معاينة ماسوى الله تعالى متعلقاً به غير مستقل بنفسه فاليلزم منه مجال ولا ينافى شيئاً من اصول الدين والله الهادي والمعين .

(١) النجم : ١٣ - ١٤ .

(٢) المطففين ، ٧-٢١ .

(٣) في المصدر ، أى رأى جبرئيل .

قائماً يسبح الله تعالى ، وقيل: يغشها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن ، وقيل : يغشها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد ، وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى أنه رأى جبرئيل على صورته في الحال التي يغشى فيها السدره من أمر الله ومن العجائب المنبته على كمال قدرة الله تعالى ما يغشها ، وإنما أبهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه (١) .

« إن كتاب الفجر لفي سجين » يعني : كتابهم الذي فيه تثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن ، وقيل : معناه أنه كتب في كتابهم أنهم يكونون في سجين ، وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقناة وضحاك وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : سجين أسفل سبع أرضين ، وقال شمر بن عطية : جاء ابن عباس إلى كعب الأخبار فقال : أخبرني عن قول الله تعالى « إن كتاب الفجر لفي سجين » قال : إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس ، والمعنى في الآية أن كتاب عملهم يوضع هناك . وقيل : إن سجين جب في جهنم مفتوح والفلق جب في جهنم مغطى ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وقيل : إن السجين اسم كتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى أوجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجينا ، ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن أبي مسلم (٢) .

وقال : « لفي عليين » أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة ، وقيل : في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين ، وقيل : في سدره المنتهى التي إليها ينتهي كل شيء من أمر الله تعالى ، وقيل : عليون الجنة عن ابن عباس ، وقال الفرعاء : في ارتفاع

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٧٥ .

(٢) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٥٢ .

بعد ارتفاع لا غاية له ، و قيل : هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية أخرى ، وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال في عليّين : في السماء السابعة تحت العرش . وقال ابن عمر : إن أهل عليّين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا ، فاذا أشرف رجل منهم أشرفت الجنة وقالوا : قد اطلع رجل من أهل عليّين (١) .

١ - العلل : عن محمد بن موسى ، عن عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد ابن محمد ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن حبيب السجستاني ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إنّما سميت سدرۃ المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محلّ السدرۃ ، قال : والحفظة الكرام البررة دون السدرۃ يكتبون ما يرفعه إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض فينتهى (٢) بها إلى محلّ السدرۃ (٣) .

المحاسن : عن ابن محبوب مثله (٤) .

٢ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ لما أُسري بي إلى السماء انتهيت إلى محلّ سدرۃ المنتهى ، وإذا الورقة منها تظلّ أمة من الأمم ، فكنت من ربّي كتاب (٥) قوسين أو أدنى (الخبر) (٦) .

٣ - ومنه : قال : سدرۃ المنتهى في السماء السابعة ، وجنّة المأوى عندها (٧) .

٤ - ومنه : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : السجّين الأرض

(١) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) في المحاسن : وينتهون .

(٣) العلل ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٤) المحاسن ، ٣٣٣ .

(٥) في المصدر ، فكنت منها كما قال الله كتاب قوسين أو أدنى .

(٦) تفسير علي بن ابراهيم : ٣٧٣ .

(٧) المصدر ص ٦٥٢ .

السابعة ، وعليون السماء السابعة (١) .

بيان : قال في النهاية : فيه « إن أهل الجنة ليتراوون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرّي في أفق السماء » عليون اسم للسماء السابعة ، وقيل : هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد ، وقيل : أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى في الدار الآخرة ، ويعرب بالحروف والحركات كقنّسرين وأشباها على أنها جمع أو واحد (٢) وقال : سدرة المنتهى شجرة في أقصى الجنة إليها ينتهي علم الأولين والآخرين ولا يتعداها (٣) .

٥ - الدر المنثور : عن ابن عباس ، سأل كعب الأحمدي عن قوله « كلاً إن » كتاب الفجر لفي سجين قال : إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو (٤) موضع جند (٥) إبليس ، فيخرج لها من تحت جند (٦) إبليس رق لهلاكه للحساب ، فذلك قوله « وما أدريك ما سجّين » كتاب مرقوم ، وقوله « كلاً إن » كتاب الأبرار لفي عليين قال : إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فتفتح [لها] أبواب السماء وتلقبها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها إلى العرش ، وتخرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب (٧) يوم الدين ، وتشهد الملائكة المقرّبون ، فذلك قوله « وما أدريك ما عليون » كتاب مرقوم (٨) .

(١) المصدر ص ٧١٦

(٢) النهاية : ج ٣ ، ص ١٢٥

(٣) النهاية : ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٤) وهو خد إبليس (خ) .

(٥) الخد : الطريق والجماعة والحفرة المستطيلة في الأرض كالخدة بالضم (القاموس) .

(٦) في المصدر ، فيخرج لها من تحت خد إبليس كتاباً فيختم ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه .

(٧) في المصدر ، للحساب يوم القيامة .

(٨) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

٦ - وعن سعيد بن المسيّب قال : التقى سلمان و عبدالله بن سلام فقال أحدهما لصاحبه : إن متّ قبلي فالقني فأخبرني ما صنع بك ربك ، وإن أنامتّ قبلك لقيتك فأخبرتك . فقال عبدالله بن سلام : كيف هذا^(١) ؟ أو يكون هذا ؟ قال : نعم ، إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت ، ونفس الكافر في سجين^(٢) .

٧ - وعن قتادة « كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليّين » قال : عليّون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى « كتاب مرقوم » قال : رقم لهم بخير « يشهده المقرّ بون » قال : المقرّ بون من ملائكة الله^(٣) .

و عن الضحّاك قال : إذا قبض روح^(٤) المؤمن عرج به إلى السماء الدنيا فينطلق معه المقرّ بون إلى السماء الثانية قال الأجلح : فقلت : و ما المقرّ بون ؟ قال : أقرّ بهم إلى السماء الثانية ، ثمّ الثالثة ، ثمّ الرابعة ، ثمّ الخامسة ، ثمّ السادسة ثمّ السابعة ، حتّى ينتهي به إلى سدرۃ المنتهى . قال الأجلح : قلت ، للضحّاك : ولم تسمي سدرۃ المنتهى ؟ قال : لأنّه ينتهي إليه كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها فيقولون : ربّ عبدك فلان - وهو أعلم به منهم - فيبعث إليهم بصكّ محتوم بأمنه^(٥) من العذاب ، و ذلك قوله « كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليّين وما أدريك ما عليّون كتاب مرقوم يشهده المقرّ بون^(٦) » .

و عن ابن عباس ، سأل كعباً عن قوله تعالى « كلاً إن كتاب الأبرار لفي عليّين » الآية قال : إنّ المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربّه فلاهم يستطيعون أن يؤخّروه ساعة ، ولا يعجلوه حتّى تتهيء ساعته ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه

(١) في المصدر : كيف يكون هذا ؟

(٢) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٥ .

(٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

(٤) في المصدر : روح العبد المؤمن :

(٥) في المصدر : يأمنه .

(٦) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٦ .

فدفعوه إلى ملائكة الرحمة ، فأروه ما شاء الله أن يروه من الخير ، ثم عرجوا بروحه إلى السماء فيشيئعه من كل سماء مقرّ بوها حتّى يمتنوا به إلى السماء السابعة فيضعونه بين أيديهم لا ينتظرون به صلاتكم عليه ، فيقولون : اللهم هذا عبدك فلان قبضنا نفسه - فيدعون له بما شاء الله أن يدعو - فنحن نحبّ أن تشهدنا اليوم كتابه . فينشر كتابه من تحت العرش ، فيثبتون اسمه فيه وهم شهود ، فذلك قوله « كتاب مرقوم يشهده المقرّبون » و سأله عن قوله « إن كتاب الفجّار لفي سبّحين » الآية قال : إنّ العبد الكافر يحضره الموت و يحضره رسل الله ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة العذاب ، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشرّ ، ثم هبطوا به إلى الأرض السفلى وهي سجّين ، وهي آخر سلطان إبليس ، فأثبتوا كتابه فيها (١) .

١٠ - وعن عطاء بن يسار ، قال : لقيت رجلاً من حمير كان (٢) علامة يقرأ الكتب فقلت له : الأرض التي نحن عليها ما مكانها (٣)؟ قال : هي على صخرة خضراء تلك الصخرة على كف ملك ، ذلك الملك قائم على ظهر حوت (٤) . قلت : الأرض الثانية من سكّانها ؟ قال : ساكنها الريح العقيم ، لما أراد الله أن يهلك عاداً أو حى إلى خزنتها أن افتحوا عليهم منها باباً ، قالوا : ياربنا مثل منخر الثور ؟ قال : إذا تتكفأ (٥) الأرض و من عليها ، فضيقت ذلك حتّى جعل مثل حلقة الخاتم ، فبلغت ما حدث الله . قلت : الأرض الثالثة من سكّانها (٦) ؟ قال : فيها حجارة جهنّم . قلت : الأرض الرابعة من سكّانها ؟ قال : فيها كبريت جهنّم ، قلت : الأرض الخامسة من

(١) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ .

(٢) في المصدر : كانه .

(٣) > « ساكنها » و الظاهر انه تصحيف .

(٤) > حوت منطو بالسموات والأرض من تحت العرش .

(٥) > تكفأ .

(٦) > « ساكنها » و كذا في المواضع الآتية .

سكّانها؟ قال: فيها عقارب جهنم، قلت: الأرض السادسة من سكّانها؟ قال: فيها حيات جهنم، قلت: الأرض السابعة من سكّانها؟ قال: تلك سحّين، فيها إبليس موثوق^(١) يد أمامه ويد خلفه ورجل أمامه ورجل خلفه، كان يؤذي الملائكة فاستعدت عليه فسجن هنالك، و له زمان يرسل فيه، فإذا أرسل لم تكن فتنة الناس بأعبي عليهم من شيء^(٢).

١٧

﴿ بيان ﴾

﴿ البيت المعمور ﴾

الآيات :

الطور : و البيت المعمور^(٣)

تفسير: قال الطبرسي: البيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بها، يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد، وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: و يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً، و عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: البيت المعمور في السماء الدنيا، وفي السماء الرابعة نهر يقال له «الحيوان» يدخل فيه جبرئيل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلوا فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبداً، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيت الذي في السماء^(٤) يقال له «الضراح» وهو بقاء البيت الحرام لو سقط سقط عليه، يدخله

(١) في المصدر، ووثق.

(٢) الدر المنثور: ج ٦، ص ٣٢٧.

(٣) الطور، ٤.

(٤) في المصدر، في السماء الدنيا.

كلّ يوم ألف ملك لا يعودون إليه أبداً . وقيل : البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحجّ و العمرة عن الحسن ، و هو أوّل مسجد وضع للعبادة في الأرض (١) .

١ - محاسبة النفس للمسيّد عليّ بن طاوس - ره - نقلا من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلوديّ بإسناده قال : سألت ابن الكواء (٢) أمير المؤمنين عليه السلام عن البيت المعمور و السقف المرفوع ، قال عليه السلام : ويملك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيمة ، فيه كتاب أهل الجنة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنة ، و فيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود ، فإذا كان مقدار العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل ، فذلك قوله تعالى « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون (٣) » .

بيان : « فيسمعون » أي الملائكة الذين عن يمين الباب و يساره « منهما » أي من الملكين الكاتبين « هذا كتابنا » قال الطبرسيّ - ره - : يعني ديوان الحفظه

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٤٣ .

(٢) هو غبداثة بن الكواء كان من رؤوس الخوارج و له اخبار كثيرة مع عليّ عليه السلام و كان يلازمه و يعييه في الاسئلة . قال ابن حجر في لسان الميران (ج ٣ ص ٣٢٩) : قد رجع عن مذهب الخوارج و عاود صحبه عليّ عليه السلام و ذكر يعقوب بن شيبة ان اهل الشام لما رفعوا المصاحف يوم صفين و اتفقوا على التحكيم غضبت الخوارج و قالت « لا حكم إلا لله » قال فأخبرني خلف بن سالم عن وهب بن جرير قال : خرجوا مع ابن الكواء و هو رجل من « بني يشكر » فنزلوا « حروراء » فبعث إليهم ابن عباس و صعصعة بن صوحان فقال لهم صعصعة : انما يكون القضية من قابل فكونوا على ما انتم حتى تنظروا القضية كيف تكون . قالوا انا نخاف ان يحدث ابو موسى شيئا يكون كفرا . قال فلا تكفروا العام مخافة عام قابل . فلما قام صعصعة قال لهم ابن الكواء ، أي قوم ! الستم تعلمون أنى دعوتكم إلى هذا الامر ؟ قالوا : بلى ، قال : فان هذا ناصح فاطيعوه (انتهى) .

(٣) الجاثية : ٢٨ .

« ينطق عليكم بالحق » أي يشهد عليكم بالحق ، و المعنى : يبينه بياناً شافياً حتى كأنه ناطق « إننا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » أي نستكتب الحفظه ما كنتم تعملون في دار الدنيا ، و الاستنساخ : الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب ، و قيل : المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير و شر ، و على هذا فيكون معنى « نستنسخ » أن الحفظه تستنسخ الخزنه ما هو مدون عندها من أعمال العباد و هو قول ابن عباس (١) .

٢ - العليل : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن أحمد بن عائد ، عن أبي خديجة (٢) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : لم سمي البيت العتيق ؟ قال : إن الله عز وجل أنزل الحجر الأسود لا من الجنة و كان البيت درة بيضاء ، فرفعه الله إلى السماء و بقي أسه ، فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً ، فأمر الله إبراهيم و إسماعيل ببنيان (١) البيت على القواعد ، و إنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الفرق (٢) .

٣ - تفسير علي بن ابراهيم : « والبيت المعمور » قال : هو في السماء الرابعة

(١) مجمع البيان : ج ٩ ، ص ٨٠ .

(٢) هو أبو سلمة سالم بن مكرم بن عبدالله مولى بنى اسد كان من أصحاب ابي عبدالله عليه السلام وثقه النجاشي (١٤٣) و ذكر في الخلاصة ان الشيخ وثقه في أحد قوليه و ضعفه في الاخر ثم قال : الوجه التوقف في ما يرويه لتعارض الاقوال فيه . و ذكر الكشي انه كان اولاً من اصحاب ابي الخطاب و كان في المسجد يوم بعث « عيسى بن موسى بن علي » - و كان عامل المنصور على الكوفة - إلى ابي الخطاب لما بلغه أنهم قد اظهروا الاباحات و دعوا الناس إلى نبوة ابي الخطاب ، و أنهم يجتمعون في المسجد و ازموا الاساطين يرون الناس انهم لزموها للمباداة و بعث إليهم فقتلهم جميعاً لم يفلت منهم إلا رجل واحد فسقط بين القتلى فلما جنه الليل خرج من بينهم فخلص و كان هو ابا خديجة . ثم ذكر انه تاب و كان ممن يروي الحديث .

(١) في بعض النسخ بينيان « و كذا في المصدر .

(٢) العليل : ج ٢ ، ص ٨٥ .

وهو « الضراح » يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً (١) .

٤ - العلل : عن علي بن حاتم ، عن القاسم بن محمد ، عن حمدان بن الحسين عن النحسين بن الوليد ، عن أبي بكر ، عن حنان بن سدير ، عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قلت [له] : لم صار الطواف سبعة أشواط ؟ قال : لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة « إنني جاعل في الأرض خليفة » فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » قال الله « إنني أعلم ما لا تعلمون » و كان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً ، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً ، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد ، لكل ألف سنة شوطاً واحداً (٢) .

٥ - العلل : في علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام : علّة الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة « إنني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب ، فعلموا أنهم أذنبوا فندبوا فلاذوا بالعرش واستغفروا ، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد ، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى « الضراح » ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى [البيت] المعمور بحذاء الضراح ، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة (٣) .

٦ - الكفعمي و البرسي : بإسناديهما عن موسى بن جعفر عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال جبرئيل : و الذي بعثك بالحق نبياً

(١) تفسير القمي ، ٤٢٩ .

(٢) العلل ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٣) علل الشرائع ، ج ٢ ، ٩١ .

إن الله تعالى بنى في السماء الرابعة بيتاً يقال له « البيت المعمور » يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك و يخرجون منه ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة (الخبر) .

٧ - الدر المنثور : قال : أخرج الأزرقى عن علي بن الحسين عليهما السلام أن رجلاً سأله : ما بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان و حيث كان ؟ فقال : أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله قال للملائكة : إنني جاعل في الأرض خليفة ، فقالت الملائكة : أي رب ، أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها و يفسك الدماء ، و يتحاسدون و يتباغضون و يتباغون ؟ أي رب اجعل ذلك الخليفة منا ، فنحن لا نفسد فيها ولا نفسك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ، و نحن نسبح بحمدك و نقدر لك و نطيعك ولا نعصيك . قال الله تعالى : إنني أعلم ما لا تعلمون . قال : فظننت الملائكة أن ما قالوا رد على ربهم عز وجل ، و أنه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ^(١) ثلاث ساعات ، فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم ، فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد ، و غشاهن بياقوتة حمراء ، و سمى البيت « الضراح » ثم قال الله للملائكة : طوفوا بهذا البيت و دعوا العرش فطافت الملائكة بالبيت و تر كوا العرش فصار أهون عليهم و هو البيت المعمور الذي ذكره الله ، يدخله كل يوم و ليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً ، ثم إن الله تعالى بعث ملائكته ^(٢) فقال : ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله و قدره ، فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور ^(٣) .

٨ - و عن مقاتل يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله أن آدم قال [أي رب]

(١) في المصدر ، فلاذوا بالعرش و رفعوا رؤوسهم و أشاروا بالاصابع يتصرعون و يبكون

إشفاقاً لغضبه ، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات .

(٢) ملائكة (خ) .

(٣) الدر المنثور : ج ١ ، ص ١٢٨ .

أعرف شقوتي ! لا أرى شيئاً من نورك نعبد (١) فأُنزل الله عليه البيت المعمور (٢) على عرض البيت و موضعه من ياقوت الجنة و لكن طوله بين السماء و الأرض و أمره أن يطوف به ، فأذهب عنهم الهمّ الذي كان قبل ذلك ، ثمّ رفع على عهد نوح عليه السلام (٣) .

٩ - و عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : البيت المعمور الذي في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون (٤) فيه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام (٥) .

و عن أنس مثله (٦) .

١٠ - و عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : في السماء الدنيا بيت يقال له « المعمور » بحيال الكعبة ، و في السماء الرابعة نهر يقال له « الحيوان » يدخله جبرئيل كلّ يوم فينغمس انغماسة ثمّ يخرج فينتفض انتفاضة يجري منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيفعلون ثمّ يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، و يوئى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفاً يسبّحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة (٧) .

١١ - و عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : البيت المعمور في السماء يقال له « الضراح » على مثل البيت الحرام لو سقط سقط عليه ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لم يروه (٨) قطّ ، وإنّ له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة (٩) .

(١) في المصدر ؛ بعد .

(٢) البيت الحرام الذي على عرض البيت الذي في السماء .

(٣) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٤) في المصدر ؛ لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة .

(٥) الدر المنثور ؛ ج ٦ ، ص ١١٧ . و ليس فيه « حذاء الكعبة الحرام » .

(٦) الدر المنثور ؛ ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٧) الدر المنثور ؛ ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٨) في المصدر ؛ لم يروه .

(٩) الدر المنثور ؛ ج ٦ ، ص ١١٧ .

- ١٢ - وعن خالد بن مرة^(١) أن رجلاً قال لعليّ عليه السلام : ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له «الضراح» و هو بحيال الكعبة^(٢) حرمة في السماء كحرمة البيت في الارض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً^(٣) .
- ١٣ - وعن أبي الطفيل أن ابن الكواهم سأل علياً عليه السلام عن البيت المعمور ما هو؟ قال : ذاك الضراح بيت فوق سبع سماوات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة^(٤) .
- ١٤ - و عن ابن عباس ، قال : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلي فيه كل ليلة سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه^(٥) .
- ١٥ - و عن الضحاك قال : أنزل من الجنة و كان يعمر بمكة ، فلما كان الغرق رفعه الله فهو في السماء السادسة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك^(٦) .
- بيان : مقتضى الجمع بين الأخبار مع صحة جميعها القول بتحقيق البيت في جميع تلك المواضع و سيأتي كثير من الأخبار المتعلقة بالباب في باب الملائكة .

٨

﴿ باب ﴾

﴿ السماوات و كیفیاتها و عددھا ، و النجوم و أعدادھا ﴾

﴿ و صفاتها و المجرة ﴾

الآيات :

الانعام : و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر
قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون^(٧) .

(١) في المصدر : خالد بن عرعة .

(٢) د : الكعبة من فوقها .

(٣-٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٦) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٧) الانعام : ٩٧ .

الاعراف : إن الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء (١) .

الرعد : الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش و سخر الشمس و القمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٢) .

الحجر : ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون - إلى قوله تعالى ولقد جعلنا في السماء بروحاً و زينناها للناظرين و حفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (٣) .

النحل : خلق السماوات و الأرض بالحق تعالى عما يشركون (٤) .
وقال : و علامات و بالنجم هم يهتدون (٥) .

طه : ننزلاً مما ننزل من خلق الأرض و السماوات العلى (٦) .

الانبياء : و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون (٧) .
وقال تعالى : يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب (٨) .

الحجج : و يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه (٩) .

المؤمنون : ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق و ما كنا عن الخلق غافلين (١٠)

(١) الاعراف ، ٤٠ .

(٢) الرعد : ٢ .

(٣) الحجر ، ١٤ - ١٨ .

(٤) النحل : ٢ .

(٥) النحل ، ١٦ .

(٦) طه ، ٢٠ .

(٧) الانبياء ، ٢٢ .

(٨) د ، ١٠٤ .

(٩) الحجج ، ٦٤ .

(١٠) المؤمنون ، ١٦ .

و قال تعالى : قل من رب السماوات السبع و رب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون (١) .

الفرقان : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً (٢) .

المنكبات : خلق الله السماوات و الأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٣) .
الروم : و من آياته أن تقوم السماء و الأرض بأمره (٤) .
لقمان : خلق السماوات بغير عمد ترونها (٥) .

الصفات : و رب المشارق إننا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب و حفظاً من كل شيطان مارد - إلى قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب (٦) .
المؤمن : الله الذي جعل لكم الأرض قراراً و السماء بناء (٧) .

السجدة : ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض أتتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضيهن سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها و زيننا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (٨) .
ق : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زينناها و مالها من فروع (٩) .
الذاريات : و السماء ذات الجبك (١٠) . و قال تعالى : و في السماء رزقكم و

(١) المؤمنون ، ٨٦ .

(٢) الفرقان ، ٤١ .

(٣) المنكبات : ٣٣ .

(٤) الروم : ٢٥ .

(٥) لقمان ، ١٠ .

(٦) الصفات ، ٦٠ - ١٠ .

(٧) المؤمن ، ٦٤ .

(٨) فصلت ، ١١ و ١٢ .

(٩) ق ، ٦ .

(١٠) الذاريات ، ٧ .

- ما توعدون^(١) و قال : و السماء بنيناها بأيدينا و إننا لوسعون^(٢) .
- الطور : و السقف المرفوع^(٣) . و قال تعالى : يوم تمور السماء موراً^(٤) .
- النجم : و النجم إذا هوى^(٥) . و قال تعالى : و أنه هو رب الشعري^(٦) .
- القمر : اقتربت الساعة و انشق القمر^(٧) .
- الرحمن : الشمس و القمر بحسبان و النجم و الشجر يسجدان و السماء رفعها^(٨) و قال : فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان^(٩) .
- الواقعة : فلا أقسم بمواقع النجوم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم^(١٠) .
- الملك : الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و هو حسير و لقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوماً للشياطين و أعتدنا لهم عذاب السعير^(١١) .
- الحاقة : و انشقت السماء فهي يومئذ واهية^(١٢) .
- المعارج : يوم تكون السماء كالمهل^(١٣) .

(١) الذاريات : ٢٢ .

(٢) د : ٣٨ .

(٣) الطور : ٥ .

(٤) الطور : ٩ .

(٥) النجم : ١ .

(٦) د : ٣٩ .

(٧) القمر : ١ .

(٨) الرحمن : ٥ - ٧ .

(٩) د : ٣٧ .

(١٠) الواقعة : ٧٤ .

(١١) الملك : ٥-٣ .

(١٢) الحاقة : ١٤ .

(١٣) المعارج : ٨ .

نوح : ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً و جعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً (١) .

الجن : و إنّنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهباً و إنّنا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً (٢) .

المرسلات : فاذا النجوم طمست و إذا السماء فرجت (٣) .

النبأ : و بنيينا فوقكم سبعا شداداً و جعلنا سراجاً وهاجاً (٤) .

التكوير : و إذا السماء كشطت - إلى قوله تعالى - فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس (٥) .

الانفطار : إذا السماء انفطرت و إذا الكواكب انتثرت (٦) .

الانشقاق : إذا السماء انشقت و أذنت لربّها و حقّت (٧) .

البروج : و السماء ذات البروج (٨) .

الطارق : و السماء و الطارق و ما أدريك ما الطارق النجم الثاقب - إلى قوله

تعالى - و السماء ذات الرجّع (٩) .

الغاشية : و إلى السماء كيف رفعت (١٠) .

الشمس : و السماء و ما بنيتها (١١) .

(١) نوح : ١٥ ، و ١٦ .

(٢) الجن : ٨ ، و ٩ .

(٣) المرسلات : ٨ .

(٤) النبأ : ١٢ ، و ١٣ .

(٥) التكوير : ١١ - ١٦ .

(٦) الانفطار : ١ ، و ٢ .

(٧) الانشقاق : ١ ، و ٢ .

(٨) البروج : ١ .

(٩) الطارق : ١٠ - ١١ .

(١٠) الغاشية : ١٨ .

(١١) الشمس : ٥ .

تفسير : « جعل لكم النجوم » أي خلقها لمنافعكم « لتبهتوا بها في ظلمات البر والبحر » قيل : أي في ظلمات الليل في البر والبحر ، وإضافتها إليهما للملاسة أو في مشتبهات الطرق سمّاها ظلمات على الاستعارة ، وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد أن أجملها بقوله « لكم » وأولت النجوم في الأخبار بالأئمة الأخيار عليهم السلام فإنهم الهداة في ظلمات القتن والشبهات ولا ينافي الظاهر . « قد فصلنا الآيات » بيّناها فصلاً فصلاً « لقوم يعلمون » فإنهم المنفعون به .

« لا تفتتح لهم أبواب السماء » أي لأدعيتهم وأعمالهم ، أولاً رواحهم كما تفتتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم ، ويدل على أن للسماء أبواباً ، وربما يحمل على المجاز . « بغير عمد ترونها » قال الرّازي : في قوله « ترونها » أقوال : الأولى أنه كلام مستأنف والمعنى : رفع السماوات بغير عمد ، ثم قال ترونها أي وأنتم ترونها لأنها مرفوعة بلا عمد الثماني قال الحسن : في الآية (١) تقديم وتأخير ، تقديره : رفع السماوات ترونها بغير عمد . الثالث أن قوله « ترونها » صفة للعمد ، والمعنى : بغير عمد مرئية أي للسماوات عمد ولكننا لانراها ، قالوا : ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونه ، وهذا التأويل في غاية السقوط لأنه تعالى إنّمَا ذكر هذا الكلام ليكون حجّة على وجود الإله القادر ولو كان المراد ما ذكره ما تمت (٢) الحجّة ، لأنه يقال : إن السماوات لمّا كانت مستقرّة على جبل (٣) فأى دلالة [تبقى] فيها على وجود الإله ؟

و عندي فيه وجه آخر أحسن من الكل ، وهو أن العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنّما بقيت واقفة في الجوّ العالی بقدرة الله فحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فصح أن يقال رفع السماوات بغير عمد ترونها أي

(١) في المصدر ، في تقدير الآية .

(٢) في المصدر ، لما ثبتت الحجّة .

(٣) في المصدر ، على جبل قاف .

لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمدة هي إمساك^(١) الله تعالى و حفظه و تدبيره و إبقاؤه إياها في الجو العالي و أنتم لا^(٢) ترون ذلك التدبير ولا تعرفون كيفية ذلك الإمساك^(٣) (انتهى) .

و اقول : هذا الوجه الأخير الذي يتبجح به و نسبه إلى نفسه أورده شيخنا الطبرسي - ره - في مجمع البيان راوياً عن ابن عباس و مجاهد .
 وسخر الشمس والقمر في أنواع من الدلالة على وجود الإله الحق و حكمته و قدرته ، إذ أصل تلك الحركات السريعة واستمرارها و كونها على أقدار مخصوصة و كون بعضها مشرقية و بعضها مغربية و بعضها مائلة إلى الشمال و بعضها مائلة إلى الجنوب مما يدل دلالة قطعية على وجود قادر قاهر كامل في العلم و الحكمة و اللطف و الرحمة . « كل يجري لأجل مسمى » قال الرازي : فيه قولان : الاول قال ابن عباس : للشمس مائة و ثمانون منزلاً كل يوم لها منزل و ذلك في ستة أشهر ، ثم إنشأ تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى و كذلك القمر له ثمانية و عشرون منزلاً ، فالمراد بقوله « كل يجري لأجل مسمى » هذا ، و تحقيقه أنه تعالى قدر لكل واحد من هذه الكواكب سيراً خاصاً إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة و البطء ، و متى كان الأمر كذلك لزم أن يكون لها بحسب كل لحظة و لحظة حال أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك . و الثاني المراد كونها متحررين إلى يوم القيامة ، و عند مجيء ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات كقوله^(٥) تعالى « إذا الشمس كورت ، و إذا النجوم انكدرت ، و إذا السماء انشقت و إذا السماء انفطرت ، و جمع الشمس و القمر »^(٦) .

(١) في المصدر : قدرة الله تعالى .

(٢) في المصدر : و انهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٢٦٠ .

(٤) في المصدر : و ذلك يتم في .

(٥) في المصدر : كما وصف الله تعالى ذلك في قوله .

(٦) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٢٦١ .

« يدبر الأمر » قال البيضاوي : أي أمر ملكوته من الإيجاد و الإعدام و الإحياء و الاماتة و غير ذلك « يفصل الآيات » ينزلها و يبينها مفصلة ، أو يحدث الدلائل بواحد (١) بعد واحد « لعلكم بقاء ربكم توقنون » لكي تتفكروا فيها و تتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء و تدبيرها قدر على الإعادة و الجزاء (٢) .

قوله تعالى « ولو فتحنا عليهم باباً » ظاهره جواز الخرق على الأفلاك و إن أمكن أن يكون من قبيل التعليق على المحال « وقد جعلنا في السماء بروجاً » أكثر المفسرين حملوه على البروج الإثني عشر المعروفة ، و قيل هي الكواكب . قال الطبرسي - ره - : أي منازل للشمس والقمر « و زينناها للنظرين » بالكواكب النيرة عن أبي عبدالله عليه السلام و قيل : البروج النجوم عن ابن عباس و الحسن و قتادة « و حفظناها » أي السماء « من كل شيطان رجيم » أي مرجوم مرمي بالشهاب ، و قيل : ملعون مشؤم ، و حفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما أعد له من الشهاب « إلا من استرق السمع » المراد بالسمع المسموع ، و المعنى : إلا من حاول أخذ مسموع من السماء في خفية « فأتبعه » أي لحقه « شهاب مبین » أي شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه و نحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم ، و الشهاب عمود من نور يضيءه ضياء النار لشدة ضيائه ، و روى عن ابن عباس أنه [قال :] كان في الجاهلية كهنة و مع كل واحد شيطان ، فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع ، فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل و يخبر به الكاهن ، فيغشيه الكاهن إلى الناس ، فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات ، و طأ بعث محمد عليه السلام منعوا من السماوات كلها و حرست السماء بالنجوم ، و الشهاب (٣) من معجزات نبينا عليه السلام لأنه لم ير

(١) في المصدر : واحداً بعد واحد .

(٢) أنوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٦١٤ .

(٣) في المصدر : فالشهاب .

قبل زمانه . وقيل : إن الشهاب يقتل الشياطين ، وقيل : لا يقتلهم ^(١) .
« خلق السماوات والأرض بالحق » أي لأمر حق هو العبادة والمعرفة ، أو
على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته « تعالى عما
يشركون » منها أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليها ومما لا يقدر على خلقها .
« وعلامات » عطف على قوله « رواسي » في قوله « وألقى في الأرض رواسي » أي ألقى
في الأرض وجعل فيها معالم تستدل به السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك
« وبالنجم هم يهتدون » بالليل في البراري والبحار ، والمراد بالنجم الجنس ، و
قيل : الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ، قيل : وعل الضمير لقريش
لأنهم كانوا كثير الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم ، و في
كثير من الروايات أن العلامات الأئمة عليهم السلام والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله وضمير «هم»
راجع إلى العلامات باعتبار المعنى . والعلی جمع العليات أنثى الأعلی ، أي السماوات
الرفیعة العالیة .

« وجعلنا السماء سقناً محفوظاً » أي عن الوقوع بقدرته ، أو عن الفساد و
الانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته ، أو عن استراق السمع بالشهب « وهم عن
آياتها » أي أحوالها الدالة على وجود الصانع و وحدته و كمال قدرته و تناهي
حكمته « معرضون » غير متفكرين .

« يوم نظوي السماء » قال الطبرسي - ره - : المراد بالطي هنا هو الطي
المعروف ، فإن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته ، وقيل : إن طي السماء ذهابها
عن الحسن « كعلي » السجل للكتب « [السجل] صحيفة فيها الكتب ، وقيل : ملك
يكتب أعمال العباد ، وقيل : اسم كاتب كان للنبي صلى الله عليه وآله انتهى ^(٢) .

و أقول : تدل الآية على حدوث السماوات وإمكان خرقها وزوالها وتغير
أحوالها رداً على الحكماء المنكرين لجمع ذلك .

(١) مجمع البيان : ج ٦ ، ص ٣٣١ .

(٢) مجمع البيان . ج ٧ ، ص ٦٦ .

« أن تقع على الأرض » قال البيضاوي : من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك « إلا باذنه » أي إلا بمشيئته ، وذلك يوم القيامة ، وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسميّة فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ^(١) (انتهى) .

« سبع طرائق » قال الرازي : أي سبع سماوات ، وإنما قيل طرائق لتطارقها بمعنى كون بعضها فوق بعض ، يقال طارق الرجل نعليه إذا طبّق ^(٢) نعلًا على نعل و طارق بين ثوبين إذا لبس ثوبًا على ^(٣) ثوب ، هذا قول الخليل و الزجاج ^(٤) و قال الزجاج : هو قوله « سبع سماوات طباقًا » و قال علي بن عيسى سميت بذلك لأنّها طرائق الملائكة في العروج و الهبوط و الطيران ، و قال آخرون : لأنّها طرائق الكواكب فيها مسيرها و الوجه في إنعامه علينا بذلك أنّه تعالى جعلها موضعاً لأرزاقنا بإزالة الماء منها ، و جعلها مقرّاً للملائكة ، و أنّها موضع الثواب ، و أنّها مكان إرسال الأنبياء و نزول الوحي . و أمّا قوله « وما كنّا عن الخلق غافلين » ففيه وجوه : أحدها ما كنّا غافلين بل كنّا للخلق حافزين من أن تسقط عليهم السبع الطرائق ^(٥) فتهلكهم ، وثانيها إنّما خلقناها فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق و البركات منها ، و ثالثها أنّنا خلقنا هذه الأشياء فدلّ خلقنا لها على كمال قدرتنا ثمّ بيّن كمال العلم بقوله « وما كنّا عن الخلق غافلين » يعني عن أعمالهم و أقوالهم و ضمائرهم ، و ذلك يفيد نهاية الزجر ، و رابعها وما كنّا عن خلق السماوات غافلين بل نحن لها حافظون ، لئلاّ تخرج عن التقدير الذي أردنا كونها عليه ، كقوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ^(٦) » (انتهى) .

(١) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ١١٠

(٢) في المصدر ، طبق .

(٣) في المصدر ، فوق ثوب .

(٤) و زاد في المصدر الفراء .

(٥) في المصدر ، الطرائق السبع .

(٦) مفاتيح الغيب ، ج ٧ ، ص ٦٢٠ .

« تبارك الذي جعل في السماء بروجاً » قال الرازي : البروج هي القصور العالية ، سميت بروج الكواكب به لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها ، و اشتقاق البرج من التبرج لظهوره ، وفيه قول آخر عن ابن عباس أن البروج هي الكواكب العظام ، والأول أولى . و السراج الشمس ^(١) (انتهى) « بأمره » أي بمحض إرادته « ورب المشارق » قيل : أي مشارق الكواكب ، أو مشارق الشمس في السنة ، وهي ثلثمائة وستون يشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب و لذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة و أبلغ في النعمة « إننا زيننا السماء الدنيا » أي القربى منكم « بزينة الكواكب » أي بزينة الكواكب بالإضافة البيانية أو البدلية على القراءتين « و حفظاً » منصوب بإضمار فعله ، أو العطف على « زينة » باعتبار المعنى كأنه قال : إننا خلقنا الكواكب زينة للسماء و حفظاً من كل شيطان « ما رد » خارج من الطاعة يرمى بالشهب ^(٢) .

« قراراً » أي مستقراً تستقرّون عليه « و السماء بناءً » أي و جعل السماء بناءً مرتفعاً فوقها ، ولو جعلهما رتقاً لما أمكن الخلق الانتفاع بما بينهما « كيف بنيناها » أي رفعناها بلا عمد و زينناها بالكواكب « و مالها من فروج » أي فتوق ، كسائر الأبنية المبنية من الأحجار و اللبنة ، بل خلقها ملساء متصلة ، أو ليس لها فروج ظاهرة مرئية فلا ينافي الأبواب الكائنة فيها ، وقال الكسائي : معناه ليس فيها تفاوت و اختلاف قال الرازي : قالت الفلاسفة : الآية دالة على أن السماء لا تقبل الخرق ، و كذلك قالوا في قوله « هل ترى من فطور » و قوله « سبعا شداداً » و تعسفوا فيه لأن قوله تعالى « مالها من فروج » صريح في عدم ذلك ، و الإخبار عن عدم شيء لا يكون إخباراً عن عدم إمكانه ، فإن من قال « ما لفلان مال » لا يدل على نفي إمكانه ، ثم إنّه تعالى بين خلاف قولهم بقوله « وإذا السماء فرجت » و قوله ^(٣) « إذا السماء انعطرت » و قوله ^(٤) « فهي يومئذ واهية » في مقابلة قوله

(١) مفاتيح الغيب ، ج ١٦ ، ص ٤٩٥ .

(٢) بالشهاب (خ) .

(٣) في المصدر : و قال .

« سبعا شداداً » قال (١) « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدّهان » إلى غير ذلك والكلمة في الردّ عليهم صريح ، وما ذكره في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية أيضاً ، وأما دليلهم المعقول فأضعف وأسخف من تمسكهم بالمعقول (٢) .

« ذات الحُبك » قال البيضاوي : ذات الطرائق ، والمراد إمّا الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب ، أو المعقولة التي يسلكها النظران ويتوصل بها إلى المعارف ، أو النجوم فإن لها طرائق ، أو إنّها تزيّن كما تزيّن الموسي طرائق الوشي ، جمع « حبيكة » كطريقة وطرق ، أو « حباك » كمثل ومثل (٣) . قال الطبرسي - ره - : أي ذات الطرائق الحسنة ، لكننا لانرى تلك الحُبك لبعدها عنّا وقيل : ذات الخلق الحسن المستوي ، وقيل : ذات الحُسن والزينة عن علي عليه السلام (٤) (انتهى) .

و أقول : سيأتي تأويل آخر في الرواية عن الرضا عليه السلام .

« وفي السماء رزقكم » أي أسباب رزقكم أو تقديره ، وقيل : المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأقوات « وما توعدون » من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة ، أو لأن الأعمال و ثوابها مكتوبة مقدرة في السماء « بأيدي » أي بقوة « وإنا لموسعون » أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، و الموسع : القادر على الانفاق ، أو لموسعون السماء ، أو ما بينها وبين الأرض ، أو الرزق . وقيل : أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها . « والسقف المرفوع » هو السماء عن علي عليه السلام ، « يوم تمور السماء موراً » أي تدور دوراناً و تضطرب وتموج و تتحرك . « والنجم » المراد جنس النجم أو الثريا فإنه غلب فيه ، وأول في بعض الأخبار بالرسول عليه السلام « إذا هوى » أي غرب ، أو انتشر يوم القيامة ، أو انقضت

(١) في المصدر : وقال .

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٧ ، ص ٦٢٠ .

(٣) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٤٦٢ .

(٤) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٥٣ .

أو طلع فإنه يقال « هوي هويًا » بالفتح إذا سقط على الأرض ، أو إذا نعى وارتفع
و على الاخير مع راجه أو نزوله عنه . « وأنه هورب الشعري » إنما خص بالذكر
لأن خزاعة كانت تعبدها .

« و انشق القمر » قال الرازي : المفسرون بأنسهم على أن المراد أن القمر
انشق و حصل فيه الانشقاق ، و دلت الأخبار الصحاح عليه ، و إمكانية لا يشك فيه
وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه ، و حديث امتناع الخرق والالتئام حديث
اللثام ، و قد ثبت جواز الخرق و التخريب على السماوات ^(١) (انتهى) .

« الشمس و القمر بحسبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما و
منازلهما ، و يتسق بذلك أمور الكائنات السفليّة ، و تختلف الفصول و الأوقات
و يعلم السنون و الحساب . « و النجم و الشجر » المشهور أن المراد بالنجم النبات
الذي ينجم أي يطلع من الأرض و لا ساق له ، و بالشجر الذي له ساق ، و قيل :
المراد بالنجم نجم السماء . « يسجدان » أي ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد
الساجد من المكلفين طوعاً « و السماء رفعها » خلقها مرفوعة محلاً و مرتبة ، فإنها
منشأ أفضيته ، و منزل أحكامه ، و محل ملائكته .

« فإذا انشقت السماء » يعني يوم القيامة « فكانت وردة » أي فصارت حمراء
ثم تجري « كالدهان » و هو جمع الدهن عند انقضاء الأمر ، و قيل : هي كالدّهان
التي تصبّ بعضها بألوان مختلفة ، و قيل : الدهان الأديم الأحمر . « فلا أقسم »
قيل : إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم ، أو فأقسم « ولا » مزيدة للتأكيد ، أو
فلا أنا أقسم فحذف المبتدأ و أشبع فتحة لام الابتداء « بمواقع النجوم » أي بمساقطها
وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها و الدلالة على وجود مؤثر لا يزول
تأثيره ، أو بمنازلها و مجاريها ، و قيل : النجوم نجوم القرآن ، و مواقعها أوقات
نزولها « و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم » لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة
و كمال الحكمة ، و فرط الرحمة ، « طباقا » أي مطابقة بعضها فوق بعض ، مصدر طابقت

(١) مفاتيح النيب ج ٧ ، ص ٧٧٩ .

النعل إذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به ، أو طويقت طباقاً ، أو ذات طباق جمع طبق كجبل و جبال ، وقيل : أراد بالمطابقة المشابهة أي يشبه بعضها بعضاً في الأحكام والاعتقان « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » أي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة بل ترى أفعاله كلها سواء في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئة ، وقيل : معناه ماترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب و اعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها « فارجع البصر » أي فرد البصر وأدرها في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد أخرى ، والتقدير : أنظر ثم ارجع النظر في السماء ، وقيل : أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعابن ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها « هل ترى من فطور » أي شقوق وفتوق ، وقيل : من وهي و خلل « ثم ارجع البصر كرتين » أي ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كرتة بعد أخرى بان له ما لم يكن بائناً ، وقيل : المراد بالثنائية التكرير و التكرير كما في لبنيك وسعديك ، ولذلك أجاب الأمر بقوله « ينقلب إليك البصر خاسئاً » أي بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طرداً بالصغار « وهو حسير » كليل من طول المعادة وكثرة المراجعة « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح » أي بكواكب مضيئة إضاءة السراج .

واعلم أن ههنا إشكالاً مشهوراً وهو أنه اتفق أصحاب الهيئة على أنه ليس في السماء الأولى سوى القمر ، وسائر السيارات كل في فلك ، والثوابت كلها في الثامن ، والآية الكريمة تدل على أن كلها أو أكثرها في السماء الدنيا وأجيب عنه بوجوه :

الاول : أن النسبة إليها أنه لما كانت ترى منها فكانت زينة لها كما أن السراج المرئي خلف الزجاج زينة لها ، أولاً أنه بحسب الحسن لما كان يتوهم أنه فيها فكانت زينة لها ، وهذا الوجه وإن كان أوفق بأصولهم إلا أنه متضمن لتكلف كثير في الآيات .

الثاني : ما ذكره الرازي في تفسيره وهو أنه لا يبعد وجود كرة تحت كرة

القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت و تكون الكواكب المركوزة فيما يقارن القطبين مركوزة في هذه الكرة السفليّة ، إذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة ، و على هذا التقدير لا يمتنع أن تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا ، فثبت أن مذهب الفلاسفة في هذا الباب ضعيف^(١) (انتهى) .

واقول : جملة القول في ذلك أن الحكماء أثبتوا أفلاكاً تسعة ، لأنهم وجدوا أولاً لجميع الكواكب حركة سريعة من المشرق إلى المغرب ، وهي التي بها يتحقق طلوعها وغروبها ، و بها يتحقق الليل و النهار ، وهي المسماة بالحركة اليومية و بالحركة الأولى وبحركة الكل ، فأثبتوا لها فلکاً واحداً يشتمل على الجميع^(٢) ، ثم وجدوا لكل [واحد] من الكواكب السبعة المعروفة بالسيارة

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ .

(٢) الهيويون الاقدمون لاسيما شيعة بطلميوس كانوا يزعمون ان العالم الجسماني كرات متداخلة مركزها الارض التي استوعب ثلاثة ارباع سطحها الماء ، وفوقها كرة الهواء ، و فوقها كرة النار ، ثم فلك القمر ، ثم عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الشمس ، ثم المريخ ، ثم المشترى ثم زحل ثم فلك الثوابت ثم فلك الافلاك وهو غير متناه قطراً فلا يمكن تحديد سطحه المحدب بعد ولا يقاس بمقياس وكانوا يعدون الشمس و القمر من السيارات و يزعمون انها منحصرة في السبعة المذكورة وان لاهركة للثوابت سوى حركة غريبة بطيئة جداً وان الفلك جسم كروي بسيط شفاف لا يقبل الخرق والالتئام والتغير والفساد وان الكواكب امر مركوزة في الافلاك الى غير ذلك . وقد اختلفوا في عدد الافلاك حتى ادعى بعض المتأخرين وحدة الفلك الكلي و آخر انتهى الافلاك الجزئية الى الثمانين و كان لارهاط من الفلاسفة الاقدمين آراء اخرى احسنها راي فيثاغورس وكان يرى ان للارض حركتين وان الحركة اليومية هي حركتها الوضعية كما ثبت في الهيئة الحديثة ونسب الى بعض اتباعه القول بمركزية الشمس .

ثم ان فلاسفة الاسلام ارتضوا الفرضية البطلموسية وبنوا عليها وشددوا مبادئها فاصبحت نظرية مرضية بل اصلاً مسلماً لا يختلف فيه ، ثم نزل جم غفير من علماء الاسلام ما ورد في لسان الشرع من لفظة « السماوات » على الافلاك السبعة « والكرسى » على الثامن و « العرش » على التاسع ، ومنهم من قال ان السماوات فوق الافلاك ، وقد تكلفوا لتطبيق الظواهر الشرعية ←

حركة من المغرب إلى المشرق مخالفة لحركة آخر منها في السرعة والبطء ، فأثبتوا لكل واحدة منها فلکاً ، ثم وجدوا لجميع الكواكب التي غير السبعة حركة واحدة غريبة بطيئة جداً فأثبتوا لها فلکاً عليحدة ، فحصلت تسعة أفلاك لتسعة حركات ، وهي المسماة بالأفلاك الكلمية . وأما ترتيب السيارات فالمشهور أن القمر في الفلك الذي هو أقرب إلينا ، ثم عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الشمس ، ثم المريخ ثم المشتري ، ثم زحل ، ثم فلك الثوابت ، ثم الأطلس الذي هو غير مكوكب ، وما ورد في لسان الشرع بلفظ السماوات ينزلونها على أفلاك السيارات و بلفظ الكرسي على فلك البروج وهو الثامن و بلفظ العرش على التاسع . واستدلوا على الترتيب المذكور بأن زحل يكشف بعض الثوابت فيكون تحتها ، وينكسف بالمشتري فيكون فوقه ، و المشتري ينكسف بالمريخ فهو فوقه ، وهذه الثلاثة تسمى علوية ، و أما كون الشمس تحتها فلأن لها اختلاف منظر دون العلوية ، و أما الزهرة وعطارد فلا جزم بكونهما تحت الشمس أو فوقها إذ لا يكسفنها غير القمر ولا يدرك كسفنها لشيء من الكواكب لاحتراقها عند مقارنتها ، ولا يعرف لهما اختلاف منظر أيضاً لأنهما لا يبعدان عن الشمس كثيراً ولا يصلان إلى نصف النهار ، والآلة التي يعرف بها اختلاف المنظر

→ على اصول هذه الفرضية وفروعها ، كل ذلك لا ارتضاءهم اياها واعجابهم بها واعتقادهم بانها اصل هوى قويم وقاعدة فلكية مسلمة ، مع انها في الاصل فرضية افترضت لحل ما اشكل من المسائل الهيوية ولذلك كلما بدت مشكلة اخذوا في اصلاحها وتتميمها فزادوا في تعداد الافلاك ونقصوا وابرموا مانسجوا ونقضوا ، حتى آل الامر الى انكار كثرة الافلاك من جهة وانهاؤها الى الثمانين من اخرى ١ و اللبيب يأخذ عظته من عبر التاريخ ولا يتهاون بعد في تأويل حقائق الكتاب والسنة بما يمجبه من آراء العلماء واوهام الحكماء مالم يستندوا الى دليل قاطع و بهر ان ساطع . وكيف كان فالهيئة الحديثة تنكر مركزية الارض ووحدة القمر و انحصار السيارات في النيرين والخمس المتحيرة وكون الشمس من السيارات و الفلك البسيط الذي لا يقبل الحرق والالتئام ، و اكتشفت بالالات الهيوية الحديثة كواكب و اقماراً اخرى ليس لها ذكر في الهيئة القديمة فاكتشفت من السيارات فلكان ، اورانوس ، نبتون و بيلوتون و عدة كواكب صغيرة بين المريخ والمشتري تناهز الف سيارة و اكتشفت للمريخ قمران وللمشتري احد عشر قمراً ولزحل تسعة اقمار ولاورانوس ستة اقمار الى غير ذلك . وسنشير الى بعض ما ثبت في الهيئة الجديدة في موضع انسب ان شاء الله تعالى .

إنّما تنصب في سطح دائرة نصف النهار ، فحكّموا بكونهما تحت الشمس استحساناً لتكون متوسطة بين الستة بمنزلة شمسة القلادة ، و أيّدوا ذلك بمناسبات أخر . و ذكر الشيخ وبعض من تقدّمه أنّه رأى الزّهرة كشامة على وجه الشمس ، و بعضهم ادّعى أنّه رآها وعطارد كشامتين عليها وسمّيا سفليّين لذلك ، والزّهرة منها فوق عطارد لانكسافها به ، والقمر تحت الكلّ لانكساف الكلّ به .

وأما خصوص عدد التسعة فجزم الأكثر بأنّه لأقلّ منها و المحقق الطوسي ره - جوّز كونها ثمانية حيث قال في التذكرة : وإسناد إحدى الحركتين الأوليين إلى المجموع لا إلى فلك خاصّ به لم يكن ممتنعاً ، لكنّهم لم يذهبوا إلى ذلك . وقال صاحب التحفة : إنّي سمعت من الأستاذ أن جوّاز إسناد إحدى الأوليين إلى المجموع لا إلى فلك خاصّ بها معلّل بجواز اتصال نفس بالثمانية و أخرى بالثامنة و تكون دوائر البروج و المنطقتان مفروضة على محدّب الثامنة ، فقلت : فعلى هذا يمكن أن تكون الأفلاك الكليّة سبعة فقط بأن تفرض الثوابت مر كوزة في ممثّل زحل ودوائر البروج على محدّب به متحرّكة بالحر كة السريعة دون البطيئة ، وتعلّق نفس واحدة بمجموع السبعة و تحرّكه بالحر كة الأولى ، و نفس أخرى تعلّقت بممثّل زحل وحده و تحرّكه بالحر كة البطيئة ، و نفس الثانية تعلّقت بخارجه و تحرّكه بالحر كة الخاصّة ، و باقي الأفلاك الستة على حالها . فاستحسنه و أثنى عليّ (انتهى) .

و قال المحقق الدواني : يجوز أن تكون الأفلاك الكليّة اثنتين ، بأن تفرض الأفلاك الخارجة المر اكز كلّها سوى خارج القمر في ثخن ممثّل واحد بحيث لا تكون السطوح التي يثبتونها بين الممثّلات إلا بين ذلك الممثّل وممثّل القمر ، فتتخصر الأفلاك الكليّة فيهما (انتهى) هذا هو الكلام في جانب القلّة ، وأمّا في جانب الكثرة فلا قطع ، لاحتمال أن يكون كلّ من الثوابت أو كلّ طائفة منها في فلك عليحدة و أن يكون أفلاكاً كثيرة غير مكوكبة . هذا ما ذكره في هذا الباب ، و لنرجع إلى ما يناسب الكتاب فتقول :

يمكن أن يكون أكثر الكواكب الثابتة وهي التي لم تكن في ممر السيّارات في فلك من الأفلاك الجزئية للقمر مساوية حر كته لحر كة الثوابت ، فإنّهم أثبتوا كلاً من تلك الأفلاك الجزئية لدواعي دعوتهم إلى ذلك ، مع أنّه تلزمهم على ذلك إشكالات لم يمكنهم حلّها ، فلا مانع من إثبات فلك آخر لتصحيح ما في الآيات و الأخبار ، بحيث لا يخالف قواعدهم المبنية على الظنّ و التخمين ، و بالقيدمذكور لا مانع من جهة الانكشاف أيضاً .

الثالث : ما خطر بالبال القاصر ، وهو أن يكون جميع الأفلاك الثمانية التي أثبتوها لجميع الكواكب فلماً واحداً مسمى بالسماء الدنيا ، و تكون غيرها ستة سماوات أخر غير مكوكبة ، كما أنّهم يثبتون لكلّ من الكواكب أفلاكاً كثيرة جزئية و يعدّون الكلّ فلماً واحداً كلياً ، فلا ينافي شيئاً من أصولهم ، و إنّما يخالف مصطلحهم ولا عبرة بمخالفة الاصطلاح . وقد ذهب بعض قدماء الحكماء أيضاً إلى أنّ الثوابت في فلك القمر . قال بليناس الحكيم في كتاب « علل الأشياء » : هي سبعة أفلاك بعضها في جوف بعض ، و صارت الأفلاك في كلّ منها كوكب غير فلك القمر ، فإنّ الكواكب تبدّت فيه و تقطعت لاختلاطها بكثرة الرياح الصاعدة إليه من قرب الأرض . و قال في موضع آخر : و أمّا سماء الدنيا فإنّها تبدّت كواكبها من قبل حبكها و تدرّجها ، فتقلبت الكواكب فصارت متعلّقة بتلك الدرج و قال عند ذكر الملائكة : سكّان فلك القمر من الروحانيين كثيرة رحمتهم ، قليلة شرورهم ، متعطفين على الحيوان ، مصلحين للنبات ، دائبين في مسرّة بني آدم متّصلين بهم ، فلا تتصلّهم ربما ظهروا لهم و كلّموهم بلاهية منهم بالرحمة لهم و بألفة وهم مسلّطون على السماء ، يحرسون السماء من شيطانك و ولده أن يسترقوا السمع من الملائكة الأعلين الروحانيين المتّصلين بفلك الشمس ، وإنّ الروحانيين الموكّنين بالشمس إذا طلعت الشمس من مشرقها كان عندهم الأحداث التي تحدث في العالم في ذلك اليوم كلّها ، فشيطانك و ولده يسترقون ما أوحى إلى أولئك الملائكة فالملائكة الذين في فلك القمر يحملون النجوم حتّى يصير ناراً ، ثمّ يرجونهم بها

فيهربون منها (إلى آخر ما قال) .

الرابع : أن يكون المراد بالكواكب في الآية الكريمة الشهب المنقضة قريباً منها ، ولما كانت تُرى حسّاً على سطح السماء فهي زينة لها ، وتؤيده تنمة الآية كما ستعرف .

الخامس : أن يكون المراد بالدنيا الدنو من الناحية العليا والعرش الأعلى فالمراد بها الفلك الثامن على سياق قوله تعالى « دنى فتدلى » فإن ترتيب الأفلاك قد يبدأ ممّا يليها فيكون فلك القمر أو لها وأدناها ، وقد يبدأ به من الجانب الأعلى ففلك الثوابت أوّل الأفلاك المكوكبة وأدناها من العرش . ويرد عليه أن في لسان الشرع يعبر عنه بالكروسي كما مرّ .

« وجعلناها رجوماً للشياطين » قال البيضاوي : وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقراض الشهب المسببة عنها ، وقيل : معناها : رجوماً وظنوناً للشياطين الإنس وهم المنجمون فالرجوم^(١) جمع « رجم » بالفتح وهو مصدر سمّي به ما يرم به « وأعدنا لهم عذاب السعير » في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا^(٢) (انتهى) وأقول : على الاحتمال الرابع لا تحتاج إلى تكلف في ذلك . « وانشقّت السماء » قال الرازي : لنزول الملائكة « فهي يومئذ واهية » أي مسترخية ساقطة القوة كالعن المنفوش بعد ما كانت محكمة شديدة^(٣) . « كالمهل » قيل : كدردي الزيت ، وقيل : كعكر القطران . « سبع سماوات طباقاً » قال الرازي : هذا يقتضي كون بعضها منطبقاً^(٤) على البعض ، وهذا يقتضي أن لا يكون ههنا^(٥) فرج فالملائكة كيف يسكنون ؟ والجواب أن الملائكة أرواح ، وأيضاً

(١) في المصدر « والرجوم » .

(٢) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٢٨٣ .

(٤) في المصدر : منطبقاً .

(٥) > : بينها .

المراد من كونها طباقاً كونها موازية لأنّها متماسّة^(١). « و جعل القمر فيهنّ نوراً » قال البيضاوي: « أي في السماوات و هو في السماء الدنيا و إنّما نسب إليهنّ لما بينهنّ من الملايسة . و جعل الشمس سراجاً » مثلها به لأنّها تزيد ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عمّا حوله^(٢). « و إنّما لمسنا السماء » أي طلبنا بلوغ السماء أو خبرها ، و اللّمس مستعار من المسّ للطلب كالجسّ « حرساً » أي حرساً - اسماً - اسم جمع كالخدم - « شديداً » قوياً و هم الملائكة الذين يمنعونهم عنها « و شهباً » جمع شهاب و هو المضيء المتولد من النار « و إنّنا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع » أي مقاعد خالية عن الحرس و الشهب أو صالحة للرصد و الاستماع ، و « للسمع » صلة لنقعد أو صفة لمقاعد « شهاباً رصداً » أي شهاباً راصداً له و لا جله يمنع عن الاستماع بالرجم ، أو ذوي شهاب راصدين على أنّه اسم جمع للرّاصد .

« طمست » أي محقت و أذهب نورها « فرجت » أي شقت « سبعا شداداً » أي سبع سماوات أقوياء محكمات لا يؤثّر فيها مرور الدهور و جعلنا سراجاً و هاجاً « متلاًثماً و قداداً ، أو بالغاً في الحرارة و المراد الشمس « و إذا النجوم انكدرت » أي انقضت أو أظلمت « و إذا السماء كشطت » أي قلعت و أزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » قال الرازي: « فيه قولان الأول و هو المشهور الظاهر أنّها النجوم ، الخنس جمع « خانس » و الخنوس الانقباض و الاستخفاء ، تقول : خنس بين القوم و انخنس ، و الكنس جمع « كانس » و « كانسة » يقال : كنس إذا دخل الكناس و هو مقرّ الوحش يقال : كنست الطياء في كناسها و تكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبّه بالطيبي إذا دخل الكناس ، ثمّ اختلفوا في خنوس النجوم و كنوسها على ثلاثة أوجه ، فالقول الأظهر أنّ ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيّارة و استقامتها ، فرجوعها هو الخنوس ، و كنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ، و لا شك أنّ هذه حالة عجيبة و فيها أسرار عظيمة

(١) مفاتيح النيب ، ج ٨ ، ص ٣٠٦ .

(٢) أنوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٥٥٢ .

باهرة ، و القول الثاني ما روي عن علي عليه السلام و غيره أنّها هي جميع الكواكب ، و
خنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار ، و كنوسها عن ظهورها للبصر في
الليل أي تظهر في أما كنها كالوحش في كئنها ، و القول الثالث أنّ السبعة السيّارة
تختلف مطالعها و مغاربها على ما قال تعالى « ربّ المشارق و المغارب ، و لاشكّ أنّ
فيها مطالعاً واحداً و مغرباً واحداً هما أقرب المطالع و المغارب إلى سمت رأسنا ^(١)
ثمّ إنّها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة ثمّ ترجع
إليها ، فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع و كنوسها عبارة عن عودها إليه
فعلى القول الأوّل يكون القسم واقعاً بالخمسة المتحيّرة ، و على الثاني بجميع
الكواكب ، و على الثالث بالسبعة السيّارة .

و القول الثاني أنّها بقر الوحش ، و قال ابن جبير : هي الظباء ، و على هذا
الخنس من الخنس في الأنف و هو تقعر فيه فإنّ البقر و الظباء أنوفها على هذه
الصفة ، و الكنس جمع كانس و هي التي تدخل الكناس ، و القول هو الأوّل لأنّه
أنسب بما بعده ، و لأنّ محلّ قسم الله كلّما كان أعظم و أعلى رتبة كان أولى ^(٢)
(انتهى) .

و أقول : الخمسة المتحيّرة هي ما خلا الشمس و القمر من السبعة السيّارة
و إنّما سميت متحيّرة لكونها في حركاتها الخاصّة تارة مستقيمة ترى متحرّكة
من المغرب إلى المشرق و تارة واقفة و تارة راجعة كالمتحيّرين في أمره ، و لذا أثبتوا
لها تداوير لظنّهم عدم الاختلاف في حركات فلك واحد .

قوله تعالى « إذا السماء انفطرت » قال الرازي : أي انشقت « وإذا الكواكب
انتثرت » إذ ^(٣) عند انتقاض تركيب السماء لا بدّ من انتشار الكواكب على تخوم ^(٤)
الأرض ، و الفلاسفة ينكرون إمكان الخرق و الائتمام على الأفلاك ، و دليلنا على

(١) في المصدر ، رؤوسنا .

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٨ ، ص ٣٨٢ .

(٣) في المصدر ، لأن .

(٤) > ، على الأرض

إمكان ذلك أن الأجسام متماثلة في كونها أجساماً فوجب أن يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر، وإنما قلنا إنها متماثلة لأنه يصح تقسيمها إلى السماويات والأرضيات و مورد التقسيم مشترك بين القسمين، فالعلويات والسفليات مشتركة في أنها أجسام، وإنما قلنا إنه متى كان كذلك وجب أن يصح على العلويات ما يصح على السفليات لأن المتماثلات حكمها واحد فما صح^(١) حكمه على كل واحد منها وجب أن يصح على الباقي^(٢). وقال في قوله سبحانه «إذا السماء انشقت» قد مر شرحه في مواضع، وعن علي عليه السلام أنها تنشق من المجرة «و أذنت لربها» أي استمعت له، والمعنى أنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله في شقها وتفريق أجزائها فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ولى^(٣) عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذن ولم يمتنع، فكذلك قوله «قالنا أتينا طائعين» يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير مانع^(٤) أصلاً، كما أن قوله ههنا «و أذنت لربها» يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام والإفناء من غير ممانعة أصلاً، وأما قوله «و حققت» فهو من قولك هو محقوق بكذا و حقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، وذلك لأنه جسم و كل جسم ممكن لذاته، و كل ممكن لذاته فإن الوجود والعدم بالنسبة إليه على السوية و كل ما كان كذلك فإن ترجيح^(٥) عدمه على وجوده لا بد وأن يكون بتأثير واجب الوجود و ترجيحه، فيكون تأثير قدرته في إيجاده وإعدامه نافذاً سارياً من غير ممانعة أصلاً، وأما الممكن فليس له إلا القبول والاستعداد، ومثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلاً للوجود تارة وللعدم أخرى من واجب الوجود^(٦). وقال

(١) في المصدر : فمتى يصح .

(٢) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٣٨٦

(٣) في المصدر ، إذا ورد عليه .

(٤) : من غير ممانعة

(٥) : ترجيح وجوده على عدمه أو عدمه على وجوده .

(٦) مفاتيح الغيب : ج ٧ ، ص ٥٠٩ .

في قوله تعالى « و السما، ذات البروج » ثلاثة أقوال : أحدها أنها هي البروج الاثنا عشر ، و إنما حسن القسم بها لما فيها من عجب الحكمة ، و ذلك لأن سير الشمس فيها ، و لا شك أن مصالحي العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس ، فدل ذلك على أن لها صناعاً حكيماً و ثانيها أن البروج هي منازل القمر و إنما حسن القسم بها لما في سير القمر و حر كته من الآثار العجيبة و ثالثها أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها ^(١) (انتهى) ،

و أقول : في بعض الأخبار تأويل السماء بسيد الأنبياء ﷺ و البروج بالائمة الاثني عشر عليهم السلام .

« و السماء و الطارق » قال الرازي : أما الطارق فهو كل ما أتاك ليلاً سواء كان كوكباً أو غيره « و ما أدريك ما الطارق » قال سفيان بن عيينة : كل شيء في القرآن « ما أدريك » فقد أخبر الرسول ﷺ به ، و كل شيء فيه « ما يدريك » لم يخبر به كقوله « و ما يدريك لعل الساعة قريب » ثم قال « النجم الثاقب » أي هو طارق رفيع الشأن ، و هو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر و البحر ، و يوقف به على أوقات الأمطار ، و وصف بكونه ثاقباً لوجوه : أحدها أنه يثقب الظلام بضوءه ، ينفذ فيه ، و ثانيها أنه يطلع من المشرق نافذاً في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء ، و ثالثها أنه الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ فيه و يحرقه ، و رابعها قال الفراء : هو النجم المرتفع على النجوم ، و العرب تقول للطائر إذا لحق بطن السماء ارتفاعاً قد ثقب . و اختلفوا في النجم ، قال بعضهم : أشير به إلى جماعة النجوم كما قيل « إن الإنسان لفي خسر » و قال آخرون : إنه نجم بعينه ، قال ابن زيد : إنه الثريا ، و قال الفراء : إنه زحل لأنه يثقب بنوره سمك سبع سماوات ، و قال آخرون : إنه الشهب التي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى « فأتبعه شهاب ثاقب ^(٢) » .

(١) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٥١٨ .

(٢) في المصدر : عظيم الشأن رفيع القدر .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٨ ، ص ٥٢٨ .

« و السماء ذات الرجوع » قال الطبرسي - ره - : أي ذات المطر ، عن أكثر المفسرين ، و قيل : يعني بالرجوع شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع ، وقيل : رجوع السماء إعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان فترجع بالغيث و أرزاق العباد و غير ذلك ^(١) (انتهى) .

و أقول : لا يبعد أن يكون إشارة إلى رجوع المتحيرة كما عرفت .

« و إلى السماء كيف رفعت » أي رفعاً بعيد المدى بلا إمساك و بغير عمد « وما

بناها » أي و من بناها .

تذييل : قال الرازي : اعلم أن منافع النجوم كثيرة : منها أنه زين الله السماء بها ، ومنها أنه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فإنه إذا تكاثفت السحاب في الليل عظمت الظلمة و ذلك بسبب أن السحاب يحجب أنوارها ، و منها أنه يحصل بسببها تفاوت في أحوال الفصول الأربعة فإنها أجسام عظيمة نورانية فإذا قاربت ^(٢) الشمس كو كباً مسخنأ في الصيف صار أقوى حرأ ، و هي مثل نار تضم إلى نار أخرى فإنه لا شك أنه يكون الأثر الحاصل من المجموع أقوى و منها أنه تعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر و البحر على ما قال تعالى « و علامات و بالنجم هم يهتدون » ، و منها أنه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمة ^(٣) الكفر ، يروى أن السبب في ذلك أن الجن كانت تسمع بخبر السماء ، فلمأ بعث محمد ﷺ حرس السماء و رصدت الشياطين فمن جاء منهم مستترقاً للسمع رمي بشهاب فأحرقه لئلا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النبي أمره و يرتاب الناس بخبره ، و هذا هو السبب في انقضاء الشهب ، فهذا هو المراد من قوله تعالى « و جعلناها رجوماً للشياطين » و من الناس من طعن في هذا من وجوه :

(١) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٧٢ .

(٢) في المصدر : قارنت .

(٣) في المصدر : ظلمات .

أحدها : أن انقراض الكواكب المذكور في كتب قدماء الفلاسفة ، قالوا : إن الأرض إذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس ، فإذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب .

وثانيها : أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحداً وألفاً من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ، ثم إنه ^(١) مع ذلك يعودون لمثل صفتهم ^(٢) فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرة ومراراً امتنع أن يعود إليه من غير فائدة .

وثالثها : أنه يقال في ثخن السماء مسيرة خمسمائة عام ، فهؤلاء الجن إن نفذوا في جرم السماء وخرقوا اتصاله فهذا باطل ، لأنه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال « فارجع البصر هل ترى من فطور » وإن كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم أن يسمعوها أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم ؟ فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض ؟ .

و رابعها : أن الملائكة إنما اطلعوا على الأحوال المستقبلية إنما لأنهم طالعوها من اللوح ^(٣) المحفوظ ، أولانهم يتلقونها من وحي الله تعالى إليهم ، وعلى التقديرين فلم لا يمسكون عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن من الوقوف عليها ؟ .
وخامسها : أن الشياطين مخلوقون من النار ، والنار لا تحرق النار بل تقويها ، فكيف يحتمل ^(٤) أن يقال الشيطان زجر من استراق السمع بهذه الشهب .
وسادسها : أنه إن كان هذا القذف لأجل النبوة فلم دام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وسابعها : أن هذه الرجوم ، إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أننا نشاهد حر كاتها بالغة ولو كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حر كاتها ^(٥) كما لم نشاهد

(١) في المصدر ، إنهم .

(٢) > صنيعهم

(٣) > في اللوح .

(٤) > فكيف يعقل ان يقال ان الشياطين زجروا عن استراق .

(٥) > حر كاتها بالعين .

حركات الكواكب ، وإذ اثبت أن هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض فكيف يقال إنَّها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك ؟ .

وثانيتها : أن هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفار حتى يتوسل الكفار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضرر بهم ؟ .

وثالثتها : لم لم يمنعم الله ابتداءً من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب ؟ .

والجواب عن السؤال الاول : أننا لاننكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ^(١) وقد يوجد بسبب آخر وهو دفع الجن وزجرهم . يروى أنه قيل للزهرى : أكان يرمى في الجاهلية ؟ قال : نعم ، قال : أفرايت قوله تعالى « إننا كنا نعدق منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » قال : غلظت وشدت أمرها حين بعث النبي ﷺ .

والجواب عن السؤال الثاني : أنه إذا جاء القدر عمي البصر ، فاذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها و ضلالها قيض لها من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي إلى الهلاك والبوار .

والجواب عن السؤال الثالث : أن البعدين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام فأما نحن الفلك فلعله لا يكون عظيماً .

والجواب عن السؤال الرابع : ما روى الزهرى عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؑ عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا ؟ قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قال النبي ﷺ : فإنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ، و لكن ربنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبحت حملة

(١) في المصدر : لاسباب اخر إلا أن ذلك لا ينافي أنها بعد مبعث النبي عليه الصلاة والسلام قد توجد .

العرش ، ثم "سبح أهل السماء وسبح" (١) كل سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء ، ويستخبر أهل السماء حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، ويتخطف الجن فيرمون ، فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه .

والجواب عن السؤال الخامس : أن النار قد تكون أقوى من نار أخرى فالأقوى تبطل الأضعف .

والجواب عن السؤال السادس : أنه إنما دام لأنه ﷺ أخبر ببطلان الكهانة ، فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة ، وذلك يقدر في خبر الرسول ﷺ عن بطلان الكهانة .

والجواب عن السؤال السابع : أن البعد على مذهبا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا (٢) في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة (٣) .

والجواب عن السؤال الثامن : لعله تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة وأعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين (٤) .

والجواب عن السؤال التاسع : أنه تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد فهذا ما يتعلق بهذا الباب على سبيل الاختصار (٥) (انتهى) .

(١) في المصدر : يسبح أهل كل سماء .

(٢) في المصدر : وقفوا .

(٣) هذا الجواب مبني على قول الأشاعرة بانكار العلية والمعلولية وأن الملازمة بين العلة والمعلول ليس أمراً ذاتياً وإنما هو لجرىان عادة الله تعالى على ذلك ، فمن الممكن أن يكون عادته تعالى في بعض الموارد على خلافه .

(٤) والصواب أن يقال ، أن كان المراد بالكفار جميعهم فالملازمة ممنوعة لأن المكالمة مع الجن يتوقف على مقدمات لا تحصل لجميعهم ، وإن كان المراد كهنتهم فبطلان التالى غير مسلم .

(٥) مفاتيح الغيب ، ج ٨ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

وأقول : الأصوب في الجواب عن الثالث أن يقال : قد ظهر أن للسماء أبواباً يصعد منها الملائكة وصعد منها نبينا ﷺ و عيسى وإدريس عليهم السلام بل أجساد سائر الأنبياء والأوصياء بعد وفاتهم على قول وقد ورد في الأخبار أن الجن كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السلام إلى ما تحت العرش ، وبعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعة و بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله منعوا عن صعود السماء مطلقاً بالشهب ، فصعدوهم إما من أبوابها أولكونهم أجساماً لطيفة يمكنهم النفوذ في جرمها ، و لعل المراد بالنفوذ فيها أن ترى فيها شقوق وثقب ، أو تنهد وتتحل أجزاءها ، فلا إشكال في ذلك .

١ - **العلل و العيون و الخصال :** في خبر الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأله مـ " خلق السماوات ؟ قال : من بخار الماء ، وسأله عن سماء الدنيا مما هي ؟ قال : من موج مكفوف ، وسأله كم طول الكواكب وعرضه ؟ قال : اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً ، وسأله عن ألوان السماوات السبع و أسمائها فقال له : اسم السماء الدنيا « رفيع » وهي من ماء ودخان ، و اسم السماء الثانية « قيدوم » وهي على لون النحاس ، و السماء الثالثة اسمها « الماروم » وهي على لون الشبه ، و السماء الرابعة اسمها « أرفلون » وهي على لون الفضة ، و السماء الخامسة اسمها « هيعون »^(١) وهي على لون الذهب ، و السماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء ، و السماء السابعة اسمها « عجماء » وهي درة بيضاء^(٢) (الخبر) .

بيان : « من موج مكفوف » أي من جسم موج ممنوع من السيلان بقدرته سبحانه ، أو بأن أجدها بعد ما كانت سيالة ، و يحتمل أن يكون كناية عن كونها مخلوقة من جسم لطيف قد استقر في محله ولا ينزل ولا يسيل ، أو موجها كناية عن تلاؤ الكواكب فيها بناءً على أنها فيها ، و يمكن أن يكون المقدار المذكور للكوكب لأصغر الكواكب التي في المجرة ، إذ المرصودة منها على المشهور أكبر من ذلك بكثير ، بل ماسوى القمر والسفليين أكبر من الأرض بأضعافها ، و

(١) في المخطوطة « هيوف » وفي المصدر « هيون » .

(٢) الخصال : ٣ ، العيون : ج ١ ، ص ٢٣١ ، العلل : ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

قد أوّل بعض السالكين مسالك الفلاسفة اختلاف الألوان الوارد في هذا الخبر باختلاف أنواعها وطبائعها، فإنّهم يقولون ليس للسماوات لون كما ستعرف انشاء الله وذكر السيّد الدّاماد - ره - لتقدير الكواكب تأويلاً غريباً أورده في مقام آخر و إن كانت أقوالهم في أمثال ذلك لم تورث إلا ظناً .

٢ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء رأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلألأ ، يكاد تلالؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار من ^(١) ظلمة و بحار تلج ترعد ^(٢) (الخبر) .

بيان : « ترعد » أي يظهر منها صوت الرعد ، أو على بناء المجهول أي تضرب .
٣ - العلل : عن علي بن أحمد بن محمد ، عن الكليني ، عن علان رفعه قال : سألت يهودي أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت السماء سماء ؟ قال : لأنّها وسم الماء يعني معدن الماء ^(٣) (الخبر) .

بيان : فسّر الوسم بالمعدن لأنّ معدن كلّ شيء علامة حصوله ، ولعلّه مبني على الاشتقاق الكبير ، لأنّ الوسم من معتل الغاء والسماء على المشهور من معتل اللام من السموّ ، وهو الرفعة ، وهو على القلب كما أنّ الاسم أيضاً من السموّ .
٤ - العلل : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي عن أبيه ، عن أحمد بن النضر ، عن محمد بن مروان ، عن جرير ، عن الضحّاك بن مزاحم ، قال : سئل علي عليه السلام عن الطارق ، قال : هو أحسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس ، وإنّما سمّي الطارق لأنّه يطرق نوره سماء سماء إلى سبع سماوات ثمّ يطرق راجعاً حتّى يرجع إلى مكانه ^(٤) .

(١) في المصدر : بحار مظلمة .

(٢) تفسير القمي ، ٣٧٣ .

(٣) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٣ .

(٤) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

٥ - الاحتجاج : عن الأصبغ قال : سأل ابن الكواكب أمير المؤمنين عليه السلام عن المجرة التي تكون في السماء ، قال : هي شرح السماء ، و أمان لأهل الأرض من الغرق ، ومنه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر ^(١) (الخبر) .

بيان : الشرح اسم للمجرة ، ولعلمهم شبهوها بالعرى التي في الكيس والعيبة تشدُّ بها ، أو بمجرى الماء لأنها مجراه حقيقة كما في الخبر ، أولاً أنها شبيهة بالنهر في وسط الوادي ، قال الفيروزآبادي : الشرح - محرّكة - العرى ، ومنفسخ الوادي ومجرة السماء ، وانشقاق في القوس ، والشرح : الفرقة ، و مسيل ماء من الجرة إلى السهل وشدّ الخريطة ^(٢) . وقال الجوهري : شرح العيبة بالتحريك عراها وقد أشرجت العيبة إذا دخلت بين أشراجها ، ومجرة السماء تسمى شرحاً ^(٣) .

تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عمّن حدثه عن أبي عبدالله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام أنه قال ملك الموت : غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ^(٤) ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام و كلّ سماء وما بينهما كذلك ^(٥) (الخبر) .

٧ - العلل : في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله : ما بال النجوم تستبين صغاراً وكباراً ومقدار ^(٦) النجوم كلها سواء ؟ قال : لأنّ بينها وبين سماء الدنيا بحاراً يضرب الرّيح أمواجها فلذلك تستبين صغاراً وكباراً ومقدار النجوم كلها سواء ^(٧) (الخبر) .

(١) الاحتجاج ، ١٣٨ .

(٢) القاموس ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) الصحاح ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

(٤) في المصدر ، وغلظ السماء-الثالثة خمسمائة عام .

(٥) تفسير القمي ، ٤١٢ .

(٦) في المصدر ، « ومقدارها سواء » وهو الصحيح ظاهراً ، أي حالكون مقدارها سواء .

(٧) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

بيان : لعل غرض السائل السؤال عن علة كون النجم الواحد يرى في بعض الأحيان أصغر وفي بعضها أكبر مع أن مقداره في جميع الأحوال واحد كما أن كلاً من الشمس والقمر إذا كان عند الأفق أو قريباً منه يرى أكبر منه إذا كان في قريب سمت الرأس لكثرة الأبخرة وانعطاف الأشعة البصرية عند وصولها إلى الملاحظ كما بين في علم المناظر ، ويحتمل أن تكون البحار كناية عن الأبخرة .

تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه و يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه النجوم (١) التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة إلى عمود من نور ، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة (٢) .

أقول : سيجيء خبر الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام في باب صفة الأرضين .

٩ - التوحيد : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن السياري ، عن عبدالله بن حماد ، عن جميل ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام هل في السماء بحار ؟ قال : نعم ، أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن في السماوات سبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام (٣) (الخبير) .

١٠ - منتخب البصائر : عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن الحسين ، عن علي بن الريان ، عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : إن لله خلف هذه النطاق زبرجدة خضراء منها اخضرت السماء . قلت : وما النطاق ؟ قال : الحجاب ، والله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس و كلهم يلعن فلاناً وفلاناً .

١١ - ارشاد المفيد : روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنه

(١) في المصدر : لهذه النجوم .

(٢) تفسير القمي : ٥٥٣ .

(٣) التوحيد ، ٢٠٣ .

قال : إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة ، فهدم بها أربعة مساجد ، ولم يبق مسجد على أهل الأرض ^(١) له شرف ^(٢) إلا هدمها وجعلها جماء ^(٣) ، ووسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج عن ^(٤) الطريق ، وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات ولا يترك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها ، ويفتح قسطنطينية والصين و جبال الدنيا ، فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنينكم هذه ، ثم يفعل الله ما يشاء . قال : قلت له : جعلت فداك فكيف تطول السنون ؟ قال : يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون ! قال : قلت له : إنهم يقولون إن الفلك إن تغير فسد ! قال : ذلك قول الزنادقة ، فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك ، وقد شق الله القمر لنبيه عليه السلام ، ورد الشمس من قبله ليوشع بن نون ، وأخبر بطول يوم القيامة ، وأنه كألف سنة مما تعدون ^(٥) .

١٢ - كتاب النجوم : روى ابن جمهور العمري في كتاب الواحدة في أوائل أخبار مولانا الحسن بن علي عليه السلام من خطبة له في صفة النجوم ما هذا لفظه : ثم أجرى في السماء مصابيح ضوءها في مفتحة و حارثها بها و جال شهابها من نجومها الدراري المضيئة التي لولا ضوءها ما أنفذت أبصار العباد في ظلم الليل المظلم بأهواله المدلهم بحنادسه ، و جعل فيها أدلة على منهاج السبل لما أحوج إليه الخليفة من الانتقال والتحول ، والإقبال والإدبار .

١٣ - كتاب الغارات : لأبراهيم الثقفي بإسناده عن أبي عمران الكندي قال : سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى « والسماء ذات الحجب » قال : ذات الخلق الحسن ، قال فما المجرّة ؟ قال ياويلك سل تفقّها ولا تسأل .

(١) في المصدر : على وجه الأرض .

(٢) أي ارتفاع و اشراف .

(٣) أي مستوية ملساء ، و لعل تأنيث الضمير باعتبار الأرض .

(٤) في المصدر : في الطريق .

(٥) إرشاد المفيد : ٣٤٤ .

تَعْنَتْهَا يَا وَيْلَكَ سَلْ عَمَّا يُعْنِيكَ قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنْ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ لِيُعْنِيَنِي ! قَالَ : إِنَّهَا شَرْحُ السَّمَاءِ ، وَمِنْهَا فَتَحَتْ السَّمَاءَ بِمَا مِنْهُمْ زَمَنَ الْفَرَقِ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : فَكَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ قَالَ : مَدَّ الْبَصْرَ وَدَعَا بِذِكْرِ اللَّهِ فَيَسْمَعُ لَأَنْقُولَ غَيْرَ ذَلِكَ .

بيان : « لَأَنْقُولَ غَيْرَ ذَلِكَ » أي لَأَنْخُبِرَ الْخَلْقَ بِمَقْدَارِ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَصْلُحْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ (١) ، فَيُدَلُّ عَلَى أَنَّ التَّفَكُّرَ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ مَمْنُوعٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ كَمَا تَزَعَّمُهُ الْفَلَسَفَةُ أَنَّهَا كَمَالُ النَّفْسِ وَلَا بَدَأَ لِلْإِنْسَانِ فِي تَحْصِيلِ السَّعَادَاتِ الْأَبَدِيَّةِ مِنَ النَّظَرِ فِيهَا .

١٤ - الْغَارَاتُ : بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ نَبَاتَةَ ، قَالَ : سُئِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ قَالَ : مَدَّ الْبَصْرَ وَدَعَا الْمَظْلُومَ . وَسُئِلَ : كَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ؟ قَالَ : يَوْمَ طَرَادِ الشَّمْسِ وَسُئِلَ عَنِ الْمَجْرَةِ فَقَالَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ أَغْلَقَهَا فَلَمْ يَفْتَحْهَا . وَسُئِلَ عَنِ الْقَوْسِ فَقَالَ : أَمَانَ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنَ الْفَرَقِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ (الْخَبَرِ) .

بيان : « يَوْمَ طَرَادِ » أَي تَامَ ، أَوْ قَصِيرَ ، أَوْ يَوْمَ يَجْرِي فِيهِ الشَّمْسُ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : الطَّرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ الطَّوِيلِ كَالطَّرَادِ ، وَالطَّرِيدَانُ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَكَمَا تَابَ رَمَحٌ قَصِيرٌ ، وَمَطَارِدَةُ الْأَقْرَانِ حَمَلٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَهُمْ فَرَسَانُ الطَّرَادِ ، وَاطَّردَ الْأَمْرُ تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا وَجَرَى (٢) (انْتَهَى) وَاعْلَمْ أَنَّ الْحُكَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَجْرَةِ فَقِيلَ : احْتِرَاقٌ حَدَثَ مِنَ الشَّمْسِ فِي تِلْكَ الدَّائِرَةِ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ السَّالِتَةِ . وَأُورِدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَخَالَفٌ لِقَوَاعِدِهِمُ الَّتِي مِنْهَا عَدَمُ كَوْنِ الشَّمْسِ مَوْصُوفَةً بِالْحَرَارَةِ

(١) و لعل عدم الاخبار لعدم استمداد الناس لفهمه في ذلك الزمان ، أو لكون السائل في مقام التمتع و الاعياء ، ولو كان التفكير في امثال هذه المعاني ممنوعة والعلم بها خالياً عن المصلحة لما حاموا حومها و لنهوا اصحابهم و خواصهم أن يطوفوا طورها ، كيف وقد تكاثرت الروايات عنهم بأخبار السماوات و كَيْفِيَّاتِهَا و ما بينها إلى غير ذلك ، مضافاً إلى ما في فهم هذه المعاني من درك عظمة الله تعالى و حكمه و سعة رحمته و معرفة صفاته و أسمائه ، و سيأتي في ما ينقل عن اقوال اجلاء العلماء في النجوم القول باستحباب تعلم الهيئة لذلك .

والإحراق ، ومنها عدم كون الفلك قابلاً للتأثر . وقيل : بخار دخاني واقع في الهواء ، وأُورد عليه بأنه لو كان كذلك لكان يختلف في الصيف والشتاء وقيل : هي كواكب صغار متقاربة متشابكة لاتمايز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصغرها صارت كأنها لطنخات سحابية وهذا أقرب الوجوه (١) .

١٥ - العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم : معنى السماء أنها ارتفعت أي سمت من السمو ، ومعنى الأرض أنها انخفضت ، وكل شيء انخفض فهو أرض .

١٦ - النهج : قال عليه السلام اللهم رب السقف المرفوع ، والجو المكفوف ، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار ، ومجرىً للشمس والقمر ، ومختلفاً للنجوم السيارة ، و جعلت سكانه سبطاً من ملائكتك ، لا يسأمون من عبادتك ، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام ، و مدرجاً للهوام والأنعام ، وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً ، وللخلق اعتماداً (٢) .

بيان : السقف المرفوع السماء ، والجو الهواء وما بين السماء والأرض ، وكفه أي جمعه وضم بعضه إلى بعض ، وفسر بعضهم الجو المكفوف بالسماء أيضاً والظاهر أن المراد به هنا الهواء بين السماء والأرض فإنه مكفوف بالسماء ، وقد ورد في الدعاء « وسد الهواء بالسماء » وغاض الماء يغيض غيضاً : نصب وقل ، وكون السماء مغيضاً لليل والنهار والشمس والقمر ظاهر لأنها فيها تعيب ، وأما الجو المكفوف فإن فسر بالسماء فظاهر أيضاً ، وإن فسر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه ويرى بحسب الحس كذلك ، وقيل : المراد به الهواء والفضاء بين السماوات فإنه مكفوف بها ، ويمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الذي هو مكان الفلك ، و كفتها تحديدها وضبطها بالسماوات ، ويمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجو لاتصالهما بعد هما شيئاً واحداً ، فإن المجموع محل لتلك الآثار والأجرام في الجملة ومختلفاً للنجوم السيارة . وقال ابن ميثم : المراد بالجو السماء ، وكونه

(١) و إليه انتهى نظر المتأخرين من الفلكيين .

(٢) النهج : ج ١ ، ص ٣١٨ و ٣١٩ .

مغيضاً لليل والنهار لأنّ الفلك بحر كنهه المستلزمة لحر كبة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيوبة الليل وعن وجهها لغيوبة النهار ، فكان كالمغيض لهما ، وقيل : جعلته مغيضاً أي غيضة لهما ، وهي في الأصل الأجمة كما يجتمع فيها الماء فتسمى غيضة وينبت فيها الشجر ، كأنّه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها . وقال الكيدري في شرحه المغيض : الموضع الذي يفيض فيه الماء أي ينضب ويقل ، وجعل السماء والفلك مغيضاً لليل والنهار مجازاً أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى وإن زاد في الآخر ، وذلك بحسب جريان الشمس . وقال : الجو المكفوف كأنّه أراد الهواء المحدود الذي ينتهي حده إلى السماء ، والجو ما بين السماء والأرض كأنّه كف أي منع من تجاوز حده . وقال أبو عمرو : الجو ما اتسع من الأودية ، وكل مستدير فهو كفة - بالكسر - كأنّه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير ، لأنّه داخل الفلك الكروي الشكل ، أو أراد بالجو الفلك العريض الواسع و بالمكفوف ما كان عليه كفة من المجرة والنيرات فيكون من كفة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبرّي عن الخلل والفتور من قولهم « عيبة مكفوفة » أي مشرحة مشدودة (انتهى) .

والاختلاف : التردد ، وحمله على اختلاف الفصول بعيد . والسبط - بالكسر - الأمة والقبيلة .

« لايسأمون » أي لا يملّون « قراراً » أي محل استقرار ، و درج كقعد أي : مشى . والهوام : الحشرات . وقال ابن ميثم : قال بعض العلماء : من أراد أن يعرف حقيقة قوله ﷺ « مما يرى ومما لا يرى » فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره . وأقول : يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملاك والجن . و الاعتماد : الاتكاء والاتكال ، إذ الجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم .

١٧ - النهج : عن نوف البكالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة :

فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطنات بلائد ، قائمات بلاسند ، دعاهن فأجبن طائعات مذعنات ، غير متلكئات ولا مبطئات ، ولولا إقرارهن له بالربوبية ، وإذاعتهن بالطواعية لما جعلهن موضعاً لعرشه ، ولا مسكناً لملائكته ، ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه ، جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران ، في مختلف فجاج الأقطار ، لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجع الليل المظلم ، ولا استطاعت جلايبب سواد الحنادس أن ترد ما شاع في السماوات من تلالؤ نور القمر^(١) (إلى آخر الخطبة) .

توضيح : المراد بشواهد الخلق آيات الإبداع وعلامات التدبير المحكم ، أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه وتدبيره وعلمه ، أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير . ووطدت كوعدت أظدها طدة ووطدتها توطيداً : إذا أثبتتها بالوطء أو غيره حتى تتصلب ، وتوطيد السماوات إحكام خلقها وإقامتها في مقامها على وفق الحكمة . و العمدة - بالتحريك - : جمع عماد - بالكسر - وهو ما يسند به ، أو جمع عمود . والسند - بالتحريك - : ما استندت إليه واتكأت من حائط وغيره ، والطائع : المنقاد السلس . وأذعن أي انقاد ولم يستعص وتلكأ : أي توقف واعتل . والطواعية - كئمانية - : الطاعة ، ولعل المراد بالملائكة المقرَّبون أو الأكثر ، لأن منهم من يسكن الهواء والأرض والماء ، و صعود الكلم الطيب والعمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات ، وفيه إشارة إلى قوله سبحانه «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»^(٢) ، وإجابتهن إشارة إلى قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»^(٣) ، وقدمر الكلام في تأويل الآية ، وقيل : هنا إقرارهن بالربوبية له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الرب والالتقياد لحكم

(١) النهج ، ج ١ ، ص ٣٣٩ و ٣٤٠ .

(٢) فاطر ، ١٠ .

(٣) فصلت ، ١١ .

قدرته ، وظاهر أنه لولا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من الخلق (انتهى) .
وأما تخصيصه ﷺ السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعله لكونها أكثر طاعة لكون مادتها أقبل أولشرفها . والعلم - بالتحريك - : ما يهتدى به والمختلف : الاختلاف أي التردد ، أو موضعه ، أو هو من المخالفة . والفج : الطريق الواسع بين جبلين ، والقطر : الجانب و الناحية ، فالمعنى : يستدل بها الحيارى في التردد في فجاج الأقطار ، أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأقطار ، وذهاب كل منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر كاختلاف القوم في الآراء . والسجف - بالكسر وبالفتح - : الستر ، و الجلباب - بالكسر - : ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها كالمحففة ، وقيل : هو الخمار ، وقيل : القميص . و الحندس - كزبرج - : الشديد الظلمة ، وشاع الشيء يشيع أي ظهر و ذاع وفشا ، و تالأ القمر والبرق أي لمع .

١٨ - كتاب المثنى بن الوليد الحنط : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : سألته عن السماوات السبع ، فقال : سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق ، وبينها وبين الأخرى خلق ، حتى ينتهي إلى السابعة . قلت : و الأرض ؟ قال : سبع ، منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب ، و اثنتان هواء ^(١) ليس فيهما شيء .

١٩ - كتاب زيد النرسى : عن أبي عبد الله ﷺ قال : إذا نظرت إلى السماء فقل - وذكر الدعاء إلى قوله - اللهم رب السقف المرفوع ، و البحر المكفوف ، و الفلك المسجور ، و النجوم المستخرات ، و رب هور بن إسيّة صل على محمد وآل محمد و عافني من كل عقرب و حية - إلى آخر الدعاء - قال : قلت : وما هور بن

(١) ان كان المراد بالهواء الجسم اللطيف المعروف كان المراد بالارضين الاجسام المنخفضة بالنسبة الى السماوات سواء كانت كثيفة كالتراب او لطيفة كالهواء ، وان كان المراد به الشيء الخالي ، كما انه من معانيه وربما يؤيده قوله بعده « ليس فيها شيء » فيمكن اخذ الارض بمعناها المعروف .

إيسية ، قال : كوكبة في السماء خفية تحت الوسطى من الثلاث الكواكب التي في بنات نعش المتفرقات ، ذلك أمان ماقلت .

٢٠ - الدر المنثور : نقلاً من سبعة من كتبهم عن ابن مسعود قال : ما بين السماء والأرض مسيرة^(١) خمسمائة عام ، وما بين كل سمانين خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء^(٢) .

٢١ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز ذكره إذا أراد فناء دولة قوم أمر الفلك فأسرع السير فكانت على مقدار ما يريد^(٣) .

بيان : أمر الفلك لعله كناية عن تسبیب أسباب زوال دولتهم على الاستعارة التمثيلية ، ويحتمل أن يكون لكل دولة فلك سوى الأفلاك المعروفة بالحركات وقد قدر لدولتهم عدد من الدورات فإذا أراد الله إطالة مدتهم أمر بإبطائه في الحركة وإذا أراد سرعة فنائها أمر بإسراعه .

٢٢ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن عنبسة بن بجاد العابد ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كنتاً عنده - وذكره واسلطان بني أمية - فقال أبو جعفر عليه السلام : لا يخرج على هشام أحد إلا قتله قال : وذكر ملكه عشرين سنة ، قال : فيجزعنا فقال : ما لكم ؟ إذا أراد الله عز وجل أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فأسرع بسير الفلك ففقد على ما يريد^(٤) (الخبر) .

٢٣ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق عليه السلام : فكّر يا مفضل في النجوم

(١) في المصدر ، بين السماء والأرض خمسمائة عام .

(٢) الدر المنثور ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) روضة الكافي : ١٦٣ .

(٤) روضة الكافي : ٣٩٤ .

واختلاف مسيرها ، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة ، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها ، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين : أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب ، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق ، كالنملة التي تدور على الرحي ، فالرحي تدور ذات اليمين ، والنملة تدور ذات الشمال ، والنملة في تلك تتحرك حر كتين مختلفين : إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها ، والأخرى مستكرهة مع الرحي تجذبها إلى خلفها ، فاسأل الزاعمين ، أن النجوم صارت على ماهي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها مامنها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها متنقلة ؟ فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بجر كتين مختلفتين على وزن وتقدير ؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما سيران عليه بعهد و تدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعمه المعطلة .

فان قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتباً و بعضها متنقلاً ؟ قلنا : إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المتنقلة و مسيرها في كل برج من البروج ، كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس و النجوم في منازلها ، ولو كانت كلها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه ، لأنه إنما يوقف بمسير المتنقلة منها لتنقلها في البروج الراتبة ، كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ، ولساغ لقائل أن يقول : إن كينو نيتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ، ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها .

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل ثريا والجوزاء ، والشعرين ، وسهيل ، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها ^(١) على حيا له دلالات يعرفها الناس ، ويهتدون بها البعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، واحتجابها إذا احتجبت

(١) منها (خ) .

فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته ، وكما جعلت الثريا وأشباهاها تظهر حيناً وتحجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة ، فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة ، وذلك أنها لاتغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا ، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الأرب والمصلحة ، وفيها مآرب أخرى : علامات و دلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر ، وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد ، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة ، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة و مشرقة ومغربة من العبر ، فإنها تسير أسرع السير وأحش ، أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن سنخطف الأبصار بوهجها وشعاعها ، كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجو ، وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبة مكملة بمصايح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت أبصارهم حتى يخرّوا لوجوههم ، فانظر كيف قد رأن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار ، وتنكأ فيها ، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها ، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة ، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجاني في جوف الليل ، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه ، فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة لحاجة إليها ، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا .

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم [في] هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي

بيّنت ولخصت لك آنفاً ، وهل يخفى على ذي لبّ أن هذا تقدير مقدر و صواب و حكمة من مقدر حكيم ؟ فإن قال قائل : إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاّب تراه يدور و يسقي حديقة فيها شجرونبات ، فترى كل شيء من آله مقدرأً بعضه يلتقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله ؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه ؟ فينكر أن يقول في دولاّب خشب (١) مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلاصانع ومقدر ، ويقدرأن يقول في هذا الدولاّب الأظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لواعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه .

بيان : قوله ﷺ « لا تفارق مرا كزها » لعل المراد أنه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيّارات ، أولاً يختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها ، ويحتمل أن يكون المراد بمرا كزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها ، و عليه ينبغي أن يحمل قوله ﷺ « وبعضها مطلقة ينتقل في البروج » أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كل أحد ، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه ﷺ .

قوله ﷺ « فإن الإهمال معنى واحد » يحتمل أن يكون المراد أن الطبيعة أو الدهر اللذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثرين كل منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة ، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مر ، أو المراد أن العقل يحكم بأن مثل هذين الأمرين المتسقين الجارين على قانون الحكمة لا يكون إلا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم ، أو المراد أن الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلة وترجح الأمر الممكن من غير مرجح كما تزعمون أمر

واحد حاصل فيهما فلم صارت إحداهما راتبة والأخرى متنقلة ولم لم يعكس الأمر؟ والأول أظهر كما لا يخفى . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «لبطلت الدلالات» ظاهره كون الأوضاع النجومية علامات الحوادث . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « في البروج الراتبة » يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ راعى في انتقال البروج محاذة نفس الأشكال ، وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بقاء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها لكنّه بعيد . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « والشعريين » قال الجوهري : الشعري الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ، وهما الشعريان : الشعري العبور التي في الجوزاء ، والشعري القميصاء التي في الذراع ، تزعم العرب أنّهما اختناهيل (انتهى) والتفارجع قمر وهو الخلاء من الأرض ، وخطف البرق البصر : ذهب به ، ووهج النار - بالتسكين - : توقّدها ، وقوله « حثيثاً » أي مسرعاً ، وتجافى : أي لم يلزم مكانه ، وبرح مكانه : زال عنه .

٢٤ - المتهمجد : في تعقيب صلاة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : وأسألك باسمك الذي

أجريت به الفلك ، فجعلته معالم شمسة وقمر ، وكتبت اسمك عليه .

٢٥ - الدر المنثور : للسيوطي نقلاً من تسعة عشر من كتبهم عن العباس

ابن عبدالمطلب قال : كنتا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : هل تدرّون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : بينهما مسيرة خمسمائة عام ، ومن كلّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، وكنف كلّ سماء خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، ثمّ فوق ذلك ثمانية أوعال بين كبهن^(١) وأظلافهنّ كما بين السماء والأرض ثمّ فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض^(٢) .

٢٦ - ومن عدّة كتب بأسانيدهم عن أبي ذرّ - ره - قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كلّ سماء مسيرة خمسمائة عام ، وما

(١) في المصدر : بين وركهن

(٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٣ .

بين السماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة عام ، كذلك إلى السماء السابعة ، والأرضون مثل ذلك ، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك . ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله ثمّة - يعني علمه - (١) .

٢٧ - وبأسانيد أخرى عن النبي ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فمرّت سحابة فقال: أتدرون ما هذه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه الغيابة يسوقها الله إلى أهل بلد لا يعبدونه، ولا يشكرونه! هل تدرون ما فوق ذلك! قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ، هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ فوق ذلك سماءً أخرى، هل تدرون كم ما بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ بينهما مسيرة خمسمائة عام - حتى عد سبع سماوات بين كلّ سماءين مسيرة خمسمائة عام - ثمّ قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ فوق ذلك العرش، فهل تدرون كم ما بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ بين ذلك كما بين السماءين ثمّ قال: هل تدرون ما هذه؟ هذه أرض، هل تدرون ما تحتها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض أخرى، وبينهما مسيرة خمسمائة عام، حتى عد سبع أرضين بين كلّ أرضين مسيرة خمسمائة عام (٢) .

٢٨ - وعن عبد الله بن عمر أنّه نظر إلى السماء فقال: تبارك الله! ما أشدّ بياضها، والثانية أشدّ بياضاً منها، ثمّ كذلك حتى بلغ سبع سماوات، وخلق فوق السابعة الماء، وجعل فوق الماء العرش، وجعل فوق السماء الدنيا الشمس والقمر والنجوم والرجوم (٣) .

٢٩ - وعن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله ما هذا السماء؟ قال: هذا موج مكفوف عنكم (٤) .

٣٠ - وعن الربيع بن أنس قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة

بيضاء ، والثالثة حديد ، والرابعة نحاس ، والخامسة فضة ، والسادسة ذهب ، والسابعة
ياقوتة حمراء ، وما فوق ذلك صحاري من نور ، وما يعلم ^(١) ما فوق ذلك إلا الله ، و
ملك موكل بالحجب يقال له « ميطاطروش » ^(٢) .

٣١ - وعن سلمان الفارسي - ره - قال : السماء الدنيا من زمردة خضراء
اسمها « رفيعا » والثانية من فضة بيضاء واسمها « أدقلون » والثالثة من ياقوتة حمراء
واسمها « قيدوم » والرابعة من درة بيضاء واسمها « ماعونا » ^(٣) والخامسة من ذهب
حمراء واسمها « ديقا » والسادسة من ياقوتة صفراء واسمها « دفنا » والسابعة من نور
واسمها « عربيا » ^(٤) .

٣٢ - وعن علي عليه السلام قال : اسم السماء الدنيا رفيع ، واسم السابعة الضراح ^(٥) .

٣٣ - وعن ابن عباس قال : سيد السموات السماء التي فيها العرش و سيد
الأرضين الأرض التي أتم عليها ^(٦) .

٣٤ - وعن الشعبي قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجحدر حين سأله عن
السماء من أي شيء هي فكتب إليه : إن السماء من موج مكفوف ^(٧) .

٣٥ - وعن حبة العرني ^(٨) قال : سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف :
والذي خلق السماء من دخان وماء ^(٩) .

٣٦ - وعن كعب قال : السماء أشدّ بياضاً من اللبن ^(١٠) .

٣٧ - وعن سفيان الثوري قال : تحت الأرضين صخرة بلغنا أن تلك الصخرة
منها خضرة السماء ^(١١) .

(١) في المصدر ، ولا يعلم .

(٢) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) ماحونا (خ) .

(٤-٧) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٣ .

(٨) في المصدر ، عن حبة العوفي .

(٩-١١) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٣٣ .

٣٨ - وعن قتادة في قوله « فسويهن سبع سماوات » قال : بعضهن فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام (١) .

٣٩ - وعن ابن جبير قال : إن هرقل كتب إلى معاوية و قال : إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبروني مما سألتهم عنه ، قال : و كتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس و عن البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة . قال فلما أتى معاوية الكتاب و الرسول قال : إن هذا شيء ما كنت أظن أن أسأل عنه إلى يومي هذا ! من لهذا ؟ قالوا : ابن عباس . فطوى معاوية كتاب هرقل و بعث به إلى ابن عباس فكتب إليه أن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق ، و المجرة باب السماء الذي يشق منه ، و أما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من نهار فالبحر الذي أفرج من بني إسرائيل (٢) .

٤٠ - وعن أبي صالح في قوله « كانتا رتقا ففتقناهما » قال : كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات ، و كانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين (٣) .

٤١ - وعن الحسن و قتادة قالا : كانتا جميعاً ففصل الله بينهما بهذا الهواء (٤) .

٤٢ - وعن ابن جبير قال : كانت السماوات والأرضون ملتزقتين ، فلما رفع الله السماء و أبعداها (٥) من الأرض فكان فتقها الذي ذكر الله (٦) .

٤٣ - وعن ابن عباس في قوله تعالى « و السماء ذات الحجب » قال : حسنها و استواؤها (٧) .

٤٤ - و روي عنه أيضاً أنه قال : ذات البهاء و الجمال ، و أن بنيانها كالبرد المسلسل (٨) .

(١) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٢) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٤) في المصدر ، و ابتزها .

(٥-٨) الدر المنثور ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

- ٤٥ - وفي رواية أُخرى عنه : ذات طرائق والخلق الحسن (١) .
- ٤٦ - وعن عليّ عليه السلام قال : هي السماء السابعة (٢) .
- ٤٧ - وعن عكرمة : ذات الخلق الحسن محبّكة بالنجوم (٣) .
- ٤٨ - وعن أبي الطفيل أن ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام عن المجرّة فقال : هي شجر (٤) السماء ، ومنها فتحت أبواب السماء بماء منهمر، ثم قرأ « ففتحنّا أبواب السماء بماء منهمر (٥) » .
- ٤٩ - وعن ابن عباس في قوله « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سماوات مقداره خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك ينزل (٦) الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام (٧) .
- ٥٠ - وعنه أيضاً قال : غلظ كلّ أرض خمسمائة عام ، و بين كلّ أرض إلى أرض خمسمائة عام ، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام ، وغلظ كلّ سماء خمسمائة عام ، فذلك أربعة عشر ألف عام ، و بين السماء وبين العرش مسيرة ستّة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٨) » .
- ٥١ - وعن وهب قال : مقدار ما بين أسفل الأرض إلى العرش خمسون ألف سنة (٩) .
- ٥٢ - وعن الحسن في قوله « سبع سماوات طباقا » قال : بعضهنّ فوق بعض

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ٣١٧ .

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٢ .

(٣) الطاهر انه مصحف « شرح »

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٣ .

(٥) في المصدر : نزول الامر .

(٦-٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٣ .

كلّ سماء وأرض خلق وأمر^(١) .

٥٣ - وعن أبي ذرّ قال : قرأ رسول الله ﷺ « هل أتى على الإنسان ، حتّى ختمها ، ثمّ قال : إنّي أرى ما لاترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّقت السماء وحقّ لها أن تغطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله ؛ والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وما تلذّثتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصدقات تجارون إلى الله عزّ وجلّ^(٢) .

٥٤ - وعن عليّ عليه السلام قال : السقف المرفوع السماء ، و البحر المسجور بحر في السماء تحت العرش^(٣) .

بيان : قال في النهاية : الوعول و الأوعال تيوس الجبل ، واحدها « وعل » بكسر العين ، ومنه الحديث في تفسير قوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » قيل ثمانية أوعال أي ملائكة على صورة الأوعال^(٤) (انتهى) . قوله « لو جدتم الله ثمة » أي نسبته سبحانه إلى العرش و تحت الثرى وجميع الأماكن متساوية من حيث عدم حصوله بذاته في شيء منها ، و إحاطة علمه وقدرته بجميعها . و قال الطيبي : فيما رووا « لودليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ، دليتم أي أرسلتم ، وعلى الله أي على علمه وقدرته وسلطانه و في النهاية : الغياية كل شيء أظنّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (انتهى) . موج مكفوف قال الطيبي : أي ممنوع من الاسترسال ، حفظها الله أن تقع على الأرض ، وهي معلقة بالأعمد كالوج المكفوف .

٥٥ - الدر المنثور : عن عليّ عليه السلام في قوله « فلا أقسم بالخنس » قال :

هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى^(٥) .

(١) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٦٨ .

(٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٩٧ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١١٨ .

(٤) النهاية ، ج ٤ ، ص ٢٢١ .

(٥) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٠ .

٥٦ - وعن علي عليه السلام في قوله « فلا أقسم بالخنس » قال : خمسة أنجم : زحل ، وعطارد ، والمشتري ، و بهرام ، والزهرة ، ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرها (١) .

٥٧ - وعن ابن عباس قال : الخنس نجوم تجزي يقطعن المجرة كما يقطع الفرس (٢) .

٥٨ - وعن ابن عباس في قوله « بالخنس الجوار الكنس » قال : هي النجوم السبعة : زحل ، و بهرام ، وعطارد ، والمشتري ، والزهرة ، والشمس ، والقمر ، خنوسها رجوعها ، وكنوسها تغييبها بالنهار (٣) .

٥٩ - وعن الأعمش قال : كان أصحاب عبد الله يقولون في قوله تعالى « والسماء ذات البروج » ذات القصور (٤) .

٦٠ - وعن أبي صالح في قوله « ذات البروج » قال النجوم العظام (٥) .

٦١ - وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن السماء ذات البروج فقال : الكواكب . وسئل (٦) « الذي جعل في السماء بروجاً » فقال : الكواكب . قيل : فبروج مشيئة ؟ فقال القصور (٧) .

٦٢ - وعن قتادة في قوله « و السماء ذات البروج » قال : بروجها نجومها « و اليوم الموعود » قال : يوم القيامة « و شاهد و مشهود » قال : يوهان عظيمان عظمهما الله من أيام الدنيا ، كنّا نحدث أن الشاهد يوم القيامة ، و أن المشهود يوم عرفة (٨) .

٦٣ - وعن الحسن في قوله « والسماء ذات البروج » قال : حبكت بالخلق الحسن ثم حبكت بالنجوم « و اليوم الموعود » قال : يوم القيامة (٩) .

(١ و ٢ و ٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٢٠ .

(٤ و ٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٣١ .

(٦) في المصدر : وسئل عن « الذي ... »

(٧ - ٩) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٣١ .

٦٤ - وعن مجاهد « والسماوات ذات البروج » قال : ذات النجوم « و شاهد ومشهود » قال : الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة ^(١) .

فائدة : اعلم أن أصحاب الهيئة قالوا : بُعد مقعر فلك القمر عن مركز العالم أحد وأربعون ألفاً وتسعمائة وستة وثلاثون فرسخاً ، و بُعد محده به الذي هو مماس لمقعر فلك عطارد بزعمهم خمسة وثمانون ألف فرسخ و سبعمائة فرسخ وثلاث فراسخ ، و بُعد مقعر فلك الزهرة مائتان وخمسة وسبعون ألف فرسخ و ثلاثمائة وثمانون فرسخاً ، و بُعد مقعر فلك الشمس ألف ألف فرسخ و ثمانمائة [وثمان] وأربعون ألف فرسخ و ثمانمائة وخمسة وثمانون فرسخاً ، و بعد مقعر فلك المريخ ألف ألف فرسخ وسبعة وعشرون ألف فرسخ و تسعمائة وأربع وثلاثون فرسخاً و بعد مقعر فلك المشتري أربعة آلاف ألف فرسخ وسبعمائة وسبعون ألف فرسخ و ستمائة و اثنان وسبعون فرسخاً ، و بعد مقعر فلك زحل ثلاثة وعشرون ألف ألف فرسخ و تسعمائة وأحد وتسعون ألف فرسخ ومائتان وخمسة عشر فرسخاً ، و بعد مقعر فلك الثوابت ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ و خمسمائة ألف وتسعة آلاف فرسخ و مائة وثمانية وثمانون فرسخاً ، و بعد مقعر الفلك الأعلى ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ و خمسمائة وأربعة وعشرون ألف فرسخ وستمائة وتسعة فراسخ ، و بعد محده الفلك الأعلى لا يعلمه أحد إلا الرب تبارك وتعالى ومن أوحى إليه .

وذكروا أن قطر القمر سبعمائة وأحد وثلاثون فرسخاً ، وجرمه سدس سبع جرم الأرض . وقيل : جزء من تسعة وثلاثين جزءاً منها ، وقطر العطاردة مائة وتسعة فراسخ ، وجرمه جزء من اثني عشر ألف جزء وسبعمائة وتسعة وستين جزءاً من جرم الأرض ، وقطر الزهرة تسعمائة فرسخ وخمسة وستون فرسخاً ، وجرمه ثلث تسع جرم الأرض ، وقيل : جزء من سبعة وثلاثين جزءاً من الأرض ، وقطر الشمس سبعة عشر ألف فرسخ و خمسمائة وثمانية وستون فرسخاً ، وجرمه ثلاثمائة وثمانية وعشرون ضعف جرم الأرض ، وقيل : مائة وستة وستون ضعفاً ، وقطر المريخ ثلاثة آلاف

(١) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣٣١ .

فرسخ وسبعمائة وخمسة وتسعون فرسخاً، وجرمه ثلاثة أضعاف جرم الأرض ، وقيل : مثل الأرض ونصفها ، وقطر المشتري أربعة عشر ألف فرسخ وخمسمائة وستة وتسعون فرسخاً ، وجرمه مائة وثمان وثمانون ضعفاً من الأرض ، وقيل : اثنان وثمانون ضعفاً وربعاً منها ، وقطر زحل أربعة عشر ألف فرسخ وأربعمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً ، وجرمه مائة واثان وثمانون ضعفاً من الأرض ، وقيل : سبع وسبعون ضعفاً ^(١) ، والكواكب الغير المرصودة لا يعلم عددها إلا الله تعالى وحججه ^(٢) ، ومارصدوا منها ألف واثان وعشرون كوكباً ^(٣) ، فأعظمها على ما ذكره بعضهم ثمانية وتسعون ضعفاً للأرض و سدسها ، وأصغرها عشرة أضعاف وثلث من الأرض وعلى ما ذكره آخرون : أعظمها مائتان واثان وعشرون ضعفاً من الأرض ، وأصغرها ثلاثة وعشرون ضعفاً منها ، ورتبوا أقدارها المختلفة في ست مراتب ينتقص كل مرتبة عن صاحبها في القطر بسدس ، فأولها أعظمها وفيها خمسة عشر كوكباً ، وفي الثانية خمسة وأربعون ، وفي الثالثة مائتان وثمانية ، وفي الرابعة أربعمائة وأربعة وسبعون وفي الخامسة مائتان وسبعة عشر ، وفي السادسة تسعة وأربعون ، وأربعة عشر خارجة عن المراتب ، تسعة خفية تسمى مظلمة ، وخمسة سحابية كأنها قطعة غيم ، وقد

(١) قطر القمر عند اصحاب الهيئة الجديدة خمسمائة وتسعة وسبعون فرسخاً ، وجرمه سبع سبع جرم الارض ، وقطر عطارد ثمانمائة وخمسة فراسخ وجرمه جزء من اربعة وعشرين جزء من جرم الارض ، وقطر الزهرة ألفان وستة عشر فرسخا وجرمها تسعة اعشار جرم الارض ، وقطر المريخ الف و مائتا فرسخ وجرمه عشر جرم الارض ، وقطر المشتري احد عشر الف فرسخ وخمسمائة فرسخ وجرمه اكثر من جرم الارض بالف وثلاثمائة ضعف جرمها وهو اكبر السيارات وقطر زحل عشرة آلاف فرسخ وجرمه أكثر من جرم الارض بتسعمائة وخمسين ضعف جرمها، كل ذلك بالتقريب ، ولاجل مايقع من المسامحة في امثال تلك المحاسبات يحصل اختلافات كثيرة في تعيين المقادير ، ولذلك ذكروا في تعيين الأقطار والابعاد اعداداً تختلف مع ما ذكرنا بكثير .

(٢) ما يمكن رؤيته بلا آلة يقرب من ستة آلاف كوكب ، ويمكن رؤية ألفين منها تقريباً في ليلة واحدة ، واما ما يرى بالمكبرات العظيمة فتمبلغ مئات مليون واما ما لم ير بعد فلا يعلم عدده الا الله تعالى أو من علمه من لدنه .

يزاد ثلاثة تسمى « صغيرة » ثم توهّموا لتعريف هذه الكواكب صوراً تكون هي عليها، أوفيما بينها ، أو يقربها، والصورتان ثمانية وأربعون : إحدى وعشرون في الشمال واثنتا عشرة على المنطقة ، وهي صور البروج المشهورة ، وخمس عشرة في الجنوب . هذا ما ذكره واستنبطوه من قواعدهم والله تعالى يعلم حقائق الأمور .

وقال بعضهم : يسير الفلك الأعظم بمقدار ما يقول أحد « واحد » ألفاً وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخاً من مقعره ، والله تعالى يعلم ما يسير من محده به ! وهو أسرع الحركات ، وحر كته من المشرق إلى المغرب ، ويتم في يوم بليلته دوراً بالتقريب ، و قطباه يسميان بقطبي العالم ، و منطقته تسمى بالمعدل النهار ، و هي تقطع العالم بنصفين : شمالي ، و جنوبي ، و الصغار الموازية المرتمسة من تحرك النقاط عن جنوبيها تسمى بالمدارات اليومية ، و سائر الحركات الخاصة للكواكب من المغرب إلى المشرق على توالي البروج و أبطأها حركة فلك الثوابت ، و يوافق جميع الممثلات ، و يقطع في كل خمسة وعشرين ألفاً ومأتي سنة دوراً ، و يقطع في كل سنة عشرة فراسخ ، و مع ذلك لا ترى حركتها في قريب من خمسين سنة ، بل ترى في تلك المدّة كأنّها ساكنة و قطباه يسميان بقطبي البروج ، و منطقته بمنطقة البروج و فلك البروج ، و هي تقطع المعدل على نقطتين تسميان بالاعتدالين : الربيعي والخريفي ، و أبعداً جزائها عنه بالانقلابين الصيفي والشتوي ، و غاية هذين البعدين من الجانب الأقرب تسمى بالميل الكلي ، و هو بالرصد الجديد ثلاثة و عشرون جزءاً وثلاثون دقيقة ، و تنقسم منطقة البروج بهذه النقاط الأربعة أرباعاً قطع الشمس لكل منها أحد الفصول الأربعة ، و لها دوائر صغار كالأولى التي تسمى بمدارات العرض ، و توهّموا في كل ربع من تلك الأرباع نقطتين انقسم بها بثلاثة أقسام متساوية فحصلت البروج الاثنا عشر ، فالحمل والثور والجوزاء ربيعية ، والسرطان والأسد والسنبلة صيفية ، والميزان والعقرب والقوس خريفية ، و الجدي والدلو والحوت شتوية ، فتحصل بالحركة الخاصة للشمس في هذه البروج ، الفصول الأربعة في كل سنة ، والقمر يقطع تلك البروج في سبعة وعشرين يوماً وليلة وثلث

تقريباً ، والعتارد والزهرة يقطعانها في سنة تقريباً ، والمرّيخ يقطعها في سنة وعشرة أشهر وأحد وعشرين يوماً و ليلة و اثنتين وعشرين ساعة وخمسين دقيقة ، و المشتري يقطعها في إحدى عشرة سنة و شهرين وثلاثة عشر يوماً و ليلة و إحدى عشرة ساعة وتسع دقائق وقال المحقق الطوسي - ره - في اثنتي عشرة سنة تقريباً ، وزحل يقطعها في ثلاثين سنة ، ويقال للشمس والقمر « النيران » ولزحل والمشتري « العلويان » ولعتارد والزهرة « السفليان » وللمشتري والزهرة « السعدان » ولزحل والمرّيخ « النحسان » .

ثم إن القدماء قالوا : كل واحد من أفلاك الكواكب السبعة يشتمل على أفلاك أخرى جزئية مفروزة عن كلها متحرّكة بحركة أخرى غير حركة الكل وذلك لأنّه يعرض لها في حركاتها السرعة والبطء والتوسط بينهما ، وكذا الوقوف والرجوع والاستقامة ، وقد تكون حركتها بعضها متشابهة حول نقطة ، أي يحدث عندها في أزمنة متساوية زوايا متساوية وقسيماً^(١) متساوية ، مع أنّه يقرب منها تارة ويبعد عنها أخرى إلى غير ذلك من الاختلافات ، فأثبتوا الفلك الشمس فلماً آخر شاملاً للأرض ، مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جانب من الفلك الكلي لها بحيث يماس محدّب سطحه السطح الأعلى من الفلك الكلي على نقطة مشتركة بينهما تسمى « الأوج » ومقعّر سطحه السطح الأدنى منه على نقطة مشتركة تسمى « الحضيض » فيحصل بسبب ذلك جسمان متدرّجا الثخن إلى غاية هي ضعف ما بين المركزين أحدهما حاوٍ للفلك الخارج المركز ، والآخر محوي ، فيه رقّة الحاوي ممّا يلي الأوج ، وغلظه ممّا يلي الحضيض ، ورقّة المحوي وغلظه بالعكس يقال لكلّ منهما « المتمم » و جرم الشمس مركزه في ثخن الخارج عند منتصف ما بين قطبيه يماس لسطحيه على نقطتين ، و أفلاك كل من الكواكب العلوية والزهرة

(١) القسي - بكسر القاف والسين و تشديد الياء - : جمع « قوس » على فحول ، فنقلت الواو إلى موضع السين وابدلت ياء ثم ابدلت واو الجمع ياء وادغمت فيها وكسرت القاف والسين لمناسبتها .

كذلك ، إلا أن لها تداوير مركوزة في خوارجها كارتكاز الشمس وهي فيها يماس^١ سطح كل سطح تدويره على نقطة ، وكذلك فلك القمر إلا أن له فلماً آخر مركزه مركز العالم محيطاً بالكل يسمى بالجوزهر ، وأما عطارد فمركز فلكه الذي في ثخنه الخارج غير مركز العالم ويسمى بالمدير ، وهو في ثخن فلكه الكلي الذي مركزه مركز العالم كالخارج في ثخنه على الرسم المذكور ، فله خارجان وأوجان و حضيضان وأربعة متممات . وتسمى الأفلاك الكلية بالمشكلات لمماثلتها لمنطقة البروج في المركز والحركة والمنطقة والقطبين ، وتسمى الخوارج المراكز كلها سوى المدير بالحوامل ، وتسمى البعد الأبعد في التداوير بالذروة ، والأقرب بالحضيض . هذا ما ذكره القدماء في ذلك ، وأما المتأخرون فزادوا أفلاكاً جزئية أخرى لحل بعض ما لا ينحل من مشكلات هذا الفن لم تتعرض لها ولا لذكر جهات حركات هذه الأفلاك ومقاديرها وأقطابها ودوائرها ومناطقها المذكورة في كتب القوم ، لأنها لا تناسب هذا الكتاب ، وكل ما ذكره مبنية على أوهام و خيالات يستقيم بعض الحركات بها ، وتحيروا في كثير منها ، ولا يعلمها بحقيقتها إلا خالقها ومن خصه بعلمها من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

٩

﴿ باب ﴾

﴿ الشمس والقمر وأحوالهما وصفاتهما والليل والنهار ﴾

﴿ وما يتعلق بهما ﴾

الآيات :

البقرة : يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج^(١) .آل عمران : تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل^(٢) .

(١) البقرة ، ١٨٩ .

(٢) آل عمران ، ٢٧٠ .

الانعام : فالق الإصباح و جعل الليل سكناً و الشمس و القمر حساباً ذلك
تقدير العزيز العليم (١) .

الاعراف : يفشي الليل النهار يطلبه حثيثاً و الشمس و القمر و النجوم مسخرات
بأمره (٢) .

يونس : هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا
عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن
في اختلاف الليل و النهار و ما خلق الله في السموات و الأرض آيات لقوم يتقون (٣) .
و قال تعالى : هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه و النهار مبصراً إن في
ذلك آيات لقوم يسمعون (٤) .

الرعد : و سخر الشمس و القمر كل يجري لأجل مسمى - إلى قوله -
يفشي الليل النهار (٥) .

ابراهيم : و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار (٦) .
النحل : و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات
بأمره إن في ذلك آيات لقوم يعقلون (٧) .

الاسراء : و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار
مبصرة لتبتهتوا فضلاً من ربكم و لتعلموا عدد السنين و الحساب و كل شيء فصلناه
تفصيلاً (٨) .

(١) الانعام ، ٩٦ .

(٢) الاعراف ، ٥٤ .

(٣) يونس ، ٥ و ٦ .

(٤) يونس ، ٦٧ .

(٥) الرعد ، ٢ و ٣ .

(٦) ابراهيم ، ٣٣ .

(٧) النحل ، ١٢ .

(٨) الاسراء ، ١٢ .

الكهف : حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً - إلى قوله تعالى - حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً (١) .

الانبياء : و هو الذي خلق الليل و النهار و الشمس و القمر كل في فلك يسبحون (٢) .

الحجج : ذلك بأن الله يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و أن الله سميع بصير (٣) .

المؤمنون : و له اختلاف الليل و النهار أفلا تعقلون (٤) .

النور : يقلب الله الليل و النهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (٥) .

الفرقان : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً و هو الذي جعل الليل لباساً و النوم سباتاً و جعل النهار نشوراً (٦) و قال سبحانه : تبارك الذي جعل في السماء بروجا و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً و هو الذي جعل الليل و النهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً (٧) .

النمل : أمن يهديكم في ظلمات البر و البحر (٨) و قال تعالى : ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه و النهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٩) .

(١) الكهف ، ٨٦ - ٩٠ .

(٢) الانبياء : ٣٣ .

(٣) الحجج : ٦١ .

(٤) المؤمنون : ٨٠ .

(٥) النور ، ٤٤ .

(٦) الفرقان ، ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ .

(٧) د : ٦١ و ٦٢ .

(٨) النمل : ٦٣ .

(٩) النمل ، ٨٦ .

القصص : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتىكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ و من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١).

العنكبوت : و لئن سئلتهم من خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس و القمر ليقولنَّ الله فأننى يؤفكون (٢).

الروم : و من آياته منا منكم بالليل و النهار و ابتغاءكم من فضله (٣).

لقمان : ألم تر أن الله يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و سخر الشمس و القمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمى و أن الله بما تعملون خبير (٤).

فاطر : يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و سخر الشمس و القمر كلٌّ يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك (٥).

يس : و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ؟ و الشمس تجري لسنقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ؟ و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ؟ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار و كلٌّ في فلك يسبحون (٦).

الصافات : و ربّ المشارق (٧).

الزمر : خلق السماوات و الأرض بالحقّ يكوّر الليل على النهار و يكوّر

(١) القصص ٧١٠ - ٧٣ .

(٢) العنكبوت : ٦١

(٣) الروم ، ٢٣ .

(٤) لقمان ، ٢٩ .

(٥) فاطر ، ١٣ .

(٦) يس : ٣٧ .

(٧) الصافات : ٥ .

النهار على الليل و سخر الشمس و القمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (١).

المؤمن : الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون (٢).

السجدة : و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إتياء تعبدون (٣).

الرحمن : الشمس و القمر بحسبان (٤) و قال تعالى : رب المشرقين و رب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥).

الحديد : يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل (٦).

المعارج : فلا أقسم برب المشارق و المغرب (٧).

نوح : و جعل القمر فيهن نورا و جعل الشمس سراجاً (٨).

المدثر : كلا والقمر و الليل إذ أدبر و الصبح إذا أسفر و إنها لأحدى الكبر (٩).

النبا : و جعلنا نومكم سباتاً و جعلنا الليل لباساً و جعلنا النهار معاشاً

و بنينا فوقكم سبعا شداداً و جعلنا سراجاً وهاجاً (١٠).

(١) الزمر : ٥ .

(٢) المؤمن : ٦١ .

(٣) فصلت : ٢٧ .

(٤) الرحمن : ٥ .

(٥) الرحمن : ١٧ و ١٨ .

(٦) الحديد : ٦ .

(٧) المعارج : ٢٠ .

(٨) نوح : ١٦ .

(٩) المدثر : ٣٢ - ٣٥ .

(١٠) النبا : ٩ - ١٣ .

التكوير : إذا الشمس كورت ✽ و إذا النجوم انكدرت - إلى قوله تعالى -
و الليل إذا عسعس ✽ و الصبح إذا تنفس (١) .

الفجر : والفجر و ليال عشر ✽ و الشفع و الوتر ✽ و الليل إذا يسر (٢) .
الشمس : و الشمس وضحيها ✽ و القمر إذا تليها ✽ و النهار إذا جليها ✽ و
الليل إذا يغشيها (٣) .

الضحى : و الضحى و الليل إذا سجي (٤) .

الفلق : قل أعوذ برب الفلق ✽ من شر ما خلق ✽ و من شر إذا وقب (٥) .
تفسير : « يسئلونك عن الأهلّة » قال البيضاوي : سأله معاذ بن جبل و ثعلبة
ابن غنم فقالا : ما بال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فنزلت « قل هي مواقيت للناس و الحجج » إنهم سألوا
عن الحكمة في اختلاف حال القمر و تبدل أمره فأمره الله أن يجيب بأن الحكمة
الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يواقفون بها أمورهم ، و معالم للعبادات
الموقفة يعرف بها أوقاتها ، و خصوصاً الحجج ، فإن الوقت مراعى فيه أداء و قضاء
و المواقيت جمع ميقات من الوقت (٦) و قال في قوله تعالى « تولج الليل في النهار »
إيلاج الليل و النهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة و النقص (٧) .
و قال في قوله تعالى « فالق الإصباح » شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض
النهار ، أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يليه ، و الإصباح في الأصل مصدر

(١) التكوير ١٠ - ١٨ .

(٢) الفجر ١٠ - ٤ .

(٣) الشمس ١ - ٤ .

(٤) الضحى ١٠ .

(٥) الفلق ١ - ٣ .

(٦) انوار التنزيل ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٧) > > ج ١ ، ص ٢٠٠ .

« أصبح » إذا دخل في الصبح ^(١) سمي به الصبح . و قرى ، بفتح الهمزة على الجمع « و جاعل الليل سكناً » يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه ، من « سكن إليه » إذا اطمأن إليه استئناساً به ، أو يسكن فيه الخلق من قوله « لتسكنوا فيه » ونصبه بفعل دل عليه « جاعل » لابه ، فإنه في معنى الماضي ، و يدل عليه قراءة الكوفيين « و جعل الليل » حملاً على معنى المعطوف عليه ، فإن فالق بمعنى فلق فلذلك قرى ، به ، أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة ، و على هذا يجوز أن يكون « و الشمس والقمر » عطفاً على محل الليل ويشهد له قراءة تهما بالجر ، و الأحسن نصبهما بجعل مقدر ، و قرى بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان « حساباً » أي على أدوار مختلفة تحسب بها الأوقات ويكونان علمي الحساب وهو مصدر حسب - بالفتح - كما أن الحسابان - بالكسر - مصدر حسب - بالكسر - وقيل : جمع حساب كشهاب وشهبان . « ذلك » إشارة إلى جعلهما حساباً أي ذلك السير بالحساب المعلوم « تقدير العزيز » الذي قهرهما وسيّرهما على الوجه المخصوص « العليم » بتدبيرهما و الأتبع من التداوير الممكنة لهما ^(٢) .

و في قوله تعالى « يغشي الليل النهار » يغطيه به ، ولم يذكر عكسه للعلم به أو لأن اللفظ يحتملها ، و لذلك قرى « يغشي الليل النهار » بنصب الليل ورفع النهار ، و قرأ حمزة و الكسائي و يعقوب و أبو بكر عن عاصم بالتشديد و في الرد للدلالة على التكرير « يطلبه حثيثاً » يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء و الحثيث : فعيل من الحث ، و هو صفة مصدر محذوف ، أو حال من الفاعل بمعنى حاثاً ، أو المفعول بمعنى محثوئاً . « و الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » أي بقضائه وتصريفه ، و نصبها بالعطف على السماوات و نصب مسخرات على الحال و قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ^(٣) (انتهى) .

(١) في المصدر : في الصباح .

(٢) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٣) > > : ج ١ ص ٢٢٥

و قال الرازي في قوله سبحانه « يطلبه حثيثاً » : اعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة و الشدة ، وذلك هو الحق لأن تعاقب الليل و النهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم^(١) و تلك الحركة أشد الحركات سرعة و أكملها شدة ، حتى أن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل فإلى أن يرفع رجله و يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل و إذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية السرعة و الشدة ، فلهذا السبب قال تعالى « يطلبه حثيثاً » ثم قال : في هذه الآية لطائف فالأولى أن الشمس لها نوعان من الحركة : أحدهما حركتها بحسب ذاتها و هي إنما تتم في سنة كاملة ، و بسبب هذه الحركة تحصل السنة ، و الثاني حركتها بسبب حركة الفلك الأعظم ، و هذه الحركة تتم في اليوم بليلته ، إذا عرفت هذا فنقول : الليل و النهار لا يحصلان بسبب حركة الشمس بل بحركة السماء الأقصى التي يقال لها العرش ، و لهذا السبب لما ذكر العرش بقوله « ثم استوى على العرش » ربط به قوله « يفشي الليل النهار » تبييناً على أن سبب حصول الليل و النهار هو حركة الفلك الأقصى لا حركة الشمس و القمر .

و الثانية : أنه تعالى لما شرح كيفية تخليق السماوات قال « فقضين سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماه أمرها » فدلت تلك الآية على أنه سبحانه خص كل ذلك بلطفية نورانية ربانية من عالم الأمر ، ثم قال بعده « ألاله الخلق و الأمر » و هو إشارة إلى أن كل ما سوى الله إما من عالم الخلق أو من عالم الأمر ، أما الذي هو من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير و كل ما كان جسماً أو جسمانياً كان مخصوصاً بمقدار معين فكان من عالم الخلق ، و كل ما كان بريئاً عن الحجمية و المقدار كان من عالم الأرواح و من عالم الأمر ، فدل على أنه سبحانه خص كل واحد من أجرام الأفلاك و الكواكب التي هي من عالم الخلق بملك

(١) هذا مبني على الفرضية البطلمية ، و اما على رأى فيثاغورس و أصحابه و كذا

على ما ثبت في الهيئة الحديثة فالليل و النهار إنما يحصلان بسبب حركة الارض الوضعية .

من الملائكة وهم من عالم الأمر، والأحاديث الصحيحة مطابقة لذلك ، وهي ماروي من ^(١) الأخبار أن "لله ملائكة يحرقون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب"^(٢) وكذا القول في سائر الكواكب ، و أيضاً قوله سبحانه « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » إشارة إلى أن "الملائكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ، ثم إذا دقت النظر قلت ^(٣) إن "عالم الخلق في تسخير الله ، وعالم الأمر في تدبير الله ، واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله ، فلهذا المعنى قال « ألا له الخلق والأمر» .

ثم كون الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره يحتمل وجوهاً :
أحدها : أننا قد دللنا أن الأجسام متماثلة ، ومتى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي لا بد وأن يكون لأجل أن الفاعل الحكيم والمقدر العليم خص ذلك الجسم بهذه الصفات ، فجسم كل واحد من الكواكب والنيرات كالمسخر في قبول تلك القوى والخواص عن قدرة المدبر الحكيم .

و ثانيها : أن يقال إن لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيراً خاصاً بطيئاً من المشرق إلى المغرب وسيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم فالحق سبحانه خص جرم الفلك الأعظم بقوة زائدة ^(٤) على أجرام سائر الأفلاك باعتبارها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب ، فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخرة لهذا القهر والقسر ^(٥) .

(١) في المصدر : في الاخبار .

(٢) > : وعند الغروب .

(٣) > : علمت .

(٤) > : بقوة سارية في اجرام .

(٥) مفاتيح الغيب : ج ٤ ، ص ٣٣٨ .

أقول : ثم ذكر وجوهاً أخرى لاطائل تحتها ، وفيما نقل عنه أيضاً مخالفات لأصول المسلمين ومناقشات لا يخفى على المتدبرين .

« هو الذي جعل الشمس ضياءً » قال البيضاوي : أي ذات ضياء ، و هو مصدر كقيام ، أو جمع ضوء كسياط و سوط ، و الياء فيه منقلبة عن الواو ، و عن ابن كثير « ضياءً » بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين « و القمر نوراً » أي ذانور ، أو سمّي نوراً للمبالغة و هو أعمّ من الضوء ، و قيل : ما بالذات ضوء و ما بالعرض نور ، و قد نبّه سبحانه بذلك على أنه خلق الشمس نيرة بذاتها (١) و القمر نيراً بعرض مقابلة الشمس (٢) « و قدره منازل » الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل ، أو قدره ذامنازل ، أو للقمر ، و تخصيصه بالذكر لسرعة سيره و معاينة منازلها و إناطة أحكام الشرع به ، و لذلك علّله (٣) بقوله « لتعلموا عدد السنين و الحساب » أي حساب الأوقات من الأشهر و الأيام في معاملاتكم و تصرفاتكم « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » إلا متلبساً بالحق مراعيّاً فيه مقتضى الحكمة البالغة « يفصل الآيات لقوم يعلمون » فإنّهم المنتفعون بالتأمل فيها (٤) . (انتهى) .

« إن في اختلاف الليل و النهار » أي مجيئ كل منهما خلف الآخر ، أو اختلافهما بالزيادة و النقصان المستلزم لحصول الفصول الأربعة « و ما خلق الله في السماوات و الأرض » أي من الكواكب و الملائكة و المواليذ و أنواع الأرزاق و النعم « لآيات » أي دلالات على وجود الصانع تعالى و علمه و قدرته و حكمته و لطفه و رحمته « لقوم يتسقون » الشرك و المعاصي ، فإنّهم المنتفعون بها . « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه » أي لسكونكم و راحتكم و راحة قواكم من التعب

(١) في المصدر ، في ذاتها .

(٢) > : مقابلة الشمس و الاكتساب منها .

(٣) > : علل .

(٤) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٥٢٩ .

و الكلال « و النهار مبصراً » أي مضيئاً تبصرون فيه ، ونسبة الإبصار إليه على المجاز « لقوم يسمعون » أي الحجج سماع تدبّر و تعقل « و سخّر الشمس والقمر » قال الرازي : هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة : الأول الاستدلال على وجود الصانع القادر بحركات هذه الأجرام ، وذلك لأن الأجسام متماثلة فاخصاصها بالحرارة الدائمة دون السكون لا بد له من مخصص ، و أيضاً إن كل واحدة من تلك الحركات مختصة بكيفية معينة من البطء و السرعة فلا بد أيضاً من مخصص و أيضاً تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها و دوراتها متساوية بحسب المدة حالة عجيبة فلا بد فيه من مقدّر ، و بعض تلك الحركات مشرقية و بعضها مغربية و بعضها مائلة إلى الشمال و بعضها إلى الجنوب و هذا أيضاً لا يتم إلا بتدبير كامل و حكمة بالغة . و النوع الثاني قوله « كل يجري لأجل مسمى » و فيه قولان الأول قال ابن عباس : للشمس مائة و ثمانون منزلاً كل يوم لها منزل و ذلك ^(١) في ستة أشهر ، ثم إنتها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة ^(٢) أخرى ، و كذلك القمر له ثمانية و عشرون منزلاً فالمراد بقوله « كل يجري لأجل مسمى » هذا . و الثاني كونهما متحرّكين إلى يوم القيامة و عنده تنقطع تلك الحركات .

و قال في قوله تعالى « دائبين » : معنى الدؤوب في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطّردة . قال المفسّرون : معناه يدأبان في سيرهما و إنارتهما و تأثيرهما في إزالة الظلمة و في إصلاح النبات و الحيوان ، فإن الشمس سلطان النهار ، و القمر سلطان الليل و لولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة ، و لولاها لاختلفت مصالح العالم بالكليّة ^(٤) . و قال في قوله « و جعلنا الليل و النهار آيتين » : فيه قولان

(١) في المصدر ، و ذلك يتم في ستة اشهر .

(٢) ، اشهر اخرى .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٢٦١ ملخصاً .

(٤) > > ج ٥ ، ص ٣٥٥ .

الاول أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار والمعنى أنه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا ، أمّا في الدين فلأنّ كلّ واحد منهما مضادّ للآخر معاندله ^(١) فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل على أنّهما غير موجودين لذاتيهما بل لا بدّ لهما من فاعل يدبّرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة ، وأمّا في الدنيا فلأنّ مصالح الدنيا لا تتمّ إلاّ بالليل والنهار ، فلولا الليل لما حصل السكون والراحة ، ولولا النهار لما حصل الكسب والتصرف في وجوه المعاش ، ثمّ قال تعالى « فمحونا آية الليل » فعلى هذا القول تكون الإضافة للتبيين ، والتقدير : فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة . الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل وهي القمر ، وفي تفسير محو القمر قولان : الأوّل المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أوّل الأمر في صورة الهلال ثمّ لا يزال يتزايد نوره حتّى يصير بديراً كاملاً ثمّ يأخذ في الانقصاص قليلاً قليلاً وذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق ، والثاني أن المراد من محو القمر الكلف الذي يظهر في وجهه ، يروى أنّ الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله جبرئيل فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ، ومعنى المحو في اللغة إذهاب الأثر . وأقول : حمل المحو على الوجه الأوّل أولى لقوله « لتبتغوا فضلاً من ربكم - الآية - » لأنّ المحو إنّما يؤثّر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر ونقصانه ، لأنّ بسبب حصول هذه الحالة تختلف أحوال نور القمر وأهل التجارب يبينوا أنّ اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحها ، مثل أحوال البحار في المندّ والجزر ، ومثل أحوال البحارانات على ما يذكره الأطباء في كتبهم . وأيضاً بسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور ، وبسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبتنية على رؤية الأهلّة كما قال « ولتعلموا عدد السنين والحساب » وأقول أيضاً لو حملنا المحو على

(١) في المصدر : مغائر له مع كونهما .

الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضاً برهان قاطع على صحة قول المسلمين في المبدء والمعاد . أمّا دلالته على صحة قولهم في المبدء فلأنّ جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب أن يكون متشابه الصفات ، فحصول الأحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدلّ على أنّه ليس بسبب الطبيعة بل لأجل أنّ الفاعل المختار خصّص بعض أجزائه بالنور القويّ و بعض أجزائه بالنور الضعيف ، و ذلك يدلّ على أنّ مدبّر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات . و آخر^(١) ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه أنّه ارتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في أجرام الأفلاك ، فلمّا كانت تلك الأجرام أقلّ ضوءاً من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الأجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الإنسان . وهذا لا يفيد مقصود الخصم لأنّ جرم القمر لمّا كان متشابه الأجزاء فلم ارتكزت تلك الأجرام الظلمانية في بعض أجزاء القمر دون سائر الأجزاء ، وبمثل هذا الطريق يتمسك في أحوال الكواكب و ذلك لأنّ الفلك جرم بسيط متشابه الأجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب ، و ذلك يدلّ على أنّ اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعيّن من الفلك لأجل تخصيص الفاعل المختار الحكيم . و أمّا قوله « و جعلنا آية النهار مبصرة » ففيه وجهان : الاول أن معنى كونها مبصرة أي مضيئة ، و ذلك لأنّ الإضاءة سبب لحصول الإبصار ، فأطلق اسم الإبصار على الإضاءة إطلاقاً لاسم المسبّب على السبب . و الثاني قال أبو عبيدة : يقال قد أبصر النهار إذا صار الناس يبصرون فيه ، كقوله « رجل مخبث » إذا كان أصحابه خبثاء ، و « رجل مضغف » إذا كان دوابّه^(١) ضغافاً ، فكذا قوله « و النهار مبصراً » أي أهله بصراء « لتبتغوا فضلاً من ربكم » أي لتبصروا كيف تنصرون في أعمالكم « و لتعلموا عدد السنين والحساب » اعلم أنّ الحساب يبني على أربع مراتب : الساعات

(١) في المصدر ، و احسن .

(٢) في المصدر : إذا كان ذراريه ضغافاً .

و الأيام ، و الشهور ، و السنون . فالعدد للسنين ، و الحساب لمادون السنين و هي الشهور و الأيام و الساعات ، و بعد هذه المراتب الأربعة لا يحصل إلا التكرار كما أنتم رتبوا العدد على أربع مراتب : الآحاد ، و العشرات ، و المئات ، و الألوف و ليس بعدها إلا التكرار^(١) .

« و كل شيء فصلناه تفصيلاً » أي كل شيء بكم إليه حاجة في مصالح دينكم و دنياكم فصلنا و شرحنا . و قال في قوله سبحانه « و جدها تغرب في عين حمئة » قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم « في عين حامية » بالألف من غير همزة أي حارة . و عن أبي ذر قال : كنت رديف رسول الله ﷺ على جبل ، فرأى الشمس حين غابت فقال : أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنها تغرب في عين حامية - وهي قراءة ابن مسعود و طلحة ، و أبو عمرو و الباقر « حمئة » وهي قراءة ابن عباس . و اتفق أن ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية « حامية » فقال ابن عباس : حمئة ، فقال معاوية لعبدالله بن عمر : كيف تقرأه ؟ فقال : كما يقرأ أمير المؤمنين ، ثم وجهه إلى كعب الأحمبار و سأله كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال : في ماء وطين ، كذلك نجده في التورية . و الحمئة هافية حمأة سوداء . و اعلم أنه لا تنافي بين الحمئة و الحامية ، فجائز أن يكون الماء جامعاً للوصفين^(٢) . ثم اعلم أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة ، و أن السماء محيطة بها و لا شك أن الشمس في الفلك . و أيضاً قال : « و جد عندها قوماً » و معلوم أن جلوس القوم^(٣) في قرن الشمس غير موجود ، و أيضاً فالشمس أكبر من الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض ؟ !

إذا ثبت هذا فتقول : في تأويله وجوه :

الاول : أن ذا القرنين لما بلغ موضعاً ما في المغرب لم يبق بعده شيء من

(١) مفاتيح النيب ، ج ٥ ، ص ٥٥٥ .

(٢) في المصدر : البحث الثاني .

(٣) في المصدر : جلوس قوم في قرب الشمس .

العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة و إن لم يكن كذلك في الحقيقة كما أن ركب البحر يرى الشمس كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر ، ذكره الجبائي .

الثاني : أن بالجانب الغربي من الأرض مياكن يحيط البحر بها فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخوة فهي حامية ، وهي أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الباء وهي الحمأة السوداء ، فقوله « تغرب في عين حمئة » إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط البحر به ، وهو موضع شديد السخونة .

الثالث : قال أهل الأخبار إن الشمس تغرب في عين حمئة كثيرة الحاء والحمأة وهذا في غاية البعد ، وذلك أننا إذا رصدنا كسوفاً قمرياً و رأينا أهل المغرب قالوا حصل هذا الكسوف أوّل الليل . رأينا أهل المشرق قالوا حصل في أوّل النهار فعلمنا أن ما هو أوّل الليل عند أهل المغرب فهو أوّل النهار عند أهل المشرق ، بل ذلك الوقت الذي هو أوّل الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس ، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء و الاختبار وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال إنها تغيب في الطين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين ، و كلام الله مبرراً عن البهمة ^(١) فلم يبق إلا أن يضاف ^(٢) إلى التأويل الذي ذكرنا ، و الضمير في قوله « عندها » عائد إلى الشمس لأن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك فكان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس ، أو عائد إلى العين ^(٣) .

وقال في قوله « وجدها تطلع » أي وجد الشمس تطلع « على قوم لم نجعل

(١) في المصدر ، عن هذه التهمة .

(٢) في المصدر ، « إلا أن يصار » وهو الظاهر .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٧٤٥ .

لهم من دونها سترا ، فيه قولان : الاول أنه شاطيء بجر لاجبل ولا شيء يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم ، فلهذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب وأغلة في الأرض أو غاصوا في الماء فيكون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش ، وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش ، وحالهم بالصد من أحوال سائر الخلق .

والقول الثاني : أن معناه لاثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً . وفي كتب الهيئة أن حال أكثر الزنج كذلك ، وحال كل من سكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك ، و ذكر في كتب التفسير أن بعضهم قال : سافرت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل : بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فبلغتهم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه و يلبس الأخرى ، فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت فلما طلعت الشمس إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلوا في سر بالهم^(١) ، فلما ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج^(٢) .

« كل في فلك » أي كل منهما أومع النجوم بقريئة الجمع في فلك واحد أو كل واحد منهما أو منها في فلك عليحدة « يسبحون » أي يجرون . قال الرازي : لا يجوز أن يقول كل في فلك يسبحون إلا ويدخل في الكلام مع الشمس والقمر النجوم ليثبت معنى الجمع والكل^(٣) . ثم قال : الفلك في كلام العرب كل شيء دائر « و جمعه أفلاك » واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم : الفلك ليس بجسم وإنما هو مدار هذه النجوم ، وهو قول الضحّاك ، و قال الأكثرون بل هي أجسام تدور النجوم عليها وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن ، ثم اختلفوا في كفيته فقال بعضهم : الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه ، و قال الكلبي : ماء

(١) السريال : القميص أو كل ما يلبس .

(٢) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٧٥٥ ، نقلاً بالمعنى .

(٣) في المصدر : ومعنى الكل .

مكفوف^(١) أي مجموع تجري فيه الكواكب ، واحتج بأن السباحة لا تكون إلا في الماء . قلنا : لانسلم ، فإنه يقال للفرس الذي يمد يديه في الجري « سباح » وقال جمهور الفلاسفة وأصحاب الهيئة : إنها أجرام صلبة لاخفيفة ولاثقيلة غير قابلة للخرق والالتئام والنمو والذبول . والحق أنه لاسبيل إلى معرفة السماوات إلا بالخبر . واختلف الناس في حركات الكواكب ، والوجوه الممكنة فيها ثلاثة : فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه ، كحركة السمكة في الماء الراكد ، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً ، إما مخالفاً لجهة حركته أو موافقاً لجهته ، إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة ، وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة ، أما الرأي الأول فقالت الفلاسفة إنه باطل لأنه يوجب خرق الفلك^(٢) وهو محال عندهم وأما الرأي الثاني فحركة الكواكب إن فرضت مخالفة لحركة الفلك فذاك أيضاً يوجب الخرق ، وإن كانت حركتها إلى جهة حركة الفلك فإن كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق وإن استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق أيضاً لازم لأن الكواكب تتحرك بسبب حركته فتبقى حركته الذاتية زائدة فيلزم الخرق فلم يبق إلا القسم الثالث وهو أن يكون الكواكب مغروزاً في الفلك واقفاً فيه ، والفلك يتحرك ، فيتحرك الكواكب^(٣) بسبب حركة الفلك . واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك وهو باطل ، بل الحق أن الأقسام الثلاثة ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات ، والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء . واحتج « ابن سينا » على أن الكواكب أحياء ناطقة بقوله « يسبحون » فإن الجمع بالواو والنون لا يكون إلا للعقلاء ، وبقوله تعالى : « والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »

(١) في المصدر ، ماء مجموع تجري ...

(٢) في المصدر ، الافلاك .

(٣) الكوكب (خ) .

والجواب : إنَّما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة .
فان قلت : لكل واحد من القمرين فلك عليحدة فكيف قيل بهم جمعهم يسبحون
في فلك ؟

قلت هذا كقولهم « كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً ، أي كل واحد منهم ^(١) .
« وله اختلاف الليل والنهار ، قال البيضاوي : أي ويختص به تعاقبهما لا يقدر
عليه غيره ، فيكون رداً لنسبته إلى الشمس حقيقةً أو مجازاً أولاً مره وقضائه تعاقبهما
أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر ^(٢) . وفي قوله سبحانه « يقرب الله الليل والنهار ،
بالمعاقبة بينهما ، أو ينقص أحدهما وزيادة الآخر ، أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد
والظلمة والنور ، أو ما يعم ^(٣) ذلك « إن في ذلك » فيما تقدم ذكره « لعبرة لأولي
الأبصار ، لدلالته ^(٤) على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ
مشيئته وتنزله عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة ^(٥) .

قوله تعالى « ألم تر إلى ربك » أقول : للعلماء في تأويل هذه الآية مسالك :
الاول ألم تنظر إلى صنع ربك كيف بسطه ، أو ألم تنظر إلى الظل كيف بسطه ربك
فغير النظم إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه ، أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو
فيما بين طلوع الفجر و الشمس وهو أطيب الأحوال ، فإن الظلمة الخالصة تنقر
الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة
فقال « وظل ممدود ^(٦) » . « ولو شاء لجعله ساكناً » أي ثابتاً من السكنى ، أو غير

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٦ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ . نقلاً بالمعنى مع التلخيص .

(٢) أنوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٣) في المصدر ، بما يعم .

(٤) في المصدر ، الدلالة - بفتح اللام - .

(٥) أنوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٦) الواقعة ، ص ٣٠ .

مقتلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد . « ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام إذ لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حر كتمها « ثم قبضناه إلينا » أي أزلناه بايقاع الشعاع موقعه « قبضاً يسيراً » أي قليلاً قليلاً حسب ما ترتفع الشمس لتتنظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق ، و « ثم » في الموضوعين لتفاضل الأمور ، أولتفاضل مبادئ أوقات ظهورها .

الثاني أن المعنى مد الظل لما بنى السماء بالنيرو دحا الأرض تحتها وألقت عليها ظلها « ولو شاء لجعله ثابتاً » على تلك الحال ، ثم خلق الشمس عليه دليلاً أي مسلطاً عليهم مستتبعا إياه كما يستتبع الدليل المدلول ، أو دليل الطريق من يهديه يتفاوت بجر كتمها ويتحول بنحو لها « ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي نقصانه ، أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلمة والمظلم عليها . وهذا الوجهان ذكرهما البيضاوي وغيره من المفسرين .

الثالث : أن يكون المراد بالظل الروح كما يطلق عالم الظلال على عالم الأرواح لأنها تابعة للبدن كالظل ، أو لكونها أجساماً لطيفة ، أو لتجردها إن قيل به « ولو شاء لجعله ساكناً » بعدم تعلقها بالأجساد ، والمراد بالشمس شمس عالم الوجود وهو الرب تعالى لأنه دليل الممكنات إلى الوجود وسائر الكمالات ، و قبضه عبارة عن قبض الروح شيئاً فشيئاً إلى أن يموت الشخص ، وفي قوله « ثم جعلنا الشمس » نوع التفاوت .

الرابع : أن يراد بالظل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنهم ظلاله سبحانه لكونهم تابعين لإرادته متخلقين بأخلاقه ، وكونهم ظلال رحمته على عباده « ولو شاء لجعله ساكناً » أي لم يعثهم إلى الخلق « ثم جعلنا الشمس » أي شمس الوجود « عليه دليلاً » أي لهم دليلاً ، هادياً لهم إلى كمالاتهم ، وقبضه جذبهم إلى عالم القدس .

الخامس : أن يكون المراد بالظلال الأعيان الثابتة والحقائق الإمكانية على مذاق الصوفية ، ومدّها عبارة عن الفيض الأقدس بزعمهم ، أي جعل الماهيات

ماهيات ، و الشمس عبارة عن الفيض المقدس وهو إفاضة الوجود ، و القبض اليسير بزعمهم إشارة إلى تجديد الأمثال و إعدام كل شيء و إيجاداه في كل آن ، و به أوّلوا قوله سبحانه « بل هم في لبس من خلق جديد ^(١) » أيضاً ، و ربّما يحمل الظلّ على عالم المثال كما هو ذوق المتألمين من الحكماء ، و هذه احتمالات في هذه الآية التي هي من التشابهات و ما يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم . و فسر عليّ بن إبراهيم الظلّ بما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ^(٢) .

« وهو الذي جعل الليل لباسا » قال الطبرسيّ - ره - : أي غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابسه ، فالله سبحانه ألبسنا الليل و غشانا به لنسكن فيه و نستريح عن كدّ الأعمال « والنوم سباتا » أي راحة لأبدانكم و قطعاً لأعمالكم قال الزجاج : السبات أن ينقطع عن الحركة و الروح في بدنه « و جعل النهار نشوراً » لانتشار الروح باليقظة فيه ، مأخوذ من نشور البعث ، و قيل : لأنّ الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم و معاشهم ، فالنشور بمعنى التفرّق لا بتغاء الرزق عن ابن عباس .

« تبارك » تفاعل من البركة ، معناه : عظمت بركاته و كثرت عن ابن عباس و البركة : الكثرة من الخير ، و قيل : معناه تقدّس و جلّ بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره ، وأصله من بروك الطير فكأنّه قال : ثبت و دام فيما لم يزل ولا يزال ، عن جماعة من المفسرين . و قيل : معناه قام بكلّ بركة و جاء بكلّ بركة ^(٣) . « الذي جعل في السماء بروجاً » يريد منازل النجوم السبعة السيّارة ، و هي : الحمل ، و الثور ، و الجوزاء ، و السرطان ، و الأسد ، و السنبلّة ، و الميزان ، و العقرب ، و القوس ، و الجدي ، و الدلو ، و الحوت . و قيل : هي النجوم الكبار ، و سمّيت بروجاً لظهورها . « و جعل فيها سراجاً » أي و خلق

(١) ق ، ١٥ .

(٢) تفسير القمي ، ٣٦٦ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ١٦٠ .

في السماء شمساً ، ومن قرأ « سرجاً » أراد الشمس و الكواكب معها « وقمرأ منيراً » أي مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه » أي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه ، فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ، و من فاته عمل النهار استدركه بالليل ، و هو قوله « لمن أراد أن يدتكر » روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يقضى صلوة ^(١) الليل بالنهار . و قيل : معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه ، فجعل أحدهما أسود و الآخر أبيض « لمن أراد أن يدتكر » أي يتفكر و يستدل بذلك على أن لهما مدبراً و مصراً فألا يشبههما ولا يشبهانه فيوجه العبادة إليه « أو أراد شكورا » أي أراد شكر نعمته عليه فيهما ، و على القول الأول فمعناه : أراد النافلة بعد أداء الفريضة ^(٢) .

« أمّن يهديكم في ظلمات البرّ و البحر » قال البيضاوي : بالنجوم و علامات الأرض ، و الظلمات ظلمات الليالي ، و الإضافة ^(٣) إلى البرّ و البحر للملاسة أو مشتبهات الطرق ، يقال « طريقة ظلماء و عمياء » لمتي لا منار بها ^(٤) .

« ليسكنوا فيه » بالنوم و القرار « و النهار مبصراً » أصله ليصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المتجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ^(٥) .

« سرمداً » أي دائماً ، من السرد وهو المتابعة ، و الميم مزيدة كميم « دلامص » إلى يوم القيامة « بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول ^(٦) الأفق الغائر » من إله غير الله يأتيكم بضياء ، كان حقه هل إله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة « أفلا تسمعون » سماع تدبرواستبصار . « إن جعل الله عليكم النهار سرمداً »

(١) في المجمع : يقضى صلوة النهار بالليل و صلوة الليل بالنهار .

(٢) مجمع البيان : ج ٧ ، ص ١٧٨ .

(٣) في المصدر ، و أضافها .

(٤) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٥) د د ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٦) في المصدر ، فوق الأفق .

بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق « بليل تسكنون فيه » استراحة عن متاعب الأشغال ، و لعلّه لم يصف الضياء بما يقابله لأنّ الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ، ولأنّ منافع الضوء أكثر ممّا يقابله ، و لذلك قرن به « أفلا تسمعون » و بالليل « أفلا تبصرون » لأنّ استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر « لتسكنوا فيه » أي في الليل « و لتبتغوا من فضله » أي بالنهار بأنواع المكاسب « و لعلّكم تشكرون » أي و لكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها^(١) . « و لئن سألتهم » المسؤول عنهم أهل مكة « ليقولنّ الله » لما تقرّر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود^(٢) . « و من آياته منامكم بالليل و النهار و ابتغاؤكم من فضله » منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانيّة وقوّة القوى الطبيعيّة وطلب معاشكم فيهما ، أو منامكم بالليل و ابتغاؤكم بالنهار ، فلفّ و ضمّ بين الزمانين و الفعلين بعاطفين إشعاراً بأنّ كلاً من الزمانين و إن اختلفت بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه^(٣) « كلّ يجري » أي كلّ من النيران يجري في فلكه « إلى أجل مسمى » أي إلى منتهى معلوم ، الشمس إلى آخر السنة ، والقمر إلى آخر الشهور ، وقيل : إلى يوم القيامة^(٤) .

وقال في قوله « لأجل مسمى » مدّة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة^(٥) . « نسلخ منه النهار » أي نزيله ونكشفه عن مكانه ، مستعار من سلخ الجلد « فأذاهم مظلمون » أي داخلون في الظلام^(٦) .

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٢) د د : ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٣) د د : ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤) د د : ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٥) د د : ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٦) د د : ج ٢ ، ص ٣١١ .

أقول : وفي الكافي عن الباقر عليه السلام : يعني قبض عنه عليه السلام وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته ^(١) . وهو من بطون الآية .

« والشمس تجري لمستقر لها » أي لحدّ معين ينتهي إليه دورها ، فشبّهة بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره ، أولكبد السماء فإنّ حرّكتها فيه توجد إبطاء ، بل ورد في الرواية أنّ لها هناك ركوداً ، أو لاستقرار لها على نهج مخصوص ، أو لمنتهى مقدّر لكلّ يوم من المشارق والمغارب فإنّ لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً يطلع كلّ يوم من مطلع ويغرب في مغرب ثمّ لا تعود إليهما إلى العام القابل ، أو لمنقطع جريها عند خراب العالم . قال الطبرسي : روي عن السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء « لامستقر لها » بنصب الراء ^(٢) « ذلك » الجري على هذا التقدير المتضمّن للحكم التي تكلّ الفطن عن إحصائها « تقدير العزيز » الغالب بقدرته على كلّ مقدور « العليم » المحيط علمه بكلّ معلوم . « والقمر قدّرناه منازل » أي قدّرنا مسيره منازل ، وأوسيره في منازل ، وهي ثمانية وعشرون : الشّرّطين ^(٣) والبُطّين ، والثُرَيّا ، والدَبْران ، والهَقّة ، و

(١) روضة الكافي : ٣٨٠ ، و الجملة الاخيرة أعنى قوله « وهو من بطون الآية » من

كلام المؤلف رحمه الله .

(٢) مجمع البيان : ج ٨ ، ص ٢٢٣ .

(٣) الشرطان ، منى « الشرط » كوكبان على قرني الحمل ، وإلى الجانب الشمالي منها كوكب صغير ، ومن العرب من يمدّه معهما فيسميها « الاشرط » ، والبطين ، مصغر البطن ثلاثة كواكب صغار مكان بطن الحمل ، وانما صغر لكونها اصغر مما يناسب شكله من البطن . والثريا : كواكب معروفة عند الية الحمل و قرب عنق الثور ، والدبران - بفتحتين - خمسة كواكب تلو الثريا يقال انها سنام الثور ، والهقمة - كالوحدة - ، ثلاثة كواكب نيرة فوق منكبى الجوزاء ، والهنبة ايضاً كالوحدة خمسة كواكب مصطفة مكان منكب الجوزاء الايسر ، والنراخ ، كوكبان نيران مكان ذراع الاسد ، والنثرة ، كوكبان مكان أنف الاسد ، والطرف - كالفلس - ، كوكبان مكان عين الاسد ، والجبهة ، اربعة كواكب مكان جبهة الاسد ، والزبرة - كالحمرة - : كوكبان نيران مكان كاهلى الاسد ، والصرفة - كالوحدة - كوكب نير يتلقاه الزبرة ، والمواء ←

الهنعة ، والذراع ، والنشرة ، والطرف ، والجبهة ، والمزئيرة ، والصرفة ، والحواء ،
والسماك ، والغفر ، والزبانى ، والاكيل ، والقلب ، والشولة ، والنعام ، والبلدة
وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفرع الدلو المقدم
وفرع الدلو المؤخر ، والرشاء وهو بطن الحوت ، ينزل كل ليلة في واحدة منها ،
فاذا كان في آخر منازلها وهو الذي يكون فيه قبل الاجتماع دق واستقوس « حتى
عاد كالعرجون » أي كالشمر أخ المعوج « القديم » العتيق . وعن الرضا عليه السلام أنه
يصير كذلك ستة أشهر ، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في باب السنين والشهور انشاء الله .
« لا الشمس ينبغي لها » أي يصحح ويتسهل لها « أن تدرك القمر » في سرعة
سيره ، فان ذلك يخل بتكوين النبات وتعييش الحيوان ، وفي آثاره ومنافعه ، أو
مكانه بالنزول إلى محله و سلطانه فيطمس نوره « ولا الليل سابق النهار » بأن يسبقه
فيفوته ولكن يعاقبه ، وقيل : المراد بهما آيتاهما وهما نيران وبالسبق سبق القمر
إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأول ، وقد مر عن الرضا عليه السلام برواية العياشي
أن المراد به أن النهار خلق قبل الليل ، وسيأتي ما يشعر بذلك أيضاً .
« وكل » أي كلهم ، والتنوين عوض المضاف إليه ، والضمير للشموس والأقمار

→ - بفتح العين المهملة وتشديد الواد يمد و يقصر - ، خمسة كواكب يقال انها ورك الاسد
والسماك - ككتاب - ، كوكب نير مكان رجل الاسد و هو السماك الاعزل ، وهناك كوكب آخر
يسمى « السماك الرامح » ليس من منازل القمر و هو رجله الاخر ، و الغفر - كالفلس - ، ثلاثة
كواكب صغار من الميزان ، والزبانى كحبارى - ، كوكبان نيران على قرنى العقرب ، والاكيل ،
اربعه كواكب مصطفة ، والقلب : ثلاثة كواكب فى قلب العقرب ، والشولة - بفتح الشين المعجمة -
كوكبان نيران متقاربان ، والنعام ، ثمانية كواكب كانها سير معوج اربعة صادرة و اربعة
واردة ، و البلدة - بفتح الموحدة - : ستة كواكب من القوس ، و سعد الذابح : كوكبان نيران
بينهما مقدار ذراع ، و فى قرب احدهما كوكب صغير كانه يذبحه فسمى « الذابح » ، و سعد بلع
- كصرد - : كوكبان متقاربان زعموا أنه طلع لما قال الله تعالى « يا ارض ابلعى ماءك » ، و
سعد السعود ، كوكب منفرد نير ، و سعد الاخبية ، اربعة كواكب ، و الفرع المقدم كوكبان ، و
المؤخر اربعة كواكب ، و الرشاء - بكسر الراء - : بمعنى حبل الدلو كوكب على بطن الحوت .

فإن اختلاف الأحوال يوجب تعددًا ما في الذات ، أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها ، وقد مرّ معنى السباحة . « وربّ المشارق ، قال البيضاوي : أي مشارق الكواكب ، أو مشارق الشمس في السنة ، وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ، ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النعمة ، وما قيل إنها مائة وثمانون إنما يصحّ لو لم تختلف أوقات الانتقال (١) »

« يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل » أي يغشي كل واحد منهما الآخر كأنّه يلفّ عليه لفّ اللباس باللباس ، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كالأحذية عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة « ألا هو العزيز ، القادر على كلّ ممكن الغالب على كلّ شيء ، « الغفار » حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (٢) .

« لتسكنوا فيه » أي لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدّي إلى ضعف المحرّكات وهدوء الحواسّ « والنهار مبصراً » يبصر فيه أوبه ، وإسناد الإبصار إليه مجاز ومبالغة ، ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال (٣) .

« لاتسجدوا للشمس ولا للقمر » قال الطبرسي - ره - : وإن كان فيهما منافع كثيرة لأنّهما ليسا بخالقيين « واسجدوا لله الذي خلقهنّ » وتأنّث الضمير لأنّ غير ما يعقل يجمع على لفظ التأنّث ، ولا أنّه في معنى الآيات « إن كنتم إيتاه تعبدون » أي إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون فاسجدوا لله دون غيره (٤) .

« الشمس والقمر بحسبان » أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها وهما يدلّان على عدد الشهور والسنين والأوقات عن ابن عباس وغيره ، فأضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه . وتحقيق معناه أنّهما يجريان على وتيرة واحدة وحساب بيّن

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

(٢) ، ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٣) ، ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

(٤) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٤٠ ، نقلاً بالمعنى .

متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت ، فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوماً فيجريان أبداً على هذا الوجه، و إنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونصح الثمار إلى غير ذلك ، فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق^(١) .

« رب المشرقين ورب المغربين » أي مشرق الشتاء والصيف ومغرب بهما ، وقيل : مشرقى الشمس والقمر ومغرب بهما^(٢) . « وجعل القمر فيهن نوراً » قيل : فيه وجوه : أحدها أن المعنى : وجعل القمر نوراً في السماوات والأرض عن ابن عباس ، قال : يضيء ظهره لما يليه من السماوات و يضيء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس . و ثانيها : أن معنى « فيهن » معهن ، يعني : وجعل القمر معهن أي مع خلق السماوات نوراً لأهل الأرض . و ثالثها : أن معنى « فيهن » في حيزهن ، وإن كان في واحدة منها كما تقول « إن في هذه الدور لبئراً » وإن كانت في واحدة منها ، لأن ما كان في إحداهن كان فيهن ، وكما تقول « أتيت بني تميم » وإنما أتيت بعضهم .

« وجعل الشمس سراجاً » أي مصباحاً تضيء لأهل الأرض ، فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان^(٣) . وقال -ه- في قوله تعالى « كلاً » أي حقاً ، و قيل : معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه « والقمر » اقسام بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه « والليل إذ أدبر » قرأ نافع وحزمة وحفص ويعقوب وخلف « إذ » بغير ألف « أدبر » بالألف ، والباقون « إذا » بالألف « دبر » بغير الألف ، فعلى الأول اقسام بالليل إذا ولّى و ذهب ، يقال^(٤) دبر وأدبر عن قتادة ، وقيل : دبر إذا جاء بعد غيره وأدبر إذا ولّى مدبراً ، فعلى هذا يكون المعنى في « إذ أدبر » إذا جاء الليل في أثر النهار ، وفي « إذ أدبر » إذا ولّى الليل فجاء

(١) مجمع البيان : ج ٩ ، ص ١٩٨ .

(٢) د د ج ٩ ، ص ٢٠١ .

(٣) د د ج ١٠ ، ص ٣٦٣ .

(٤) ليس في المصدر « يقال دبر و أدبر » .

الصبح عقيبهِ ، وعلى القول الأول فيها (١) لغتان معناهما ولى و انقضى « والصبح إذا أسفر » أي أضاء و أنار ، وقيل : معناه إذا كشف الظلام وأضاء الأشخاص ، وقال قوم : التقدير في هذه الأقسام « و رب هذه الأشياء ، لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى . « إنها » أي السقر التي هي النور « لا حدى الكبير » أي لا حدى العظام « والكبير » جمع الكبرى (٢) .

« وجعلنا نومكم سباتاً » أي راحة ودعة لأجسادكم ، أو قطعاً لأعمالكم وتصرفكم إذ ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والإدراك « وجعلنا الليل لباساً » أي غطاءً وسترة يستر كل شيء بظلمته وسواده « وجعلنا النهار معاشاً » أي مطلب معاش و مبتغاه ، أو وقت معاشكم لتتصرفوا في معاشكم « و بنينا فوقكم سباً » أي سبع سماوات « شداداً محكمة أحكمنا صنعها وأوثقنا بناءها » وجعلنا سراجاً وهاجاً يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم وقاداً ممتلاً للنور يستضيئون به ، قال مقاتل : جعل فيه نوراً و « ر » ، والوهج مجمع النور والحر (٣) .

« إذا الشمس كورت » أي نهب ضوءها ونورها فأظلمت واضمحلت عن ابن عباس وغيره ، وقيل : ألقيت ورمي بها ، وقيل : جمع ضوءها ولفقت كما تلف العمامة « وإذا النجوم انكدرت » أي تساقطت و تناثرت ، يقال : انكدر الطائر من الهواء إذا انقض ، وقيل : تغيرت ، والأول أولى لقوله « وإذا الكواكب انتشرت » . « والميل إذا عسعس » أي [إذا] أدبر بظلامه عن علي عليه السلام ، وقيل : أقبل بظلامه و قيل : أظلم . « والصبح إذا تنفّس » أي إذا أسفر وأضاء ، والمعنى : امتد ضوءه حتى يصير نهاراً (٤) .

« والفجر » أقسم سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم ، وقيل :

(١) في المصدر ، فهما .

(٢) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٨٣ .

(٣) د د ، ج ١٠ ، ص ٣٢٢ .

(٤) د د ، ج ١٠ ، ص ٣٣٣ .

فجر ذي الحجّة ، وقيل : فجر أوّل المحرم ، وقيل : فجر يوم النحر ، وقيل : أراد بالفجر النهار « وليال عشر » يعني العشر من ذي الحجّة ، وقيل : العشر الآخر (١) من شهر رمضان ، وقيل : عشر موسى للثلاثين ليلة التي أتمّها الله بها « والليل إذا يسر » أراد جنس الليالي ، أقسم بالليل إذا مضى بظلامه ، وقيل : إنّما أضاف اليسر (٢) إليه لأنّ الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من أفق إلى أفق ، وقيل : إذا يسر : إذا جاء وأقبل إلينا ويريد كلّ ليلة ، وقيل : إنّها ليلة المزدلفة وفيها يسري الحاج من عرفة إليها ويغدي منها إلى منى (٣) وأصل « يسر » يسري ، حذف الياء اكتفاءً بالكسرة تخفيفاً ولرعاية القواصل .

« والشمس وضحيها » أقسم سبحانه بالشمس لكثرة الانتفاع بها وبضحيتها وهو امتداد ضوءها وانبساطه ، وقيل : هو النهار كلّّه ، وقيل : حرّها « والقمر إذا تليها » أي تبعها فأخذ من ضوءها وسار خلفها ، قالوا : وذلك في النصف الأوّل من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور ، وقيل : تلاها ليلة الهلال وهي أوّل ليلة من الشهر ، وقيل : في الخامس عشر ، وقيل : في الشهر كلّّه فهو في النصف الأوّل يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها وفي النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع « والنهار إذا جليها » أي جلى الظلمة وكشفها ، أو أبرز الشمس وأظهرها « والليل إذا يغشيها » أي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده (٤) . أقول : وقد مرّ تأويلها في الأخبار بأنّ الشمس رسول الله ﷺ به أوضح الله للناس دينهم ، والقمر أمير المؤمنين عليه السلام ، تلا رسول الله ﷺ و نفعه بالعلم نفعا ، و الليل أئمة الجور الذين استبدوا بالأمر دون آل الرسول وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم فغشوا دين الله بالظلم والجور ، والنهار الإمام من ذريّة فاطمة

(١) الاواخر (خ) .

(٢) في المصدر ، السير .

(٣) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٨٥ .

(٤) د د ، ج ١٠ ، ص ٣٩٨ .

عليها السلام يسأل عن دين الله فيجلبه لمن سأله ، وقد مر شرحها وبيانها .
« و الضحى » قال الطبرسي - ره - : أقسم سبحانه بضوء (١) النهار كله من قولهم « ضحى فلان للشمس » إذا ظهر لها ، و يدل عليه قوله [سبحانه] في مقابلته « والليل إذا سجي » أي سكن واستقر ظلامه ، وقيل : المراد بالضحي أول ساعة من النهار ، وقيل : صدر النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد والشتاء (٢) و الصيف ، وقيل : معناه و رب الضحى و رب الليل إذا سجي ، وقيل : إذا سجي : إذا أعطى (٣) بالظلمة كل شيء ، وقيل : إذا أقبل ظلامه (٤) « رب الفلق » أي برب الصبح وخالفه ومدبره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الإصلاح فيه « من شر ما خلق » من الجن والإنس و سائر الحيوانات ، و إنما سمى الصبح « فلقاً » لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام ، وقيل : الفلق المواليد ، و جب في جهنم « ومن شر غاسق إذا وقب » أي و من شر الليل إذا دخل بظلامه فالمراد من شر ما يحدث في الليل من الشر والمكروه و إنما خص لأن الفساق يقدمون على الفساد بالليل ، و كذلك الهوام والسباع تؤذي فيه أكثر (٥) .

١ - الكافي : عن علي بن إبراهيم و عدة من أصحابه ، عن سهل بن زياد جميعاً ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الصباح الكناني ، عن الأصبع بن نباتة ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن للشمس ثلاثمائة وستين برجاً ، كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش ، فلم تزل ساجدة إلى الغد ، ثم ترد إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها ، و إن وجهها لأهل السماء و قفاها لأهل الأرض ، ولو

(١) في المصدر ، بنور النهار .

(٢) في الشتاء .

(٣) إذا غطى .

(٤) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٥٠٤ .

(٥) ج ١ ، ص ٥٤٨ .

كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض^(١) ومن عليها من شدة حرها . ومعنى سجودها ما قال سبحانه و تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات و من في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب و كثير من الناس^(٢) » .

توضيح : « ثلاثمائة وستين برجاً » لعل المراد بالبرج الدرجات التي تنتقل إليها بحركاتها الخاصة ، أو المدارات التي تنتقل إلى واحد منها كل يوم فيكون هذا العدد مبنياً على ما هو الشائع بين الناس من تقدير السنة به وإن لم يكن مطابقاً لشيء ، من حر كتي الشمس والقمر . « مثل جزيرة من جزائر العرب » أي نسبتها إلى الفلك نسبة جزيرة من الجزائر إلى الأرض ، أو الغرض التشبيهي في أصل العظمة

(١) لاحتقرت (خ) .

(٢) روضه الكافي ، ١٥٧ . اقول : في سند الرواية ارسال ، لان ابا الصباح الكنانى ولد بعد وفاة الاصبغ بأكثر من ثلاثين سنة لانه على ما صرح به ابن داود مات بعد السبعين و المائة وهو ابن نيف و سبعين سنة ، والاصبغ لم يبق إلى وقعة الطف الواقعة في سنة الستين ومع ذلك تشتمل على امور تحتاج إلى التوجيه :

منها البروج التي تنزل الشمس فيها ، ولعل المراد بها - على فرض الصدور - الدرجات التي ينقسم مدارها إليها ، و كون كل واحدة منها بمنزلة جزيرة العرب كناية عن طولها وسعتها و لعل « جزائر العرب » من خطأ النساخ او الرواة ، فانها ليست الا شبه جزيرة واحدة . ومنها سجود الشمس بعد غروبها عند انتهائها إلى حد بطنان العرش ، ولعله بيان تمثيلي لكيفية انقياد الشمس لامر الله تعالى من عظمتها و شدة بأسها ، ولعل تخصيص السجود بما بعد الغروب رعاية لفهام العوام حيث يصعب عليهم قبول سجودها مع ما يرون من حالها ، لكن بعد غروبها و غيبوبتها عن أعينهم يسهل عليهم تجويزه . واما « حد بطنان العرش » فالظاهر انه من تمة التمثيل وليس المراد به نقطة خاصة حتى يشكك لتعيينها ، و سيأتى من العلامة المؤلف - ره - انها في جميع الاوقات خاضعة ساجدة تحت عرش الرحمن . و منها ان وجه الشمس لاهل السماء وقفها لاهل الارض ، ولعله كناية عن شدة حرارتها ، ولا يمكن الاخذ بظاهره لمنافاته مع اخبار كثيرة مضافاً إلى مخالفته مع الاصول الهيوية وسيأتى في رواية محمد بن مسلم تحت الرقم ٢٨ انها إذا بلغت الجو قلبت ظهر البطن فصار ما يلي الارض إلى السماء . هذا ما خطر بالبال والله أعلم بحقيقة الحال .

لا خصوص المقدار ، والمقصود بيان سرعة حركتها وإن كانت بطيئة بالنسبة إلى الحركة اليومية . قال الفيروز آبادي : جزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات ، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً ومن جدة إلى (١) ريف العراق عرضاً (٢) . « فاذا غابت » أي بالحركة اليومية « إلى حد بطنان العرش » أي وسطه ، ولعل المراد وصولها إلى دائرة نصف النهار من تحت الأرض فانها بهذا أوساط العرش بالنسبة إلى أكثر المعمورة ، إذ ورد في الأخبار أن العرش محاذ للكعبة « فلم تنزل ساجدة » أي مطيعة خاضعة منقادة جارية بأمره تعالى « حتى ترد إلى مطلعها » والمراد بمطلعها ما قدر أن تطلع منه في هذا اليوم ، أو ما طلعت فيه في السنة السابقة في مثله . وقوله « و معنى سجودها » يحتمل أن تكون من تنمة الخبر لبيان أنه ليس المراد بالسجود ما هو المصطلح ، ولعل الأظهر أنه من كلام الكليني أو غيره من الرواة ، وسيأتي تفسير الآية في محله .

٢ - الكافي : عن عدة من أصحابه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى وأحمد بن محمد بن خالد جميعاً عن الحسن بن محبوب ، عن إبراهيم بن مهزم ، عن رجل ، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك : ملك ينادي « يا صاحب الخير أتم وأبشر » وملك ينادي « يا صاحب الشر انزع واقصر » وملك ينادي « أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً » وملك ينضحها (٣) بالماء ، ولولا ذلك اشتعلت الأرض (٤) . بيان : يحتمل أن يكون النضح بالماء كناية عن بث الأجزاء المائية في الهواء

(١) في المصدر « أطراف ريف العراق » و الريف ، أرض فيها زرع و خصب

(٢) القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) نضحه بالماء : رشه . أقول : يمكن انطباق ذلك على ما ادعاه الفلكيون من أهل العصران للشمس أمطاراً غزيرة جداً تنزل عليها من السحب المحيطة بها ، و ادعى أهل الارصاد انهم رأوا بالالات الحديثة امتداد خطوط منحنية على سطح الشمس تشبه حال نزول المطر وجريان الرياح .

(٤) لم يوجد في المصدر .

بسبب الأتجار والبحار والآبار وغيرها ، فإنه لولاها لكان تأثير الحرارة في الهواء والأرض والأبدان والأشجار والنباتات أكثر . وأقول : قال السيد الداماد في بعض زبوره : فيما نقله رهط من المفسرين عن ابن عباس مما استفاد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى « كل يجرى لأجل مسمى » أن الشمس مائة وثمانين منزلاً في مائة وثمانين يوماً ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيام ومجموع تلك الأيام سنة ، وقال علامتهم المفسر الأعرج النيسابوري في تفسيره : إن صح هذا عنه فلعله أراد تصاعدها على دائرة نصف النهار وتنازلها منها في أيام السنة ، أو أراد نزولها في فللكها الخارج المر كزمن الأوج إلى الحضيض ثم صعودها من الحضيض إلى الأوج ، فإن لها بحسب كل جزء من تلك الأجزاء في كل يوم من تلك الأيام تعديلاً خاصاً زائداً أو ناقصاً ، ونحن نقول : ذلك تجشّم وتكلف بل أراد بمنازلتها في أيام السنة مداراتها اليومية بحسب أجزاء مدارها الذي عليه طول السنة بحر كتها الخاصة ، فإن ذلك المدار في سطح منطقة البروج مقاطعاً لمنطقة معدل النهار على نقطتي الاعتدالين ، وكل جزئين من أجزائه شماليين أو جنوبيين هما متساويا البعد عن إحدى نقطتي الانقلابين ، وبعد أحدهما عن إحدى نقطتي الاعتدالين كبعد الآخر عن الأخرى ، فإنهما متجددان في المدار اليومي فالشمس بحسب كونها في أجزاء مدارها بحر كتها الخاصة تعود بالحر كة الشرقية في الربع الصيفي من أرباع السنة إلى مداراتها اليومية الربيعية ، وفي الربع الشتوي إلى مداراتها اليومية الخريفية ، ففي النصف الشتوي والربيعي من السنة تعود إلى مداراتها الخريفية والصيفية ، وفي النصف الصيفي والخريفية إلى مداراتها الربيعية والشتوية فاحفظ بذلك فإنه من بدائع الصنائع الإلهية .

٣ - التوحيد والمجالس للصدوق : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن محمد

ابن جعفر الأسدي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن النوفلي ، عن السكوني عن أبي نعيم البلخي ، عن مقاتل بن جيان ، عن عبد الرحمن بن أبزي (١) ، عن

(١) بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة بعدها زاي معجمة - كذا في شرح المسلم -

أبي ذر الغفاري ، قال : كنت آخذاً بيد النبي ﷺ ونحن تتماشى جميعاً ، فمازلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت ، فقلت : يا رسول الله أين تغيب ؟ قال : في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش ، فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، ثم تقول : يارب من أين تأمرني أن أطلع أم من مغربي أم من مطلعي ؟ فذلك قوله عز وجل : « و الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ^(١) » يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه . قال : فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع ، قال : فتلبس تلك الحلّة كما يلبس أحدكم ثيابه . ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها . قال النبي ﷺ فكانت نسي بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوءاً وتؤمر أن تطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل : « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت » والقمر كذلك من مطلعها ومجرها في أفق السماء ومغربها وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش ، وجبرئيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسي ، فذلك قوله عز وجل : « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » قال أبو ذر - ره - ثم اعترلت مع رسول الله ﷺ فصلينا المغرب ^(٢) .

→ باب التيمم - هو عبد الرحمن بن أبزي الخزازي مولى نافع بن عبد الحرث ، قال البخاري : له صحبة ، و قال ابن أبي داود ، تابعي .

(١) يس ، ٣٨ .

(٢) التوحيد ، ٢٠٣ . أقول : الظاهر أن مبنى البيان في هذا الخبر و أمثاله - على فرض الصدور - على التمثيل و الإشارة إلى كيفية انقياد الشمس و القمر لأمر الله تعالى ، و إلى أن ضوء الشمس يقاض عليها تدريجاً من مبدء وجودي عال و مصدر رباني شريف هو العرش و هو حلة تلبسها كما يلبس الناس ثيابهم ، و فيه إشارة إلى أن سائر الكائنات أيضاً نال حظوظها الوجودية في كل آن من المبادئ العاليه و هي عارية عندهم تسترد عند حينونة أجلها ، و يكفى لسلبها عدم الاعطاء في الآن الثاني ، كما أن الشمس و النجوم ستسلب ضوءها ولا تعطى حللها فتتكدر ، قال العلامة المؤلف رحمه الله في شرح الخبر ١٤ من هذا الباب فهي - بمعنى الشمس -

بيان : قد يحمل أكثر ماورد في الخبر على الاستعارة التمثيلية والمجاز الشائع في كلام العرب والله يعلم حقائق الأمور .

٤ - تفسير علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن يسار (٢) عن معروف بن خربوذ، عن الحكم بن المستنير، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إن من الآيات التي قد رهاها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض، قال : وإن الله قدّر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ثم قدّر ذلك كله على الفلك، ثم وّكّل بالفلك ملكاً معه سبعون ألف ملك، فهم يديرون الفلك فإذا أداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه، فنزلت في منازلها

→ في كل آن باعتبار امكانها مسلوبة النور والصفات والوجود بحسب ذاتها وانما تكتسب جميع ذلك من خالقها و مديرها فهي في جميع الاوقات و الازمان تحت عرش الرحمن وقدرته متغيرة في امرها ساجدة خاضعة لربها - إلى ان قال - وانما اومات لك إلى بعض الاسرار ليمسكك فهم غوامض الاخبار (انتهى كلامه رفع مقامه) و لعل السرفى الفرق بين نور الشمس و نور القمر بكون الاول من العرش و الثانى من نور الكرسى ان الواسطة في القمر اكثر بوحدة من الشمس هي هي ، كما أن نور الكرسى من نور العرش فقطن . يبقى السؤال عن علة عدم بيان حقيقة حال الشمس و القمر في الطلوع و التروب و غيرهما من الاحوال ، و الجواب ان بيان حقيقة هذه الامور وايضاها بتوقف على مقدمات علمية وشرائط ذهنية يتعذر التفهيم بدونها و من المعلوم عدم وجود تلك الشرائط في ذلك الزمان وغرض النبی و الائمة عليهم السلام من بيان الامور التكوينية سوق الانسان إلى الجانب الربوبى ، و هدايته إلى معرفة الله تعالى وصفاته و اسمائه بمعرفة آياته الافاقية والانفسية و إلا فتعليم الطبيعيات و الفلكيات مما هو خارج عن شأن النبی و اوصيائه عليهم السلام .

(٢) لم نجد في تراجم الخاصة و العامة من يسمى « عبدالله بن يسار » وكذا « الحكم ابن المستنير » و الظاهر أنهما مصحفا « عبدالله بن سنان » و « الحكم بن المستورد » كما في سند الكافي ، ثم الظاهر ان الصحيح هو « الحكم بن المستور » بلا دال في آخره كما في « جامع الرواة - ج ١ ، س ٢٤٧ » قال : معروف بن خربوذ عنه عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث البحر مع الشمس في كتاب الروضة (انتهى) و على أى تقدير فلم نظفر له على مدح أو ذم في كتب الرجال .

التي قدرها الله فيها ^(١) ليومها و ليلتها و إذا كثرت ذنوب العباد و أراد الله ^(٢) أن يستعذبهم بآية من آياته أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، فيأمر الملك أو لك السبعين الألف ^(٣) الملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه ، قال : فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي يجري الفلك فيه ، فيطمس ^(٤) ضوءها ^(٥) ويغير ^(٦) لونها ، فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يجب الله أن يخوف خلقه ^(٧) بالآية ، فذلك عند شدة انكساف الشمس ، وكذلك يفعل بالقمر ، فإذا أراد الله أن يخرجهما ^(٨) ويردّهما إلى مجراهما أمر الملك الموكل بالفلك أن يردّ الشمس ^(٩) إلى مجراها فيردّ الملك ^(١٠) الفلك إلى مجراه فتخرج من الماء وهي كدرة ، والقمر مثل ذلك . ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام : أما إنّه لا يفزع لهما ولا يرهب ^(١١) إلا من كان من شيعتنا ، فإذا كان ذلك فافزعوا إلى الله ^(١٢) وراجعوا [ه] قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأرض مسيرة خمسمائة عام ، الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة [عام] والشمس ستون فرسخاً في ستين فرسخاً ، والقمر

(١) لها (خ) .

(٢) في الفقيه ، و أحب الله .

(٣) في الكافي ، السبعين الف ملك .

(٤) فينطمس به (خ) .

(٥) حرها (خ) كذا في الكافي .

(٦) يتغير (خ) .

(٧) في الفقيه : عباده .

(٨) في الكافي و الفقيه ، أن يجليها .

(٩) في الكافي ، ان يرد الفلك .

(١٠) د د و الفقيه : فيرد الفلك فتراجع الشمس إلى مجريها .

(١١) د د د ، ولا يرهب بها تين الايتين .

(١٢) د د : إلى الله عز وجل ثم أرجعوا إليه .

أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً بطونهما يضيئان لأهل السماء و ظهورهما لأهل الأرض ، والكواكب كأعظم جبل على الأرض ، وخلق الشمس قبل القمر . وقال سلام بن المستنير : قلت لأبي جعفر عليه السلام لم صارت الشمس أحرّ من القمر؟ قال : إن الله خلق الشمس من نور النار وصفوا الماء طبقاتاً من هذا وطبقاً من هذا ، حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار ، فمن هنالك ^(١) صارت أحرّ من القمر . قلت : فالقمر؟ قال : إن الله خلق القمر من ضوء نور النار وصفوا الماء طبقاتاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء ، فمن هنالك ^(٢) صار القمر أبرد من الشمس ^(٣) .

الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن معروف بن خربوذ ، عن الحكم بن المستنير عن علي بن الحسين عليهما السلام مثله - إلى قوله - فإذا كان كذلك فافزعوا إلى الله عز وجل ثم ارجعوا إليه ^(٤) .
الفقيه : عنه عليه السلام مرسل مثله ^(٥) .

(٢١) (٢١) فمن ثم (خ) .

(٣) تفسير علي بن إبراهيم : ٣٧٩

(٤) روضة الكافي : ٨٣

(٥) الفقيه : ١٣١ ، اقول ، مما اتفق عليه اصحاب الهيئة القديمة والجديدة ان الكسوف إنما يكون بحيلولة القمر بين الارض و الشمس و الخسوف بحيلولة الارض بين القمر و الشمس ولا يختص الانكساف بهما بل يوجد في سائر الكواكب التي تدور حول الشمس أيضاً ، لكن كون تلك الحيلولة موجبة له لا ينفي وجود سبب آخر له أيضاً ، نعم يمد غيره سبباً غير عادي ، فلا ينقض قول الهويين في هذا الباب بالانكسافات و الانخسافات الخارقة للعادة كما لا ينقض قول الطبيعيين في سببية النار للحرارة و الاحراق بصيرورتها برداً و سلاماً على إبراهيم عليه السلام فان الاسباب قد تمنع من التأثير لموانع خفية و لمعارضتها مع سبب أقوى منها ، و اما المجر المذكور في الرواية فلتفسيره وجوه يذكرها المؤلف - رحمه الله - و منها ان المراد به ظل الشمس و القمر ، و لعله اقرب الوجوه ، و السر في عدم بيان حقيقة الحال و الاكتفاء بالبيان الاستعماري هو ان النفوس الضميمة انما تنقطع إلى الاسباب و اعينهم لا تنفذ منها إلى مسببها و قيومها ، فكلما اسندت الافعال إلى اسبابها المادية ازداد تعلقهم بها و انتقص توجههم إلى قيومها ←

توضيح : « إن من الآيات » كذا في الفقيه وبعض نسخ التفسير ، وفي بعضها « الأوقات » والأوّل أصوب ، و في الكافي « من الأقوات » أي أسبابها « قدّر فيه » أي في البحر أي عليه ، ومحاذياً له ، أوجعله بحيث يمكن أن يجري الكواكب فيه عند الحاجة ، و في الكتابين « فيها » فالمراد أيضاً البحر بتأويل الآية ، ويمكن إرجاعه إلى الآيات أو إلى السماء ، « وقدّر ذلك » أي الجريان « كُله على الفلك » أي الفلك الأعظم أو فلك الكوكب والأوّل أظهر ، و في الفقيه هكذا « أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك عن مجاريه قال فيأمر الملك السبعين الألف الملك أن أزيلوا الفلك - إلى قوله - في ذلك البحر الذي كان فيه الفلك » وفيها « فإذا أراد الله أن يجعلها ويردّها إلى مجراها أمر الملك الموكل بالفلك أن يردّ الفلك إلى مجراه فيردّ الفلك وترجع الشمس إلى مجراها قال فتخرج » وفي الفقيه « أما إنّه لا يفرع للآيتين ولا يهرب إلا من كان من شيعتنا » . قوله بالتحريك « أن يستعتمهم » أي يطلب

→ فلا بد للاطباء الالهيين والمربين الربانيين لسوق أكثر الناس إلى ربهم وقطع توجههم عن اصنامهم من اسقاط الاسباب العادية ، وحذف الوسائط العادية ، و اسناد الافعال إلى الله تعالى بلا واسطة او بالوسائط الغيبية ، حتى تنقطع قلوبهم إلى العالم الغيبي ، وتتملق نفوسهم بالجانب الربوبي نعم لله تعالى عباد لا تشغلهم حجب الوسائط ، ولا يفرهم سراب الاسباب ، يخافون ربهم في كل شدة ، و يفزعون إليه في كل بلية ، يطمئنون بذكره ، و ينقطعون إليه في جميع الشؤون و الاحوال ، و هو وليهم في الدنيا والاخرة فاذا أحسوا بحادثته تقبل أو بليته تنزل لا يرون ملجأ إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، و هذا هو السر في قول الامام عليه السلام « اما انه لا يفرع لهما ولا يهرب إلا من كان من شيعتنا » مع ما نرى من رهبة سائر الناس منهما فتبصر . ولا يخفى أنه ليس الكسوف و الخسوف عند المنجمين امرين سازجين فاقدين للاهمية رأساً ، أما عند القدماء الاحكاميين فلانهم أثبتوا لها بحسب ما يدعون من التجارب تأثيرات في العالم الارضى المذكورة في زبرهم و تقاويمهم ، و اما عند المتأخرين من علماء الاروبه فلما يرون لهما من الموقمية الهوية الهامة لوقوع القمر و الارض عند الكسوف و الخسوف في امتداد جاذبي خطير و على أى تقدير فينبغى للمؤمن المستبصر عند وقوع هذه الحادثة الجوية وسائر الايات الخطيرة الانقطاع التام إلى رب السماوات و الارض و الانابة إلى قيوم العوالم العلوية و السفلية ، فهو الذى يدبر الامور و يقدرها ، و يحول الاحوال و يغيرها و هو على كل شىء قدير

عتابهم ورجوعهم أويحملهم على ما يوجب الرضا ، و في القاموس : العتب : الموجدة والغضب ، والعنبي : الرضا ، و استعته : أعطاه العتبي كأعته ، و طلب إليه العتبي ضد^(١) . « و إن يستعتهوا فمأهم من المعتمين » أي إن يستقبلوا ربهم لم يقلهم ، أي لم يردمهم إلى الدنيا . قوله « فيطمس ضوءها » أي بعض ضوءها ، قوله « طمست الشمس » أي كملها أو أكثرها بحسب ما يراء ، في تأديبهم من المصلحة . قوله سبحانك « وهي كدرة » أي بعد ما كانت كدرة ، أو تبقى فيها كدورة قليلة بعد الخروج أيضاً في زمان قليل . قوله سبحانك « إلامن كان من شيعتنا » لأنهم يؤمنون بهذا ، وأما أكثر الخلق الذين يسندونهما إلى حركات الأفلاك فلا يرهبون لهما .

تفصيل كلام لرفع أوهام : اعلم أن الفلاسفة ذهبوا إلى أن جرم القمر مظلم كثيف صقيل يقبل من الشمس الضوء لكثافته و ينعكس عنه لصقالته ، فيكون أبدأ المضيء من جرمه الكروي أكثر من النصف بقليل ، لكون جرمه أصغر من جرم الشمس ، وقد ثبت في الأصول أنه إذا قبل الضوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصغرى أعظم من نصفها ، و تفصل بين المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تسمى دائرة النور ، و تفصل بين ما يصل إليه نور البصر من جرم القمر وبين ما لا يصل دائرة تسمى دائرة الرؤية ، و هي أيضاً قريبة من العظيمة لما ثبت في « ٢٤ » من مناظر اقليدس أن ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها ، و هاتان الدائرتان يمكن أن تتطابقا ، وقد تتفارقان إما متوازيتين ، أو متقاطعتين ، وأولاً ولا ذلك ، وقد تؤخذان عظيمنتين إحداهما تفوق في الحسب بين كل منهما و بين العظيمة ويجعل ما يقارب التطابق تطابقاً ، فإذا اجتمعت الشمس و القمر صار وجهه المضيء إليها والمظلم إلينا و تطابق الدائرتان وهو المحاق ، فإذا بعد عنها يسيراً تقاطعت الدائرتان على حوادٍ ومنقرجات ، فإذا بعد منها قريباً من اثنتي عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدائرتين في جهة الحادتين اللتين إلى صوب الشمس وهو الهلال ، ولا تزال هذه القطعة تتزايد بتزايد البعد عن الشمس ، و الحواد تتعاضد

(١) القاموس ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

والمنعرجات تتصاغر حتى يصير التقاطع بين الدائرتين على قوائم ، ويحصل التربيع فيرى من الوجه الماضي، نصفه ، ولا يزال يتزايد المرئي من الماضي، ويتعاطم انقراج الزاويتين الأوتين إلى وقت الاستقبال ، فتطابق الدائرتان مرة ثانية ويصير الوجه الماضي إلينا وإلى الشمس معاً وهو البدر ، ثم يقع التقارب فيعود تقاطع الدائرتين على المختلفات أولاً ثم على قوائم ثانياً و حصل التربيع الثاني ، ثم يؤول الحال إلى التطابق فيعود المحاق ، وهكذا إلى ما شاء الله سبحانه .

والكسوف عندهم حالة تعرض للشمس من عدم الاستتارة والإارة بالنسبة إلى الإبصار حين ما يكون من شأنها ذلك بسبب توسط القمر بينها وبين الإبصار ، وذلك إذا وقع القمر على الخط الخارج من البصر إلى الشمس ، ويسمى ذلك بالاجتماع المرئي ، ويكون لا محالة على إحدى العقدتين : الرأس أو الذنب ، أو بقربهما بحيث لا يكون للقمر عرض مرئي بقدر مجموع نصف قطره وقطر الشمس ، فلا محالة يحول بين الشمس وبين البصر ويحجب بنصفه المظلم نورها من الناظرين بالكل وهو الكسوف الكلي ، أو البعض فالجزئي ، و لكونه حالة تعرض للشمس لا في ذاتها بل بالنسبة إلى الإبصار جاز أن يتفق الكسوف بالنسبة إلى قوم دون قوم ، كما إذا سترت السراج بيدك بحيث يراه القوم وأنت لاتراه وأن يكون كلياً للقوم جزئياً لآخرين أو جزئياً للكل لكن على التفاوت . وأما إذا كان عرض القمر المرئي بقدر نصف مجموع القطرين فيما بين جرم القمر ومخروط شعاع الشمس فلا يكون كسوف .

وأما خسوف القمر فيكون عندهم عند استقبال الشمس إذا كان على إحدى العقدتين أو بقربها بحيث يكون عرضه أقل من مجموع نصف قطره وقطر مخروط ظل الأرض انحجبت بالأرض عن نور الشمس ، فيرى إن كان فوق الأرض على ظلامه الأصلي كلاً أو بعضاً وذلك هو الخسوف الكلي أو الجزئي ، وأما إذا كان عرضه عن منطقة البروج بقدر نصف القطرين فلا ينخسف .

إذا عرفت هذا فالكلام في هذا الخبر على وجوه . الاول : أن يقال إن هذه مقدمات حدسية ظنية فإنه يمكن أن تكون هذه الاختلافات لجهة أخرى كما

قال ابن هيثم في اختلاف تشكلات القمر أنه يجوز أن يكون ذلك لأن القمر كرة مضيئة نصفها دون نصف ، وأنها تدور على مركز نفسها بحركة متساوية لحرارة فلكتها ، فإذا كان نصفه المضيء، إلينا فبدر ، أو المظلم فمحاق ، وفيما بينهما يختلف قدر ما تراه من المضيء . وأيضاً يمكن أن يكون الفاعل المختار يحدث فيه نوراً بحسب إرادته في بعض الأحيان ولا يحدث في بعضها ، فالحكم ببطلان الخبر أو تأويله غير مستقيم .

الثاني : أنه يمكن أن يكون عند حدوث تلك الأسباب يقع المرور على البحر أيضاً ويكون له أيضاً مدخل في ذلك ، و امتناع الخرق والالتئام على الأفلاك وعدم جواز الحركة المستقيمة فيها و امتناع اختلاف حرارتها و أمثال ذلك لم يثبتوها إلا بشبهات واهية وخرافات فاسدة لا يخفى وهنأعلى من تأمل بالإ نصاب فيها ، مع أن القول بها يوجب نفي كثير من ضروريات الدين من المعراج ، و نزول الملائكة و عروجهم ، و خرق السماوات و طيئها ، و انتشار الكواكب و انكسارها في القيامة إلى غير ذلك مما صرح به في القرآن المجيد والأخبار المتواترة .

الثالث : ما ذكره الصدوق - ره - في الفقيه حيث قال : إن الذي يخبر به المنجمون فيتنفق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وإنما يجب الفزع فيه^(١) إلى المساجد والصلاة لأنه آية تشبه آيات الساعة^(٢) . وقال الشهيد - ره - في الذكري في جملة فروع أو ردها في أحكام صلاة الكسوف : الرابع لو جمعت صلاة العيدين تجب بسبب الآيات المطلقة ، أو بالكسوفين نظراً إلى قدرة الله تعالى وإن لم يكن معتاداً على أنه قد اشتمر أن الشمس كسفت يوم عاشوراء لما قتل الحسين عليه السلام كسفةً بدت الكواكب فيها نصف النهار في مارواه البيهقي وغيره ، وقد قد منا أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم بن النبي ﷺ و روى الزبير بن بكار في كتاب الأنساب أنه توفي في العاشر من شهر ربيع الأول ، و روى الأصحاب

(١) ليس في المصدر لفظه « فيه » .

(٢) الفقيه ، ١٣١ .

أن من علامات المهدي عليه السلام كسوف الشمس في النصف الأول من شهر رمضان .
إلى آخر ما قال :

واقول : رأيت في كثير من كتب الخاصة والعامة وقوع الكسوف والخسوف في يوم عاشوراء وليلته ، وروى الشيخ المفيد في الإرشاد بسنده إلى الفضل بن شاذان عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة الأزدي ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام : كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان ، وخسوف القمر في آخره . قال : قلت : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في نصف ^(١) الشهر والقمر في آخره ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : أنا أعلم بما قلت ، إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^(٢) ورواه في الكافي عن عدة من أصحابه ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن بدر بن الخليل الأزدي ، قال : كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال : آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض : تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره . فقال رجل : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إنني أعلم ما تقول ، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^(٣) والأخبار في ذلك كثيرة أوردتها في سائر المجلدات لاسيما في الثالث عشر .

الرابع : ما أوّله بعض المتفلسفين ، وهو أن المراد بالبحر في الكسوف ظلّ القمر ، وفي الخسوف ظلّ الأرض على الاستعارة . ووجدت في بعض الكتب مناظرة لطيفة وقعت بين رجل من المدّعين للإسلام يذّكر هذا التّأويل للخبر وبين رجل من براهمة الهند ، قال له حين سمع ذلك التّأويل منه : لا يخلو من أن يكون مراد

(١) في المصدر « تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف » كما في رواية الكافي فعلى نسخة المتن يكون كلام الراوى استفهاماً عن تعجب ، وعلى نسخة المصدر يكون بياناً للمادة إما عن تعجب أو عن توهم السهو للامام عليه السلام .

(٢) إرشاد المفيد ، ٢٣٩ .

(٣) روضة الكافي ، ٢١٢ .

صاحب شريعتك ما ذكرت أم لا ، فإن لم يكن مراده ذلك فالويل لك حيث اجترأت على الله و عليه و حملت كلامه على ما لم يردده و افتريت عليه ، وإن كان مراده ذلك فله غرض في التعبير بهذه العبارة و مصلحة في عدم التصريح بالمراد ، لقصور أفهام عامّة الخلق عن فهم الحقائق ، فالويل لك أيضاً حيث نقضت غرضه و أبطلت مصلحته و همتك سرّه (١) .

وأقول : هذا الكلام متين وإن كان قائله على ما نقل من الكافرين ، لأنّ عقول العباد قاصرة عن فهم الأسباب والمسببات ، و كيفية نزول الأنكال و العقوبات ، فإذا سمعوا المنجم يخبر بوقوع الكسوف أو الخسوف في الساعة الفلانية بمقتضى حركات الأفلاك لم يخافوا عند ذلك ، ولم يفزعوا إلى ربّهم ، ولم يرتدعوا به عن معصيته ، ولم يعدّوه من آثار غضب الله تعالى ، لأنّهم لا يعلمون أنّه يمكن أن يكون الصانع القديم والقادر الحكيم لما خلق العالم ، و قدر الحركات ، و سبب الأسباب والمسببات ، و علم بعلمه الكامل أحوالهم و أفعالهم في كلّ عصر و زمان ، و كلّ دهر و أوان ، و علم ما يستحقّون من التحذير و التنذير قدر حركات الأفلاك على وجه يطابق الخسوف و الكسوف و غيرها من الآيات بقدر ما يستحقّونه بحسب أحوالهم من الإنذارات و العقوبات و هذا باب دقيق يعجز عنه أفهام أكثر الخلق . و بالجملة الحديث و إن كان خيراً واحداً غير نقيّ السند لكن لا يحسن الجرأة على ردّه ، و ينبغي التسليم له في الجملة و إن صعب على العقل فهمه ، فإنّه سبيل أرباب التسليم ، الثابتين على الصراط المستقيم .

قوله ﷺ « والأرض مسيرة خمسمائة عام » لعلّ المراد أنّه إذا أراد إنسان أن يدور جميع الأرض و يطّلع على جميع بقاعه الظاهرة و الغائرة لا يكون إلّا في خمسمائة سنة ، و كذا المعمور و غير المعمور إذ لو كان المراد المسير على عظمة محيطه بالأرض يكون ذلك في قليل من السنين إن كانت مساحتهم المذكورة في كتبهم حقّة لأنّهم قالوا مساحة

(١) كلام الهندي لا يخلو عن مناقشة ، لان قصور افهام عامه الخلق لا يوجب كتمان الحقائق

حتى عن الخواص والمستعدين ، نعم يوجب كتمانها عن القاصرين فقط .

محيط دائرة عظيمة تفرض على الأرض ثمانية آلاف فرسخ ، فيمكن قطعه في ثلاث سنين تقريباً ، وكون الشمس ستون فرسخاً لعلّه بالفراسخ السماوية ، أو المراد أن نسبتها إلى فلکها كنسبة تلك الفراسخ إلى الأرض ، وكذا القمر ، أو المراد به العدد الكثير ، عبر هكذا تقريباً إلى فهم السائل ، وكذا المراد بكون الكواكب كأعظم جبل أن نسبة كل منها إلى السماء كنسبة أعظم جبل إلى الأرض ، كل ذلك بناءً على صحة ما ذكره أصحاب الهيئة وهو غير معلوم ، فإنهم عولوا في ذلك على مساحات وأرصاد تصدق بجاعة من الكفرة لتحقيقها وضبطها ، وخلق الشمس قبل القمر يدل على حدوثهما والله يعلم حقائق مخلوقاته ومن عرفهم تلك من حججه عليهم السلام .

٥ - الكافي: عن عدة من أصحابه ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن حسان عن علي بن أبي النوار ، عن محمد بن مسلم ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ، لأي شيء صارت الشمس أشد حرارة من القمر؟ فقال : إن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا ، حتى إذا كانت ^(١) سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار ، فمن ثم صارت أشد حرارة من القمر . قلت : جعلت فداك والقمر ^(٢) ؟ قال : إن الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء نور ^(٣) النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا ، حتى إذا كانت ^(٤) سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء ، فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس ^(٥) .

العلل والخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن عيسى بن محمد ، عن علي بن مهزيار ، عن علي بن حسان

(١) في العلل ، إذا صار .

(٢) في الخصال ، فما القمر؟ فقال .

(٣) في الخصال ، من نور النار .

(٤) في العلل والخصال ، حتى إذا صارت .

(٥) روضة الكافي ، ٢٤١٠ .

عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم مثله (١) .

توضيح : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «حتّى إذا كانت سبعة أطباق» يحتمل أن يكون المعنى أن الطبقة السابعة فيها من نار ، فيكون حرارتها لجهتين : لكون طبقات النار أكثر بوحدة ، وكون الطبقة العليا من النار ، ويحتمل أن يكون لباس النار طبقة ثامنة فتكون الحرارة للجهة الثانية فقط ، وكذا في القمر يحتمل الوجهين . ثم إنّه يحتمل أن يكون خلقيهما من النار و الماء الحقيقيّين من صفوهما و أظفهما ، و أن يكون المراد جوهرين لطيفين مشابهيين لهما في الكيفيّة ، ولم يثبت امتناع كون العنصريّات في الفلكيّات ببرهان ، وقد دلّ الشرع على وقوعه في مواضع شتّى .

٦ - **الاحتجاج :** روى القاسم بن معاوية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال : لما خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ أمير المؤمنين » وهو السواد الذي ترونه (٢) .

٧ - **الخصال :** عن عليّ بن أحمد بن موسى ، عن عليّ بن الحسن الهسجانيّ عن سعد (٣) بن كثير بن عفير ، عن ابن لهيعة و رشيد بن سعد ، عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبليّ ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مرضه

(١) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، الخصال : ١٠

(٢) الاحتجاج : ٨٣ ، أقول ، للمعنى الرواية ان نظام الكون يشهد بصحة هذه الاصول الثلاثة اما التوحيد فظاهر و اما النبوة فلان الله تعالى يهدى بها النوع الانساني إلى كماله و صلاحه ، فوجود المصالح في سائر اجزاء العالم شاهد على سنة الهية في الكون هي ايبال كل نوع إلى ما فيه صلاحه ، و ينحصر طريق ذلك في النوع الانساني بارسال الانبياء ، و اما الولاية فلانها ابقاء لانار النبوة و اكمال للدين . و اما دلالة سواد القمر على ذلك فلانه اشبه شيء بخط تكويني على لوح صاف نير و سيأتي من العلامة المؤلف رحمه الله نظير هذا التوجيه في ذيل الحديث (١٨) من هذا الباب .

(٣) كذا ، و الصحيح « سعيد بن كثير بن عفير » كما عنوانه ابن حجر في لسان الميزان (٦ ، ٥٦٢) و الخزرجي في الخلاصة (١٢٠) و ذكر انه كان من اعلم الناس بالانساب و الاخبار و المناقب و المثالب و كان أدبياً فصيحاً مات سنة (٢٢٤) .

الذي توفي فيه : ادعوا إليّ أخي . قال : فأرسلوا إلى عليّ عليه السلام فدخل ، فولّيا وجوههما إلى الحائط وردّا عليهما ثوباً فأسرّ إليه والناس محتوشون وراء الباب فخرج عليّ عليه السلام فقال له رجل من الناس : أسرّ إليك نبيّ الله شيئاً ؟ قال : نعم أسرّ إليّ ألف باب في كلّ باب ألف باب . وقال : وعيته ؟ قال : نعم ، وعتلته . فقال : فما السواد الذي في القمر ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ قال « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » قال له الرجل : عقلت يا عليّ (١) .

بيان : « فولّيا » أي النبيّ عليه السلام و عليّ عليه السلام و يقال « احتوش القوم على فلان » أي جعلوه وسطهم ، و يقال « وعاه » أي حفظه ، و الظاهر أن السؤال كان عن علّة الكلف في القمر فأجاب عليه السلام بأنّه إنّما جعل فيه ذلك ليقلّ نوره و يحصل الفرق بينه و بين الشمس فيمتاز الليل من النهار كما يدلّ عليه خبر ابن سلام فالمحو في الآيّة تقليل نور القمر باحداث الكلف فيه . واعلم أنّهم اختلفوا في سبب الكلف فقيل : خيال لاحقيقة له ، وأورد عليه بأنّه يستحيل عادةً توافق جميع الناس في خيال واحد لاحقيقة له . وقيل : هو شبح ما ينطبع فيه من السفليات من الجبال و البحار وغيرها وزيف بأنّه لو كان كذلك لكان يختلف باختلاف القمر في قربه وبعده وانحرافه عمّا ينطبع فيه . وقيل : هو السواد الكائن في الوجه الآخر ، وأورد عليه بأنّه لو كان كذلك لم ير متقرّقا . وقيل : وهو سحق النار للقمر ، و أوجب بأنّه غير مماسّ للنّار لأنّه مر كوز في تدويره في ثخن حامل ، فبينه وبين النار بعد بعيد ، ولو فرض أنّه في حضيض التدوير مع كونه في حضيض الحامل لم يتصور هناك مماسّة إلا بنقطة واحدة ، وأيضاً فهو غير قابل للتسخّن عندهم فكيف ينسحق بها . وقيل : هو جزء منه لا يقبل النور كسائر أجزائه القابلة له ، وأورد عليه أنّه مخالف لما ذهبوا إليه من بساطة الفلكيات فيبطل جميع قواعدهم المبنية على بساطتها . وقيل : هو وجه القمر فإنّه مصوّر بصورة إنسان ، فله عينان و حاجبان و أنف و فم ، و أوجب بأنّه

لا فائدة في جعل هذه الأجزاء فيه . وقيل : هو أجسام سماوية مختلفة معه في تدويره غير قابلة للإتارة حافظة لوضعها معه دائماً ، وهذا أقرب الوجوه عندهم ، وكل ذلك قول بغير علم ، ولا نعلم من ذلك إلا أنه سبحانه خلقه كذلك ، والبحث عن سببه لا طائل تحته ، وسنذكر وجوهاً آخر بعد ذلك إن شاء الله .

٨ - العيون والعلل : في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي ﷺ : ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور ؟ قال : لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئاً ، فأمر الله عز وجل جبرئيل أن يحوضوه القمر فمحاها ، فأثر المحو في القمر خطوطاً سوداء ، ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح ما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ، ولا علم الصائم كم يصوم ، ولا عرف الناس عدد السنين ، وذلك قول الله عز وجل « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني لم سمي الليل ليلاً ؟ قال : لأنه يلايل الرجال من النساء ، جعله الله عز وجل ألفة ولباساً ، وذلك قول الله عز وجل « وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً » قال : صدقت يا محمد ^(١) (الخبر) .

بيان : يظهر من الخبر أن الليل مشتق من الملايلة ، وهي بمعنى المؤالفة والموافقة ، والمشهور عند اللغويين عكس ذلك ، قال الفيروز آبادي : لا يلمته استجرت له لليلة ، وعامله ملايلة كميامة ^(٢) .

٩ - العلل والعيون : في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن طول الشمس والقمر وعرضها ، قال : تسعمائة فرسخ (الخبر) ^(٣) .

(١) الملل ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ولم يوجد في العيون وكان لفظه « العيون » في المتن زائدة لاختصاصه باخبار الرضا عليه السلام .

(٢) القاموس ، ج ٤ ، ص ٤٨ .

(٣) هذا الخبر المذكور في نسخة امين الضرب دون سائر النسخ . العيون ، ج ١ ، ص ٢٢١ -

العلل ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

١٠ - الاحتجاج : عن الأصمغ : قال : سألت ابن الكواكب أمير المؤمنين عليه السلام عن المحو الذي يكون في القمر ، قال عليه السلام : الله أكبر ، الله أكبر ^(١) ، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء ! أما سمعت الله تعالى يقول « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ؟ » (الخبر) ^(٢) .

العياشي : عن أبي الطفيل مثله .

بيان : « عن مسألة عمياء » أي غامضة مشتبهة يصعب فهمها .

١١ - تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » يقول : الشمس سلطان النهار ، والقمر سلطان الليل ، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل « ولا يسبق الليل النهار » يقول : لا يذهب الليل حتى يدركه النهار « وكل في فلك يسبحون » يقول : يجيء ^(٣) وراء الفلك بالاستدارة ^(٤) .

بيان : « يجيء وراء الفلك » لعل المعنى : تابعا لسير الفلك فكأنه وراءه .

١٢ - العيون : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن مهزيار ، عن أخيه علي ، عن أحمد بن محمد ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة أتى بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين فيقذفان بهما و بمن يعبدهما في النار ، و ذلك أنهما عبدا فرضيا ^(٥) .

بيان : قال في النهاية : في حديث كعب « إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » قيل : لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله « كل في فلك يسبحون » ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها صارا كأنهما زمان

(١) في المصدر ، الله أكبر ثلاث مرات .

(٢) الاحتجاج ، ١٣٨ .

(٣) في المصدر : يجري .

(٤) تفسير القمي : ٥٥٠ .

(٥) لم نجد هذه الرواية في العيون لكنها موجودة في العلل (٢ : ٢٩٢) و لعله من

عقيران ، حكى ذلك أبو موسى وهو كما تراه (١) وقال : العقير : المنحور (٢)
 لأنهم كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه ، أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه .
 ١٣ - التفسير : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية
 النهار مبصرة » قال : المخو في القمر (٣) .

١٤ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم ، قال : سألت الزنديق أبا عبد الله عليه السلام
 عن الشمس أين تغيب ؟ قال : إن بعض العلماء (٤) قالوا : إذا انحدرت أسفل القبة
 دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدةً أبدأ إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها ، يعني
 أنها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها ، فتخبر تحت
 العرش حتى يؤذن لها بالطلوع ، ويسلب نورها كل يوم وتتجلل نوراً آخر . قال :
 فخلق النهار قبل الليل ؟ قال : نعم ، خلق النهار قبل الليل ، والشمس قبل القمر
 والأرض قبل السماء (٥) (الخبر) .

بيان : قوله عليه السلام « صاعدة » أشار عليه السلام بذلك إلى أن الشمس إذا غابت عندنا
 تطلع على قوم آخرين ، فهي عندهم صاعدة إلى أن تصل إلى قمة الرأس عندهم وهي
 قمة القدم عندنا ، ثم تنحط عندهم إلى أن تصل إلى مشرقنا . وتحيثها و
 إذنها لعلهما كنايةتان عن أنها مسخرة للرب متحركة بقدرته ، إذا شاء حرّكها .
 ومتى شاء سكنها ، ففي كل آن من آفات حرّكتها في مطلع قوم ، وطلوعها عليهم
 بإذنه وقدرته سبحانه ، ولو شاء لجعلها ساكنة ، ولما كان الباقي في البقاء محتاجاً
 إلى المؤثر فهي في كل آن باعتبار إمكانها مسلوقة النور والصفات والوجود بحسب
 ذاتها ، وإنما اكتسب جميع ذلك من خالقها ومدبرها فهي في جميع الأوقات والأزمان

(١) النهاية ، ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) في المصدر : . . . أى الجوز المنحور ، يقال جمل عقير وناقة عقير ، قيل ، كانوا

إذا أرادوا الخ . النهاية ، ج ٣ ، ص ١١٤ .

(٣) تفسير القمي ، ٣٧٨ .

(٤) في المصدر ، قال ،

(٥) الاحتجاج ، ١٩٢ .

تحت عرش الرحمن وقدرته ، متحيرة في أمرها ، ساجدة خاضعة لربها ، تسأله بلسان إمكانها و افتقارها الإذن في طلوعها وغروبها ، و تكسى حلة من نوره تعالى . و القائلون بتجدد الأمثال يمكنهم التمسك بأمثال هذا الخبر ، لكن على ما حققناه لا دلالة لها على مذهبهم . و إنما أومأت لك إلى بعض الأسرار ، ليمكنك فهم غوامض الأخبار ، وقد مرّ تحقيق خلق النهار قبل الليل في الباب الأول .

١٥ - التوحيد : عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، و الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، و العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، و الحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ^(١) (الخبر) .

١٦ - قصص الراوندي : بالإسناد إلى الصدوق ، عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجّال ، عن العلاء عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن موسى سأل ربه أن يعلمه زوال الشمس فوكل الله بها ملكاً فقال : يا موسى قد زالت الشمس ، فقال موسى : متى ؟ فقال : حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام !

١٧ - العياشي : عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى « فمحونا آية الليل » قال : هو السواد الذي في جوف القمر .

١٨ - و منه : عن نصر بن قابوس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : السواد الذي في القمر محمد رسول الله ^(٢) .

بيان : يحتمل أن يكون المراد أن هذا السواد لما كان من أعظم أسباب نظام العالم كما مرّ ، والعلة الغائية لخلق العالم ونظامه هو عليه السلام فكانته يدل عليه ، أو

(١) التوحيد ، ٦٤ . وقد مر الخبر بعينه في باب العرش و الكرسي تحت الرقم (٤٥)

و في باب الحجب و السراقات تحت الرقم (٥) .

(٢) قد مر منا بيان في ذيل الحديث (٦) فراجع .

أنه لما دل على حكمة الصانع وعدم تفويته ما فيه صلاح الخلق ورسالته ﷺ أعظم المصالح فهو يدل عليه ، مع أنه لا حاجة إلى هذه التكاليف ويمكن حمله على الحقيقة .

١٩ - العياشي : عن جابر ، عن أبي جعفر ﷺ قال : قال أمير المؤمنين ﷺ

تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة التي تلي المغرب يعني جابلقا .

٢٠ - كتاب النجوم للسيّد بن طاووس بأسانيدِهِ إلى محمد بن إبراهيم النعماني

في كتاب الدلائل ، عن محمد بن همام ، عن محمد بن موسى بن عبيد ، عن إبراهيم بن أحمد اليقطيني ، قال : حدثني ابن ذي العلمين ^(١) قال : كنت واقفاً بين يدي ذي الرياستين بخراسان في مجلس المأمون وقد حضره أبو الحسن الرضا ﷺ فجرى ذكر الليل والنهار وأيهما خلق قبل ، فخاضوا في ذلك واختلفوا ، ثم إن ذا الرياستين سأل الرضا ﷺ عن ذلك وعمّا عنده فيه ، فقال له : أتجب أن أعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك ؟ فقال : أريده أو لا من جهة الحساب ، فقال : ليس تقولون إن طالع الدنيا ^(٢) السرطان ، وأن الكواكب كانت في شرفها ؟ قال : نعم ، قال : فزحل في الميزان ، والمشتري في السرطان ، والمريخ في الجدي والزهرة في الحوت ، والقمر في الثور ، والشمس في وسط السماء في الحمل ، وهذا لا يكون إلا نهاراً . قال : نعم ، فمن كتاب الله ؟ قال : قول الله عزّ وجلّ « لا الشمس ينبغي لها أن تدرّك القمر ولا الليل سابق النهار ^(٣) » أي النهار يسبقه .

قال السيّد : ورويناه أيضاً بعدة أسانيد عن ابن جمهور العمّي وكان عالماً فاضلاً في كتاب الواحدة ، قال : و من مسائل ذي الرياستين للرّضا ﷺ أنهم تذاكروا بين يدي المأمون خلق الليل والنهار ، فبعض قال : خلق الله النهار قبل الليل ، و بعض قال : خلق الليل قبل النهار ، فرجعوا بالسؤال إلى أبي الحسن ﷺ فقال :

(١) في بعض النسخ ، ابن ذي القلمين .

(٢) العالم (خ) .

(٣) يس ، ٣٠ .

إنَّ اللهَ جلَّ ذكْرُه خلقَ النهارَ قبلَ الليلِ ، وخلقَ الضياءَ قبلَ الظلمةِ ، فإن شئتم أوجدتكم من القرآن ، وإن شئتم أوجدتكم من النجوم . فقال ذو الرياستين : أوجدنا من الجهتين جميعاً . فقال : أمّا النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان ولا يكون ذلك إلا والشمس في بيت شرفها في نصف النهار ، وأمّا القرآن ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر » (الآية) .

٢١ - و منه : نقلاً من كتاب ابن جمهور أيضاً بإسناده أن أمير المؤمنين عليه السلام لما صعد المنبر وقال سلوني قبل أن تفقدوني ، قال : فقام إليه رجل فسأله عن السواد الذي في القمر فقال عليه السلام : أعمى سأل عن عمياء ! أما سمعت الله عز وجل يقول : « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة »^(١) ، والسواد الذي تراه في القمر أن الله عز وجل خلق من نور عرشه شمسين فأمر جبرئيل فأمر جناحه الذي سبق من^(٢) علم الله جلَّت عظمته لما أراد أن يكون من اختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر وعدد الساعات والأيام والشهور ، والسنين والدهور ، والارتحال والنزول ، والإقبال والإدبار ، والحج والعمرة ، ومحل الدين ، وأجر الأجير ، وعدد أيام الحبل ، والمطلقة ، والمتوفى عنها زوجها ، وما أشبه ذلك .

بيان : « الذي » أي على الذي سبق في علم الله أن يكون قمراً ، والظاهر أنه كان هكذا على أحدهما للذي سبق .

٢٢ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أخيه إسحاق بن إبراهيم ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن الرضا عليه السلام قال : قلت له : بلغني أن يوم الجمعة أقصر الأيام ، قال : كذلك هو ، قلت : جعلت فداك كيف ذلك ؟ قال : إن الله تعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس ، فإذا ركبت الشمس عذب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعةً فإذا كان يوم الجمعة لا يكون للشمس ركود

(١) الاسراء ، ١٢٠ .

(٢) في (خ) .

رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة ، فلا يكون للشمس ركود^(١) .

٢٣ - الاختصاص : عن محمد بن أحمد العلوي ، عن أحمد بن زياد ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الصباح الكناني ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله « ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب^(٢) » ، (الآية) فقال : إن للشمس أربع سجديات كل يوم و ليلة : سجدة إذا صارت في طول السماء قبل أن يطلع الفجر ، قلت : بلى جعلت فداك ، قال : ذلك الفجر الكاذب ، لأن الشمس تخرج ساجدة وهي في طرف الأرض ، فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر و دخل وقت الصلاة . و أما السجدة الثانية فإنها إذا صارت في وسط القبّة و ارتفع النهار ركبت قبل الزوال ، فإذا صارت بهذاء العرش ركبت وسجدت ، فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبّة فيدخل وقت صلاة الزوال . و أما السجدة الثالثة أتمها إذا غابت من الأفق خرّت ساجدة ، فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل ، كما أنها حين زالت وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار^(٣) .

بيان : السجود في الآية بمعنى غائبة الخضوع و التذلل و الانقياد ، سواء كان بالإرادة و الاختيار أو بالقهر و الاضطرار ، فالجمادات لما لم يكن لها اختيار و إرادة فهي كاملة في الانقياد و الخضوع لما أراد الرب تعالى منها ، فهي على الدوام في السجود

(١) فروع الكافي (طبعة دار الكتب) ج ٣ ، ص ٤١٦ - أقول ، هذه الرواية وما يشابهها من الروايات الاتية من الاخبار المتشابهة و سيأتي من العلامة المؤلف رحمه الله ان فيها جهات من الاشكال و يذكر أيضاً ما يمكن ان يقال في دفعها ، ولعل اقرب الوجوه في معنى ركود الشمس انها إذا بلغت إلى وسط السماء يرى سيرها بحسب ظاهر الحس بطيئاً جداً حتى كأنها واقفة لا حركة لها و في معنى قصر يوم الجمعة انها يوم العيد و الراحة و ما يمضي من الاوقات بالراحة و السرور بعد قصيراً ، مع ان ارواح الكفار بحسب هذه الروايات لا تعذب في هذا اليوم فيكون لهم قصيراً جداً كما أن سائر الايام تطول عليهم في الغاية .

(٢) الحج ، ١٨ .

(٣) الاختصاص ، ٢١٣ .

و الانقياد للمعبود ، و التسبيح و التقديس له سبحانه بلسان الذلّ و الامكان و الافتقار و كذا الحيوانات العجم ، و أمّا ذوو العقول فلمّا كانوا ذوي إرادة و اختيار فهم من جهة الامكان و الافتقار و الانقياد للأُمور التكوينية كالجُمادات في السجود و التسبيح ، و من حيث الأُمور الإرادية و التكليفية منقسمون بقسمين : منهم الملائكة و هم جميعاً مغمومون ساجدون منقادون من تلك الجهة أيضاً ، و لعلّ المراد بقوله « من في السماوات و الأرض » هم (١) و أمّا الناس فهم قسمان : قسم مطيعون من تلك الجهة أيضاً ، و منهم عاصون من تلك الجهة و إن كانوا مطيعين من الجهة الأخرى ، فلم يتأتّ منهم غاية ما يمكن منهم من الانقياد ، فلذا قسّمهم سبحانه إلى قسمين فقال « و كثير من الناس و كثير حقّ عليه العذاب (٢) » ، فإذا حققت الآية هكذا لم تحتج إلى ما تكلفه المفسّرون من التقديرات و التأويلات و سيأتي بعض ما ذكره في هذا المقام . و أمّا الخبر فلعله كان ثلاث سجّادات أو سقط الرابع من النسخ ، و لعله بعد زوال الليل إلى وقت الطلوع ، أو قبل زوال الليل كما في النهار ، و إنّما خصّ عليه السلام السجود بهذه الأوقات لأنّه عند هذه الأوقات تظهر للناس انقيادها لله ، لأنّها تتحوّل من حالة معرفة إلى حالة أخرى و يظهر تغيير تامّ في أوضاعها ، و أيضاً إنّها أوقات معينة يترصّدها الناس لصلواتهم و صيامهم و سائر عباداتهم و معاملاتهم ، و أيضاً لما كان هبوطها و انحدارها و أقولها من علامات إمكانها و حدوثها كما قال الخليل عليه السلام « لا أحبّ الآفلين » خصّ السجود بتلك الأحوال ، أو بما يشرف عليها والله يعلم أسرار الآيات و الأخبار ، و حججه الأبرار عليهم السلام .

٢٤ - الاختصاص : قال الصادق عليه السلام : إذا كان عند غروب الشمس و كثر الله بها ملكاً ينادي « أيّها الناس أقبلوا على ربّكم ، فإن ما قلّ و كفى خير ممّا كثر

(١) ظاهر الآية الشريفة سجود عامة من في السماوات و الأرض لا خصوص الملائكة فقط و على هذا فحمل السجود فيها على السجود التكويني الذي يعم جميع الخلاق أولى .

(٢) الحجج : ١٨ ،

وألهى ، وملك موكل بالشمس عند طولها ينادي « يا ابن آدم لدللموت ، و ابن للخراب ، واجمع للفناء (١) » .

٢٥ - كتاب الغارات : لإبراهيم الثقفي " رفعه إلى أبي عمران الكندري " قال : سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن السواد الذي في جوف القمر ، قال : إن الله عز وجل يقول « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل (٢) » ، السواد الذي في جوف القمر قال : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس تطلع من مطلعها فتأتي مغربها ، من حدثك غير ذلك كذبك .

٢٦ - العلل : لمحمد بن علي بن إبراهيم ، قال العالم عليه السلام : علّة رد الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام وما طلعت على أهل الأرض كلهم أنه جلا الله السماء بالغمام إلا الموضع الذي كان فيه أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه ، فإنه جلاه حتى طلعت عليهم . قال : والعلّة في قصر يوم الجمعة أن الله يجمع الأرواح الكفارة والمشركين فيعدّ بهم تحت عين الشمس إلا يوم الجمعة ، فإنه ليس للشمس ركود ولا يعتد بالكفارة لفضل يوم الجمعة .

٢٧ - تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى « حتى عاد كالعرجون القديم » قال : العرجون طلع النخل ، وهو مثل الهلال في أول طلوعه . قال : وحدثني أبي ، عن داود بن محمد النهدي (٣) قال : دخل أبو سعيد المكاربي على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له : أبلغ من قدرك أن تدعي ما دعي أبوك ؟ فقال له الرضا عليه السلام مالك أطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك ؟ ! أما علمت أن الله أوحى إلى عمران أنني واهب لك ذكراً فوهب له مريم . ووهب لمريم عيسى ، فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى (٤) واحد ، وأنا من أبي ، وأبي مني ، وأنا وأبي شيء واحد . فقال له

(١) الاختصاص : ٢٣٤ .

(٢) الاسراء : ١٢ .

(٣) في المصدر ، النهدي .

(٤) > ١ و مريم و عيسى شيء واحد .

أبوسعيد : فأسألك عن مسألة ؟ قال : سل ولا إخالك تقبل مني و لست من غنمي ولكن هاتها . فقال له : ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك له قديم فهو حر لوجه الله ؟ قال : نعم ، ما كان لستة أشهر فهو قديم و هو حر ، لأن الله يقول « و القمر قد رناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ^(١) » ، فما كان ستة أشهر فهو قديم و هو حر ، قال : فخرج من عنده و افتقر و ذهب بصره ثم مات لعنه الله و ليس عنده مبيت ليلة ^(٢) .

بيان : هذا التفسير للعرجون غريب لم أره في غير هذا الكتاب ، ولا يناسب وصفه بالقديم أيضاً . و في القاموس : الطلع من النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان ، أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها ^(٣) و أبو سعيد كان من الواقعة و كان ينكر إمامة الرضا عليه السلام و إطفاء النور كناية عن ذهاب العز أو ذهاب نور البصر و لعل جوابه عليه السلام مبني على أن الواقعة كانوا متمسكين بما رري عن الصادق عليه السلام أن القائم عليه السلام من ولدي ، فأجاب عن استدلالهم بأن ولد الولد أيضاً ولد ، ولو سلم كونه مجازاً فعلاقة المجاز هنا قوية للاتحاد في الكمالات والأنوار و في القاموس خال الشيء خيلولة : ظنه ، و تقول في مستقبله : إخاله - بكسر الألف - و يفتح في لغية ^(٤) . قوله « و لست من غنمي » أي ممن يقول بإمامتي و من شيعتي « و ليس عنده مبيت ليلة » أي قوت ليلة .

٢٨ - الفقيه : بإسناده عن محمد بن مسلم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال : يا محمد ، ما أصغر جثمتك و أعضل مسألتك ! و إنك لأهل للجواب إن الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك بعد أن أخذ بكل شعاع ^(٥) منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب و دافع ، حتى إذا بلغت الجو و جازت

(١) يس : ٣٩ .

(٢) تفسير على بن ابراهيم : ٥٥١ .

(٣) القاموس : ج ٣ ، ص ٥٩ .

(٤) > : ج ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٥) شعبه (خ) .

الكوفة قلبها ملك النور ظهر البطن ، فصار ما يلي الأرض إلى السماء و بلغ شعاعها تخوم الأرض ^(١) فعند ذلك نادى الملائكة « سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، و الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الدن و كبره تكبيراً » فقالت ^(٢) له : جعلت فداك أحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس ؟ فقال : نعم ، حافظ عليه كما تحافظ على عينك ^(٣) فأذابت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون الله في فلك الجوّ إلى أن تغيب ^(٤) .

٢٩ - و سئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تر كد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود ؟ قال : لأن الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيّق الأيام ، فقيل له : ولم جعله أضيّق الأيام ؟ قال : لأنه لا يعذب المشركين في ذلك اليوم لحرمة عنده ^(٥) .

بيان : « الركود » السكون و الثبات « ما أصغر جنتك ؟ » تعجب من أن الإنسان مع هذا الصغر يطلب فهم معاني الأمور و دقائقها ، أو تأديب له بأنه لا ينبغي له أن يتكلف علم ما لم يؤمر بعلمه . و قال في النهاية : أصل العضل المنع و الشدة ، يقال « أعضل بي الأمر » إذا ضاقت عليك فيه الحيل ، و منه حديث عمر « أعود بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن » و روي « معضلة » أراد المسألة الصعبة أو الخطة الضيقة المخارج من الأعضاء أو التعضيل ، و يريد بأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٦) و بعد أن أخذ ، ليس في بعض النسخ « بعد أن » و على التقديرين يحتمل أن يكون خمسة آلاف من جملة السبعين أو غيرهم ، و إن كان الثاني على

(١) في المصدر : العرش .

(٢) « فقال له » و هو المناسب لسياق الكلام .

(٣) عينك (خ) .

(٤) من لا يحضره الفقيه ، ٦٠ .

(٥) من لا يحضره الفقيه ، ٦٠ .

(٦) النهاية : ج ٣ ، ص ١٠٣ .

النسخة الأولى أظهر « من بين جاذب و دافع » على الأوّل يكون المعنى أن هؤلاء السبعين مردّدون من بين جاذب يجذبها قدّامها، ودافع يدفعها من خلفها ، ومنقسمون إليهما ، أو الشمس كائنة بين جاذب ودافع من تلك السبعين ، فالمراد بالجذب أوّلاً ما يصير سبباً للحركة أعين من أن يكون بالجذب أو الدفع ، أو يكون نسبة الجذب إلى التجميع على المجاز ، و على الثاني فالمعنى أن الشمس واقعة بين جاذب من سبعين ألف ملك ، و دافع من خمسة آلاف ، وعلى الوجهين يصحّ أن يكون المراد بحركة الجذب الحركة اليومية السريعة على خلاف التوالي التابعة لحركة الفلك الأطلس التي يحصل اليوم و الليل منها ، و بحركة الدفع حركة الفلك الرابع الذي فيه الشمس على التوالي البروج وهي بطيئة تقطع بها في كل سنة دورة ، فالمعنى أن الشمس إذا طلعت جذبها الملائكة السبعون ألفاً إلى المغرب بالحركة اليومية مع أنه أخذ بكل شعاع منها أو بمكان كل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة تدفعها إلى جانب المشرق بالحركة الخاصة ، فتسير الشمس بقدر فضل ما بين الحرّكتين « حتى إذا بلغت الجو » أي وسط السماء مجازاً ، وفي الأصل ما بين السماء والأرض « و جازت الكوة » في بعض النسخ بدون التاء ، و في القاموس : الكوة و يضمّ و الكوة : الخرق في الحائط ، أو التذكير للكبير و التأنيث للصغير ، و الجمع : كوى و كوا^(١) (انتهى) أي خرجت أشعة الشمس من الكوى المشرقية ، و ذلك عند قرب الزوال ، و ربما يؤوّل الكوة بدائرة نصف النهار على الاستعارة « قلبها ملك النور » ربما يؤوّل ذلك بأنه لما كانت الشمس صاعدة كان الجانب الذي منها يلي المشرق تحت الجانب الغربي منها ، فإذا جازت نصف النهار و انحدرت صار الأمر بالعكس ، و صار ما كان يلي الأرض أي الجانب الشرقي إلى السماء أي إلى جهة الفوق ، فلذا نسب إليه القلب ، ولا يخفى أنه على هذا يصير الكلام قليل الجدوى منع أن ظاهره غير ممتنع . و التخوم : جمع التخم و هو منتهى كل قرية و أرض ، و لعل المراد بفلك الجو جو الفلك ، أي ما بين السماء الرابعة و الخامسة .

(١) القاموس : ج ٤ ص ٢٣٨ .

ثم إنه يرد الإشكال على هذه الأخبار من وجوه : الاول أن ركود الشمس حقيقة مخالف لما يشهد به الحس من عدم التفاوت في أجزاء النهار وقطع قسي مدارات الشمس والثاني أن الشمس في كل آن في نصف النهار لقوم ، فيلزم سكون الشمس دائماً . الثالث أن التفاوت بين يوم الجمعة وغيره أيضاً مما يشهد الحس بخلافه الرابع أن حرارة الشمس ليس باعتبار جرمه حتى يقع تعذيب أرواح المشركين بتقريبهم من عين الشمس ، بل باعتبار انعكاس الأشعة عن الأجسام الكثيفة ، ولذا كلما بعد عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أخف .

ويمكن الجواب عن الأول والثالث بأنه يمكن أن يكون الركود قليلاً لا يظهر في الآلات التي تعرف بها الساعات ، ولا يمكن الحكم على التوسع والعواشر وأقل منها على اليقين ، وإنما مبناها على التخمين . وعن الثاني بأنه يمكن أن يكون المراد نصف نهار موضع خاص كمكة أو المدينة أو قبة الأرض ، وأورد عليه بأنه يلزم أن يقع الركود في البلاد الأخر في الضحى أو في العصر ولا يلتزمه أحد . وعن الرابع بأنه يمكن أن يكون للشمس حرارتان : حرارة من جهة الجرم وأخرى من جهة الانعكاس ، وما قيل من أن الفلكيات لا تقبل تلك الكيفيات لم يثبت بدليل قاطع . وربما يؤول الركود بوجهين : الاول أنه عند القرب من نصف النهار يحس بحركة^(١) الشمس في غاية البطء ، فكأنه ساكن فاطلق الركود عليه مجازاً ، أو بأنه يعدم الظل عند الزوال في بعض البلاد فلا حركة للظل حينئذ فركود الشمس ركود ظله ، وما قيل من أن المراد ركود الظل بناء على ما تقرّر من أن بين كل حركتين مستقيمتين سكون فلا بد من سكون بين زيادة الظل و نقصانه فلا يخفى بعد حمل الركود على مثل ذلك جداً ، مع أن نسبة الحركة إلى الظل مجاز ، بل هو إيجاد لبعض أجزاء الظل وإعدام له ، وعلى تقدير كونه حقيقة فليست بحركة مستقيمة . الثاني أنه لما كانت أيام الراحة عند الناس سريعة الانقضاء وأيام الشدة طويلة ، فيوم الجمعة عند المشركين قصيرة لعدم تعذيبهم عند

(١) حركة (خ)

زوال الشمس فيه ، و سائر الأيام طويلة عندهم لتعذيبهم عند زواله ، فالمراد بقول السائل في الخبر الثاني « كيف تركد ؟ » ما معنى ركودها ، فأجاب عليه السلام بأن المراد هذا الركود و الضيق المجازيان . و ربما يحمل ضيق الجمعة و قصره على أن أعمال المؤمنين فيه كثيرة لا يسع اليوم لها ، فكأنه لا تركد فيه الشمس . ولا يخفى بعد هذه الوجوه كلها ، و الأولى في أمثال ذلك عدم الخوض فيها و التسليم لها بأي معنى صدرت عنهم عليه السلام على تقدير صحتها ، فإنها من متشابهات الأخبار و معضلات الآثار ، ولا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم .

٣٠ - الفقيه : بسنده الصحيح عن حريز بن عبدالله أنه قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل فقال له : جعلت فداك ، إن الشمس تنقض ثم تركد ساعة من قبل أن تزول ؟ فقال : إنها تؤامر : أتزول أم لا تزول (١) .

بيان : انقضاء الطائر هويتها ليقع ، و هذا أسرع ما يكون من طيرانه ، و المراد هنا سرعة حركة الشمس عند الصعود ، و ركودها ببطء حركتها . و المؤامرة إما من الملائكة الموكلين بها ، أو هي استعارة تمثيلية شبيهت حالة الشمس في سرعتها عند الصعود و ركودها ثم إسرائها في الهبوط بمن أتى سلطاناً قاهراً ثم أمره هل يذهب إلى حاجة أخرى أم لا ، و الغرض هنا ليس محض الاستعارة بل بيان أن جميع المخلوقات مقهورة بقهره سبحانه ، مسخرة لأمره ، و كل ما يقع منها بتقديره و تدبيره تعالى .

٣١ - الفقيه : عن الصادق عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى أوحى إلى موسى ابن عمران عليه السلام أن أخرج عظام يوسف عليه السلام من مصر و وعده طلوع القمر ، فأبطأ طلوع القمر عليه فسأل عمه عن يعلم موضعه ، فقيل له : ههنا عجوز تعلم علمه ، فبعث إليها فأنتي بعجوز مقعدة عمياء ، فقال : تعرفين (٢) قبر يوسف ؟ قالت : نعم ، قال : فأخبريني بموضعه ، قالت : لا أفعل حتى تعطيني خصلاً : تطلق رجلي ، و تعيد

(١) من لا يحضره الفقيه ، ٦٠ .

(٢) في المصدر : أتعرفين .

إليّ بصري ، و تردّ إليّ شبابي ، و تجعلني معك في الجنة . فكبر ذلك على موسى عليه السلام ، فأوحى الله عزّ و جلّ إليه : إنّما تعطي عليّ فأعطاها ما سألت ، ففعل فدلته على قبر يوسف عليه السلام فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر ، فلمّا أخرجته طلع القمر فحمله إلى الشام ^(١) .

أقول : قد مرّ نقلاً عن العيون عن الرضا عليه السلام أنّه قال : احتبس القمر عن بني إسرائيل ، فأوحى الله عزّ و جلّ إلى موسى عليه السلام أن أخرج عظام يوسف من مصر و وعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه ، فسأل موسى عليه السلام عن موضعها - و ساق الخبر كما مرّ - .

بيان : يدلّ ردّ أ على الفلاسفة على جواز الاختلاف في حركات الفلكيات ، و منعها عن الحركة بأذن خالق الأرضين و السماوات .

٣٢ - **المتهجد :** روى محمد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : بلغني أنّ يوم الجمعة أقصر الأيام . قال : كذلك هو ، قلت : جعلت فداك ، كيف ذلك ؟ قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس ، فإذا كدرت الشمس عدّت أرواح المشركين بر كود الشمس فإذا كان يوم الجمعة رفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة ، فلا يكون للشمس ركود ^(٢) .

٣٣ - **توحيد المفضل :** فكّر يا مفضل في مقادير النهار و الليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق ، فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك ^(٣) أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان و نبات ؟ أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة ، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لودام لها ضوء النهار ، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل و الحركة ، و كان ذلك سيهلكها

(١) من لا يحضره الفقيه ، ٥١ .

(٢) قد مرّ الخبر مستنداً عن الكافي تحت الرقم (٢٢) من هذا الباب .

(٣) يعني في معظم المعمورة ، و إلا ففي البلاد القطبية يطول النهار إلى ستة أشهر .

أجمع و يؤدبها إلى التلف . و أمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار و وهج الشمس حتى يجفّ و يحترق ، و كذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة و التصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعاً ، و تخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن و يفسد ، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس .

اعتبر بهذا الحرّ و البرد كيف يتعاوران العالم ، و يتصرفان هذا التصرف من الزيادة و النقصان و الاعتدال لا قامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، و ما فيهما من المصالح ، ثمّ هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها و فيها صلاحها ، فإنّه لولا الحرّ و البرد و تداولهما الأبدان لفسدت و أخوت و اتكثت . فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدرّج و الترسل ، فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء ، و الآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة و النقصان ، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لضرّ ذلك بالأبدان و أسقمها كما أن أحدكم لو خرج من حمام حارّ إلى موضع البرودة لضرّه ذلك و أسقم بدنه ، فلم جعل الله عزّ و جلّ هذا الرّسل^(١) في الحرّ و البرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجأة ؟ و لم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر^(٢) المفاجأة لولا التدبير في ذلك ؟ فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحرّ و البرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع و الانحطاط سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها و انحطاطها ، فإن اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك ، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتى استقرّ على العمد و التدبير . لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين و تعذب حتى يتفكّه بهارطبة و يابسة ، و لولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا . و يربيع الربيع الكثير الذي يتسع لاقوت و ما يرد في الأرض للبذر ، أفلاترى ما في الحرّ و البرد

(١) الترسل (خ) .

(٢) ضرر (خ) .

من عظيم الغناء والمنفعة ، و كلاهما مع غناؤه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضها
وفي ذلك عبرة لمن فكّر ، و دلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم و
ما فيه .

توضيح : قوله عليه السلام « لا يجاوز ذلك » أي في معظم المعمورة ، وفي المصباح :
خوت الدار: خلت من أهلها ، وخوت الإبل تخوية : خمصت بطونها ، وقال الفيروز-
آبادي : خوت الدار تهدمت ، و النجوم خيئاً أحملت فلم تمطر كأخوت و خوت
و قال : المنتكث المهزول ، و قال : الترسل الرفق و التؤدة (انتهى) قوله عليه السلام
« بعد ما بين المشرق و المغرب كناية عن عظم الدائرة التي يقطع
عليها البروج ، أو مشرق الصيف و الشتاء ، والأول أظهر . قوله عليه السلام « الجاسية »
أي الصلبة « حنئى يتفكّه بها » أي يتمتّع بها ، و الريح : النماء و الزيادة ، و قال
الجوهري : أمضني الجرح إمضاضاً إذا أوجعك ، وفيه لغة أخرى : مضني الجرح
و لم يعرفها الأصمعي* (١) .

٣٤ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق عليه السلام : فإن قالوا فلم يختلف فيه
أي في ذاته تعالى و صفاته ؟ قيل لهم : لقصر الأفهام عن مدى عظمته ، و تعدد أبعادها
أقدارها في طلب معرفته ، و أنها تروم الإحاطة به و هي تعجز عن ذلك و ما دونه
فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ، و
لذلك كثرت الأقاويل فيها ، و اختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها ، فقال بعضهم :
هو فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج و الشعاع ، و قال آخرون : هو
سحابة ، و قال آخرون : هو جسم زجاجي يقبل نارياً في العالم و يرسل عليه شعاعها
و قال آخرون : هو فصول لطيف ينقذ من ماء بحر ، و قال آخرون : هو أجزاء كثيرة
مجتمعة من النار ، و قال آخرون : هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع .
ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم : هي بمنزلة صفيحة عريضة ، و قال آخرون : هي
كالكرة المدحرجة ، و كذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض

سوا ، و قال آخرون : بل هي أقل من ذلك ، و قال آخرون : بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة ، و قال أصحاب الهندسة : هي أضعاف الأرض مائة و سبعون مرة ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، و إذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر و يدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس و استتر عن الوهم ؟!

بيان : أقول : لعل ما ذكره عليه السلام من قول أصحاب الهندسة قول بعض قدمائهم ، مع أنه قريب من المشهور كما عرفت ، و الاختلاف بين قدمائهم ومتأخريهم في أشباه ذلك كثير .

٣٥ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق عليه السلام فكريا مفضل في طلوع الشمس و غروبها لإقامة دولتي النهار و الليل ، فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معاشهم ، و ينصرفون في أمورهم ، و الدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم لذة النور و روحه ، و الإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره ، و الزيادة في شرحه ، بل تأمل المنفعة في غروبها ، فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء و لاقرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء و الراحة ، لسكون أبدانهم ، و هجوم حواسهم ، و انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ، ثم كان الحرص سيحملهم من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم ، فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء و لاقرار ، حرصاً على الكسب و الجمع و الادخار ، ثم كانت الأرض تستحمي ^(١) بدوام الشمس بضياؤها ^(٢) و تحمي كل ما عليها من حيوان و نبات ، فقد رها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتاً و تغرب وقتاً ، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا و يقرؤا ، فصار

(١) تستحمي (خ) .

(٢) وضياؤها (خ) .

النور والظلمة مع تضادّهما متقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه .
ثمّ فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس و انحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة
من السنة و ما في ذلك من التدبير و المصلحة ، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر
و النبات ، فيتولّد فيهما موادّ الثمار ، ويستكثف الهواء ، فينشأ منه السحاب و المطر
و تشتدّ أبدان الحيوان و تقوى . و في الربيع تتحرك و تظهر الموادّ المتولّدة في
الشتاء ، فيطلع النبات ، و تنور الأشجار ، و يهبج الحيوان للسفاد . و في الصيف
يحتدم الهواء ، فينضج الثمار . و تتحلّل فضول الأبدان ، و يجفّ وجه الأرض فتهدأ
للبناء و الأعمال . و في الخريف يصفو الهواء ، و يرتفع الأمراض ، و تصحّ الأبدان
و يمتدّ الليل و يمكن فيه بعض الأعمال لطوله ، و يطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى
لو تفصّيت لذكرها لطلال فيها الكلام .

فكّر الآن في تنقلّ الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة و ما في
ذلك من التدبير ، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة : الشتاء ، و الربيع
و الصيف ، و الخريف ، و يستوفيا على التمام ، و في هذا المقدار من دوران الشمس
تدرك الغلات و الثمار ، و تنتهي إلى غاياتها ، ثمّ تعود فيستأنف النشوء و النموّ ، ألا
ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل ، فبالسنة و أخواتها يكال
الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ رقت و عصر من غابر الأيام ، و
بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات الموقّنة للديون و الإجازات و المعاملات و غير
ذلك من أمورهم ، و بمسير الشمس تكمل السنة و يقوم حساب الزمان على الصحة
انظر إلى سروقها على العالم كيف دبّر أن يكون ، فإنّها لو كانت تبرزغ في موضع
من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منفعتها إلى كثير من الجهات ، لأنّ
الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها ، فجعلت تطلع في أوّل النهار من المشرق
فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ، ثمّ لا تزال تدور و تغشى جهة بعد جهة حتّى
تنتهي إلى المغرب ، فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار ، فلا يبقى موضع من
المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة منها ، و الإرب التي قدّرت له ، و لو تخلّفت

مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجلييلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصار تجري على مجاريها، لا تعتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم وما فيه بقاءه؟ استدل بالقمر ففيه دلالة جلييلة^(١) تستعملها العامة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة، لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة، ونشوء الثمار و تصرفها، ولذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس و سنيها، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء و مرة بالصيف. فكّر في إنارته في ظلمة الليل و الإرب في ذلك، فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داخبة لاضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصّي الأعمال بالنهار، أو لشدة الحر و إفراطه، فيعمل^(٢) في ضوء القمر أعمالاً شتى، كحراث الأرض، و ضرب اللبن. و قطع الخشب و ما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، و أنسأ للسائرين و جعل طلوعه في بعض الليل دون بعض، و نقص مع ذلك من نور الشمس و ضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، و يمتنعوا من الهدء و القرار، فيهلكهم ذلك، و في تصرف القمر خاصّة في مهله^(٣) و محاقه، و زيادته، و نقصانه، و كسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر فيه المعتبرون.

بيان: الدولة - بالفتح و الضم - : انقلاب الزمان، و دالت الأيام: دارت والله يداولها بين الناس. و هده - كمنع - هدهأ و هدوءاً: سكن، و يقال: نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم و جرحت، و جنم الإنسان و الطائر و النعام يجنم جنماً

(١) جليية (ظ).

(٢) فيعملون (خ).

(٣) في تهله (خ).

وجنوماً : لزم مكانه لم يبرح ، و المراد جنومهم في الليل ، و التظاهر : التعاون ، و نور الشجر أي أخرج نوره ، و حدم النار شدة احتراقها ، و التقصي : بلوغ أقصى الشيء و نهايته ، و الغابر : الباقي و الماضي و المراد هنا الثاني ، و بزغت الشمس بزوغاً : شرقت ، أو البزوغ ابتداء الطلوع ، و قال الجوهري : اعتل عليه^(١) و اعتلّه إذا اعتاقه عن أمر (انتهى) ، و ليلة داخية أي مظلمة .

٣٦ - الصحيفة السجادية : صلوات الله على من ألهمها : كان من دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نظر إلى الهلال : أيها الخلق المطيع الدائب السريع ، المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير ، آمنت بمن نور بك الظلم ، وأوضح بك البهيم ، وجعلك آية من آيات ملكه ، و علامة من علامات سلطانه ، و امتنك بالزيادة و النقصان ، و الطلوع و الأفول ، و الإنبارة و الكسوف ، في كل ذلك أنت له مطيع ، و إلى إزادته سريع ، سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك ، و ألطف ما صنع في شأنك ! جعلك مفتاح شهر حادث ، لأمر حادث - إلى آخر الدعاء .

تنوير : اعلم أن الهلال إنما سمي هلالاً لجريان عادتهم برفع الأصوات عند رؤيته من الإهلال و هو رفع الصوت ، و قد اضطربوا في تحديد الوقت الذي يسمّى فيه بهذا الاسم ، فقال في الصحاح : الهلال أوّل ليلة و الثانية و الثالثة ثم هو قمر^(٢) و زاد صاحب القاموس فقال : الهلال غرة القمر ، أو لليلتين ، أو إلى ثلاث أو إلى سبع ، و الميلتين من آخر الشهر : ست و عشرين ، و سبع و عشرين ، و في غير ذلك قمر^(٣) . و قال في مجمع البيان : اختلفوا في أنه إلى كم يسمّى هلالاً و متى يسمّى قمرأ ، فقال بعضهم : يسمّى هلالاً لليلتين من الشهر ، ثم لا يسمّى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني . و قال آخرون : يسمّى هلالاً ثلاث ليال ، ثم يسمّى قمرأ . و قال آخرون^(٤) : يسمّى هلالاً حتى

(١) في المصدر : اعتل عليه بعملة . . . الصحاح ، ج ٥ ، ص ١٧٧٣

(٢) الصحاح : ج ٥ ، ص ١٨٥١

(٣) القاموس ، ج ٤ ، ص ٧٠

(٤) في المصدر : قال بعضهم .

يحجر ، و تحجيره أن يستدير بخطّ دقيق^(١) و هذا قول الأصمعي ، و قال بعضهم : يسمّى هلالاً حتى يبهروضوه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة^(٢) (انتهى) و قالوا : إنّما يسمّى بعد الهلال قمرأ لبياضه ، فإنّ القمر هو الأبيض و قيل : لأنّه يقمر الكواكب أي يغلبها بزيادة النور ، و يسمّى في الليلة الرابعة عشر بدرأ . قال في الصحاح : سمي بذلك لمبادرته الشمس في الطلوع كأنّه يعجلها المغيب ، و يقال : سميّ لتمامه^(٣) (انتهى) أي تشبيهاً له بالبدرة الكاملة ، و هي عشرة آلاف درهم . قال الشيخ البهائي - ره - يمتدّ : وقت الدعاء بامتداد وقت التسمية هلالاً ، و الأولى عدم تأخيره عن الأولى عملاً بالمتيقّن المتفق عليه لغة و عرفاً ، فإن لم يتيسّر فعن الثانية لقول أهل اللغة بالامتداد إليها ، فإن فاتت فعن الثالثة لقول كثير منهم بأنّها آخر لياليه .

و أمّا ما ذكره صاحب القاموس و شيخنا أبو عليّ - ره - من إطلاق الهلال عليه إلى السابعة فهو خلاف المشهور لغة و عرفاً ، و كأنّه مجاز من قبيل إطلاقه عليه في الليلتين الأخيرتين - ثمّ قال : - ولو قيل بامتداد ذلك إلى ثلاث ليال لم يكن بعيداً ، فلو نذر قراءة دعاء الهلال عند رؤيته و قلنا بالمجازيّة فيما فوق الثلاث لم تجب عليه القراءة برؤيته فيما فوقها حملاً للمطلق على الحقيقة ، و هل تشرع ؟ الظاهر نعم إن رآه في تتمّة السبع ، رعاية لجانب الاحتياط . فأما فيما فوقها فلا ، لأنّه تشرية و لو رآه يوم الثلاثين فلا وجوب على الظاهر ، لعدم تسميته حينئذ هلالاً . قوله **عَلَيْهِ** « أيها الخلق المطيع » الخلق في الأصل مصدر بمعنى الإبداع و التقدير ، ثمّ استعمل بمعنى المخلوق كالرزق بمعنى المرزوق ، و إطاعته كناية عن تأتّي كلّ ما أراده سبحانه فيه ، تشبيهاً بإطاعة العبد لمولاه « الدائب السريع » يقال : دأب فلان في عمله أي جدّ و تعب ، و جاء في تفسير قوله تعالى « وسخر لكم

(١) في المصدر ، بخطّة دقيقة .

(٢) مجمع البيان : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٣) الصحاح ، ج ٢ ، ص ٥٨٧ .

الشمس والقمر دائبين^(١) ، أي مستمرين في عملهما على عادة مقررة جارية . قال الشيخ البهائي - ره - وصفه ﷺ القمر بالسرعة ، ربما يعطي بحسب الظاهر أن يكون المراد سرعته باعتبار حر كته الذاتية التي يدور بها على نفسه ، وتجر كجميع الكواكب بهذه الحر كه مما قال به جم غفير من أساطين الحكماء ، وهو يقتضي كون المبحو المرئي في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه ، وإلا لتبدل وضعه كما قاله سلطان المحققين في شرح الإشارات . والأظهر أن ما وصفه به ﷺ من السرعة إنما هو باعتبار حر كته العرضية التي يتوسط فلكه ، فإن تلك الحركة على تقدير وجودها غير محسوسة ولا معروفة ، والحمل على المحسوس المتعارف أولى ، و سرعة حر كة القمر بالنسبة إلى سائر الكواكب أمّا الثوابت فظاهر ، لكون حر كتها من أبطأ الحركات ، حتى أن القدماء لم يدر كوها ، وأمّا السيارات فلأن زحل يتم الدورة في ثلاثين سنة ، والمشتري في اثنتي عشرة سنة ، والمريخ في سنة وعشرة أشهر ونصف ، وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب من سنة ، وأمّا القمر فيتم الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً ، ولا يبعد أن يكون وصفه ﷺ القمر بالسرعة باعتبار حر كته المحسوسة ، على أنها ذاتية له بناء على تجويز كون بعض حر كات السيارات في أفلاكها من قبيل حر كة الحيتان في الماء كما ذهب إليه جماعة ويؤيده ظاهر قوله تعالى « كل في فلك يسبحون^(٢) » ودعوى امتناع الخرق [و الالتئام] على الأفلاك لم تقترن بالثبوت ، وما لفقّه الفلاسفة لإثباتها أو هن من بيت العنكبوت ، لا بثنائه على عدم قبول الفلك بأجزائها الحركة المستقيمة ، ودون ثبوت خرط القتاد ، والتنزيل الالهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها ، وما ثبت من معراج نبينا ﷺ بجسده المقدس إلى السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها .

« المتروّد في منازل التقدير » أي السائر في المنازل التي قدرها الله تعالى لها

(١) ابراهيم ، ٣٣ .

(٢) يس ، ٣٠ .

إشارة إلى قوله تعالى « والقمر قدرناه منازل ^(١) » ، وهي المنازل الثمانية والعشرون التي يقطعها في كل شهر بحر كته التحاصصة ، فيرى كل ليلة نازلاً بقرب واحد منها قال نصير الملة والدين - ره - في التذكرة : و أما منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج ، جعلها العرب علامات الأقسام الثمانية والعشرين التي قسمت المنطقة بها ، لتكون مطابقة لعدد أيام دور القمر . وقال الخفري في شرحه والمراد من المنزل المسافة التي يقطعها القمر في يوم بليلته ، ومنازل القمر عند [أهل] الهند سبعة وعشرون يوماً بليلته وثلث ، فخذفوا الثلث لكونه أقل من النصف كما هو عادة أهل التنجيم ، وأما عند العرب فهي ثمانية وعشرون ، لالأنهم تمموا الثلث واحداً كما قال البعض ، بل لأنه لما كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلة مختلفة الأوائل لوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء أخرى احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يشتغلوا في استقبال كل فصل منها بما يهتم فيه ، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من الثلاثين يوماً ، ويختفي في آخر الشهر ليلتين أو أكثر أو أقل ، فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقي ثمانية وعشرون ، وهو الزمان الأغلب بين رؤيته بالعشيات في أول الشهر ورؤيته بالغدوات في آخره ، فقسّموا دور الفلك عليه ، فكان كل منزل اثنتي عشرة درجة وإحدى وخمسين دقيقة تقريباً ، أي ستة أسباع درجة فنصيب كل برج منزلان وثلث ، ثم وجدوا الشمس تقطع كل منزل في ثلاثة عشر يوماً بالتقريب ، فصار المنازل في ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً ، لكن عود الشمس إلى كل منزل إنما يكون في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً فزادوا يوماً في أيام منازل غفر ، وقد يحتاج إلى زيادة يومين للكبيسة حتى تصير أيامه خمسة عشر ويكون انقضاء أيام السنة الشمسية مع انقضاء أيام المنازل ورجوع الأمر إلى منزل جعل مبدءاً . ثم إنهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب ممر القمر أو يحاذيه ، فيرى كل ليلة نازلاً بقرب أحدها

فإن سترها يقال « كفحه فكافحه » أي واجهه فقلبه ولا يتفاعل به ، وإن لم يستره يقال « عدل القمر » ويتفاعل به ، وإذا أسرع القمر في سيره فقد يخلي منزلاً في الوسط ، وإذا أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل ، أوّل ليلتين في أوّله و آخرهما في آخره ، وقد يرى في بعض الليالي بين منزلين ، وما يقال في المشهور إنّ الظاهر من المنازل في كل ليلة يكون أربعة عشر و كذا الخفي ، وأنه إذا طلع منزل غاب رقيبته وهو الخامس عشر من الطالع ظاهر الفساد ، لأنّها ليست على نفس المنطقة ولا أبعاد ما بينهما (١) متساوية ، ولهذا قد يكون الظاهر ستّة عشر أو سبعة عشر . و يمكن أن يقال : إنّ مرادهم من المنازل نفس المنازل لا علاماتها ، وحينئذ يصحّ الحكمان المذكوران ، وبمثل ما ذكر يعلم فساد ما هو المشهور أيضاً من أنّ ستّة بروج ظاهرة وستة خفية ، فإنّه أيضاً إنّما يصحّ بمقتضى الحساب في نفس البروج لا بحسب صورها من الثوابت ، لأنّها لا تقسم المنطقة على سواء بحيث ينطبق أوّل صورة كلّ برج على أوّله و آخرها على آخره ، ولعلّ مرادهم بذلك أنّ نصف البروج نفسها ظاهرة لأنّ نصف صورها ظاهرة ، فيندفع الخلل عن هذا القول أيضاً ، و العرب تسمي خروج المنزل من ضياء الفجر طلوعه و غروب رقيبته وقت الصبح سقوطه ، و تسمي المنازل التي يكون طلوعها في مواسم المطر « الأنواء » و رقباءها إذا طلعت في غير مواسم المطر « البوارح » والأربعة الشمالية التي أوّلها الشرطين و آخرها السماك « شامية » و الباقية التي أوّلها الغفر و آخرها بطن الحوت « يمانية » (انتهى) .

و قال الشيخ البهائي - ره - : الظاهر أنّ مراده بالتعريف بتردد القمر في منازل التقدير عوده إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إياها في السابق ، فتكون كلمة « في » بمعنى « إلى » و يمكن أن تبقى على معناها الأصليّ بجعل المنازل ظرفاً للتردد فإنّ حر كته التي يقطع بها تلك المنازل لمسا كانت مركبة من شرقية و غربية جعل كأنّه لتجرّكه فيها بالحر كتين المختلفتين متردّد يقدم رجلاً و يؤخّر أخرى

(١) ما بينها (خ) .

و أمّا على رأي من يمنع جواز قيام الحر كتين المختلفتين بالجسم ، ويرى أن للنملة المتحركّة بخلاف حركة الرحي سكوناً حال حر كنها فتشبيهه بالمتردّد أظهر .
 « المتصرف في فلك التدبير » التصرف : التقلب ، إشارة إلى أن تقلباته و تغيراته بتدبير الحكيم الخبير و الفلك مجرى الكواكب سمي به تشبيهاً بفلكة المغزل في الاستدازة و الدوران . قال أبو ریحان : إن العرب و الفرس سلكوا في تسمية السماء مسلكاً واحداً ، فإن العرب تسمي السماء فلكاً تشبيهاً لها بفلكة الدولاب ، و الفرس سمّوها بلفظهم « آسمان » تشبيهاً لها بالرحى ، فإن « آس » هو الرحي بلسانهم و « مان » دال على التشبيه (انتهى) .

و قال الشيخ البهائي - ره - : المراد بفلك التدبير أقرب الأفلاك التسع إلى عالم العناصر ، أي الفلك الذي يتدبر بعض مصالح عالم الكون و الفساد ، و قد ذكر بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى « فالمدبرات أمراً ^(١) » أن المراد بها الأفلاك و هو أحد الوجوه التي أوردها الطبرسي - ره - و يمكن أن يكون على ضرب من المجاز كما يسمي ما يقطع به الشيء قاطعاً ، وربما يوجد في بعض النسخ « المتصرف في فلك التدوير » و هو صحيح أيضاً و إن كانت النسخة الأولى أصح ، و المراد به رابع أفلاك القمر و هو الفلك الغير المحيط بالأرض ، المركز هو فيه ، المتحرك أسفله على التوالي البروج و أعلاه بخلافه مخالفاً لسائر تدوير السيارة كل يوم ثلاث عشرة درجة و ثلاث دقائق و أربعاً و خمسين ثانية ، و هو مركز في ثخن ثالث أفلاكه المسمى بالحامل ، المبعاد مركزه عن مركز العالم بعشر درج ، المتحرك على التوالي كل يوم أربعاً و عشرين درجة ، و اثنين و عشرين دقيقة ، و ثلاث و خمسين ثانية ، و هو واقع في ثخن ثاني أفلاكه المسمى بالمائل ، الموافق مركزه مركز العالم ، المماس مقعّره بمجدّب النار ، الفاضل عن الحامل الموافق له في ميل منطقتة عن منطقة البروج بمتسمين مندرجتي الرقعة إلى نقطتي الأوج و الحضيض المتحرك على خلاف التوالي كل يوم إحدى عشرة درجة ، و تسع دقائق ، و سبع

ثوان ، وهو واقع في جوف أول أفلاكه المسمى بالجوزهر ، الموافق مركزه مركز العالم و منطقته منطقة البروج ، المماسّ محدّ به مقعرٌ ممثّل عطارد ، المتحرّك كالثاني كلّ يوم ثلاث دقائق و إحدى عشرة ثانية . ثمّ قال : - ولا يبعد أن تكون الإضافة في فلك التدبير من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف ، كقولهم « مجلس الحكم » و « دار القضاء » أي الفلك الذي هو مكان التدبير و محلّه ، نظراً إلى أن ملائكة سماء الدنيا يدبّرون أمر العالم السفليّ فيه ، أو إلى أن كلاً من السيارات السبع يدبّر في فلكها أمراً هي مسخّرة له بأمر خالقها و مبدعها ، كما ذكره جماعة من المفسّرين في تفسير قوله تعالى « فالمدبّرات أمراً ^(١) » و يمكن أن يراد بفلك التدبير مجموع الأفلاك الجزئيةّ يتدبّر بها الأحوال المنسوبة إلى القمر بأسرها ، و ينضبط بها الأمور المتعلقة به بأجمعها ، حتّى تشابه حامله حول مركز العالم ، و محاذاة قطر تدويره نقطة سواه إلى غير ذلك ، و تلك الأفلاك الجزئيةّ هي الأربعة السالفة مع ما زيد عليها لحلّ ذنك الإشكالين ، و مع ما لعلّه يحتاج إليه أيضاً في انتظام بعض أموره و أحواله التي ربما لم يطلع عليها الراصدون في أرصادهم ، و إنّما يطلع عليها المؤيّدون بنور الإمامة و الولاية ، و حينئذ يراد بالتدبير الصادر عن الفلك نفسه ، و يكون اللام فيه للعهد الخارجيّ ، أي التدبير الكامل الذي ينتظم به جميع تلك الأمور ، ولا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبّره القمر نفسه ، نظراً إلى ما ذهب إليه طائفة من أن كلّ واحد من السيارات السبع مدبّر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان قال سلطان المحقّقين في شرح الإشارات : ذهب فريق إلى أن كلّ كوكب منها ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلّق بالكوكب أوّل تعلّقها و بأفلاكه بواسطة الكوكب ، كما تتعلّق نفس الحيوان بقلبه أوّلاً و بأعضائه الباقية بعد ذلك ، فالقوّة المحركة منبعثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في أفلاكه التي هي كالجوارح و الأعضاء الباقية (انتهى كلامه زيد إكرامه) و يمكن أن يكون هذا هو معنى ما أثبتّه له ^(١) من التصرف في الفلك

والله أعلم بمقاصد أوليائه سلام الله عليهم أجمعين (انتهى) .

و أقول : يمكن أن يكون في الكلام استعارة كما يقال « بيت العز » و « دار الشرف » تشبيهاً للتدبير بفلك هو مدبره ، وهذا النوع من الكلام شائع عند العرب و العجم . ثم قال - ره - : خطابه ﷺ للقمر و نداؤه له و وصفه بالطاعة و الجدة و التعب و التردد في المنازل و التصرف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة و إدراك ، ولا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى ، إلا أنه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل ، أو ثقلي ساطع لا يقبل التأويل ، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به ، وقد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى « كل في فلك يسبحون ^(١) » فإن الواو والنون لا يستعملان حقيقة لغير العقلاء ، وقد أطبق الطبيعيون على أن الأفلاك بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها وأكثرهم على أن غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه و التقرب إليه جل شأنه ، و بعضهم على أن حركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها آناً فآناً ، فهي من قبيل هزة الطرب و الرقص الحاصل من شدة السرور و الفرح ، و ذهب جم غفير منهم إلى أنه لا ميت في شيء من الكواكب أيضاً حتى أثبتوا لكل واحد منها نفساً عليه حدة تحرّكه حركة مستديرة على نفسه ، و ابن سينا في الشفاء مال إلى هذا القول و رجّحه ، و حكم به في النمط الخامس من الإشارات ، ولو قال به قائل لم يكن مجازاً ، و كلام ابن سينا وأمثاله و إن لم يكن حجة ير كنها إليها الديانتيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد ، ولم يرد في الشريعة المطهرة على الصادع بها أفضل الصلوات و أكمل التسليمات ما ينافي هذا القول ، و لا قام دليل عقلي على بطلانه ، و إذا جاز أن يكون لمثل البعوضة و النملة فمادونهما حياة فأي مانع من أن يكون لتلك الأجرام الشريفة أيضاً ذلك ؟ و قد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوساً مجردة و نطقاً ، و جعلوا قوله تعالى « و إن من شيء إلا يسبح بحمده ^(٢) » محمولاً على ظاهره ، و ليس غرضنا

(١) يس : ٤٠ .

(٢) الاسراء : ٤٢ .

من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك ، بل كسر سورة استبعاد المصيرين على إنكاره وردّه ، و تسكين صولة المشنّعين على من قال به أو جوّزه (انتهى كلامه -٥٠-)

و أقول : هذا الترجيح الذي ابداه - ره - في لباس الاحتمال والتجويز مناف لسياق أكثر الآيات و الأخبار الواردة في أحوال الكواكب و الأفلاك و مسيرها و حرّاتها ، و الإشارات التي تمسك بها ظاهر من سياقها أنها من قبيل المجازات و الاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في أكثر المحاورات ، فإنّهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء و غرضهم تفهيم غيرها ، كما في هذا الخطاب ، و خطاب شهر رمضان و دواعه ، و خطاب البيت ، و المخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى ، و الغرض إظهار نعمه تعالى و شكره عليها ، ولم أر أحداً من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلا بعض المتأخرين الذين يقلّدون الفلاسفة في عقائدهم ، و يوافقون المسلمين فيما لا يضرب بمقاصدهم . قال السيد المرتضى - ره - في كتاب الغرر و الدرر : قد دلّت الدلالة الصحيحة الواضحة على أن الفلك وما فيه من شمس و قمر و نجوم غير متحرك لنفسه ولا طبعه على ما يهدي به القوم ، و أن الله تعالى هو المخرك له و المتصرف باختياره فيه ، و قال - ره - في موضع آخر : لاختلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب ، فإنّها مسخرة مدبّرة مصرّفة ، و ذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة كما سيأتي في باب النجوم .

« آمنت بمن نور بك الظلم و أوضح بك البهم و جعلك آية من آيات ملكه و علامة من علامات سلطانه » النور و الضوء مترادفان لغة ، و قد تسمّى تلك الكيفية إن كانت من ذات الشيء ضوءاً ، و إن كانت مستفادة من غيره نوراً ، و عليه جرى قوله تعالى « جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً (١) » و الظلم جمع ظلمة و تجمع على ظلمات أيضاً ، و هي عدم الضوء عمّا من شأنه أن يكون مضيئاً ، و البهم كصرد جمع بهمة - بالضم - و هي ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً و على الفهم إن

كان معقولاً ، والآية : العلامة ، والسلطان : مصدر بمعنى الغلبة والتسلط ، وقد يجيء بمعنى الحجّة والدليل لتسلطه على القلب وأخذه بعنانه . قال البهائي - ره - لما افتتح عليه السلام الدعاء بخطاب القمر وذكر أوصافه أراد أن يذكر جملاً أخرى من أحواله ، ناقلاً للكلام من أسلوب إلى آخر كما هو دأب البلغاء من تلوين الكلام وجعل تلك الجمل مع تضمينها لخطاب القمر وذكر أحواله موشحة بذكر الله سبحانه والثناء عليه جل شأنه ، تحاشياً عن أن يتماذى به الكلام ، خالياً عن ذكر المفضل المنعم ^(١) ، معبراً عن المنعم به جل شأنه بالموصول ، ليجعل الصلة مشعرة ببعض أحوال القمر ، ويعطف عليها الأحوال الأخرى ، فتتلامج بجل الكلام ، ولا يخرج عن الغرض المسوق له من بيان تلك الأوصاف والأحوال ، واللام في الظلم للاستغراق أعني العرفي منه لا الحقيقي ، والمراد الظلم المتعارف تنويرها بالقمر من قبيل « جمع الأمير الصاغة » ويمكن جعله للعهد الخارجي ، و « الحق أن لام الاستغراق العرفي » ليست شيئاً وراء لام العهد الخارجي ، فإن المعروف بها هو حصّة معيشة من الجنس أيضاً ، غايته أن التعيين فيها نشأ من العرف . والتشكير في قوله « آية » يمكن أن يكون للنوعيّة كما في قوله تعالى « و على أبصارهم غشاوة ^(٢) » والأظهر أن يجعل للتعظيم ، واحتمال التحقير ضعيف كما لا يخفى ثم قال - ره - : الباء في قوله عليه السلام « نوربك الظلم » إما للسببيّة أو للآلة ، ثم إن جعلنا الضوء عرضاً قائماً بالجسم كما هو مذهب أكثر الحكماء ، ومختار سلطان المحققين - ره - في التجريد فالتر كيب من قبيل « سوّدت الشيء وبيّضته » أي صيرته متصفاً بالسواد والبياض وإن جعلناه جسماً كما هو مذهب القدماء من أنه أجسام صغار شفافة تنفصل عن المضيء وتتصل بالمستضيء ^(٣) فالتر كيب من قبيل « لبنته وتمرته » أي صيرته ذالبن أو تمر ، وهذا القول وإن كان مستبعداً بحسب الظاهر إلا أن إبطاله لا يخلو

(١) المنعم : صيغة مبالغة من ناعم « على خلاف القياس .

(٢) البقرة : ٧ .

(٣) وهو أيضاً مذهب علماء الفيزياء من أهل العصر .

من إشكال كما أن إثباته كذلك . و لعله عليه السلام أراد بالظلم في قوله «نو ربك الظلم» الأهوية المظلمة لا الظلمات أنفسها ، فإنها لا تتصف بالنور ، و تجوز كونه عليه السلام أراد ذلك مبني على أن الهواء تتكيف بالضوء وهو مختلف فيه ، فالذين جعلوا اللون شرطاً في التكيف بالضوء منعوا منه ، و يجوز أن يريد بالظلم الأجسام المظلمة سوى الهواء ، و هذا أحسن لاستغنائها عن تجشم الاستدلال على قبول الهواء للضوء ، وسلامته عن شوب الخلاف ، و يمكن أن يكون مراده عليه السلام بتنوير الظلم إعدامها بإحداث الضوء في محالها ، و هذا يبني على القول بأن الظلمة كيفية وجودية كما ذهب إليه جماعة ، و هذا الرأي و إن كان الأكثر على بطلانه إلا أن دلائلم على إبطاله ليست بتلك القوة ، فهو باق على أصل الإمكان ، إلا أن يذود عنه قاطع البرهان فلو جوز معجوز احتمال كونه أحد محامل كلامه عليه السلام لم يكن في ذلك حرج .

« و امتنك بالزيادة و النقصان و الطلوع و الأفول و الإثارة و الكسوف ، المهنة - بفتح الميم و كسر ها و إسكان الهاء - : الخدمة و الذل و المشقة ، و الماهن : الخادم ، و امتنه : استعمله في المهنة ، و طلوع الكوكب : ظهوره فوق الأفق أو من تحت شعاع الشمس ، و أفوله : غروبه تحتها ، و الكسوف : زوال الضوء عن الشمس أو القمر للعارض المخصوص ، و قد يفسر الكسوف بحجب القمر ضوء الشمس عننا أو حجب الأرض ضوء الشمس عنه ، و هو تفسير للشيء بسببه . و قال جماعة من أهل اللغة : الأحسن أن يقال في زوال ضوء الشمس كسوف و في زوال ضوء القمر خسوف فإن صح ما قالوه فالعله عليه السلام أراد بالكسوف زوال الضوء المشترك بين الشمس و القمر لا المختص بالقمر و هو الخسوف ليكون خلاف الأحسن ، و لا يخفى أن امتنان القمر حاصل بسبب كثف الشمس أيضاً ، فإنه هو الساتر لها ، و لما كان شمول الكسوف للخسوف أشهر من العكس اختاره عليه السلام - ثم قال - أراد عليه السلام بالزيادة و النقصان زيادة نور القمر و نقصانه بحسب ما يظهر للحس ، لا أن الزيادة و النقصان حاصلان له في الواقع ، لأن الأزيد من نصفه منير دائماً كما بين في محله ، و أما زيادته في الاجتماع و نقصانه في الاستقبال كما هو شأن الكرة الصغيرة المستنيرة من الكبيرة

حالتي القرب والبعد فليس الكلام فيهما ، إنما الكلام في الزيادة والنقصان المسببين عن البعد والقرب المدركين بالحس ، و ربما يترأى لبعض الأفهام من ظاهر قوله عليه السلام « و امتنك بالزيادة والنقصان » أن زيادة نور القمر ونقصانه المحسوسين واقعان بحسب الحقيقة ، و حاصلان في نفس الأمر كما هو معتقد كثير من الناس وهذا وإن كان ممكناً نظراً إلى قدرة الله تعالى على أن يحدث في جرمه أول الشهر شيئاً يسيراً من النور و يزيده على التدريج إلى أن يصير بديراً ، ثم يسلبه عنه شيئاً فشيئاً إلى المحاق ، إلا أن حمل كلامه ﷺ على ما هو متفق عليه بين أساطين علماء الهيئة حتى عدت من الحدسيات أليق و أولى ، وهم مع قطع النظر عما أوجب تحدسهم بذلك إنما اقتبسوا هذا العلم من أصحاب الوحي سلام الله عليهم كشيث رضي الله عنه المدعو على لسانهم بهرمس ، وقد نقل جماعة من المفسرين منهم الشيخ الطبرسي - ره - عند تفسير قوله تعالى « و اذكر في الكتاب إدريس - الآية ^(١) - » أن علم الهيئة كان معجزة له إلى آخر ما ذكره في ذلك ^(٢) . ثم قال - ره - : لا يخفى أن حكمهم بأن نور القمر مستفاد من الشمس ليس مستنداً إلى مجرد ما يشاهد من اختلاف تشكلاته النورية بقربه و بعده عن الشمس ، فإن هذا وحده لا يوجب ذلك الحكم قطعاً ، بل لابد مع ذلك من ضم أمور آخر ، كحصول الخسوف عند توسط الأرض بينه و بين الشمس ، إلى غير ذلك من الأمارات التي يوجب اجتماعها ذلك الحكم ، لجواز أن يكون نصفه مضيئاً من ذاته و نصفه مظلماً ، و يدور على نفسه كحركة فلكه ، فاذا تحرك بعد المحاق يسيراً رأينا هلالاً ، و يزداد فنراه بديراً ثم يميل نصفه المظلم شيئاً فشيئاً إلى أن يؤول إلى المحاق . ثم أفاد - ره - : لعلك تقول عند ملاحظة قوله « و امتنك بالزيادة والنقصان » أن حصول الامتحان للقمر بنقصان نوره ظاهر . فما معنى حصول الامتحان له بزيادة النور؟ فأقول : فيه وجهان : الاول أنه كان أحد وجهيه مستنيراً بالشمس دائماً ، و كانت زيادة نوره إنما هي

(١) مريم ، ٥٦ .

(٢) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٥١٩ .

بحسب إحساننا فقط ، وقد سخره الأمر الإلهي لأن يتحرك في النصف الأول من الشهر على نهج لا يزيد به المنير منه في كل ليلة إلا شيئاً يسيراً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يقدر على أن يتعداه ، أثبت عليه السلام له الامتهان بسبب إذلاله ، و تسخيره للزيادة على هذا الوجه المقرّر ، و النهج الخاص ، وقد شبه بعضهم حال القمر في ظهور القدر المرئي منه شيئاً فشيئاً في النصف الأول من الشهر إلى أن يصير بديراً ، ثم استتاره شيئاً فشيئاً في النصف الثاني إلى أن يختفي بما إذا أمر السيد عبده بأن لا يكشف النقاب عن وجهه للناظرين إلا على التدريج شيئاً فشيئاً في مدّة معينة ، و أنه متى انكشف وجهه بأجمعه فليبادر في الحال إلى ستره و إرخاء المقاب عليه شيئاً فشيئاً إلى أن يختفي بأجمعه عن الإبصار. الوجه الثاني أن يكون مراده عليه السلام الامتهان بمجموع الزيادة و النقصان ، أعني التغيّر من حال إلى حال ، و عدم البقاء على شكل واحد ولعلّ هذا الوجه أقرب ، و هو جار فيما نسبه عليه السلام إليه من الطلوع و الأفول و الإنارة و الكسوف ، و يمكن أن يوجه امتهانه بالإنارة بوجه آخر ، و هو أن يراد بها إعطاؤه النور للغير كوجه الأرض مثلاً لا اتصافه هو بالنور ، فإنّ الإنارة و الإضاءة كما جاء في اللغة لازمين جاءا متعديين أيضاً ، فحينئذ ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشمس ليتمّ المقابلة ، و يصير المعنى : امتهك بأن تفيض النور على الغير تارة و تسلبه عنه أخرى ، ولو أريد المعنى الشامل للكسوف أو نفس الخسوف أيضاً لم يكن فيه بعد والله أعلم .

ثم قال - ره - لما كانت الشمس ملازمة لمنطقة البروج وكانت أعظم من الأرض كان المستنير بأشعتها أعظم من نصفها و المظلم أقلّ ، و حصل مخروط مؤلف من قطعتين يرتسم إحداهما من الخطوط الشعاعية الواصلة بين الشمس و سطح الأرض ، ويسمى مخروط النور و المخروط العظيم ، و الأخرى من ظلّ الأرض و تسمى مخروط الظلّ و المخروط الصغير ، و يحيط به طبقة يشوبها ضوء مع بياض يسير ، ثمّ طبقة أخرى يشوبها مع ضوء يسير حمرة ، و هذه الطبقات الثلاث تظهر للبصر في المشرق من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس بهذا الترتيب و بعكسه بعد غروبها في المغرب ، و قاعدة

المخروط العظيم على كرة الشمس منصفة بمنطقة البروج ، وسهمه في سطحها ، و ينتهي رأسه في أفلاك الزهرة عند كون الشمس في الأوج ، وفيما دونه في ما دونها وقاعدة المخروط الصغير صغيرة على وجه الأرض هي الفصل المشترك بين المنير منها والمظلم ، وهذان المخروطان يتحرران على سطح الأرض كأنهما جبلان شامخان يدوران حولها على التبادل : أحدهما أبيض ساطع ، والآخر أسود حالك عليه ملابس متلونة ، ويتحرك الأبيض من المشرق إلى المغرب وهو النهار لمن هو تحته والأسود بالعكس وهو الليل لمن هو تحته ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وإذا توهمنا سطحاً كريباً مركزه مركز العالم يمر بمركز القمر وبالمخروط الصغير فالدائرة الحادثة منه على جرم القمر تسمى صفحة القمر ، والحادثة على سطح المخروط دائرة الظل ، ومركزها على منطقة البروج . فإذا عرفت هذا فإذا لاقى القمر مخروط الظل في الاستقبال وقعت صفحته كلها أو بعضها في دائرة الظل انقطعت الأشعة الشمسية عنه كلاً أو بعضاً وهو الخسوف الكلي أو الجزئي^(١) و لكون غاية عرض القمر - وهي خمسة أجزاء - أعظم من مجموع نصفي قطري صفحته ودائرة الظل لم ينخسف في كل استقبال ، بل إذا كان عديم العرض ، أو كان عرضه و هو بعد مركزه عن مركز دائرة الظل أقل من نصفيهما^(٢) إذ لو كان

(١) قال سلطان المحققين في التذكرة وشارحه الخفري ، ان كل عرض القمر أكثر من نصفي قطر صفحته وقطر دائرة الظل لم يقع للقمر خسوف ، وان كان عرض القمر مساوياً لهما ماس القمر الظل ولم يقع له حينئذ أيضاً خسوف ، وان كان أقل منهما وكان مساوياً لنصف قطر دائرة الظل مرت دائرة الظل بمركز صفحة القمر وانخسف نصف قطره ، وان كان أكثر من نصف قطر دائرة الظل انخسف من القمر أقل من نصف قطره ، وان كان مساوياً نصف قطر الظل نصف قطر صفحة القمر انخسف القمر كله و ماس سطحه دائرة الظل فلم يكن له مكث ، وان كان أكثر من ذلك الفضل انخسف من القمر أكثر من نصف قطره ، وان كان أقل من ذلك أيضاً انخسف القمر كله ومكث بحسب ما يقع في الظل غاية المكث ، هذا انما يكون اذا كان مركز القمر في إحدى العقدتين اذ لم يكن حينئذ له عرض (منه طاب ثراه) .

(٢) نصفهما (خ) .

مساوياً لهما ماس القمر محيط دائرة الظل من خارج على نقطة في جهة عرضه ولم ينخسف ، وإن كان أكثر فبطريق أولى ، أما إن كان العرض أقل من النصفين انخسف أقل من نصف قطره إن كان ذلك العرض أكثر من نصف قطر دائرة الظل ، ونصف قطره إن كان مساوياً له ، لمرور دائرة الظل بمرکز الصفحة حينئذ ، وأكثر منه إن كان أقل منه وأكثر من فضل نصف قطر دائرة الظل على نصف قطر القمر ، وكله غير ما كثر إن كان مساوياً لفضل نصف قطر دائرة الظل على نصف قطر القمر لمماسة القمر محيط الظل من داخل على نقطة في جهة عرضه ، وما كثر بحسب ما يقع في دائرة الظل إن كان أقل من هذا الفضل ، وغاية المكث إذا كان عديم العرض وأول الخسوف يشبه أثراً دخانياً ، ثم يزداد تراكمًا بازدياد توغل القمر في الظل ، فإن كان عرضه أقل من عشر دقائق كان لونه أسود حالكاً ، وإلى عشرين فأسود ضارباً إلى خضرة ، وإلى ثلاثين فالإلى حمرة ، وإلى أربعين فالإلى صفرة ، وإلى خمسين فأغبر ، وإلى ستين فأشهب ، وابتداء الانجلاء من شرقي القمر ، كما أن ابتداء الخسوف كذلك .

ثم اعلم أن الأحوال المشهورة الحاصلة للقمر كثيرة ، فبعضها يشاركه فيه سائر الكواكب كالأبارة والطلوع والافول ونحوها ، وهي كثيرة ولا حاجة داعية إلى ضبطها ، وبعضها أمور تختص به ولا توجد في غيره من الكواكب ، وقد اعتنى أهل الهيئة بالبحث عنها ، وأشهرها ستة : سرعة الحركة ، واختلاف تشكلاته النورية ، واكتسابه النور من الشمس ، و خسوفه بحيلولة الأرض بينها ، و حجبه لنورها بالكسوف لها ، و تفاوت أجزاء صفحاته في النور و هو المسمى بالمحو . وهذه الأحوال الستة يمكن فهمها من كلامه ﷺ بعضها بالتصريح وبعضها بالتلويح أما سرعة حر كته واختلاف تشكلاته فظاهر ، وأما كسفه الشمس و خسوفه فلما مر من حمل الكسوف في كلامه ﷺ على ما يشمل الأمرين معاً ، وأما اكتسابه النور من الشمس فللدلالة اختلاف التشكلات مع الخسوف عليه ، فهذه الأمور الخمسة يفهم من كلامه ﷺ على هذا النهج ، و بقي الأمر السادس أعني تفاوت أجزائه في

النور ، فإن في إشعار كلامه ﷺ به نوع خفاء ، ويمكن أن يوصى إليه قوله ﷺ « و امتنك بالزيادة والنقصان » فإن المراد زيادة النور ونقصانه ، ولا معنى لتفاوت أجزاءه في النور إلا زيادته في بعض و نقصانه في بعض آخر كما لا يخفى ، فقد تضمن كلامه ﷺ مجموع تلك الأحوال الستة المختصة بالقمر ، وقدم الكلام في الأربعة الأول منها ، و بقي الكلام في الأخيرتين ، فقول : أمّا الكسوف فهو ذهاب الضوء عن جرم الشمس في الحس كلاً أو بعضاً ، لستر القمر وجهها الموجه لنا كلاً أو بعضاً ، و ذلك عند كونهما بحيث يمر خط خارج من البصر بهما ، إمّا مع اتّحاد موضعيهما المرئيين ، أو كان البعد بينهما أقل من مجموع نصف قطرهما ، فلو تساويا ماسّها ولا كسف ، و إن زاد الأول فبالأولى ، فإن وقع مركزاهما على الخط المزكور كسفها كلاً بلا مكث إن كان قطراهما متساويين حساً ، و مع مكث إن كان قطرها أصغر ، و بقي منها حلقة نورانية إن كان قطرها أعظم ، و إن لم يتعالى ذلك الخط كسف منها بعضها أبداً ، إلا إذا كان قطره أعظم حساً ، فقد يكسفها حينئذ كلاً ، و ربما تبقى منها حلقة نورانية مختلفة النخن أو قطعة نعلية إن كان قطره أصغر . و لمّا كان الكسوف غير عارض للشمس لذاتها بل بالقياس إلى رؤيتها بحسب كيفية توسط القمر بينها وبين الأبصار أمكن وقوعه في بقعة دون أخرى مع كون الشمس فوق أفقهما ، و كونه في إحديهما كلياً أو أكثر و في الأخرى جزئياً أو أقل ، و ابتداء الكسوف من غربي الشمس كما أن ابتداء الانجلاء كذلك .

ثم قال - ره - : و أمّا محو القمر وهي الظلمة المحسوسة في صفحته فأمره ملتبس و الآراء فيه متشعبة ، و الأقوال متخالفة ، و أذكر منها خمسة : الأول أنها آثار وجه المظلم تأدت إلى وجه المضي . و أورد عليه أنه لو كان كذلك لكانت أطرافه أشد ظلمة و أوساطه أشد ضوء . الثاني أنه أجرام مختلفة مركزوزة مع القمر في تدويره غير قابلة للإبارة بالتساوي ، و هو مختار سلطان المحققين - ره - في التذكرة و أورد عليه أن ما يتوسط بينه و بين الشمس من تلك الأجرام و كذا بيننا و بينه في كل زمان و وضع شيء آخر لتحرك التدوير على نفسه ، فكيف يرى دائماً على

نهج واحد غير مختلف ؟ وقد يعتذر له بأن التفاوت المذكور لا يحس به في صفحة القمر لصغرهما وبعد المسافة . الثالث أن الأشعة تنعكس إليه من البحر المحيط أو كرة البخار لصقالتها انعكاساً بيئياً ، ولا تنعكس لذلك من سطح الربع المكشوف لخشونته ، فيكون المستنير من وجهه بالأشعة النافذة إليه على الاستقامة ، والأشعة المنعكسة تبعاً أضوء من المستنير بالأشعة المستقيمة والمنعكسة من الربع المكشوف وهذا مختار صاحب التحفة . وأورد عليه أن ثبات الانعكاس دائماً على نهج واحد مع اختلاف أوضاع الأشياء المنعكس عنها من البخار والجبال في جانبي المشرق والمغرب مستحيل . واعتذر له بما اعتذر لأستاذه . - ره . - الرابع أن سطح القمر لما كان صفيلاً كالمراة والناظر يرى فيه صورة البحار ، والقدر المكشوف من الأرض وفيه عمارات وغياض وجبال ، وفي البحار مراكب وجزائر مختلفة الأشكال ، وكلها تظهر للناظر أشباحها في صفحة القمر ، ولا يميز بينها لبعدها ، ولا يحس منها إلا بخيال ، وكما لا يرى مواضع الأشباح في المرايا مضيئة فكذلك لا ترى تلك المواضع فيه برأفة أو أنه ترى صورة العمارات والغياض والجبال مظلمة كما هي عليه في الليل ، و صورة البحار مضيئة ، أو بالعكس ، فإن صورتي الأرض والماء منطبعتان فيه ، كما أن الأرض لكثافتها تقبل ضوء الشمس أكثر مما يقبله الماء للطافته ، فكذا صورتاهما وهذا الوجه مختار الفاضل النيسابوري في شرح التذكرة ، ومال إليه أستاذنا المحقق البرجندي في شرح التذكرة أيضاً ، والإيراد والاعتذار كما سبق . الخامس أن أجراماً صغيرة نيّرة مركوزة في جرم الشمس أو في فلكها الخارج المركز بحيث تكون متوسطة دائماً بين الشمس والقمر ، وهي مانعة من وقوع شعاع الشمس على مواضع المحو من القمر ، وإنما قلنا نيّرة لأنها لو كانت مظلمة فيرى المحو على وجه الشمس ، والمراد أنها نيّرة نوراً أقل من نور بقية أجزاء الشمس ، وهذا الوجه للمدقق الخفري . وأقول : فيه نظر ، فإن تلك الأجرام إن كانت صغيرة جداً تلاقت الخطوط الخارجة من حولها إلى القمر بالقرب منها ، ولم يصل ظلها إليه ، وإن كان لها مقدار يعتد به بحيث يصل ظلها إلى جرم القمر فوصله إلى

سطح الأرض في بعض الأوقات كوقت الاستقبال أولى ، فكان ينبغي أن يظهر على سطح الأرض كما يظهر ظل الغيم ونحوه ، و ليس فليس والله أعلم بحقائق الأمور .
 ثم قال - قدس الله لطيفه - : ما مرّ من أن اكتساب النور من الشمس مختصّ بالقمر لا يشاركه فيه غيره من الكواكب هو المشهور ، و عليه الجمهور ، فإنهم مطبقون على أن أنوار ماعداه من الكواكب ذاتية غير مكتسبة من الشمس ، و استدّلوا على ذلك بأنّها لو استفادت النور من الشمس لظهر فيه التشكلات البديرة و الهلالية بالبعد والقرب منها كما في القمر ، هكذا أوردّه صاحب التحفة فيها و في نهاية الإدراك . و أقول : فيه نظر ، فإنّ القائل باستفادتها النور من الشمس ليس عليه أن يقول بأنّ المستضيء منها إنّما هو وجهها المقابل للشمس فقط ، ليلزمه اختلاف تشكلاته كالقمر بل له أن يقول بتفوذ الضوء في أعماقها كالقطعة من البلور مثلاً إذا وقع عليها ضوء الشمس ، فإنّ الناظر إليها من جميع الجهات يبصرها مضيئة بأجمعها فتبصر .

ثم إنّ صاحب التحفة أورد على الدليل المذكور أن اختلاف التشكلات إنّما يلزم في السفليتين لاني بقية الكواكب التي فوق الشمس ، لكون وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس بخلاف القمر ، فيمكن أن يستفيد النور منها ولا يظهر فيها التشكلات الهلالية بالقرب من الشمس ، وما يقال من أنّه يلزم انخسافها في مقابلات الشمس مدفوع بأنّ ظلّ الأرض لا يصل إلى أفلاكها . ثمّ إنّّه أجاب عن هذا الإيراد بأنّ تلك الكواكب إذا كانت على سمت الرأس غير قابلة للشمس ولا مقارنة لها لم يكن وجهها المقابل لنا هو المقابل لها بل بعضه . ويلزم اختلاف التشكلات الهلالية .
 ثمّ قال : فإن قيل : إنّما لا يرى شيء منها هلالياً لخفاء طرفيه لصغر حجم الكواكب في المنظر و هو ظهوره من البعد المتفاوت مستديراً . قلنا : لو كان كذلك لرؤي الكوكب في قرب الشمس أصغر منه في بعدها .

هذا كلامه ، و أقول : فيه نظر ، لأنّ للنخصم أن يقول : إنّما يلزم ذلك لو وقعت دائرة الرؤية فيها مقاطعة لدائرة النور ، ولم لا يجوز أن لا يقع أبداً إلاّ داخلها ، إنّما موازية لها إذا كان الكوكب على سمت الرأس في مقابلة الشمس ، أو

غير موازية إمّا مماسّة لها كما لعلّه يتفق في التربيع ، أو غير مماسّة كما في غيره ؟ ولا يندفع هذا إلّا إذا ثبت تقاطع الدائرتين على سطح الكوكب ، كما في القمر و دون ثبوته خرط القتاد . و يمكن تقرير النظر بوجه آخر بأن يقال : قرب الكواكب من الشمس على نحوين : قرب كثير يوجب ظهور الصغر للحس ، و قرب قليل لا يوجب ذلك ، والأوّل لا يكون إلّا إذا كانت الشمس تحت الأفق و كان الكوكب قريباً من الأفق ، فلم لا يجوز أن يكون الكوكب حال القرب أصغر لكن تراكم البخار جبر ذلك الصغر فلم ير أصغر لذلك ؟ ثمّ إنّ الذي مازال يختلج بخاطري أنّ القول بعدم الفرق بين القمر و سائر الكواكب في أنّ أنوار الجميع مستفادة من الشمس غير بعيد عن الصواب ، وقد ذهب إلى هذا جماعة من أساطين الحكماء و وافقهم الشيخ السهرورديّ حيث قال في الهياكل : إنّ الشمس قاهر العنق رئيس السماء ، فاعل النهار ، صاحب العجائب ، عظيم الهيئة ، الذي يعطي جميع الأجرام ضوءها ، ولا يأخذ منها هذا كلامه ، وقد ذهب الشيخ العارف محيي الدين أيضاً إلى هذا القول ، وصرّح به في الفتوحات المكيّة ، و وافقه جمع من الصوفيّة والله أعلم بحقائق الأشياء (انتهى) (١) .

« سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك وألطف ما صنع في شأنك » سبحان : مصدر كغفران بمعنى التنزيه عن النقائص ، ولا يستعمل إلّا محذوف الفعل منصوباً على المصدرية ، فسبحان الله معناه تنزيه الله ، كأنّه قيل : أسبّحه سبحاناً وأبرّئه عمماً لا يليق بعزّ جلاله براءة . قال الشيخ الطبرسيّ - ره - : إنّّه صار في الشرع علماً

(١) القول بكون نور السيارات مكتسباً من الشمس موافق للفرضية المؤيدة في الهيئة الحديثة ، و كذلك القول في سائر المنظومات الشمسية لكن القول بأن جميع الكواكب اعم من السيارات والثوابت تكتسب النور من هذه الشمس فبعيد عن الصواب ، ومخالف لما عليه المتأخرون من الفلكيين ، بل لما يدل من الاخبار على وجود شمس اخرى غير شمسنا هذه ، الا أن يؤول كلامهم بارادة الجنس من الشمس دون الشخص فتأمل وأما نور الشمس و حرارتها فمن القوة الموجودة في ذراتها ، ويحصلان بالتمشع وانكسار الذرات وتبدل المادة قوة على اصطلاح علم الفيزيا ، وعلى هذا يتناقض وزنها شيئاً فشيئاً بالتمشع ، و قالوا في شمس عالمنا إنه ينقص من وزنها في كل ثانية اربعة ملايين طن والله العالم .

لأعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا هو سبحانه ، ولذلك لا يجوز أن يستعمل في غيره تعالى ، وإن كان منزهاً عن النقائص . وإلى كلامه هذا ينظر ما قاله بعض الأعلام من أن التنزيه المستفاد من سبحانه الله ثلاثة أنواع : تنزيه الذات عن نقص الإمكان الذي هو منبع سوء ، وتنزيه الصفات عن وصمة الحدوث بل عن كونها معائرة للذات المقدسة وزائدة عليها ، وتنزيه الأفعال عن القبح والعبث بل عن كونها جالبة إليه تعالى نفعاً أو دافعة عنه سبحانه ضراً كأفعال العباد . و« ما » في قوله عليه السلام « ما أعجب » إما موصولة ، أو موصوفة ، أو استفهامية ، على الخلاف المشهور في ما التعجبية ، وهي مبتدأة والماضي بعدها صلتهما أو صفتها على الأولين والخبر محذوف أي الذي أو شيء صيره عجباً أمر عظيم ، أو كونها هو الخبر على الأخير ، و« ما » في « ما دبّر » مفعول أعجب ، وهي كالأولى على الأولين ، والمائد المفعول محذوف ، والأمر والشأن مترادفان .

« جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث » فصل هذه الجملة عما قبلها للاختلاف خبراً وإنشاءً مع كون السابقة لا محل لها من الإعراب ، والشهر مأخوذ من الشهرة يقال : شهرت الشيء شهراً أي أظهرته وكشفته ، وشهرت السيف : أخرجه من الغلاف وتشبيهه الشهر في النفس بالبيت المفعول استعارة بالكناية ، وإثبات المفتاح لاستعارة تخيلية ، ولا يخفى لطافة تشبيه الهلال بالمفتاح . والجاء في قوله ﷺ « لأمر حادث » يتعلّق بحادث السابق ، أي حدوث ذلك الشهر وتجدده لأمر حادث مجدد ويجوز تعلّقه بجعل ، وتنكير « أمر » للإبهام وعدم التعيين ، أي أمر مبهم علينا حاله كما قالوه في قوله تعالى « أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم ^(١) » إن المراد أرضاً منكورة مجهولة .

وأقول : يحتمل أن يكون المراد بالأمر الحادث ما نيط بالشهور من المصالح الدينية ، كالحج والصوم والعدد وسائر العبادات المتعلقة بها ، والدينية كالمعاملات والديون وسائر الأمور المر بوطء بها . وقال الشيخ المتقدم - ره - : جعله ﷺ مدخول

ما التعجبية فعلاً دالاً على التعجب بجوهره ، ينبىء عن شدة تعجبه ﷺ من حال القمر وما دبّره الله سبحانه فيه و في أفلاكه بلطائف صنعه و حكمته ، وهكذا كل من هو أشدّ اطلاعاً على دقائق الحكم المودعة في مصنوعات الله سبحانه فهو أشدّ تعجباً منها ، وأكثر استعظاماً لها ، ومعلوم أن ما بلغ إليه علمه ﷺ من عجائب صنعه جلّ وعلا ، ودقائق حكمته في خلق القمر ، و نضد أفلاكه ، و ربطه ماربطه به من مصالح العالم السفلي ، وغير ذلك فوق ما بلغ إليه [علم] أصحاب الأرصا د ومن يحذو حذوهم من الحكماء الراسخين بأضعاف مضاعفة ، مع أن الذي اطلع عليه هؤلاء من أحواله و كيفة أفلاكه وما عرفوه مما يرتبط به من أمور هذا العالم أمور كثيرة يحارفيها ذواللبّ السليم قائلاً : ربنا ما خلقت هذا باطلاً . وتلك الأمور ثلاثة أنواع : الاول ما يتعلّق بكيفة أفلاكه وعددها ونضدها وما يلزمه من حرركاتها من الخسوف واختلاف التشكّلات وتشابه حركة حامله حول مركز العالم لا حول مركزه ، ومحاذاة قطر تدويره نقطة سوى مركز العالم ، إلى غير ذلك مما هو مشروح في كتب الهيئة . الثاني ما يرتبط بنوره من التغيرات في بعض الأجسام العنصرية كزيادة الرطوبات في الأبدان بزيادته ، ونقصانها بنقصانه ، وحصول البحارين للأمراض ، وزيادة مياه البحار والينابيع زيادة بيّنة في كل يوم من النصف الأوّل من الشهر ، ثم أخذها في النقصان يوماً فيوماً في النصف الأخير منه ، وزيادة أدمغة الحيوانات وألبانها بزيادة النور ، ونقصانها بنقصانه ، وكذلك زيادة البقول والثمار نمواً و نضجاً عند زيادة نوره ، حتّى أن المزاولين لها يسمعون صوتاً من القنّاء والقرع والبطيخ عند تمدده وقت زيادة النور ، وكابلاء نور القمر الكتّان ، وصبغه بعض الثمار إلى غير ذلك من الأمور التي تشهد به التجربة . قالوا : وإنّما اختصّ القمر بزيادة ما نيط به من أمثال هذه الأمور بين سائر الكواكب لأنّه أقرب إلى عالم العناصر منها ، ولأنّه مع قربه أسرع حركة فيمتزج نوره بأنوار جميع الكواكب ، ونوره أقوى من نورها فيشار كها شركة غالب عليها فيما نيط بنورها من المصالح باذن خالقها ومبدعها جلّ شأنه . الثالث ما يتعلّق به من السعادة والنحوسة ، وما يرتبط به من الأمور التي هو

علامة على حصولها في هذا العالم ، كما ذكره الديانتيون من المنجمين ، ووردت
بعضه الشريعة المطهرة على الصادق بها أفضل التسليمات ، كما رواه الكليني - ره -
عن الصادق عليه السلام « من سافر أو تزوج والقمر في العقب لم ير الحسنى ^(١) » ، وعن
الكاظم عليه السلام « من تزوج ^(٢) في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد ^(٣) » ، وكما رواه
الشيخ عن الباقر عليه السلام « أن النبي ﷺ بات ليلة عند بعض نساءه فانكسف القمر
في تلك الليلة فلم يكن ^(٤) فيها شيء ، فقالت له زوجته : يار ول الله ، بأبي أنت
وأُمِّي كل هذا البغض . فقال لها : ويحك ، هذا الحادث في السماء فكرهت أن أتلدذ .
وفي آخر الحديث ما يدل على أن المجمع في تلك الليلة إن رزق من جماعه ولداً
وقد سمع بهذا الحديث لا يرى ما يجب .

أقول : تتمّة الدعاء سيأتي شرحها في مقام آخر أنسب من هذا المقام إن

شاء الله تعالى .

٣٧ - الصحيفة السجادية صلوات الله على من ألهما : الحمد لله الذي خلق

الليل والنهار بقوته ، وميّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً
وأمداً ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد
فيما يغذوهم به وينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ، و
نهضات النصب ، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومناحه ، فيكون ذلك لهم جماماً وقوّة
ولينالوا به لذّة وشهوة ، وخلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله ، وليتسببوا
إلى رزقه ، ويسرحوا في أرضه ، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم ، ودرك الآجل
في آخرهم ، بكل ذلك يصلح شأنهم ، ويبلو أخبارهم ، وينظر كيفهم في أوقات
طاعته ، ومنازل فروضه ، ومواقع أحكامه ، ليجري الذين أسأوا بما عملوا ، ويجزي

(١) روضة الكافي ، ٢٧٥ .

(٢) في المصدر : من أنى أهله في محاق الشهر .

(٣) فروع الكافي : ٤٩٩ .

(٤) فلم يكن منه (ظ) .

الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى . اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الْإِصْبَاحِ ، وَمَتَّعْتَنَا [به] مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ، وَ بَصَّرْتَنَا [به] مِنْ مَطَالِبِ الْأَقْوَاتِ ، وَ وَقَيْتَنَا [فِيهِ] مِنْ طَوَارِقِ الْآفَاتِ - إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ - .

بيان : « خلق الليل و النهار بقوته » الخلق يكون بمعنى الإيجاد ، و بمعنى التقدير ، و كل منهما هنا مناسب ، و الجمع بينهما أيضاً ممكن ، و خلقه تعالى الليل و النهار بخلق الشمس مضيئة غاية الإضاءة بحيث يغلب نورها نور سائر الكواكب و يخلق الهواء مظلماً في نفسه قابلاً للإضاءة . و يخلق الأرض كثيفة قابلة للإضاءة بحيث تنعكس منها الأشعة ، و جعل الشمس متحرّكة حول الأرض ، فبطولوعها أو ظهور علامتها البيّنة يحصل النهار ، و يغروبها أو ذهاب حررتها المشرقية يحصل الليل و تقديم الليل لتقدمه شرعاً و عرفاً كما عرفت ، أو لتقدم الظلمة على النور لكونها عدمية أو شبيهة بالعدم ، أو للتأسي بالقرآن في أكثر مواضعه « و ميّز بينهما بقدرته » أي جعل كل واحد منهما ممتازاً عن الآخر من حيث الصورة و من حيث الخواص و الآثار ، و قيل : معناه أن الله تعالى لما قدر لكل يوم و ليلة من أيام السنة الشمسية و لياليها في كل بقعة من بقاع الأرض زماناً معيناً لا يزيد و لا ينقص أبداً فلا يدخل أحدهما في الآخر ، بأن يدخل الليل في النهار قبل تمامه و بالعكس ، فيمتاز كل واحد منهما عن الآخر ، أي لا يختلط أحدهما بالآخر . لكن يمكن الاستفادة هذا المعنى من الفقرة الآتية ، و القدرة صفة نفسانية من شأنها الإيجاد و الأحداث بها على وجه يتصور ممّن قامت به الفعل بدلاً عن الترك ، و الترك بدلاً عن الفعل و القوة تطلق على القدرة ، و على حالة يصح أن تصدر عن صاحبها أفعال شاقّة و قد تطلق على حالة تكون مصدراً لحدوث أمر أو سبباً له كالقوى الناطقة و النامية و الباصرة و السامعة و أمثالها . و الباء في الموضعين للاستعانة ، أو للملازمة و جعل لكل واحد منهما حداً محدوداً و أمداً ممدوداً « حد الشيء منقطعه و منتهاه ، و الحد الحاجز بين الشئين ، و المحدود المعين أو المميّز عن غيره ، و الأمد يطلق على الغاية و على الزمان الممتد ، و الممدود المبسوط الممتد . و في بعض النسخ « موقوتاً »

و هو قريب من المحدود ، و الأظهر « ممدوداً » و جعل الأمد بمعنى الامتداد ليكون تأسيساً .

« يولج كل واحد منهما في صاحبه و يولج صاحبه فيه » الإيلاج : الإيدخال وقد عرفت أن لا إيلاج كل واحد منهما في الآخر معنيين : أحدهما يرجع إلى مجيء الليل بعد النهار و مجيء النهار بعد الليل ، و ثانيهما يرجع إلى زيادة كل منهما و نقصان الآخر ، و يرد في خصوص هذه العبارة إشكال ، و هو أن الزيادة و النقص في كل منهما يستفاد من الفقرة الأولى ، فأى فائدة في الفقرة الثانية ؟ و أوجب عنه بوجوه : الاول ما ذكره الشيخ البهائي - ره - : حيث قال : مراده التنبيه على أمر مستغرب ، و هو حصول الزيادة و النقصان معاً في كل من الليل و النهار في وقت واحد ، و ذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء و الجنوبية عنه سواء كانت مسكونة أو لا ، فإن صيف الشمالية شتاء الجنوبية و بالعكس ، فزيادة النهار و نقصانه واقعان في وقت واحد ، لكن في بقعتين ، و كذا زيادة الليل و نقصانه ولو لم يصرح عليه السلام بقوله « و يولج صاحبه فيه » لم يحصل التنبيه على ذلك ، بل كان الظاهر من كلامه عليه السلام وقوع زيادة النهار في وقت و نقصانه في آخر ، و كذا الليل كما هو محسوس معروف بين الخاص و العام ، فالواو في قوله « و يولج صاحبه فيه » و الحال باضمار مبتدأ كما هو المشهور بين النحاة (انتهى) .

و أقول : إن ما قد را المبتدأ لأن الجملة الحالية إذا كانت مضارعاً مثبتاً يكون بالضمير وحده ، فإذا اضمرا المبتدأ تصير جملة اسمية و الاسمية الحالية تكون بالواو و الضمير أو بالواو وحدها ، و قيل : لا حاجة إلى تكلف الحالية بل مع العطف أيضاً يستقيم هذا المعنى ، فكأنه قال : كما يولج نهار النصف الأول من السنة في لياليها و ليالي النصف الثاني في نهارها يولج أيضاً ليالي النصف الأول في نهارها و نهار النصف الثاني في لياليها ، و ذلك في الأفق المقابل ، لأنه يصير ثمة قوس الليل قوس النهار و بالعكس ، فالليل الذي يلج عندنا في النهار هو بعينه نهار ثمة يلج في الليل ، و هذا الاعتبار أغرب و أبعد مما اعتبر أولاً ، و هو أن البقاع الجنوبية أمرها

على العكس باعتبار النصفين مطلقاً من غير اعتبار كل يوم و ليل بعينه (انتهى)
وأقول : هذا المعنى إلى الحالية أحوج من الأول و إن كان يستقيم المعنيان بدونهما
الثاني ما قيل : إن الجملة الأولى تدل على أن كلا منهما مولج في صاحبه ، و
الثانية على أن كلا منهما مولج فيه صاحبه ، و هذا معنى آخر غير الأول ، و هو
وإن كان لازماً للأول إلا أن التصريح بما علم ضمناً للاهتمام و المبالغة أمر شائع
ذائع ، خصوصاً فيما كان أمراً عظيماً فيه قوام العالم و نظامه ، فإن الليل و النهار
من ضروريات مصالح هذا العالم ، و آيتان دالتان على وحدة الله سبحانه و كمال
قدرته ، و لهذا كرر الله هذا المعنى في كتابه العزيز بلفظ الإيلاج و غيره . الثالث
أن يكون التكرار للإشعار بتكرار هذا الأمر و استمراره ، كما يقال لهذا المعنى
« يفعل فلان و يفعل ، و يعطي و يعطي » و هذا وجه وجيه . الرابع ما قيل : إن
دلالة إيلاج كل منهما في صاحبه على إيلاج صاحبه فيه من الخارج لا من اللفظ
فإننا إذا علمنا في الخارج أن ليس لليل صاحب إلا النهار و لا للنهار صاحب إلا الليل
علمنا من قوله « يولج كل واحد منهما في صاحبه » إيلاج الصاحب أيضاً فيه ، و أمّا
بالنسبة إلى اللفظ فلا دلالة له أصلاً ، فإننا إذا قلنا يولج الليل في صاحبه و يولج
النهار في صاحبه ولم يعلم من الخارج أن صاحبهما ماذا فلا يعلم إيلاج صاحبه فيه
البتة و نحتاج إلى ذكره و ترك العطف للاستثناف ، أو الحالية المقدرة ، و العدول
إلى المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي .

« بتقدير منه للعباد » الباء للسببية أو الملازمة و الأول أظهر ، و التنكير
للتفخيم . « فيما يغذوهم به » الظرف متعلق بتقدير ، أي جعل الله الخلق و التمييز
و الإيلاج لتقدير عظيم في الشيء الذي يغذوهم به ، كما مر أن تعاقب الليل و النهار
و اختلاف الفصول مما له مدخل عظيم في حصول الأغذية للعباد « و ينشئهم عليه »
عطف على « يغذوهم » أي له مدخل في نشوئهم و نموهم كما مر ذكره « فخلق لهم
الليل » الغاء للترتيب الذكري ، و هو عطف المفصل على المجمع « ليسكنوا فيه
من حركات التعب و نهضات النصب » الإضافة من إضافة السبب إلى المسبب ، أي

من فوائد الليل أن يسكنوا أي يستقروا ويستريحوا من الحركات الواقعة في النهار لتحصيل المعاش وغيره الموجبة للتعب، والنهضات - بالتحريك - : جمع نهضة - بسكون الهاء - وهي المرة من « نهض ينهض نهضاً و نهوضاً » أي قام ، أي القيامات للأُمور الشاقّة ، والترددات البدنيّة ، و الأشغال القليبيّة الواقعة في النهار التي هي سبب النصب - بالتحريك - أي الإعياء والعجز ، ويروى « بهظات » بالباء الموحدة والظاء المعجمة « من بهظه الأمر أو الحمل » كمنع أي غلبه و ثقل عليه ، و لعلهما إشارتان إلى قوله تعالى « وجعل الليل سكناً (١) » .

« وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومناحه » إشارة إلى قوله تعالى « وجعلنا الليل لباساً (٢) » وقد مرّ تفسيره ، وقال الزمخشري ، « أي يستركم عن العيون إذا أردتم هرباً من عدو » ، أو بيئاتاً له ، أو إخفاء ما لا تحبّون الاطلاع عليه من كثير من الأمور ويفهم منه معنى آخر و هو أنه تعالى لما جعل الليل سبباً لأن يلبس العباد لباس الراحة والنوم فكأنّه لباس ، وشبهه الراحة والمنام - وهو مصدر ميمي بمعنى النوم - باللباس ، من حيث إنّ كل واحد منهما يغشاهم ويشتمل عليهم كاللباس كما قال تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (٣) » ، وإضافة الراحة و المنام إلى ضمير الليل للاختصاص بمعنى اللام ، أي الراحة و المنام المختصّين بالليل ، ويظهر من كلام ابن الحاجب أنّه بمعنى « في » و أنكره أكثر المحققين ، و الظاهر أنّ « في » قوله « من راحته » للتبويض ، لبيان أنّه لم يخلق الليل ليصرفوا جميعه في الاستراحة و المنام بل ليستريحوا في بعضه ويعبدوه في بعضه ، وقيل « من » للابتداء ، لأنّ اللبس يبتدئ من جهة الراحة كما قال تعالى « يحلّون فيها من أساور من ذهب (٤) » بأن يكون « من راحته » صفةً لموصوف محذوف يدلّ عليه « يلبسوا » أي ليلبسوا ثوباً من راحته

(١) الانعام ، ٩٦ .

(٢) النبأ : ١٠ .

(٣) النحل : ١١٢ .

(٤) الكهف ، ٣١ .

أي الثوب الذي هو راحته ، ولا يخفى أن ما ذكرنا أظهر ، فيكون عطف على « يلبسوا » والتفريع بالغاء لبيان أن لبس الراحة والمنام سبب للجمام والقوة ، و الجمام - بالفتح - ، الراحة بعد التعب ، يقال : جمّ الفرس جماماً أي ذهب إعياءه ؛ « ولينالوا به » أي يصيبوا بلبس لباس الراحة « لذّة » وهي إدراك الملائم من حيث إنّه ملائم « وشهوة » وهي مصدر شيه كرضي أي أحبّه ورغب فيه كاشتهاه وتشهّاه والحاصل : ليصيبوا بسبب ذلك ما يلتذّون به ويشتهونه ، أو المراد بهما الحاصل بالمصدر ، ولا يبعد أن يكون المراد لذّة النوم وشهوة الجماع ، ويحتمل التعميم فيهما . « وخلق لهم النهار » عطف على «خلق لهم الليل» « مبصراً » إسناد للفعل إلى الظرف « ليبتغوا » أي ليطلبوا فيه شيئاً « من فضل الله » والمراد به نعم الله مطلقاً لا الرزق فقط ، وإن فسّر به قوله تعالى « وابتغوا من فضل الله (١) » لأن طلب الرزق مذكور بعد ذلك في قوله ﷺ « وليتسببوا إلى رزقه » فذكره بعده من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام بشأنه ، أي ليتوصلوا ويطلبوا سبباً من الأسباب المعهودة المشروعة إلى تحصيل رزقه ، أو ليصيروا سبباً واسطة في تحصيله كما قال في مقام آخر « تسببت بلطفك الأسباب » .

« و يسرحوا في أرضه » يقال : سرحت الدابة - كمنع - سرحاً : سامت و سرحتها سرحاً : أسمتها و رعيتها ، يتعدى ولا يتعدى ، والمراد هنا الأول . شبه ﷺ سيرهم في الأرض سفراً و حضراً بلا عائق كيف شاؤوا آكلين ما اشتبهوا وشاربين ماشاً واسبير الدابة في الأرض وسومها « طلباً » مفعول له لقوله « يسرحوا » وما قبله من الفعلين ، وما قيل من أنه متعلق بخلق الليل وخلق النهار أي طلب الله تعالى من خلقهما فوائد لعباده فلا يخفى بعده « لما فيه نيل العاجل » أي وصولهم إلى النفع العاجل أي الحاضر « من دنياهم » بيان للعاجل ، وفي بعض النسخ « في دنياهم » فهو متعلق بالنيل . و الدرك : اللحق و الوصول ، والآجل : خلاف العاجل « في أخريهم » متعلق بالدرك أو صفة للآجل ، أي النفع الآجل الكائن في أخريهم ، و

الأخرى : تأنيث الآخر ، أي الدار الأخرى غير الدنيا أو الأخرى « بكل ذلك »
« متعلق بـ « يصلح » و هو حال أي يصلح الله بكل من الليل و النهار و سائر الأمور
المذكورة « شأنهم » هو بالهمز و قد يخفف : الأمر و الحال ، أي الأمورهم بحسب
العاجل و الآجل « و يبلو أخبارهم » قال الزمخشري : في قوله تعالى « و لنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين و نبلوا أخباركم »^(١) أي ما يحكى عنكم و ما يخبر
به من أعمالكم لنعلم حسنها من قبيحها ، لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسناً
فحسن و إن قبيحاً فقبيح (انتهى) و معنى « يبلو » يختبر أي يعاملهم معاملة المختبر .
« و ينظر كيف هم في أوقات طاعته » أي كيف يصنعون في الأوقات التي وقتها
لطاقاتهم هل يطيعون أو يعصون « و منازل فروضه » أي أوقات فروض الله تعالى التي
فرضها على العباد ، فالمراد المنازل التي ينزل فيها الفروض ، أو منازل المكلف ، وهي
منسوبة إلى الفروض لحصول الفرض عندها ، أو هو من إضافة المشبهة به إلى المشبهة
كلمجين الماء تشبيهاً للفروض بالمنازل التي ينزلها المسافر ، حيث إن المسافر في سفره
ينتظر المنزل قبل وصوله إليه و يتشوق له ، و إذا وصل إليه يفرح به و يفعل فيه
ما ينبغي أن يفعل و يأنس به ، فينبغي للمكلف أن يكون بالنسبة إلى ما فرض الله عليه
كذلك ، و على التقادير من قبيل ذكر الخاص بعد العام للاهتمام ، إذ الطاعة أعم
من الفروض بمعانيه . و يحتمل أن يراد بأوقات الطاعة العبادات الموقوتة ، و بمنازل
كان شمولها للمباح لا يخلو من تكلف ، بأن يقال : ينظر كيف هم فيه هل يعتقدونه
مباحاً أم يبتعدون تحريمه أو غير ذلك ، مع أنه يمكن جعل المباحات طاعات بالنيات
كما سيأتي بيانه في محله . والمراد بمواقع الأحكام الأمور التي تتعلق بها وهي أفعال
المكلفين ، أو الأزمنة و الأحوال التي تعرض فيها « ليجزي الذين أسأؤوا » متعلق
بما قبله من الأفعال الثلاثة ، أي إنتما فعل تلك الأمور ليجزي الذين أسأؤوا أي
عملوا السيئة « بما عملوا » أي بعقاب ما عملوا ، أو بمثل ما عملوا ، أو بسببه « و يجزي

الَّذِينَ أَحْسَنُوا « أي فعلوا الأفعال الحسنة » بالحسنى « أي بالمشوَّبة الحسنى ، أو بأحسن من أعمالهم وجزائها ، أو بسبب الفعلة الحسنى ، فالباء في الموضعين إمَّا للصلة أو للسببية فالظرفان متعلقان بالجزاء ، وتعلُّقهما بأساؤوا وأحسنوا كما توهم بعيد وأوسط التقادير الثلاثة المتقدمة أظهر ، لدلالته على جزاء السيئة بالمثل والحسنة بأضعافها .

« اللهم » أصله يا الله ، حذف حرف النداء و عوض عنه الميم المشددة « فلك الحمد » لمآجده سبحانه على خلق مطلق الليل والنهار حمده تعالى على خصوص اليوم الذي هو فيه والمنعم التي اشتمل عليها ، و تقديم الظرف للحصر « على ما فقلت » أي شققت « لنا » أي لا تتفاعنا « من الإصباح » وهو في الأصل مصدر « أصبح » أي دخل في الصباح ، سمي به الصبح « و متعتنا به » أي على ما صيرتنا ذوي تمتع و انتفاع بسببه « من ضوء النهار » الإضافة بتقدير اللام أو ببيانته « و بصرتنا » أي على ما جعلتنا مبصرين له و بصراء به بسبب النهار « من مطالب الأوقات » بالإضافة للبيانته أو اللامية ، أي المواضع التي يطلب منها القوت ، و الأفعال التي هي مظنة حصوله والقوت : ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام « و وقيتنا » أي وعلى ما وقيتنا و حفظتنا منه في ذلك الصبح « من طوارق الآفات » بالإضافة للبيانته أو إضافة الصفة إلى الموصوف ، والطارق في الأصل من يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً ، و يستعمل غالباً في الشرور الواقعة بالليل و قديم بما يشمل ما يقع بالنهار أيضاً ، فالمراد هنا آفات البارحة أو مطلقاً . ثم اعلم أن لفظة « ما » الظاهرة في الفقرة الأولى والمقدرة فيما بعدها من الجمل الثلاث موصولة ، و ضمير « به » المذكور في الجملتين والمقدر في غيرهما عائد إليها ، و « من » في المواضع الأربعة لبيان الموصول ، و يمكن أن تكون « ما » مصدرية في الجميع أو في سوى الأولى ، و الضمائر راجعة إلى الإصباح أو فلقه فيكون « من » في قوله « من مطالب » بمعنى الباء كما في قوله تعالى « ينظرون من طرف خفي »^(١) ، ثم الحمد في الفقرة الثانية يشمل العميان أيضاً فانهم

يتمتعون بضوء النهار ، لاشتغال البصراء بالمهمات و الحوائج و من جعلتها حوائج الأضرأء ، وأما الثالثة فان كان التبصير فيها من إبصار العين فهو لغيرهم ، و إن كان من البصيرة فيشملمهم ، وهذا يؤيد حمله على الأخير . وأما شرح تنمة الدعاء فموضعه الفرائد الطريقة .

٣٨ - الدر المنثور : عن عبدالله بن مغفل^(١) . قال : قال رسول الله ﷺ :
 إن عيسى بن مريم عليه السلام قال : يامعشر الحواريين الصلاة جامعة . فخرج الحواريون في هيئة العبادة ، قد تضرعت البطون ، وغارت العيون ، واصفرت الألوان ، فسار بهم عيسى عليه السلام إلى فلاة من الأرض ، فقام على رأس جرثومة فحمد الله و أثنى عليه ثم أنشأ يتلو عليهم من ^(٢) آيات الله و حكمته فقال : يامعشر الحواريين ! اسمعوا ما أقول لكم ، إنني لأجد في كتاب الله المنزل الذي أنزله ^(٣) الله في الإنجيل أشياء معلومة فاعملوا بها ، قالوا : يا روح الله وما هي ؟ قال : خلق الليل لثلاث خصال ، و خلق النهار لسبع خصال ، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه ، خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التي أتعبتها في نهارك ، و تستغفر لذنبك الذي كسبته بالنهار ^(٤) ثم لاتعود فيه ، و تقنت فيه قنوت الصابرين ، فثلث تنام ، و ثلث تقوم ، و ثلث تضرع ^(٥) إلى ربك ، فهذا

(١) عبدالله بن مغفل - بمجمعة وفاء كممظم - هو عبدالله بن مغفل بن عبد غنم - وقيل عبد نهم - بن عفيف ابن اسحم المزني . قال في اسد الغابة (٣ ، ٢٦٣) كان من اصحاب الشجرة يكنى أبا سعيد ، وقيل أبو عبد الرحمن ، وقيل أبو زياد ، سكن المدينة ثم تحول الى البصرة وابتنى بها داراً قرب الجامع ، وكان من البكائين الذين أنزل الله عز وجل فيهم « ولاعلى الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لأجد ما أحملكم عليه ولو اوعينهم . تفيض من الدمع - الاية - » وكان أحد العشرة الذين بعثهم عمر الى البصرة يفقهون الناس (انتهى) توفي بالبصرة سنة (٥٩)
 وقيل سنة (٦٥) إيام أمانة ابن زياد بالبصرة ، وصلى عليه ابو برة الاسلمى بوصية منه بذلك .

(٢) في المصدر ، آيات الله .

(٣) في المصدر ، انزل الله .

(٤) في المصدر ، في النهار .

(٥) في المصدر ، تتضرع .

ما خلق له الليل . و خلق النهار لتؤدّي فيه الصلاة المفروضة التي عنها تسأل و بها تخاطب^(١) ، و تبرّ والديك ، و أن تضرب في الأرض تبتغي المعيشة معيشة يومك و أن تعودوا فيه ولياً لله كيما يتغمّدكم الله برحمته ، و أن تشيعوا فيه جنازة كيما تنقلبوا مغفوراً لكم ، و أن تأمروا بمعروف ، و أن تنهوا عن منكر ، فهو ذروة الايمان وقوام الدين ، و أن تجاهدوا في سبيل الله تزاموا إبراهيم خليل الرحمن في قبته ، و من مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الحصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماء عند مليك مقتدر^(٢) .

بيان : قال في النهاية : فيه : كانت في المسجد جراثيم أي كان فيها أما كن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أوطان^(٣) .

٣٩ - الدر المنثور : عن ابن مسعود ، في قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك^(٤) » قال : طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين ، ثم قرأ « و جمع الشمس والقمر^(٥) » .

٤٠ - وعن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال : تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين ، فيقوم الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون والنجوم مكانها لا تسري ، ثم يأتون فرشهم فيرقدون حتى تكل جنوبهم ، ثم يقومون فيصلون حتى يتناول عليهم الليل فيفزع الناس فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذا هي طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم . و روى مثله عن قتادة^(٦) .

(١) في المصدر ، تعاسب .

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ .

(٣) النهاية ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٤) الانعام : ١٥٨ .

(٥) القيامة : ٩ - الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٥٧ .

(٦) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٧ . وعبارة المصدر مضطربة والظاهران عبارة المتنمتين

٤١ - وعن ابن عباس وفي روايته : آية تلکم الليلة أن تطول کتقدر ثلاث لیلال (١) .

٤٢ - وعن أبي ذر - ره - قال : كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار عليه برذعة (٢) أو قطيفة وذلك عند غروب الشمس ، فقال : يا باذر أتدري أين تغيب هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تغرب في عين حائمة (٣) تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش ، فإذا حان خروجها أذن لها فتخرج فتطلع ، فإذا أراد الله أن يطلعها من حيث تغرب حبسها فتقول : يا رب إن مسيرى بعيد ، فيقول لها اطلعي من حيث غربت ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (٤) .

٤٣ - وعن عبدالله بن أوفى (٥) ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لياتين على الناس ليلة بقدر ثلاث ليلال من ليلالیکم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المصلون يقوم أحدکم (٦) فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ، ثم يقوم فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم في بعض فقالوا : ما هذا : فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها ، فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت

(١) الدر المنثور : ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٢) البرذعة : بفتح الموحدة وسكون الراء المبهمة وفتح الذال المعجمة والعين المبهمة - قال في الصحاح (٣ - ١١٨٣) هو المجلس الذي يلقي تحت الرجل ، وقال في المنجد ، البرذعة - بالذال المبهمة - والبرذعة - بالمعجمة - كساء يلقي على ظهر الدابة .

(٣) في المصدر : حمئة

(٤) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٥) كذا ، والصحيح « عبدالله بن أبي أدنى » أبو ابراهيم صحابي وابن صحابي ، واسم أبيه علقمة بن خالد بن العازت بن اسيد الاسلامي ، قال في تهذيب الاسماء ، شهد بيعة الرضوان وخيبر وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل بالمدينة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تحول الى الكوفة وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة (انتهى) مات سنة (٨٤) وقيل (٨٧) .

(٦) في المصدر « أحدهم » وهو الصحيح .

في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها ، وحيث لا يتسع نفساً إيمانها (١) .
٤٤ - وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال : إن الشمس والقمر والنجوم
خلقن من نور العرش (٢) .

٤٥ - وعن السدي (٣) في قوله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نوراً (٤) » قال : لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي (٥) يعرف الليل من النهار ، و
هو قوله « فمحونا آية الليل (٦) » الآية (٧) .

٤٦ - وعن ابن عباس قال : وجوههما إلى السماوات ، وأقفيتهما إلى
الأرض (٨) ،

٤٧ - وعن أبي ذر - ره - قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب
الشمس ، فقال : يا بأذر (٩) أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال :
إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن في الرجوع ، فيؤذن لها ، فذاك قوله
« والشمس تجري لمستقر لها (١٠) » .

٤٨ - وعن ابن عباس أنه كان يقرأ « لامستقر لها (١١) » .

٤٩ - وعن ابن عباس « رب المشرقين ورب المغربين (١٢) » قال : للشمس
مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء . ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها

(١) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٢) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٣) بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، منسوب إلى سدة مسجد الكوفة .

(٤) يونس ، ٥ .

(٥) في المصدر : كي .

(٦) الاسراء : ١٢ .

(٧) (٨) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٩) في المصدر : يا بأذر .

(١٠) يس ، ٣٨ .

(١١) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ .

(١٢) الرحمن : ١٧ .

في الشتاء وغير مغربها في الشتاء (١) .

٥٠ - وفي رواية أخرى عنه قال: مشرق الفجر (٢) ومشرق الشمس، ومغرب الشمس ومغرب الشفق (٣) .

٥١ - و عنه أيضاً في قوله تعالى « فلا أقسم بربّ المشارق والمغرب » قال : للشمس كلّ يوم مطلع تطلع فيه (٤) و مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأمس و غير مغربها بالأمس (٥)

٥٢ - وعن عكرمة قال : هي المنازل التي تجري فيها الشمس والقمر (٦) .

٥٣ - وعن ابن عباس في قوله « وجعل القمر فيهنّ نوراً (٧) » قال : وجهه يضيء السماوات و ظهره يضيء الأرض (٨) .

٥٤ - وعن شهر بن حوشب قال : اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص و كعب الأخبار وقد كان بينهما بعض العتب ، فتعابتا فذهب ذلك ، فقال عبد الله بن عمرو للكعب : سلني عما شئت فلا تسألني عن شيء إلا أخبرتك بتصديق قولي من القرآن ! فقال له : رأيت ضوء الشمس و القمر أهو في السماوات السبع كما هو في الأرض ؟ قال : نعم ، ألم تروا إلى قول الله « خلق سبع سماوات طباقاً و جعل القمر فيهنّ نوراً (٨) » .

٥٥ - وعن ابن عباس قال : وجهه في السماء إلى العرش و قفاه إلى الأرض (٩) .

٥٦ - وعن عكرمة قال : إنّه يضيء نور القمر فيهنّ كلّهنّ ، كما لو كان سبع

(١) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١٤٢ .

(٢) في المصدر ، مشرق النجم و مشرق الشفق « وربّ المغربين » قال مغرب ...

(٣) منه (خ) .

(٤) و (٥) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٧ .

(٦) نوح ، ١٦٠ .

(٨) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٦٨ .

(٩) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٦٩ .

زجاجات أسفل منهن شهاب أضاء كلهن ، فكذلك نور القمر في السماوات كلهن لصفائهن" (١) .

٥٧ - وعن ابن عباس في قوله « وجعل القمر فيهن نوراً ، قال : خلق فيهن حين خلقهن ضياءً لأهل الأرض ، وليس في السماء من ضوءه شيء . » (٢) .

٥٨ - وعن عطاء في قوله « وجمع الشمس والقمر » قال : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان (٣) فيكون نار الله الكبرى (٤) .

٥٩ - وعن ابن جريج قال : كورا يوم القيامة (٥) .

٦٠ - العلل والعيون : في خبر الشامي عن الرضا عليه السلام أنه سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فكان فيما سأله أن سألته عن أول ما خلق الله تعالى قال : خلق النور ، وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما ، قال : تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ (٦) .

بيان : أقول تمامه في كتاب الاحتجاج ، وقال السيد الداماد - ره - بعد إيراد الخبر بتمامه : إنما هذه السؤالات عن أشياء وجدها السائلون من أهل الكتاب في الكتب السماوية المنزلة على أنبيائهم ، فامتحنوا بها أمير المؤمنين عليه السلام واختبروا بها علمه بالكتب الإلهية والصحف السماوية ، وقوله عليه السلام « أول ما خلق الله النور ، المعني به الجوهر المفارق الذي هو أول الأنوار العقلية كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله « أول ما خلق الله العقل » وأما قوله عليه السلام « تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ » قال : المعني به مكعب تسعمائة فرسخ أي سبعمائة ألف فرسخ وتسعة وعشرون ألف فرسخ المجتمع من ضرب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ثم ضرب تسعمائة فرسخ في مربعها الحاصل من ضربها في نفسها أي في ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة

(١ و ٢) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٢٦٩

(٣) في المصدر ، فيقذفان في البحر .

(٤ و ٥) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٦) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، العيون : ج ١ ، ص ٢٤٠ .

آلاف فرسخ - والذي رماه بطول الشمس وعرضها المتساويين هو مساحة جميع سطحها المستدير المحيط بجرمها ، وكذلك مايرام بطول القمر وعرضه . وليعلم أن ما نالته الحكماء التعليميون ببراهينهم وأرصادهم وحصّلته العلماء الرياضيون بحسبهم وحساباتهم في مقادير الأبعاد والأجرام قد اختلف مذاهبهم فيه اختلافاً كثيراً ، وذلك إما لاختلافات في الآلات الرصدية ، أو لخلل وزلل في نصبها في مناصبها اللائقة ، وإما لمساحات قلّ ما تخلو عنها حسابات الحاسبين ، ومساحات قلّ ما تعرّض عنها أرصاد الراصدين ، ولذلك كلّه ما قد اختلف أحكام الأرصاد ، وعزّ ما يتفق رصدان متفقان وبالجملة فاذ قد أقرت الجماهير أن " بحث الأوائل أوفى فاعلمن أن " بطليموس ومن في طبقتة من الأوائل وجدوا بأرصادهم حصّة درجة واحدة من الدائرة العظمى تقع على سطح الأرض اثنين وعشرين فرسخاً وتسع فرسخ ، فحكموا أن " ثلاثمائة وستين درجة وهي محيط الدائرة العظمى الأرضية ثمانية آلاف فرسخ ، وقد بيّن أرشميدس في مقالته في مساحة الدائرة أن " محيط كل " دائرة كمجموع ثلاثة أمثال قطرها وسبع قطرها على التقريب ، فيكون مقدار قطر الأرض ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً ، وقد بيّن فيها أيضاً أن " مسطح نصف القطر في نصف المحيط مساو لتكسير الدائرة ، فتستبين بقوة الخامس والعشرين من أولى كتاب الكرة و الأسطوانة لأرشميدس أن " السطح الذي يحيط به قطر الكرة في المحيط أعظم دائرة تقع فيها مساو للسطح المحيط بالكرة ، فاذا ضربت القطر في محيط الدائرة العظمى حصل تكسير سطح الأرض وهو عشرون ألف ألف فرسخ وثلاثمائة وثلاثة وستون ألف فرسخ وستمائة وستة وثلاثون فرسخاً وأربعة أجزاء من أحد عشر جزء من فرسخ ، ووجدوا قطر الأرض مثل قطر جرم القمر ثلاث مرات وخمسي مرة فيكون مقدار جرم قطر القمر سبعمائة فرسخ وسبعة وأربعين فرسخاً بالتقريب فمحيط دائرة عظمى قمرية ألفان و ثلاثمائة فرسخ وأحد وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ على التقريب ، فمساحة جميع سطح القمر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخاً ، ووجدوا قطر

جرم الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر الأرض ، إذا كانوا وجدوا قطر الشمس بنسبته إلى قطر الأرض كمجموع ثمانية عشر جزءاً وأربعة أخماس جزء بالنسبة إلى مجموع ثلاثة أجزاء وخمسي جزء ، فخرج لهم من بعد القسمة خمسة ونصف ، فمقدار قطر الشمس أربعة عشر ألف فرسخ إلا فرسخين ونصف فرسخ ، فمحيط دائرة عظمى على جرم الشمس أربعة و أربعون ألف فرسخ تقريباً قريباً من التحقيق على ذلك التقدير . فمساحة سطح جرم الشمس بناءً على ذلك ستماية ألف ألف فرسخ وستة عشر ألف ألف فرسخ ، ومجموع مساحة سطح الشمس والقمر جميعاً ستماية ألف ألف فرسخ وسبعة عشر ألف ألف فرسخ وسبعماية ألف فرسخ وثمانماية فرسخ وخمسة وأربعون فرسخاً ، واستخرجوا بحسبهم على ما قد استحصلته أربابهم أن من الأرض إلى بعد الشمس الأوسط ألف ألف فرسخ وسبعة و ثلاثين ألف فرسخ و ثلاثماية فرسخ وأحداً وثمانين فرسخاً بالتقريب ، و أن الشمس مائة وستة وستون مثلاً وربع وثمان مائة وستة آلاف وستماية وأربعة و أربعون مثلاً للقمر ، وأن الأرض تسعة و ثلاثون مثلاً و ربع مثل للقمر . وقال قطب فلك التحصيل والتحقيق من العلماء المشهورية الجمهورية في طبيعيات كتاب « درة التاج » أن الحكيم الفاضل مؤيد الدين العرضي حقق الأمر تحقيقاً لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه أحد ، و فيما نقل عنه أن جرم الشمس مائة و سبعة وستون مثلاً لجرم الأرض ، وجرم الأرض أربعون مثلاً لجرم القمر ، ثم إن هؤلاء الراصدين الحاسين جعلوا البعد الأبعد لكل كوكب البعد الأقرب للكوكب الذي فوقه ، وكان من الواجب أن يجعل بعد محدب كل فلك بعد مقعر الفلك الذي فوقه ، لكنهم لم يعتبروا أنصاف أقطار الكواكب و ثخن جوزهر القمر وما يبقى من متمم عطارد بين أقرب أبعاده ومقعر فلكه ، إذ لم يكن غرضهم الأصلي إلا الاطلاع على عظم هذه الأجرام الشريفة على الإجمال ، ليعلم أن قدرة مبدعها جلّت عظمتها على أقصى غايات الكمال ، لاستثبات معرفتها للذهن البشري على طباق ما في العين ، فإن عقول الحكماء وأفهام العقلاء لا تصادف ولا تلقى إلا راجعة عن ذلك بخسفي حسنين

فلذلك تراهم يتساهلون كثيراً في الحساب مع أن إهمال ثانية واحدة يفضي إلى التبعيد بمراحل عن الصواب ، ولقد أورد عليهم أن المسافة على ما في المجسطي وما في مرتبته بين محدب الفلك المائل للقمر ومقعر فلك الشمس ليست تُسح نخني فلك الزهرة وعطارد فضلاً من أن يسعهما ما بين محدب جوزهر القمر ومقعر فلك الشمس والحق أن ذلك إنما نشأ من المساهلة في الحساب بإهمال الكسور وما يسير مسيره ويجري مجراه ، فالراصد الفاضل الحاسب المهندس الكاشاني قد تشمّر محل الإشكال في رسالة « سلم السماء » باستئناف الحساب على سبيل الاستقصاء من غير إهمال الثواني بل الثوانث ، و أورد قطر جرم القمر على أنه سبعمائة وأحد و ثلاثون فرسخاً ، و الصواب فيه ما أثبتناه ، و قطر الشمس سبعة عشر ألف و خمسمائة و ثمانية و ثلاثين فرسخاً على أنه سبعة أمثال قطر الأرض إلى العشر مثل تقريباً ، والذي يوجب الاستقصاء أنه مثل قطر الأرض ست مرات وخمسة أسداس مرة ونصف عشر مرة ، و جرم القمر على أنه كجزء من اثنين وأربعين جزء و سدس جزء من الأرض ، و الأحق فيه استبدال خمس مكان سدس . و جرم الشمس على أنها ثلاثمائة وستة و عشرون مثلاً للأرض ، و الأحق في ذلك و خمس مثل أيضاً تقريباً . و إذا علم ذلك فليعلم أن ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في جواب سؤال الشامي إنما هو على مطابقة الشائع المعتبر الذي اعتبرته الأوائل من الحكماء اليونانيين ، ثم استمر شيوعاً و استقر اعتباراً في العصور والدهور إلى هذه السنين الأخيرة ، لكنه لم يتساهل في الحساب ولم يهمل اعتبار الكسور ، فلعله عليه السلام اعتبر قطر الأرض أكثر مما هو المشهور بشيء يسير ، أو أنه عليه السلام اعتبر قطر الشمس ستة أمثال قطر الأرض كثمانية عشر بالنسبة إلى خمسة ، و هم قد اعتبروه بالنسبة إليه كثمانية عشر جزء و أربعة أخماس جزء بالنسبة إلى ثلاثة أجزاء وخمسين جزء ، و بالجملة على ما قاله عليه السلام يجب أن يؤخذ قطر الشمس على أنه خمسة عشر ألفاً و مائتا فرسخ تقريباً ، و محيط دائرة عظمى شمسية على أنه سبعة و أربعون ألفاً و سبعمائة فرسخ و أحد و سبعون فرسخاً و نصف

فرسخ تقريباً ليس هو على البعد من التحقيق ، فأذن يكون مجموع مضروب قطرها في محيط عظامها و هو مساحة جميع سطحها ما آتيناك في مساحة جميع سطح القمر مساوياً لمكعب تسعمائة فرسخ على التقريب القريب من التحقيق جداً والله سبحانه أعلم بأسرار كلام عبده ووليّه ، وأخي رسوله و وصيّه ، و باب علمه و عيبة حكمته ، ولو رام رائم أن يتعرف سبيل الجواب على الاستقصاء الذي تولاه الراصد الحاسب الكاشي* على سبيل التقريب قيل له ألف في تسعمائة ثم في حاصل الضرب .

وأقول : ذهب بخفّي حنين مثل سائر في خيبة الإنسان عما يرجوه . و قال الجوهري* : قال ابن السكّيت عن أبي اليقظان كان حنين رجلاً شديداً ادعى على أسد بن هاشم بن عبد مناف ، فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران ، فقال : يا عم أنا ابن أسد بن هاشم ، فقال عبد المطلب : لا وثياب هاشم ! ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع . فقالوا « ذهب حنين بخفّي » ، فصار مثلاً ، و قال غيره : هو اسم « إسكاف » من أهل الحيرة ، ساومه أعرابي بخفّي فلم يشتره ، فغاظه ذلك وعلق أحد الخفّين في طريقه ، فتقدّم فطرح الآخر و كمن له ، و جاء الأعرابي فرأى أحد الخفّين فقال : ما أشبه هذا بخفّي حنين ! لو كان معه آخر لاشرّيته . فتقدّم فرأى الخفّ الثاني مطروحاً في الطريق ، فنزل وعقل بعيره ورجع إلى الأوّل ، فذهب الإسكاف براحلته و جاء إلى الحيّ بخفّي حنين .



١٠

﴿باب﴾

﴿ علم النجوم و العمل به و حال المنجمين ﴾

الآيات :

الصفات : فنظر نظرة في النجوم فقال إنني سقيم ^(١) .

تفسير : استشكل السيد المرتضى - ره - في كتاب « تنزيه الأنبياء » في هذه الآية بوجهين : أحدهما أنه حكى عن نبيّه النظر في النجوم ، و عندكم أن الذي يفعله المنجمون في ذلك ضلال . و الآخر قوله « إنني سقيم » و ذلك كذب . ثم أجاب بوجه :

الاول : أن إبراهيم عليه السلام كانت به علة تأتبه في أوقات مخصوصة ، فلما دعوه إلى الخروج معهم نظر إلى النجوم . ليعرف منها قرب نوبة علته ، فقال إنني سقيم و أراد أنه حضر وقت العلة و زمان نوبتها ، و شارفت الدخول فيها ، و قد تسمي العرب المشارف للشيء باسم الداخل فيه ، كما قال تعالى « إنك ميت و إنهم ميتون ^(٢) » .

فان قيل : لو أراد ما ذكرتموه لقال فنظر إلى النجوم . لأن لفظة « في » لا تستعمل إلا فيمن ينظر كما ينظر المنجم .

قلنا : حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، قال سبحانه « ولا تصلبكم في جذوع النخل ^(٣) » و إنما أراد على جذوعها .

الثاني : أنه يجوز أن يكون الله أعلمه بالوحي أنه سيمحنه بالمرض في وقت مستقبل ، و إن لم يكن قد جرت بذلك المرض عادته ، وجعل تعالى العلامة على ذلك

(١) الصفات ، ٨٨ .

(٢) الزمر : ٣٠ .

(٣) الاعراف ، ١٢٣ -

ظاهراً له من قبل النجوم ، إمّا لطلوع نجم على وجه مخصوص أو اقترانه بآخر ، فلمّا نظر إبراهيم عليه السلام في الأمانة التي نصبت له من النجوم قال إنّي سقيم تصديقاً لما أخبره الله تعالى .

الثالث : ما قاله قوم في ذلك أن من كان آخر أمره الموت فهو سقيم ، وهذا لأن تشبيه الحياة المفضية إلى الموت بالسقم من أحسن التشبيه .

الرابع : أن يكون قوله إنّي سقيم معناه أني سقيم القلب أو الرأي ، خوفاً من إصرار قومه على عبادة الأصنام ، وهي لا تسمع ولا تبصر ، ويكون قوله « فنظر نظرة في النجوم » على هذا معناه أنه نظر و فكّر في أنها محدثة مدبرة مصرفة ، و عجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حين يعبدونها و يجوز أيضاً أن يكون قوله « فنظر نظرة في النجوم » معناه أنه شخص ببصره إلى السماء كما يفعل المفكّر المتأمل ، فإنّه ربما أشرق إلى الأرض وربما نظر إلى السماء استعانة على فكره وقد قيل : إن النجوم ههنا نجوم النبت ، لأنّه يقال لكل ما خرج من الأرض و غيرها وطلع : أنه نجم و نجم ، ويقال للمجميع نجوم ، و يقولون : نجم قرن الطيبي و نجم ثدي المرأة ، و على هذا الوجه يكون إنّمّا نظر في حال الفكر و الإطراق إلى الأرض . فرأى ما نجم منها وقيل أيضاً إنّه أراد بالنجوم ما نجم له من رأيه وظهر له بعد أن لم يكن ظاهراً ، وهذا و إن كان يحتمله الكلام فالظاهر بخلافه ، لأن الإطلاق في قول القائل « نجوم » لا يفهم من ظاهره إلا نجوم السماء دون نجوم الأرض و نجوم الرأي ، وقال أبو مسلم الإصفهاني : إن معنى قوله « فنظر نظرة في النجوم » أراد في القمر والشمس لما ظن أنّهما آلهة في حال مهلة النظر على ما قصّه الله تعالى من قصته في سورة الأنعام ، و لما استدللّ بأفولها و غروبها على أنّها محدثة غير قديمة ولا آلهة ، و أراد بقوله « إنّي سقيم » أنّي لست على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم ، وقد يسمّى الشك بأنّه سقم كما يسمّى العلم بأنّه شفاء . ثمّ اعترض عليه بأنّه مخالف لسباق الآيات (انتهى ملخص كلامه) .

و أقول : يمكن أن يقال إن حرمة النظر في النجوم على الأنبياء والأئمّة

العالمين بها حق العلم غير مسلم ، و إنما يحرم على غيرهم لعدم إحاطتهم بذلك و نقص علمهم كما ستعرف عند شرح الأخبار .

١ - الإحتجاج : عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه ، فردّ أبو عبد الله عليه السلام . فقال له : مرحباً يا سعد . فقال له الرجل : بهذا الاسم سمّنتني أمي ، و ما أقلّ من يعرفني به . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت يا سعد المولى ، فقال الرجل : جعلت فداك بهذا ^(١) كنت ألقب . فقال أبو عبد الله عليه السلام : لا خير في اللقب ، إن الله تبارك و تعالى يقول في كتابه : ولا تنازوا بالألقاب بمس الاسم الفسوق بعد الإيمان ^(٢) ، ما صناعتك يا سعد ؟ فقال : جعلت فداك أنا من ^(٣) أهل بيت ننظر في النجوم ، لا يقال إن باليمن أحداً أعلم بالنجوم منا . فقال أبو عبد الله عليه السلام : فكم ضوء المشتري ^(٤) على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت . فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ^(٥) فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الأبل ، فقال اليماني : لأدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب ؟ فقال اليماني : لا أدري ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : صدقت في قولك لأدري فما زحل عندكم في النجوم ؟ فقال اليماني : نجم نحس ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : لا تقل هذا ، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام و هو نجم الأوصياء عليهم السلام و هو النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه . فقال اليماني : فما معنى الثاقب ؟ فقال : إن مطلعته في

(١) في المصدر ، بهذا اللقب .

(٢) الحجرات : ١١ .

(٣) في المصدر ، إنا أهل بيت .

(٤) في المصدر ، فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة ؟

(٥) في المصدر ، فكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة ؟ قال اليماني ، لأدري

قال أبو عبد الله صدقت .

السماء السابعة ، فإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا ، فمن ثم سماه الله النجم الثاقب ، ثم قال : يا أخا العرب ! عندكم عالم ؟ قال اليماني : نعم جعلت فداك ، إن باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم ! فقال أبو عبد الله عليه السلام : وما يبلغ من علم علمهم ؟ قال ^(١) اليماني : إن عالمهم ليزجر الطير و يقفوا الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث المجدد فقال أبو عبد الله عليه السلام : فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن . قال اليماني : وما يبلغ من علم عالم المدينة ؟ قال عليه السلام : إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفوا الأثر ولا يزجر الطير و يعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً ، و اثني عشر برآ و اثني عشر بحرأ ، و اثني عشر عالماً ! فقال له اليماني : ما ظننت أن أحداً يعلم هذا و ما يدري ما كنهه قال : ثم قام اليماني ^(٢) .

ايضاح : « لا خير في القلب » أي في الألقاب الرديئة ، و ذكره عليه السلام كان لبيان الإعجاز ، أو المنهي عنه التنايز بها أو لا ، فأما بعد الاشتهاق فلا بأس للتعريف وغيره . « هاجت الإبل » أي للسفاد ، قال الجوهري : الهائج الفحل الذي يشتبه بالضراب ^(٣) (انتهى) و زجر الطير : الحكم بصياحها و طيرانها على الحوادث تقوُّلاً و تشوُّماً ، قال الجزري : الزجر للطير هو التيمن و التشوُّم [بها و التثوُّل] بطيرانها كالسائح و البارح و هو نوع من الكهانة و العيافة ^(٤) (انتهى) و المراد يقفوا الأثر إما ما كان شائعاً عند العرب من الاستدلال برؤية أثر القدم على تعيين الذهاب و أنه إلى أين ذهب كما فعلوا ليلة الغار ، أو الاستدلال بالعلامات والآثار والأوضاع الفلكية على الحوادث ، وقوله « في ساعة واحدة مسيرة شهر » أي يحكم في ساعة واحدة بتلك الأمور على حدوث الحوادث في مسافة و ناحية تكون مسيرة

(١) في المصدر : فقال .

(٢) الاحتجاج : ١٩٣ .

(٣) الصحاح : ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٤) النهاية : ج ٢ ، ص ١٢٢ .

شهر . قوله ﷺ « إلى أن لا يقفو الأثر » أي لا يحتاج في علمه بالحوادث إلى تلك الأمور ، بل يعلم في لحظة واحدة بما أعطاه الله من العلم ما يقع فيما تطلع عليه الشمس وتقطع ، وهي مقدار اثني عشر برجاً في السماء في يوم ، أو أصل البروج في سنة و اثني عشر نوعاً من أنواع البراري و بحراً من أنواع البحور ، و اثني عشر عالماً من أصناف الخلق كما مرّ و منها جابلقا و جابرسا ، فلفظة « ما » زائدة ، و يحتمل أن يكون المراد يعلم ما يحدث في اللحظة الواحدة في جميع تلك العوالم ، و يشتمل أن يكون « يقطع » البياء ، أي يقطع العالم تلك العوالم بعلمه ، أو بطي الأرض كما سيأتي .

٢ - الاحتجاج : عن سعيد بن جبير ، قال : استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنئة : يا أمير المؤمنين ! تناحست النجوم الطالعات و تناحست السعود بالنحوس ، و إذا كان مثل هذا اليوم و جب على الحكيم الاختفاء و يومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان ، و انقدهح من برجك النيران ، و ليس الحرب لك بمكان ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام و يحك يادهقان المنبىء بالآثار ، المحذر من الأقدار ، ما قصة صاحب الميزان و قصة صاحب السرطان ؟ و كم المطالع من الأسد و الساعات من (١) المحركات ؟ و كم بين السرايري و الدراري ؟ قال : سأنظر و أوماً بيده إلى كمنه و أخرج منه أسطراً لا يأنظر فيه فتبسّم عليه السلام فقال : أتدري ما حدث البارحة ؟ وقع بيت بالصين ، و انفرج برج ماجين ، و سقط سور سرانديب و انهمز بطريق الروم بأرمينية ، و فقد ديان اليهود بايلة ، و هاج النمل بوادي النمل و هلك ملك إفريقية ، أكنت عالماً بهذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : البارحة سعد سبعون ألف عالم ، و ولد في كل عالم سبعون ألفاً ، و الليلة يموت مثلهم و هذا منهم ، و أوماً بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي ، و كان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام فظن الملعون أنه يقول « خذوه » فأخذ بنفسد فمات ، فخر الدهقان ساجداً ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين

(١) في المصدر : في المحركات .

فقال (١) : أنا و صاحبي لا شرقي" (٢) ولا غربي" ، نحن ناشئة القطب ، وأعلام الفلك
أما قولك « انقذ من برجك النيران » فكان الواجب (٣) أن تحكم به لي لا علي"
أما نوره و ضياؤه فعندي ، و أما حريقه و لهبه فذهب (٤) عني ، فهذه مسألة عميقة
احسبها إن كنت حاسباً (٥) .

بيان : « ما قصة صاحب الميزان » أي الكواكب التي الآن في برج
الميزان أو الكواكب المتعلقة بتلك البرج المناسبة لها ، و كذا صاحب السرطان
« و كم المطالع من الأسد » أي كم طلع من ذلك البرج الآن ؟ « و الساعات » أي
كم مضى من الساعات من طلوع سائر المتحرّكات ، و لعل المراد بالسرايري
الكواكب الخفية ، تشبيهاً لها بالسريّة ، و الداروي الكواكب الكبيرة المضيفة
أو اصطلاحاً في الكواكب لا يعرفها المنجمون ، و الغرض أنه لو كان هذا العلم
حقاً في نما يمكن الحكم به بعد الإحاطة بجميع أوضاع الكواكب و أحوالها
و خواصها في كل آن وزمان ، و المنجمون لم يصدوا من الكواكب إلا أقلها ، و
مناط أحكامهم أوضاع السيارات فقط مع عدم إحاطتهم بأحوال تلك أيضاً ، ثم نبهه
عليه السلام على عدم إحاطته بذلك العلم ، أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير
من الأمور الحادثة . و في القاموس : البطريق ككبريت القائد من قواد الروم تحت
يده عشرة آلاف رجل (٦) (انتهى) و ديّان اليهود عالمهم ، و في بعض النسخ بالنون
جمع « دن » وهو الحب العظيم ، و « صاحبي » أي النبي ﷺ « لا شرقي » و لا غربي " ،
إيماء إلى قوله سبحانه « لا شرقية ولا غربية (٧) » و الغرض : لسنا كسائر الناس

(١) في المصدر ، فقال امير المؤمنين عليه السلام .

(٢) > لا شريقيون ولا غربيون .

(٣) > فكان الواجب عليك .

(٤) > فذاهب .

(٥) الاحتجاج : ١٢٥ .

(٦) القاموس ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

(٧) النور ، ٣٥ .

حتى تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء والأشرف فإنا فوق ذلك كله « نحن ناشئة القطب » أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب . أي حقيقة لثباتهم واستقرارهم في درجات العز والكمال ، أو كناية عن أنهم عليهم السلام غير منسوين إلى الفلك والكواكب ، بل هي منسوبة إليهم وسعادتها بسببهم ، وأنهم قطب الفلك ، إذ الفلك يدور بمركبتهم ، وهم أعلام الفلك بهم يتزين ويتبرك ويسعد . ثم أُلزم عليه السلام عليه في قوله « انقذ من برجك النيران » بأن للنار جهتين : جهة نور ، وجهة إحراق ، فنورها لنا وإحراقها على عدونا ، و يحتمل أن يكون المراد به أن الله يدفع ضررها عنا بتوسلنا به تعالى وتوكلنا عليه « فهذه مسألة عميقة » أي كوننا ممتازين عن سائر الخلق في الأحكام ، أو كون النيران خيراً لنا وشرّاً لعدونا ، أو أن التوسل والدعاء يدفع النحوس والبلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك وحسابك ، و يبطل جميع ما تظن من ذلك .

٣ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم ، قال سأل الزنديق أباعبد الله عليه السلام فقال : ما تقول فيمن زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في هذا ^(١) العالم تدبير النجوم السبعة ؟ قال عليه السلام : يحتاجون إلى دليل أن هذا العالم الأكبر و العالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك ، وتدور حيث دارت ، متعبة لا تقتر ، وسائرة لا تقف . ثم قال : وإن كل نجم منها موكل مدبر ، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المذهبيين ، فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال . قال : فما تقول في علم النجوم ؟ قال : هو علم قلت منافعه و كثرت مضراته ، لأنه لا يدفع به المقذور ولا يتقى به المخذور ، إن أخبر المنجم بالبلاء لم ينجح التحرز من القضاء ، و إن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله ، و إن حدث به سوء لم يمكنه صرفه ، و المنجم يضاد الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه (الخبر) ^(٢) .

٤ - مجالس الصدوق : عن محمد بن علي ماجيلويه ، عن محمد بن أبي القاسم

(١) في المصدر : في العالم .

(٢) الاحتجاج ، ١٩١ .

عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم ، عن عمر بن سعد ، عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحر ، قال : لما أراد الله أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجم ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ولم ذاك ؟ قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتكَ ظفرت وظهرت وأصبت كلما طلبت . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : تدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم أنثى ! قال : إن حسبت علمت : قال له أمير المؤمنين عليه السلام : من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن ، قال الله تعالى « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ^(١) » ما كان محمد عليه السلام يدعي ما ادعت ، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء و الساعة التي من سار فيها حاق به الضر ؟ ! من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل في ذلك الوجه ، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه ، وينبغي له أن يوليكَ الحمد دون ربه عز وجل فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله نداءً وضدًا . ثم قال عليه السلام : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا ضير إلا ضيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك . بل نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها .

بيان : « فقال له » روي أن هذا القائل كان عفيف بن قيس أخا الأشعث ، و كان يتعاطى علم النجوم . ويقال « ظفر بمطلوبه » كفرح أي فاز . « أتزعم » أي تقول وأكثر ما يستعمل في الباطل والحديث الذي لا مستند له « و حاق به الأمر » أي لزمه ونزل به ، والضر - بالضم - : سوء الحال « من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن » لادعائه العلم الذي أخبر الله سبحانه أنه محتص به ، إذ ظاهر قوله تعالى « عنده » الاختصاص . فإن قيل : فقد أخبر النبي عليه السلام و الأئمة عليهم السلام بالخمسة المذكورة في الآية في مواطن كثيرة فكيف ذلك ؟ قلنا : المراد أنه لا يعلمها أحد بغير

(١) لقمان ، ٣٤ .

تعليمه سبحانه ، وما أخبروه من ذلك فإِنَّمَا كَانَ بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ أَوَّالَتَعَلَّمَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّذِي عَلَّمَهُ بِالْوَحْيِ . لا يقال : علم النجوم أيضاً من هذا القبيل لما سيأتي من الأخبار الدالة على أن له أصلاً وأنه ممَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ فَكَيْفَ يَكُونُ تصديق المنجم تكذيباً للقرآن ؟ لأننا نقول : الَّذِي سَيُظْهِرُ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ نَوْعاً مِنْ هَذَا الْعِلْمِ حَقٌّ يَعْلَمُهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ كَالنَّبِيِّ وَالْإِمَامِ وَأَنَّ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا كَمَا سَنَبِّينُهُ .

« أن يوليك الحمد » على بناء الأفعال أو التفعيل ، أي يقر بك من الحمد من الولي بمعنى القرب ، أو من قولهم « ولاة الأمر عمل كذا » أي قلده إياه ، أي يجعلك ولياً للحمد وأهلاً له ، أو من قولهم « أوليته معروفاً » أي أنعمت عليه . « لا طير إلا طيرك » الطير من الطيرة وهي التشؤم بالشيء ، أي لا تأثير للطيرة إلا طيرك أي قضاؤك و قدرك على المشاكلة ، ويدل على أن ضرر النجوم من جهة الطيرة ، و الضرر : الضرر .

٦ - الخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف عن الحسن بن علي بن فضال ، عن ظريف ^(١) بن ناصح عن أبي الحصين ^(٢) ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال : عند إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر ^(٣) .

بيان : يومئذ إلى أن الإيمان بالنجوم متضمن للتكذيب بالقدر :

٦ - الخصال : عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي ، عن سليمان بن جعفر البصري ، عن عبد الله بن الحسين بن

(١) ظريف - بالطاء المعجمة وزان شريف - ابن ناصح ببيع الاكفان ، هذه الشيخ من اصحاب الباقر عليه السلام ويوجد له الرواية عن الصادق عليهما السلام أيضاً ، قال النجاشي (١٥٦) اصله كوفى نشأ ببغداد وكان ثقة في حديثه صدوقاً ، له كتب عنه ابنه الحسن .

(٢) في المصدر ، عن أبي الحسين .

(٣) الخصال : ٣٠ .

زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آباءه عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة لاتزال في أممتي إلى يوم القيامة الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . وإن النائحة إذالم تنب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من حرب (١) .

بيان : الاستسقاء بالنجوم اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في نزول المطر

٧ - الخصال : عن إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمارة ، عن سالم بن سالم وأبي عروبة معاً ، عن أبي الخطاب ، عن هارون بن مسلم ، عن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : نهى رسول الله ﷺ عن خصال - إلى أن قال : - وعن النظر في النجوم (٢) .

ومنه : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الصفار ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن نصر (٣) بن قابوس ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : المنجم ملعون ، والكاهن ملعون ، والساحر ملعون ، والمغنيّة ملعونة ، ومن آواها وأكل كسبها ملعون . وقال ﷺ : المنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار .

قال الصدوق - ره - : المنجم الملعون هو الذي يقول بقدم الفلك ولا يقول بمفلكه وخالقه عز وجل (٤) .

٨ - البصائر : عن محمد بن عبد الله بن أحمد الرازي ، عن إسماعيل بن موسى

(١) الخصال ، ١٠٥ .

(٢) الخصال ، ٣٥ .

(٣) هو نصر بن قابوس اللخمي - بفتح اللام - القابوسي الكوفي ، عده الشيخ من اصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، وقال النجاشي (٣٣٣) : روى عن ابي عبد الله و ابي ابراهيم و ابي الحسن الرضا عليهم السلام وكان ذامنزلة عندهم ، وقال الشيخ في كتاب الغيبة : وكان وكيلا لابي عبد الله عليه السلام عشرين سنة ولم يعلم انه وكيل وكان خيراً فاضلاً ، و قال المفيد في الارشاد ، انه من خاصة الكاظم عليه السلام ومن ثقاته ومن اهل الورع والملم والفقه من شيعته

(٤) الخصال ، ١٣٠ .

عن أبيه ، عن جده ، عن عمه عبد الصمد بن علي ، قال : دخل رجل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال له علي بن الحسين : من أنت ؟ قال : أنا منجم ، قال : فأنت عرف ، قال : فنظر إليه ثم قال : هل أدلك على رجل قدمر مذخلت علينا في أربع عشر عاماً كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه ؟ قال : من هو ؟ قال : أنا ، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ذخرت في بيتك .

بيان : قال في النهاية : فيه من أتمى عرفاً أفاً أو كاهناً ، أراد بالعرفاء المنجم أو الحازي (١) الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله به (٢) (انتهى) وقال الطيبي في شرح المشكوة : هو قسم من الكهّان يستدل على معرفة المسروق والضالة بكلام أو فعل أو حالة .

٩ - البصائر : عن محمد بن الحسين ، عن علي بن سعدان (٣) ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمير بن (٤) أبان الكلبي ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي - عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا يماني أفياكم علماء ؟ قال : نعم ، قال : فأني شيء يبلغ من علم علمائكم ؟ قال : إنه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين ، يزر الطير ، ويقفو الآثار ! فقال له : فعالم المدينة أعلم من عالمكم ! قال : فأني شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدينة ؟ قال : إنه يسير في صباح واحد مسيرة سنة كالشمس (٥) إذا أمرت ، إنها اليوم غير مأمورة ولكن إذا أمرت تقطع اثني عشر شمساً ، واثني عشر قمرًا واثني عشر مشرقاً ، واثني

(١) الحازي : بالزاي وزان القاضى هو الذى يخمن الاشياء ويقدرها بظنه من خاوص ومنجم وكاهن ، وقال فى الصحاح (٢٣١٢) الحازى الذى ينظر فى الاعضاء وفى خيلان الوجه يتكهن .

(٢) النهاية : ج ٣ ، ص ٨٦

(٣) كذا ، والظاهر انه مصحف « موسى بن سعدان » الحناط الكوفى والله اعلم .

(٤) كذا ، والصحيح « عمر بن أبان » قال النجاشى (٢١٩) عمر بن ابان الكلبي ابو-

حفص مولى كوفى ثقة روى عن ابي عبد الله عليه السلام ، وقال فى ترجمة ابنه اسماعيل ، روى ابوه « عمر » عن ابي عبد الله وابى الحسن عليهما السلام .

(٥) للشمس (خ) .

عشر مغرباً ، واثنى عشر برّاً ، واثنى عشر بحرأ ، واثنى عشر عالماً قال ، فما بقي في يدي اليمانيّ فما درى ما يقول ، وكف أبو عبد الله ﷺ .

١٠ - ومنه : عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ^(١) ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله ﷺ فدخل عليه رجل من أهل اليمن ، فقال له : يا أخا أهل اليمن عندكم علماء ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ من علم عالمكم ؟ قال : يسير في ليلة مسيرة شهرين ، يزجر الطير ، ويقفو الأثر ! فقال أبو عبد الله ﷺ : عالم المدينة أعلم من عالمكم ! قال : فما بلغ من علم عالم المدينة ؟ قال : يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس ! قال : فيعرفونكم ؟ قال : نعم ، ما افترض عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا .

١١ - المحاسن : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن سفيان بن عمر قال : كنت أنظر في النجوم فأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك ، فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله ﷺ فقال : إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين ثم امض ، فإن الله عز وجل يدفع ^(٢) عنك ^(٣) .

بيان : « فيدخلني من ذلك » أي همّ أو حالة تمنعني عن التوجه إلى عمل ، لما أظنّ من نحوسة الساعة ، ويدلّ على أنّ أثر نحس الكواكب والأوضاع أو تأثير التطير بها يزول بالصدقة .

١٢ - رسالة الاستخارات : للسيد بن طاووس قال : ذكر الشيخ الفاضل محمد بن عليّ بن محمد في كتاب له في العمل ما هذا اللفظ : دعاء الاستخارة عن الصادق ﷺ تقوله

(١) الظاهر انه منصور بن حازم البجلي ، وقال النجاشي (٣٢٣) منصور بن حازم ابو- ايوب البجلي كوفي ثقة عين صدوق من جملة اصحابنا وفقهائهم ، روى عن ابي عبد الله و ابي الحسن موسى عليهما السلام ، له كتب منها « اصول الشرائع » لطيف (انتهى) .

(٢) يرفع (خ) .

(٣) المحاسن ، ٣٢٩ .

بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول : اللهم إنك خلقت أقواماً يلجؤون إلى مطالع النجوم لأوقات حر كاتهم وسكونهم و تصرّ فهم وعقدهم و خلقتني أبرأ إليك من اللجأ إليها ومن طلب الاختيارات بها ، وأتيقن أنك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها ولم تسهل له السبيل إلى تحصيل أفاعيلها ، و أنك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها على السعود العائمة والخاصة إلى النحوس ، ومن النحوس الشاملة والمفردة إلى السعود ، لأنك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب ، ولأنها خلق من خلقك ، وصنعة من صنعك ، وما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله ، واستمد الاختيار لنفسه ، وهم أولئك ، ولا أشقيت من اعتمد على الخالق الذي أنت هو ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأسألك بما تملكه وتقدر عليه ، وأنت به مليء وعنه غني وإليه غير محتاج ، وبه غير مكترث ، من الخيرة الجامعة للسلامة والعافية والغنيمة لعبدك - إلى آخر الدعاء - . وقد أوردناه في أبواب الاستخارات .

بيان : « وعقدهم » أي عزمهم أو إيقاعهم العقود . وفي النهاية : المليء بالهمز الثقة الغني ، وقد أطلع الناس بترك الهمز وتشديد الباء^(١) . وقال : ما أكثرث به أي ما أبالي .

١٣- النجوم : رويها بإسنادنا إلى الشيخ السعيد محمد بن رستم بن جرير الطبري الإمامي^(٢) ، عن الحسين بن عبد الله الجرمي ، و محمد بن هارون التلعكبري ، عن محمد بن أحمد بن محروم ، عن أحمد بن القاسم ، عن يحيى بن عبد الرحمن ، عن علي بن صالح بن حمي الكوفي ، عن زياد بن المنذر ، عن قيس بن سعد ، قال : كنت كثيراً أسأير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجه من الوجوه ، فلمّا قصد أهل النهران

(١) النهاية ، ج ٤ ، ص ١٠٥

(٢) كذا ، و الصحيح « محمد بن جرير بن رستم » و هو ابن جرير الطبري الشيعي منسوب إلى « طبرستان » وهي المعروفة الآن بمازندران ، من اعظم علمائنا الامامية في المائة الرابعة ، صاحب كتاب « دلائل الامامة » و « الايضاح » و « المسترشد » قال النجاشي (٢٩١) ، محمد بن جرير بن رستم الطبري الاملي ابو جعفر جليل من اصحابنا كثير العلم ، حسن الكلام ثقة في الحديث .

و صرنا بالمدائن و كنت يومئذ مسائراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين^(١) قد جاؤوا بها هديّة^(٢) إليه فقبلها ، و كان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى « سرسفيل » و كانت الفرس تحكّم برأيه فيما مضى و ترجع إلى قوله فيما سلف ، فلمّا بصر بأمر المؤمنين ﷺ قال له : يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت ! قال : و لم ذاك يا دهقان ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! تناحست النجوم الطوالع ، فنحس أصحاب السعود ، و سعد أصحاب النجوس ، و لزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس ، و إنّ يومك هذا يوم مميت ، قد اقترن فيه كوكبان قتالان ، و شرف فيه بهرام في برج الميزان ، و اتقدت من برجك النيران و ليس الحرب لك بمكان . فتبسّم أمير المؤمنين ﷺ ثمّ قال أيّها الدهقان المنبئ بالأخبار ، و المحذّر من الأقدار ، ما نزل البارحة في آخر الميزان ؟ و أيّ نجم حلّ في السرطان ؟ قال : سأنظر ذلك ، و استخرج من كفه أسطراباً و تقويماً ، قال له أمير المؤمنين ﷺ : أنت مسير الجاريات ؟ قال : لا ، قال : فأنت تقضي على الثابتات ؟ قال : لا ، قال : فأخبرني عن طول الأسد و تبعاده من المطالع و المراجع و ما الزهرة من التوابع و الجوامع ؟ قال : لأعلم لي بذلك ، قال فما بين السراي^(٣) إلى الدراري ؟ و ما بين الساعات إلى المعجرات ؟ و كم قدر شعاع المبدرات ؟ و كم تحصل الفجر في الغدوات ؟ قال : لأعلم لي بذلك ، قال : فهل علمت يا دهقان أنّ الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين ، و انقلب برج ماجين ، و احترق دور بالزنج ، و طفح جب سرانديب ، و تهدّم حصن الأندلس ، و هاج نمل الشيخ ، و انهزم مرق الهندي ، و فقد ديّان اليهود بايلة ، و هدم بطريق الروم بروميّة ، و عمي راعب عموريّة ، و سقطت شرفات القسطنطينيّة أفعالم أنت بهذه الحوادث و ما الذي أحدثها شرقيّها أو غربيّها من الفلك ؟ قال : لأعلم لي بذلك

(١) براذين : جمع « برذون » بكسر الباء الموحدة و فتح الذال المعجمة دابة العمل

الثقيلة .

(٢) الهدية كالطية .

(٣) السواي (خ) .

قال : وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب ؟ وبأيها تنحس من تنحس ؟ قال :
لاعلم لي بذلك ، قال : فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً ، في كل عالم
سبعون عالماً ، منهم في البر ، ومنهم في البحر ، وبعض في الجبال ، وبعض في الغياض
وبعض في العمران ، وما الذي أسعدهم ؟ قال : لاعلم لي بذلك ، قال : يادهقان :
أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الفسق ، وظهر تلالؤ
شعاع المريخ وتشريقه في السحر ، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر (١)
وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم واللييلة ويموت
مثلهم - وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال - : ويموت هذا ، فإنه منهم
فلما قال ذلك ظن الرجل أنه قال خذوه ، فأخذه شيء بقلبه ، و تكسرت نفسه
في صدره ، فمات لوقته . فقال عليه السلام : يادهقان ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير ؟
قال : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : يادهقان ! أنا مخبرك أنني وصحبي ، هؤلاء لاشركيون
ولا غريبون ، إنما نحن ناشئة القطب ، وما زعمت أن البارحة انقذح من برج
النيران فقد كان يجب أن تحكم معلمي ، لأن نوره وضياءه عندي ، فلهبه ذهب عني
يادهقان هذه قضية عيص (٢) ، فاحسبها وولدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار .

(١) قال بعض علماء العصر ما حاصله أن هذا الكلام يدل على بطلان الفرضية البطلمية
حيث إن الظاهر منه إمكان اقتراب الكواكب بعضها من بعض ، واتصال جرم المريخ بتربيع القمر
وهو مستحيل على تلك الفرضية ، لأن كل واحد من الكواكب بناء عليها ، ركوز في فلك
من الافلاك لا يتحرك من مكانه ولا يتغير وضعه الا بتبع فلكه ، و الافلاك كرات متداخلة كطبقات
البصل لا يتغير شيء منها عن مكانه ، وفلك القمر هو الفلك الاول وفلك المريخ هو الفلك الخامس
وبينهما ثلاثة افلاك فيستحيل اقتراب احدهما من الاخر ، واما على مباني الهيئة الجديدة فالارض
احد السنارات ، واقرب الكواكب منها هو المريخ ، والقمر يدور حول الارض ، ومدار الحميع
على الشكل البيضي المستطيل ، ومدار الارض في داخل مدار المريخ ، وعلى هذا يمكن للمريخ
ان يقترب من القمر في بعض الاوضاع بحيث يتوهم اتصالهما من شدة قربهما وعند ذلك يكون
المريخ في غاية التلالؤ ، لكونه في اقرب نقطة من الارض ومن الشمس أيضاً ، ومن هنا يظهر
سرجمله اخرى من كلامه عليه السلام وهي هذه « وظهرتلالؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر » .
(٢) عويس (خ) .

قال : لو علمت ذلك لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة و مضى أمير المؤمنين عليه السلام فهزم أهل النهروان وقتلهم ، و عاد بالغنيمة والظفر . فقال الدهقان : ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا ، هذا علم مادته من السماء .

١٤ - أقول : وروى السيد الخبير أيضاً عن الأصبع بن نباتة ، قال : لمّا رحل أمير المؤمنين عليه السلام من « نهر بين »^(١) أتينا النهروان وقد قطع جسرنا وسمّرت سفنها فنزل - صلّى الله على محمد وعليه - وقد سرتح الجيش إلى جسر بوران ومعه رجل من أصحابه ، وقد شكّ في قتال الخوارج ، فأذأ برجله ركض فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام قال : البشري يا أمير المؤمنين ! قال له : وما بشراك ؟ قال : لمّا بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر بين ولّوا هاربين . قال علي عليه السلام : أنت رأيتهم حين ولّوا ؟ قال : نعم ، قال علي عليه السلام : كلاً والله لا عبروا النهروان ولا تجاوزوا الأثلاث ولا النخيلات حتى يقتلهم الله على يدي ، عهد معهود ، وقدر مقدور ، ولا يقتلون منّا عشرة ، ولا ينجو منهم عشرة ، إذ أقبل عليه رجل من الفرس يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفة الطوالع والمراجع ، وتقويم القطب في الفلك ، و معرفته بالحساب والضرب والجبر والمقابلة وتاريخ السندباد وغير ذلك ، وهو الدهقان ، فلما بصر بأمر المؤمنين عليه السلام نزل عن فرسه وسلم عليه فقال له : أيها الأمير ! لترجعن نعماً قصدت إليه - وكان اسم الدهقان « سرفيل سوار » وكان دهقاناً من دهاقين المدائن - فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ولم يا سرفيل سوار ؟ قال : تناحست النجوم الطالعات ، و تباعدت النجوم الناحسات ، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والعود ، و يومك هذا مميت يقلب فيه رجمان ، وانكشفت فيه الميزان ، واقتدح من برجك النيران ، و ليس الحرب لك بمكان . قال له أمير المؤمنين عليه السلام : أخبرني يادهقان عن قصة الميزان ، و في أيّ مجرى كان برج السرطان ؟ قال : سأ نظرك في ذلك ، ثم ضرب يده إلى كمنه فأخرج منها زيجاً وأصطرلاباً ، فتبسّم أمير المؤمنين

(١) نهر بين - بفتح النون وكسر الباء - ، طسوج من سواد بغداد ، وهو الآن قرية بظاهرها

(من مرصد الاطلاع) .

عليه السلام ثم قال له: يادهقان ! أنت مسير الثابتات ؟ قال : لا ، قال : فأنت تقضي على الحادثات ؟ قال : لا ، قال له : يادهقان ! فمأسة الأسد من الفلك ؟ وما له من المطالع والمراجع ؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ قال : لأعلم لي أيها الأمير قال : فعلى أي الكواكب تقضي على القطب ؟ وما هي الساعات المنحركات ؟ وكم قدر الساعات المدبرات ؟ وكم تحصل المقدرات ؟ قال : لأعلم لي بذلك ، قال له : يادهقان ! إن صح لك علمك [علمت] أن البارحة انقلب بيت في الصين وانقلب بيتانسين^(١) واحترقت دور الزنج ، و انحطم منار الهند ، و طقع جب سرانديب ، و هلك ملك إفريقية ، وانقض حصن أندلس ، و هاج نمل الشيخ ، و فقد ديان اليهود ، و جذم شطرنج الرومي بأرمنيّة ، و عتاب عمورية^(٢) ، و سقطت شرافات الفسطنطينيّة ، و هاجت سباع البحر واثبة على أهلها ، و رجعت رجال النوبة المراجيح ، و التفت الزرق مع القبيلة ، و طار الوحش إلى العلقين ، و هاجت الحيتان في الأخضرين ، و اضطربت الوحوش بالأقلين ، فأنت علميم بهذه الحوادث و ما أحدثها من الفلك شرقية أو غربية ؟ و من أيّ برج سعد صاحب النحس ؟ و أيّ برج انتحس صاحب السعد ؟ قال الدهقان : لأعلم لي بذلك ، قال : فهل ذلك علمك أن اليوم فيه سعد سبعون عالماً ، في كل عالم سبعون ألف عالم ، منهم في البحر ، و منهم في البر ، و منهم في الجبال ، و منهم في السهل والغياض و الخراب والعمران ؟ فأبن لنا ما الذي من الفلك أسعدهم ؟ قال الدهقان : لأعلم لي بذلك ، قال له : يادهقان ! أظنك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين لاحق لك في الغسق قد شارفها و اتصل جرمه بجرم القمر ، و ذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم مولدون في يوم واحد و مائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً ، و هذا منهم - و أوماً بيده إلى سعد

(١) انسين (خ) .

(٢) العمورية - بفتح العين وتشديد الميم - : بلدة من بلاد الروم ، غزاه المعتصم ففتحها وكان من اعظم فتوح الاسلام ، و العمورية أيضاً بليدة على شاطئ العاصي فيها آبار خراب ولها دخل وافر (مرصد الاطلاع) .

ابن مسعود الجارثي* و كان في عسكره جاسوساً للخوارج - فظن* أن علياً* يقول خذوا هذا ، فقبض على فؤاده فمات في وقته . فقال علي* : لم أرك عين التوفيق ، أنا وأصحابي هؤلاء لاشركيون ولاغريبون ، إنما نحن ناشئة القطب ، و أعلام الفلك ، وأما ما زعمت أن* البارحة اقتدح من برجي النيران ، فقد يجب عليك أن تحكم به لي ، لأن* ضيائه ونوره عندي ، ولهبه وحريقه ذاهب عني ، فهذه قضية عميقة ، فاحسبها إن كنت حاسباً ، واعرفها إن كنت عارفاً بالأكوار والأدوار ، ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل* فصلة في هذه الأجمة وكانت عن يمينه أجمة قصب ، فتشهد الدهقان وقال: يامولاي! الذي فهم إبراهيم وموسى وعيسى و* محمد* فهمهم^(١) فهممكها يا أمير المؤمنين ، فهو والله^(٢) المشار إليه ، ولا أثر بعد عين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أن* * محمد* عبده و رسوله ، و أنتك الإمام الوصي* المقترض الطاعة .

بيان : أكثر السؤالات المذكورة في الرواية على تقدير صحتها وضبطها مبنية على اصطلاحات معرفتها مختصة بهم* أوردها* لبيان عجزه و جهله و عدم إحاطة علمه بما لا بد منه في هذا العلم . « و كم تحصل الفجر في الغدوات » يحتمل أن يكون المراد به زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فإن ذلك يختلف في الفصول « و طفق جب* سرنديب* أي امتلاً و ارتفع ، و منه « سكران طافح » و الشيخ : نبت معروف ، و يحتمل أن يكون المراد هنا الوادي الذي هو منبته ، و العمورية ماء للنصارى يغمسون فيه أولادهم^(٣) « وما الذي أحدثها » أي بزعمك « شرقيتها » أي الكواكب « لم أرك غير التقدير » بكسر الغين و فتح الياء أي التغييرات الناشئة من تقديرات الله تعالى ، وفي بعض النسخ « عين التقدير » أي أصله

(١) ما فهمهم (ظ).

(٢) كذا ، لكن يظهر من البيان الاتي أن الصحيح « فهو الله » بلا واو .

(٣) الماء الذي ذكره - رحمه الله - هو المعمورية ، والظاهر ان « العمورية » في الرواية

بالراء دون الدال وهي بلدة بالروم .

« هذه قضية عيص » بالاضافة أي أصل في القاموس: العيص - بالكسر - : الأصل^(١).
 وفي بعض النسخ « عويصة » أي صعبة شديدة « وولدها » بصيغة الأمر وتشديد اللام
 أي استنتج منها ، و العمورية - مشددة الميم - : بلد بالروم ، ولعل المراد بالعب
 الماء العظيم ، وبعثوة طغيانه وكثرته ، والمراجيح : الحلمات^(٢) ، والزُرُق كسكّر
 طائر صياد ، ذكره الفيروزآبادي^(٣) . وفي حياة الحيوان : طائر يصاد به بين الباز
 والباشق ، وقيل هو الباز الأبيض (انتهى) والفيلة بكسر الفاء وفتح الفاء جمع الفيل .
 « فهو الله » أي مفهّمك الله « المشار إليه » بالدلائل والآيات « ولا أثر بعد عين » أي
 لأطلب الآثار والدلائل والأخبار على حقيقتك بعد ما عاينت .
 أقول : وكان في الخبرين فيما عندنا من النسخ تصحيقات كثيرة تركناها كما
 وجدنا .

١٥ - النجوم : رويت بعدة طرق إلى يونس بن عبد الرحمن في جامعه الصغير
 بإسناده قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم
 ماهو ؟ فقال : هو علم من علم الأنبياء . قال : فقلت : كان علي بن أبي طالب عليه السلام
 يعلمه ؟ فقال : كان أعلم الناس به .
 ١٦ - ومنه : نقلاً من أصل من أصول أصحابنا اسمه « كتاب التجمال »
 بإسناده عن جميل عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام ممن ذكره قال : كان قد علم نبوة
 نوح عليه السلام بالنجوم .

بيان : لعل من ذكره من باب الإرسال من أحد الرواة ، وضمير قال للإمام
 عليه السلام ، و « علم » بصيغة المعلوم والمعنى أنه عليه السلام أخبر بأن فلاناً قد علم
 نبوة نوح بالنجوم ، ويحتمل أن يكون الإرسال من الإمام ، وضمير « قال » عائداً
 إلى من ذكره ، و « علم » على بناء المجهول ، وعلى الثاني ليس الإخبار من كلامه

(١) القاموس : ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٢) كذا ، وقال الجوهري (الصعاج ، ج ١ ، ص ٣٦٤) راجحته فرجحته ، أي كنت أرزن
 منه ، وقوم مراجيح في العلم (انتهى) فليتأمل في ما ذكر في المعن من التفسير

(٣) القاموس : ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

عليه السلام والظاهر أنه من تصحيف النساخ وقوله «عمن ذكره» كان مقدماً أعلى قوله «عن أبي جعفر» عليه السلام و«علم» على بناء المجهول .

١٧ - النجوم : وجدت في كتاب عتيق عن عطاء قال : قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : هل كان للنجوم أصل؟ قال : نعم ، نبي من الأنبياء قال له قومه : إننا لانؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله ، فأوحى الله عز وجل إلى غمامة فأمرتهم ، واستنقع ^(١) حول الجبل ماء صاف ، ثم أوحى الله عز وجل إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء ، ثم أوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار ، وكان أحدهم يعلم متى ^(٢) يموت ومتى يمرض ، ومن ذا الذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له ، فبقوا كذلك برهة من دهرهم ، ثم إن داود عليه السلام قاتلهم على الكفر ، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضره أجله ، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم ، فكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد ! فقال داود عليه السلام : رب أقاتل على طاعتك ، ويقاتل هؤلاء على معصيتك ، يقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز وجل : إنني كنت علمتهم بدء الخلق وآجاله ، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله ، ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم ، فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد . قال داود عليه السلام : يارب على ماذا علمتهم؟ قال : على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار . قال : فدعا الله عز وجل فحبس الشمس عليهم ، فزاد النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم . وقال علي عليه السلام : فمن ثم كره النظر في علم النجوم .

١٨ - الدر المنثور : قال : قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : هل كان للنجوم أصل؟ قال : نعم ، كان نبي من الأنبياء يقال له «يوشع بن نون» فقال له قومه

(١) استنقع الماء : اجتمع .

(٢) من يموت (خ)

- وساق إلى قوله - ثم "أوحى الله إلى يوشع بن نون أن يرتقي - إلى آخر الخبر- (١)
 بيان : « أن تجري في ذلك الماء » يمكن أن يكون المراد جريان عكس
 الكواكب فيها ، فيكون الماء كالزيج لهم لاستعلام مقدار الحركات ، أو خلق الله
 للكواكب أمثالا فأجراها في الماء على قدر حركة أصلها في السماء أو صغر ها وأنزلها
 وأجراها فيه . وفي القاموس : البرهة - ويضم - : الزمان الطويل أو أعم " (٢) (انتهى)
 « فمن ثم كره » أي من أجل أن الحساب اختلط فلا يمكنهم الحكم الواقعي على
 الكواكب وحركاتها فيكذبون ، أو من جهة أنه يصير سببا لترك الأمور الضرورية
 بسبب علمهم بما يترتب عليه ، والخبر ضعيف عامي ، وفيه إشكال آخر وهو أنهم
 لو كانوا بحسب تقدير الله تعالى وأحكام النجوم من الخارجين فلم لم يخرجوا؟ ولولم
 يكونوا فلم يكن ترك خروجهم بسبب ذلك (٣) ، وهذا من المسائل الغامضة من فروع
 مسألة القضاء والقدر ، والعقل قاصر عن فهمها .

١٩ - النجوم : وأمادلالة النجوم على إبراهيم عليه السلام فقد روى صاحب كتاب
 النجم أن آزر أبا إبراهيم كان منجما لئمرود ، ولم يكن يصدر إلا عن أمره
 فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لئمرود : لقد رأيت في النجوم عجبا قال :
 وما هو؟ قال : رأيت مولودا يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه ، ولا يلبث إلا
 قليلا حتى يحمل به . قال : فتعجب من ذلك ، ثم قال : هل حملت به النساء بعد؟
 قال : لا ، فحجب الرجال عن النساء ولم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة ، ولا يخلص
 إليها بعلمها . قال : فوقع آزر على أهله ، فحملت بإبراهيم ، فظن أنه صاحبه
 فأرسل إلى قوايل ذلك الزمان - وكن أعلم الناس بالجنين ولا يكون في الرحم
 شيئا إلا عرفنه و علمن به - فنظرن فألزم ما في الرحم الظهر ، فقلن : ما نرى في

(١) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٢) القاموس : ج ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٣) لامنافاة بين كونهم بحسب القضاء المحتوم من غير الخارجين و كون ترك الخروج

مسببا عن علمهم بالنجوم ، فان القضاء ليس في عرض سائر الاسباب .

بطنها شيئاً قال : و كان مما أوتي من العلم أن المولود سيحرق بالنار ، ولم يؤت
 علماً أن الله سينجيه منها .

أقول : (١) و رويت هذا الحديث عن إبراهيم الخزاز عن أبي بصير عن أبي
 عبدالله عليه السلام من أصل قرئ على هارون بن موسى التلعكبري - ره - و قد روى هذا
 الحديث علي بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية (٢) و
 رواه أيضاً أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه ، و رواه
 أيضاً سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب قصص الأنبياء ، و رواه الثعلبي في تفسيره
 و غيره من العلماء . و ممن أخبر المنجمون عن نبوته و رسالته موسى بن عمران عليه السلام
 و قد تضمنت كتب التواريخ و غيرها من المصنفات ما يغني عن ذكر جميع الروايات
 فمن ذلك ما رواه الثعلبي في كتاب العرائس في المجالس فقال : إن فرعون رأى
 في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها
 و أحرقت القبط و تركت بني إسرائيل ، فدعا فرعون السحرة و الكهنة والمعبرين
 و المنجمين و سألمهم عن رؤياه ، فقالوا له : إنه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك
 ملكك ، و يغلبك على سلطانك ، و يخرجك و قومك من أرضك ، و يذل دينك ، و قد
 أظلك زمانه الذي يولد فيه . ثم ذكروا ولادة موسى عليه السلام و ما صنع فرعون في قتل
 ذكور الأولاد ، و ليس في ذكر ذلك ههنا ما يليق بالمراد . و ذكر حكم المنجمين
 بولادة موسى عليه السلام و نبوته الزمخشري في كتاب « الكشاف » و روى حديث دلالة
 النجوم على ولادة موسى عليه السلام و هب بن منبه في الجزء الأول من كتاب « المبتدأ »
 بأبسط من رواية الثعلبي ، و ذكر أبو جعفر بن بابويه في كتاب النبوة في باب سياقه
 حديث عيسى بن مريم عليه السلام فقال ما هذا لفظه : و قد علمنا [عظماء] علماء
 المجوس زائرين معظمين لأمر ابنها ، و قالوا : إننا قوم ننظر في النجوم ، فلمّا ولد

(١) من كلام السيد بن طاووس رحمه الله .

(٢) تفسير القمي ، ١٩٣ .

ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك ، فنظرنا فيه فأذا ملكه ملك نبوة لا يزول عنه ولا يفارقه حتى يرفعه إلى السماء فيجاور ربّه عزّ وجلّ ما كانت الدنيا مكانها ثمّ يصير إلى ملك هو أطول و أبقى ممّا كان فيه ، فخرجنا من قبل المشرق حتى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلّماً عليه من فوقه ، فبذلك عرفنا موضعه وقد أهدينا له هديّة جعلناها له قرباناً لم يقرب مثله لأحد قطّ ، و ذلك أننا وجدنا هذا القربان يشبه أمره ، و هو الذهب و المرّ و اللبان ، لأنّ الذهب سيّد المتاع كلّه و كذلك ابنك هو سيّد الناس ما كان حيّاً ، و لأنّ المرّ جبار الجراحات و الجنون و العاهات كلّها ، و لأنّ اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره ، و كذلك ابنك يرفعه الله عزّ وجلّ إلى السماء و ليس يرفع من أهل زمانه غيره .

٢٠ - و وجدت في كتاب دلائل النبوة جمع أبي القاسم الحسين بن محمد السكوني روى عن محمد بن عليّ بن الحسين ، عن الحسن بن عبد الله بن غانم ، عن هناد ، عن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن أسعد ، عن ابن مسيّب^(١) عن حسان بن ثابت ، قال : إنني والله لفلان يفعاء ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كلّ ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أكمة يثرب يصرخ : يا معشر اليهود فلماً اجتمعوا قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمّد الذي يبعث به الليلة . و وجدت كتاباً عندنا الآن اسمه كتاب « اليد الصيني » عمله « كشيئا » ملك الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبوة نبيّنا محمد ﷺ^(٢) .

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي ، قال النووي في تهذيب الاسماء (١٠١ ، ٢١٩) و أبوه المسيب و جدّه حزن صحابيان أسلموا يوم فتح مكة (انتهى) ذكر في تراجم العامة مقروناً بالثناء و المدح ، لكن الخاصة اختلفوا فيه ، فروى الكشي عن الكاظم عليه السلام انه من حوارى السجاد ، و روى الكليني (الكافي ، ج ١ ، ص ٤٧٢) عن إسحاق بن جرير قال قال أبو عبد الله عليه السلام ، كان سعيد بن المسيب و القاسم بن محمد بن أبي بكر و أبو خالد الكاهلي من ثقات عليّ بن الحسين عليه السلام لكن اشتهر عنه انه رغب عن الصلوة على جنازة عليّ ابن الحسين عليه السلام و أن له فتاوى مخالفة لمذهب اهل البيت ، لكن من الممكن ان ذلك منه كان للتحية والله العالم .

(٢) انتهى كلام السيد رحمه الله .

اقول : قد أوردنا ما ذكره السيد من أمر هرقل و كسرى ، و الملاءهما من جهة النجوم على نبوة نبينا **عليه السلام** في باب البشائر به و باب مولده .
 ثم قال : و أمّا دلالة النجوم على ظهور المسلمين على ملوك الفرس فالأخبار يمكن أن يكون بها كثيرة في التواريخ الكبيرة ، فمن ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه فقال : ولما أمر يزيد جرد رستم بالخروج من ساباط بعث إلى أخيه بنحو من الكتاب الأول زاد فيه : فإن السمكة قد كدّرت الماء ، و إن النعائم قد حبست و حسنت الزهرة ، فاعتدل الميزان ، و ذهب بهرام ، و لأرى هؤلاء القوم إلى سيظهم علينا ، و سيولون على ما يلينا ، و إن أشد ما رأيت أن الملك قال لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسى و أنا سائر إليهم . قال : و كان الذي جرأ يزيد جرد على إرسال رستم غلام جابان منجم كسرى ، و كان من أهل فرات بادقلي فأرسل إليه فقال : ما ترى في مسير رستم و حرب العرب ، فخافه على الصدق فكذبه و كان رستم يعلم نحواً من علم ذلك المنجم ، فنقل عليه مسيره ، و خف على الملك لما غره به و قال : إنني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن له إلى قولك . فقال الغلام لدر بالهندي : سألني مسألة فقال : أيها الملك يقبل طائر فيقع على ايوانك فيقع منه شيء في فيه ههنا - و خط دائرة - فقال العبد ، صدق ، و الطائر غراب ، و الذي في فيه درهم ، و بلغ جابان أن الملك طلبه فأقبل حتى دخل عليه فسأله عما قال غلامه فحسبه فقال صدق ولم يصب هو عقق و الذي في فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان و كذب دربا ، ينزو الدرهم فيستقر ههنا ، و دور دائرة أخرى . فما قاموا حتى وقع على الشرافات عقق ، فسقط منه درهم في الخط الأول ، فنزا فاستقر في الخط الآخر ، و نافر الهندي جابان حيث خطاه فأتى بقرة تتوج فقال الهندي : سخلتها غراء سواد ، فقال جابان : كذبت ، بل سواد سقاء . فنحرت البقرة و استخرجت سخلتها فإذا ذنبها أبيض ، فقال جابان : من ههنا أتى دربا ، و شجعاه على إخراج رستم فأمضاه . ثم قال الطبري مامعناه : أن جابان كتب إلى من يشفق عليه من العسكر يأمره بالدخول مع العرب فيما يريدون ، و أخبره أن

ملك الفرس ذهب ، فقبل منه وكان الأمر كما اقتضاه دلالة النجوم من ظهور العرب على الفرس .

أقول : ثم ذكر دلالة النجوم على إمامة القائم عليه السلام وولادته على ما أورده في باب ولادته عليه السلام .

بيان : قال في القاموس : الععق طائر أبلق بسواد و بياض ، صوته ^(١) العين و القاف ^(٢) . و قال : أنتجت الفرس : حان نتاجها فهي تتوج لا منتج ^(٣) . و قال : سفع الشيء : أعلمه و اسمه ، و السفع - بالضم - : السواد تضرب إلى الحمرة ^(٤) و في النهاية : السفعة نوع من السواد مع لون آخر ^(٥) .

٢١ - الكافي : عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن أسباط ، عن عبد الرحمن بن سيابة ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، إن الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر فيها ، و هو ^(٦) يعجبني ، فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني ، و إن كانت لا تضر بديني فوالله إنني لأشتهيها و أشتبي النظر فيها . فقال : ليس كما يقولون لا تضر بدئك . ثم قال : إنكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك ، و قليله لا يتتفع به ، تحسبون على طالع القمر ، ثم قال : أتدري كم بين المشتري و الزهرة من دقيقة ؟ قلت : لا والله ، قال : أفأنتدري كم بين الزهرة و بين القمر من دقيقة ؟ قلت : لا والله ، قال أفأنتدري كم بين الشمس و بين السكينة ^(٧) من دقيقة ؟ قلت :

(١) في المصدر : يشبه صوته .

(٢) القاموس ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ .

(٣) د ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٤) د ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٥) في المصدر ، السفعة نوع من السواد ليس بالكثير ، و قيل هو سواد مع لون آخر -

النهاية ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٦) في المصدر ، و هي تعجبني .

(٧) السنبله (خ) .

لا والله ، ما سمعته من أحد من المنجمين قط . قال : أفندي كم بين السكينة (١) وبين اللوح المحفوظ من دقيقة ؟ قلت : لا (٢) ما سمعته من منجم قط ، قال : ما بين كل واحد منهما إلى صاحبه ستين (٣) أو تسعين دقيقة - شك عبد الرحمن - ثم قال : يا عبد الرحمن ! هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصة التي في وسط الأجمة ، وعدد ما عن يمينها ، وعدد ما عن يسارها ، وعدد ما خلفها ، وعدد ما أمامها ، حتى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة (٤) .

النجوم : با سنده عن الكليني مثله ، ثم قال السيد : وروى هذا الحديث أصحابنا في المستفاد والأصول ، ورواه محمد بن أبي عبد الله في أماليه ، ورواه محمد بن يحيى (٥) أخو مقلس ، عن حماد بن عثمان .

بيان : « تحسبون على طالع القمر » يظهر منه أنه كان مداراً أحكام هؤلاء على حركات القمر وأوضاعه ، وكانوا لا يلتفتون إلى أوضاع سائر الكواكب « كم بين المشتري والزهرة » أي بحسب الدرجات والأوضاع الحاصلة من الحركات ، أو بعد فلك أحدهما عن الآخر ، والأول أظهر « وبين السكينة » هو اسم كوكب غير معروف عند المنجمين له مدخل في الأحكام ، وفي بعض النسخ « السنبلة » والأول أنسب بقوله « ما سمعته من منجم » .

٢٢ - النجوم : با سنده عن الكليني في كتاب تعبير الرؤيا ، با سنده عن محمد بن سام ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قوم يقولون النجوم أصح من الرؤيا ، و

(١) السنبلة (خ) .

(٢) في المصدر : لا والله .

(٣) « ستون أو سبعون »

(٤) روضة الكافي : ١٩٥

(٥) في بعض النسخ « محمد بن عيسى » و الظاهر انه تصحيف ، لعدم ذكر « محمد بن عيسى أخو مقلس » في الرجال ، قال النجاشي ، محمد بن يحيى الخثعمي كوفي ثقة روى عن أبي عبد الله عليه السلام و قال الشيخ في الاستبصار (ج ٢ ، ص ٣٠٥ من طبعة النجف الأخيرة) : هو عامي .

ذلك كانت صحيحة حين لم يرد الشمس على يوشع بن نون ، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رد الله عز وجل الشمس عليهما ضل فيها علوم علماء النجوم .

٢٣ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ابن صالح ، ممن أخبره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن النجوم فقال : ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب و أهل بيت من الهند ^(١) .

النجوم : بإسناده عن الكليني مثله ، وزاد في آخره « أولاد وصي إدريس عليه السلام » ثم قال : وروينا هذا الحديث بإسناده إلى ابن أبي عمير من أصله عن أبي عبد الله عليه السلام .

بيان : « أهل بيت من العرب » أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ولا يدل على جواز النظر فيه والعمل به ، بل على خلافهما أدل ، لأن علم أكثر الخلق به ناقص فيكون حكمهم به قولاً بغير علم .

٢٤ - الكافي : عن أحمد بن محمد و علي بن محمد جميعاً ، عن علي بن الحسن الميثمي ^(٢) عن محمد بن خطاب الواسطي ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن أحمد بن عمر الحلبي ، عن حماد الأزدي ، عن هشام الخفاف ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : كيف بصرك بالنجوم ؟ قال : قلت : ما خلقت بالعراق أبصر بالنجوم مني ؟ فقال : كيف دوران الفلك عندكم ؟ قال : فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها ، قال : فقال لي : إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات نعش و الجدي و الفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة ؟ قال : قلت : هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره ، فقال لي : كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها ؟ قال : قلت : هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره ، قال : سبحان الله ! فأسقطتم نجماً بأسره ^(٣) ! فعلى ما تحسبون ؟ ثم قال : فكم الزهرة

(١) روضة الكافي : ٣٣٠ .

(٢) في المصدر ، التيمي .

(٣) هذا تصريح بدم انحسار السيارات في ما كان مشهوراً عند قدماء الهويين .

من القمر جزءاً في ضوءه؟ قال : فقلت : هذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل ، قال : فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوءها؟ قال : قلت : ما أعرف هذا ، قال : صدقت ثم قال : فما بال العسكرين يلتقيان ، في هذا حاسب ، وفي هذا حاسب ، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر^(١) ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر ، فأين كانت النجوم؟ قال : فقلت : لا والله ، ما أعلم ذلك قال : فقال : صدقت ، إن أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم^(٢) .

بيان : « فأدرتها » لعله زعم أن حركة الفلك في جميع المواضع رحوية « ما بال العسكرين » هذا دليل تام على خطأ المنجمين ، فإن ملكين إذا تقابلا و كان لكل منهما منجم فانهما يختاران لهما ساعة واحدة ، و يحكم كل منهما صاحبه بالظفر ، مع أنه يظفر أحدهما ويهزم الآخر ، وذلك لعدم إحاطتهم بارتباط النجوم بالأشخاص فإنه يمكن أن يكون لكل نجم مناسبة لشخص من الأشخاص يكون سعادته أو علوه علامة لقلبه ، أو يقال كما أن لتأثير الفواعل مدخلاً في حدوث الحوادث فكذا لاستعداد القوابل مدخل فيه ، وهم على تقدير إحاطة علمهم بالأول لم يحط علمهم بالثاني كما قاله ابن سينا ، و سيأتي تفصيله في قصة هاروت و ماروت . فقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** « لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق » يمكن أن يكون إشارة إلى الأول ، كما أن المنجمين يعتبرون طالع المولود في الأحكام ، أو إلى الثاني بأن يكون المراد بمواليدهم خصوصيات موادهم و استعداداتهم و قابلياتهم و أسباب ولادتهم ، و هذا علم لا يمكن الإحاطة به إلا بالوحي أو الإلهام من الخالق الحكيم ، و يمكن أن يكون المراد به أن من أحاط بذلك العلم يعلم به جميع مواليد الخلق ، و لما لم يعلم المنجمون جميع ذلك ظهر أنهم لا يحيطون به علماً ، و على التقادير ظاهره حقيقة هذا العلم ، و عدم جواز النظر فيه لسائر الخلق ، لعدم إحاطتهم به و تضمينه القول بما لا يعلم - والله يعلم - .

(١) في المصدر : بالظفر ، و يحسب هذا لصاحبه بالظفر .

(٢) روضة الكافي ، ٣٥١ .

٢٥ - النجوم : وجدت في كتاب « نوادر الحكمة » تأليف محمد بن أحمد بن يحيى ابن عمران بن عبدالله القمّي رواه عن الرضا عليه السلام قال : قال أبو الحسن عليه السلام للحسن ابن سهل : كيف حسابك للنجوم ؟ فقال : ما بقي منها شيء إلا وقد تعلمته . فقال أبو الحسن عليه السلام : كم لنور الشمس على نور القمر فضل درجة ؟ و كم لنور القمر على نور المشتري فضل درجة ؟ و كم لنور المشتري على نور الزهرة فضل درجة ؟ فقال : لأدري ، فقال : ليس في يدك شيء ، هذا أيسر !
بيان : أي هذا أيسر شيء من هذا العلم .

٢٦ - النجوم : وجدت في كتاب مسائل الصباح بن نصر الهندي لمولانا علي ابن موسى الرضا عليه السلام رواية أبي العباس بن نوح وأبي عبدالله محمد بن أحمد الصفواني من أصل كتاب عتيق لنا الآن ربما كان قد كتب في حياتهما بالإسناد المتصل فيه عن الريان بن الصلت ، وذكر اجتماع العلماء بحضرة المأمون وظهور حجته عليه السلام على جميع العلماء وحضور الصباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام وسؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه : هو علم في أصل صحيح ذكروا أن أول من تكلم في النجوم إدريس عليه السلام ، و كان ذوالقرنين بها ماهراً ، وأصل هذا العلم من عند الله عز وجل ، ويقال : إن الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل ، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل ، فلم يستكملوا ذلك ، فأتى بلد الهند فعلم رجلاً منهم ، فمن هناك صار علم النجوم بها ^(١) . و قد قال قوم : هو علم من علم الأنبياء ، خصوا به لأسباب شتى ، فلم يسندرك المنجمون الدقيق ^(٢) منها ، فشابوا الحق بالكذب . هذا آخر لفظ مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام في هذه الرواية الجليلة الإسناد ، وقوله عليه السلام حجة على العباد ، وقوله عليه السلام « ذكروا » و « يقال » فإن عادته عليه السلام عند التقيّة من المخالفين والعامّة

(١) الظاهر انه عليه السلام نقل هذا الكلام لمصلحة في نقله للتصديق بصحته .

(٢) الدقيقة فيها (خ) .

يقول نحو هذا الكلام ، وتارة يقول « كان أبي يقول » وتارة « روي »^(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

بيان : أقول: يحتمل أن يكون تصحيحه عليه السلام وإثباته لعلم النجوم تقيّة لولوع المأمون بهذا العلم ورغبته إليه ، فلذا عبّر عليه السلام بهذه العبارات ، وفي أكثر الأعمار المنجّمون مقرّبون عند السلاطين ، والناس يتّقون منهم ، مع أنّه غير صريح في جواز التعليم والتعلّم والعمل به .

٢٧ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن سليمان بن خالد ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحرّ والبرد بمن^(٢) يكونان؟ فقال لي : يا أبا أيوب ، إن المريخ كوكب حارّ وزحل كوكب بارد فإذا بدأ المريخ في الارتفاع انحطّ زحل ، و ذلك في الربيع ، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع المريخ درجة انحطّ زحل درجة ثلاثة أشهر حتى ينتهي المريخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط ، فيجلو المريخ فلذلك يشتدّ الحرّ ، فإذا كان في آخر الصيف وأوان^(٣) الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المريخ في الهبوط ، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المريخ درجة حتى ينتهي المريخ في الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع ، فيجلو زحل و ذلك في أوّل^(٤) الشتاء و آخر الصيف^(٥) فلذلك يشتدّ البرد ، وكلّما ارتفع هذا هبط هذا وكلّما هبط هذا ارتفع هذا ، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر ، وإذا كان في الشتاء يوم حارّ فالفعل في ذلك للشمس ، هذا تقدير العزيز العليم ، وأنا عبد ربّ العالمين^(٦) .

(١) يروي (خ) .

(٢) في المصدر ، مما يكونان .

(٣) في المصدر ، واول الخريف .

(٤) اوان (خ) .

(٥) في المصدر ، الخريف ،

(٦) روضة الكافي ، ٣٠٦ .

بيان : اُشكل على الناظرين في هذا الخبر حله من جهة أن حر كتي زحل والمرئح الخاصتين غير متوافقتين ولا مطابقتين لحر كة الشمس و الفصول الحاصلة منها بوجه ، و يخطر بالبال حلّ يمكن حمل الخبر عليه ليندفع الإشكال ، وهو أن يكون حرارة أحد الكوكبين وبرودة الآخر بالخاصية لا بالكيفية من قبيل التأثيرات الناقصة التي تنسب إلى أوضاع الكواكب ، ويكون لكل منهما تدوير ، ويكون ارتفاع المرئح في تدويره إما مؤثراً ناقصاً أو علامةً لزيادة الحرارة ويكون ارتفاعه عند انحطاط زحل بحر كة تدويره و انحطاطه مؤثراً ناقصاً أو علامةً لضعف البرودة فلذا يصير الهواء في الصيف حاراً وفي الشتاء بعكس ذلك ، ولم يدل دليل على امتناعه كما أنهم يقولون في القمر : إن قوته و ارتفاعه مؤثر و علامة لزيادة البرد والرطوبات ، وقد أثبتوا أفلاكاً كثيرةً جزئيةً لكل من السيارات لضبط الحركات ومع ذلك يرد عليهم ما لا يمكنهم حله ، فلاضير في أن نثبت فلماً آخر لتصحيح الخبر المنسوب إلى الإمام عليه السلام .

قوله « فيجلو المرئح » كذا في أكثر نسخ الكافي ، وهو إما من الجلاء بمعنى الخروج والمفارقة عن المكان ، أي يأخذ في الارتفاع ، أو من الجلاء بمعنى الوضوح والانكشاف ، و في بعض نسخه « فيعلو » في الموضوعين ، وفي كتاب النجوم « فيلحق » فيهما ، ولهما وجه قريب . ولعل قوله عليه السلام « وأنا عبد رب العالمين » لحضور بعض الغلاة في ذلك المجلس ، قال ذلك رداً عليهم ، وقيل : أوّل الكلام مبنية على زعم المنجمين من تأثير الكواكب ، و ردّ ذلك آخراً بقوله عليه السلام « هذا تقدير العزيز العليم » وحاصله أن المنجمين يعدّون الشمس والمرئح حارّين يابسين وزحل بارداً يابساً ، و القمر بارداً رطباً ، وغرضهم أن تأثيرها في السفليات كذلك ، وتخصيص المرئح و زحل بالذكر لكونهما من العلوية وهي أشرف عندهم . والمراد بارتفاع مرئح و انحطاط زحل حسن حال الأوّل وسوء حال الثاني بزعمهم ، إذ الشمس من أوّل الحمل كلّما ازداد ارتفاعاً في الآفاق المائلة الشمالية اشتدّ حرارة الهواء ، فارتفع مانع تأثير المرئح وقوي تأثيره و ضعف تأثير زحل ، وكذا العكس .

٢٨ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي بصير ^(١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن آزر أبا إبراهيم كان منجماً لنمرود ، ولم يكن يصدر إلا عن أمره ، فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود : لقد رأيت عجباً ! قال : وما هو ؟ قال : رأيت مولوداً يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه ، ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به . قال : فتعجب من ذلك وقال : هل حملت به النساء ؟ قال : لا ، قال فحجب النساء عن الرجال فلم يدعوا امرأة إلا جعلها في المدينة لا يخلطن ^(٢) بعلمها ، ووقع آزر على أهله ^(٣) وعلقت بإبراهيم عليه السلام فظن أنه صاحبه ، فأرسلوا ^(٤) إلى نساء من القوابل في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شيء إلا علمن به ، فنظرن فألزم الله عز وجل ما في الرحم ^(٥) الظهر ، فقلن : ما نرى في بطنها شيئاً . وكان فيما أوتيت من العلم أنه سيحرق في ^(٦) النار ولم يؤت علم أن الله تبارك وتعالى سينجيها منها (الخبر) ^(٧) .

٢٩ - الكافي : عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسين بن علي بن عثمان ، عن أبي عبد الله المدائني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق نجماً في الفلك السابع ، فخلقه من ماء بارد ، و سائر النجوم السمّة الجارية من ماء حار ، وهو نجم الأنبياء والأوصياء ، وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ، و يأمر باقتراش التراب ^(٨) ، وتوسد اللبن

(١) كذا في نسخ البحار ، وفي المصدر « هشام بن سالم عن أبي أيوب الخزاز عن أبي -

بصير » وعلى التقديرين لا ارسال في السند لان طبقة هشام رابى ايوب وابى بصير واحدة فيمكن

رواية هشام عن ابي بصير بلا واسطة وبواسطة ابي ايوب

(٢) في المصدر ، لا يخلص اليها بعلمها .

(٣) في المصدر ، بأهله .

(٤) في المصدر : فأرسل .

(٥) في المصدر : إلى الظهر .

(٦) في المصدر : وبعض النسخ : بالنار .

(٧) روضة الكافي ، ٣٦٦ .

(٨) الثرى (خ) .

ولباس الخشن ، وأكل الجشب ، وما خلق الله نحمأ أقرب إلى الله منه (١) .
بيان : يدل الخبر على أن المنجمين قد أخطؤوا في طبائع الكواكب ، ومن
يذسبون إليها ، و في سعادها و نحسها ، يأمر بالخروج من الدنيا ، لعل المراد أن
من ينسب إليه هكذا حاله ، أو من كان هذا الكوكب طالع ولادته يكون كذلك ، أو
أن المنسويين إلى هذا الكوكب يأمرن بذلك .

أقول : فعلى الأول يمكن أن يقال لا تنافي بين ما ذكره المنجمون و بين
ما ورد في الخبر ، لأن نحوسته بالنظر إلى أغراض أهل الدنيا و ما يطلبون من
عز الدنيا و فخرها و زخرفها ، و سعادته بالنظر إلى أغراض أهل الآخرة و ما
يطلبون من ترك الدنيا و لذاتها و شهواتها فتدبر .

٣٠ - النجوم : روى معاوية بن حكيم ، عن محمد بن زياد ، عن محمد بن يحيى
الخنعمي ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حق هي ؟ قال لي : نعم ، فقلت
له : و في الأرض من يعلمها ؟ قال : نعم ، و في الأرض من يعلمها . قال السيد : و
رويناه با سنادنا إلى محمد بن يحيى الخنعمي من غير كتاب معاوية بن حكيم .

٣١ - و روينا با سنادنا عن معاوية بن حكيم في كتاب أصله حديثاً آخر عن
أبي عبدالله عليه السلام قال : في السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب ، و
أهل بيت من الهند ، يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم .

٣٢ - المناقب لابن شهر اشوب : عن أبي بصير ، قال : رأيت رجلاً يسأل
أبا عبدالله عليه السلام عن النجوم ، فلما خرج من عنده قلت له : هذا علم له أصل ؟ قال :
نعم ، قلت : حدثنني عنه ، قال : احدثك عنه بالسعد و لا احدثك بالنحس ، إن
الله جل اسمه فرض صلوة الفجر لأول ساعة فهو فرض و هي سعد ، و فرض الظهر
لسبع ساعات و هو فرض و هي سعد ، و جعل العصر لتسع ساعات و هو فرض و هي
سعد ، و [جعل] المغرب لأول ساعة من الليل و هو فرض و هي سعد ، و العتمة
لثلاث ساعات و هو فرض و هي سعد .

بيان : لعل غرضه عليه السلام أن ذلك العلم له أصل ، لكن لا ينبغي لك أن تطلب منه إلا قد ما تعلم به أوقات الفرائض ، أو المعنى أن أوقات الفرائض لها سعادة لوقوع عبادة الله فيها .

٣٣ - النجوم : روينا بأسانيد عن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، و نقلته من خطه من الجزء الثاني من كتاب الدلائل تأليف عبد الله بن جعفر الحميري باسناده عن بياع السابري ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن لي في النظرة في النجوم لذّة ، و هي معيبة عند الناس ، فإن كان فيها إثم تركت ذلك ، و إن لم يكن فيها إثم فإن لي فيها لذّة قال : فقال : تعدّ الطوالع ؟ قلت : نعم ، فعددتها له فقال : كم تسقي الشمس القمر من نورها ؟ قلت : هذا شيء لم أسمع قط ، و قال : و كم تسقي الزهرة الشمس من نورها ؟ قلت : ولا هذا ، قال : فكم تسقي الشمس من اللوح المحفوظ من نوره ؟ قلت : و هذا شيء ما أسمع قط ، قال : فقال : هذا شيء إذا علمه الرجل عرف أوسط قسبة في الأجمة . ثم قال : ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش و أهل بيت من الهند .

٣٤ - و منه : وجدت في كتاب عتيق اسمه كتاب « التجمّل » قال أبو أحمد عن حفص بن البختري ، قال : ذكرت النجوم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : ما يعلمها إلا أهل بيت بالهند و أهل بيت من العرب .

٣٥ - و في الكتاب المذكور أيضاً عن محمد و هارون ابني أبي سهل ، و كتبنا إلى أبي عبد الله عليه السلام أن أبانا وجدنا كنا ينظران في النجوم ، فهل يحلّ النظر فيها ؟ قال نعم .

٣٦ - و فيه : أيضاً أنهما كتبنا إليه : نحن ولد بني نوبخت المنجم ، و قد كتبنا كتبنا إليك هل يحلّ النظر فيها ؟ فكتبت : نعم ، و المنجمون يختلفون في صفة الفلك ، فبعضهم يقول : إنّ الفلك فيه النجوم و الشمس و القمر ، معلق بالسماء و هو دون السماء ، و هو الذي يدور بالنجوم و الشمس و القمر و السماء فإنها لا تتحرك ولا تدور ، و يقولون : دوران الفلك تحت الأرض ، و إنّ الشمس تدور مع الفلك

تحت الأرض ، [و] تغيب في المغرب تحت الأرض ، و تطلع بالفداة من المشرق .
فكتب : نعم ، ما لم يخرج من التوحيد .

٣٧ - و من الكتاب المذكور : أبو محمد ، عن الحسن بن عمر ، عن أبيه (١)
عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى « في يوم نحس مستمر » قال : كان القمر منحوساً
يزحل .

بيان : « معلق بالسماء » أي الفلك معلق بالسماء ، و لعلّ مرادهم بالسماء
الفلك التاسع ، و بعدم حر كتبها أنها لا تتحرك بالحركات الخاصة للكواكب ، و
قولهم « دوران الفلك تحت الأرض » يحتمل الخاصة واليومية و الأعم ، و غرضهم
أن الكواكب كما تتحرك تبعاً للأفلاك فوق الأرض فكذا تتحرك تحتها ، و قولهم
« و إن الشمس تدور مع الفلك » أي بالحركة اليومية ، هذا ما خطر بالبال في
تأويله ، و ظاهره أن الأفلاك غير السماوات ، و لعله كان ذلك مذهباً لجماعة كما
ذهب إليه الكراچكي حيث قال في كنز الفوائد : اعلم أن الأرض على هيئة الكرة
و الهواء يحيط بها من كل جهة ، و الأفلاك تحيط بالجميع إحاطة استدارة ، و هي
طبقات بعضها يحيط ببعض ، فمنها سبعة تختص بالنيّرين و الكواكب الخمسة التي
تسمى « المتحيرة » فالنيّران هما الشمس والقمر ، و الخمسة هي : زحل ، و المشتري
و المريخ ، و الزهرة ، و عطارد ، فلكل واحد منها فلك يختص به من هذه السبعة
ففلك زحل أعلاها ، و فلك القمر أقربها من الأرض ، و فلك الشمس في وسطها ، و

(١) هو عمر بن يزيد بياع السابري ، قال النجاشي (٢١٧) عمر بن محمد بن يزيد
ابوالاسود بياع السابري مولى ثقيف كوفي ثقة جليل احد من كان يفد في كل سنة ، روى عن
أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام و روى الكشي عن محمد بن غداقر عنه قال : قال لي
أبو عبدالله عليه السلام : يا ابن يزيد ، انت والله منا اهل البيت . قلت له : جعلت فداك ، من آل
محمد ؟ قال : اي والله من انفسهم ، قلت : من انفسهم ؟ قال : اي والله من انفسهم يا عمر أما
تقرأ كتاب الله عز و جن ، إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا والله
ولى المؤمنين ؟

تحت فلك زحل فلك المشتري ، ثم المريخ ، و فوق القمر فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة ، و يحيط بهذه الأفلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة ، وهي جميع ما يرى في السماء غير ما ذكرنا . ثم الفلك المحيط الأعظم المحرك بجميع هذه الأفلاك ، ثم السماوات السبع تحيط بالأفلاك ، وهي مساكن الأملاك و من رفعه الله تعالى إلى سمائه من أنبيائه و حججه عليهم السلام (انتهى) و هذا قول غريب لم أربه قائلاً غيره ، و مخالفته لظاهر الآية أكثر من القول المشهور .

و فكتب نعم ، أي يحلّ النظر فيها « مالم يخرج من التوحيد » أي مالم يذته إلى القول بتأثير الكواكب و أنها شريكة في الخلق و التدبير للرب سبحانه ، و الظاهر أن المراد بالنظر في النجوم هنا علم الهيئة و التفكير في كيفية دوران الكواكب و الأفلاك و قدر حرركاتها و أشباه ذلك ، لا استخراج الأحكام و الإخبار عن الحوادث .

٣٦ - النجوم : من كتاب « نزهة الكرام و بستان العوام » تأليف محمد بن الحسين بن الحسن السراوي ، و هذا الكتاب خطه بالعجمية تكلفنا من نقله إلى العربية ، فذكر في أواخر المجلد الثاني منه ما هذا لفظ من أعربه : و روي أن هارون الرشيد بعث إلى موسى بن جعفر عليه السلام فأحضره ، فلمّا حضر عنده قال : إن الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم ، و أن معرفتكم بها معرفة جيّدة و فقهاء العامة يقولون إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال : إذا ذكروا في أصحابي فاسكتوا و إذا ذكروا القدر فاسكتوا ، و إذا ذكروا النجوم فاسكتوا ، و أمير المؤمنين عليه السلام كان أعلم الخلائق بعلم النجوم ، و أولاده و ذريته الذين تقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها . فقال له الكاظم عليه السلام : هذا حديث ضعيف و إسناده مطعون فيه ، والله تبارك و تعالى قد مدح النجوم ، و لولا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله عز و جل و الأنبياء عليهم السلام كانوا عالمين بها و قد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام « و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض و ليكون من الموقنين (١) »

وقال في موضع آخر « فنظر نظرة في النجوم فقال إنني سقيم^(١) ، فلو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها وما قال إنني سقيم ، وإدريس عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالنجوم ، والله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ، وقال في موضع آخر « و النازعات عرقاً - إلى قوله - فالمدبرات أمراً » ويعني بذلك اثني عشر برجاً وسبعة سيّارات ، والذي يظهر بالليل والنهار بأمر الله عز وجل ، و بعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم ، وهو علم الأنبياء والأوصياء و ورثة الأنبياء الذين قال الله عز وجل « و علامات و بالنجم هم يهتدون^(٢) » ونحن نعرف هذا العلم وما نذكره . فقال له هارون : بالله عليك يا موسى هذا العلم لا تظهروه عند الجهّال و عوام الناس حتى لا يشنعوا عليك ، و نفس العوام به و غطّ هذا العلم وارجع إلى حرم جدك . ثم قال له هارون : وقد بقي مسألة أخرى بالله عليك أخبرني بها ! فقال له : سل ، فقال له : بحق القبر والمنبر وبحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنت تموت قبلي أو أنا أموت قبلك ؟ لأنك تعرف هذا من علم النجوم ، فقال له موسى عليه السلام : آمنتني حتى أخبرك . فقال : لك الأمان . فقال : أنا أموت قبلك و ما كذبت ولا أكذب و وفاتي قريب .

أقول : تمامه في أبواب تاريخ موسى عليه السلام .

٣٧ - و منه : قال : وجدت في كتاب عتيق بإسناد متصل إلى الوليد بن جميع قال : إن رجلاً سأله عكرمة عن حساب النجوم ، فجعل الرجل يتحرّج أن يخبره قال عكرمة : سمعت ابن عباس يقول : علم عجز الناس عنه ، وددت أني علمته .

٣٨ - و منه : نقلاً من كتاب ربيع الأبرار للزمخشري عن الوليد بن جميع قال : رأيت عكرمة سأل رجلاً عن علم النجوم والرجل يتحرّج أن يخبره ، فقال له عكرمة : سمعت ابن عباس يقول : علم عجز الناس عنه ، ولوددت أني علمته .

(١) الصافات : ٨٩ .

(٢) النحل ، ١٦ .

٣٩ - وأيضاً فيه : عن ابن عباس : علم من علم النبوة ، وليتني كنت أحسنه .
 ٤٠ - ومنه : قال : رويت عن محمد بن النجار في المجلد الحادي والعشرين
 من تذييله على تاريخ الخطيب في ترجمة علي بن طراد باسناده إلى (١) عكرمة
 قال : قيل لابن عباس : إن ههنا رجلاً يهودياً يتكهن ، قال : فبعث إليه ابن عباس
 فجاء ، فقال : يا يهودي بلغني أنك تخبر بالغيب ، فقال اليهودي : أما الغيب فلا
 يعلم إلا الله ، ولكن إن شئت أخبرتك . قال : هات ، قال : ألك ابن عشر سنين
 يختلف إلى الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : فإنه يأتي غداً محموراً من الكتاب ، ويموت
 يوم عاشره ، وأما أنت فلا تخرج من الدنيا حتى يذهب بصرك . قال : هذا أخبرني
 عن ابني وعن نفسي ، فأخبرني عن نفسك . قال : أموت رأس السنة . قال عكرمة
 فجاء ابن ابن عباس من الكتاب محموراً ومات يوم عاشره ، فلما كان رأس السنة
 قال ابن عباس : يا عكرمة انظر ما فعل اليهودي . فأتيت أهله ، فقالوا : مات أمس
 فما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره .

بيان : « الكتاب » بضم الكاف وتشديد التاء الكتبة و يطلق على المكتب
 تسمية للمحل باسم الحال .

٤١ - النجوم : نقلاً من كتاب ربيع الأبرار عن علي بن الحسين عليه السلام : من اقتبس
 علماً من علم النجوم من جملة القرآن ازداد به إيماناً ويقيناً ، ثم تلا « إن في اختلاف
 الليل والنهار (٢) » .

٤٢ - وقال فيه أيضاً : عن ميمون بن مهران : إيتاكم والتكذيب بالنجوم
 فإنه علم من علوم النبوة .

و فيه أيضاً عن علي بن الحسين عليه السلام : يكره أن يسافر الرجل أو يتزوج في محاق
 الشهر ، وإذا كان القمر في العقرب .

٤٣ - و ذكر الخطيب في تاريخ بغداد حديثاً أسنده إلى تميم بن الحارث

(١) عن (خ) .

(٢) يونس ، ٦٠ .

عن أبيه ، عن عليّ عليه السلام : أنه يكره أن يتزوج الرجل أو يسافر إذا كان القمر في محاق الشهر أو العقرب .

٤٤ - وفي كتاب ربيع الأبرار : فيما رواه عن مولانا عليّ عليه السلام : ويروى أن رجلاً قال : إنني أريد الخروج في تجارة لي وذلك في محاق الشهر . فقال : أتريد أن يمحق الله تجارتك ؟ تستقبل هلال الشهر بالخروج .

٤٥ - وفيه أيضاً : كان علماء بني إسرائيل يسترون من العلوم علمين : علم النجوم ، و علم الطب . فلا يعلمونهما أولادهم لحاجة الملوك إليهما ، لئلا يكون سبياً في صحبة الملوك و الدنو^١ منهم ، فيضمحل دينهم .

٤٦ - و منه روى عبدالله بن الصلت في كتاب التواقيع من أصول الأخبار قال : حملت الكتاب و هو الذي نقلته من العراق ، قال : كتب معقلة بن إسحاق إلى عليّ بن جعفر رقعة يعلمه فيها أن المنجم كتب ميلاده ، و وقت عمره وقتاً ، و قد قارب ذلك الوقت ، و خاف على نفسه ، فأحب أن يسأله أن يدلّه على عمل يعمله يتقرب به إلى الله عز و جل^٢ ، فأوصل عليّ بن جعفر رقعة^(١) بعينها كتبها ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، متّعني الله بك ، قرأت رقعة [فلان] فأصابني والله ما أخرجني إلى بعض لائمتك ، سبحان الله أنت تعلم حاله منا [حقاً] و من طاعتنا و أمورنا ، فما منعك من نقل الخبر إلينا لنستقبل الأمر ببعض السهولة أو جعلته^(٢) أنه رأى رؤياً في منامه ، أو بلغ سن^٣ إليه ، أو أنكر شيئاً من نفسه كان يدرك بها حاجته ، و كان الأمر يخف و وقوعه ، و يسهل خطبه ، و يحتسب هذه الأمور عند الله بالأمس نذكره في اللفظة^(٣) بأن ليس أحد يصلح لها غيره و اعتمادنا عليه على ما تعلم ، نحمد الله كثيراً ، و نسأله الاستمتاع بنعمته ، و بأصلح الموالى و أحسن الأعوان عوناً و برحمته و مغفرته ، مر فلاناً - لا فجعنا الله به - بما يقدر عليه من الصيام على

(١) رقعة (خ) .

(٢) أو أدخلته (خ) .

(٣) في المظة فانه (خ) .

ما أصف : إمّا كلّ يوم ، أو يوماً و يوماً لا ، أو ثلاثة في الشهر ولا يخلو كلّ يوم أو يومين من صدقة على ستين مسكيناً ، أو ما يحرقه عليه النية^(١) و ما جرى و تمّ ، و يستعمل نفسه في صلوة الليل و النهار استعمالاً شديداً ، و كذلك في الاستغفار و قراءة القرآن و ذكر الله تعالى و الاعتراف في القنوت بذنوبه ، و يستغفر الله منها و يجعل أبواباً في الصدقة و العتق عن أشياء يسمها^(٢) من ذنوبه ، و يخلص نيته في اعتقاد الحقّ ، و يصل رحمه ، و ينشر الخير فيها ، و نرجو أن ينفعه مكانه مناً ، و ما وهب الله من رضانا عنه و حمدنا إياه ، فلقد والله ساءني أمره فوق ما أصف ، على أنّه أرجو أن يزيد الله في عمره ، و يبطل قول المنجمّ ، فما أطلع الله على الغيب و الحمد لله .

وقد رأيت هذا الحديث في كتاب التوقيعات لعبدالله بن جعفر الحميري - ره -
قد رواه عن أحمد بن محمد بن عيسى بإسناده إلى الكاظم عليه السلام .
بيان : النسخة كانت في هذه الرواية سقيمة جداً ، ولم نجدها في مكان آخر
نصلحها به ، فتركانها كما كانت .

٤٧ - النجوم : روى محمد بن خالد البرقيّ في قصص الأنبياء فقال ما هذا لفظه : عبدالله بن سنان ، عن عمّار بن أبي معاوية ، قال : و فتحت مدائن الشام على يد يوشع بن نون حتّى انتهى إلى البلقاء : فلقوا بها رجلاً يقال له « بالق » به سميت البلقاء ، فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل ، فسأل ذلك فقيل : إنّ في مدينته امرأة منجمّة تستقبل الشمس بفرجها ، ثمّ تحسب ثمّ يعرض عليها الخيل فلا يخرج يوماً من رجل حضر أجله . فصلى يوشع بن نون ركعتين و دعا ربه أن يؤخر الشمس ، فاضطرب عليها الحساب فقالت لبالق : انظر ما يعرضون عليك فأعظم ، فإنّ حسابي قد اختلط عليّ . قال : فتصفّحي الخيل فاخرجي ، فإنّه

(١) النسبة (خ) .

(٢) يملها (خ) .

لا يكون إلا بقتال ، قال : فتصفتحت (١) واخرجت ، فقتلوا قتلاً لم يقتله قوم فسألوا يوشع الصلح ، فأبى حتى يدفع إليه المرأة ، فأبى بالقأن يدفعها ، فقالت : ادفعني إليه ، فصالحها و دفعها إليه . فقالت : هل تجد فيما أوحى إلى صاحبك قتل النساء ؟ قال : لا ، قالت : أليس إننا تدعوني إلى دينك ؟ قال : بلى ، قالت : فأني قد دخلت في دينك . هذا آخر لفظه في حديثه .

بيان : « تستقبل الشمس بفرجها » أي تواجهها لتعلم مقدار حر كتها ، وهذه العبارة شائعة وقعت في مواضع ، منها ما ورد فيما يتشأم به المسافرين والمرأة الشمطاء تلقي فرجها ، أي تواجهها .

٤٨ - نوادر الراوندي : بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : كانت أرض بيني وبين رجل ، فأراد قسمتها وكان الرجل صاحب نجوم فنظر إلى الساعة التي فيها السعود فخرج فيها ، و نظر إلى الساعة التي فيها النحوس فبعث إلى أبي ، فلمّا اقتسمه الأرض خرج خير السهمين لأبي ، فجعل صاحب النجوم يتعجب ، فقال له أبي : مالك ؟ فأخبره الخبر ، فقال له أبي : فهلاً أدلك على خير ممّا صنعت ؟ إذا أصبحت فتصدّق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم ، وإذا أمسيت فتصدّق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة .

٤٩ - دعوات الراوندي : عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كانت أرض بين أبي و بين رجل فأراد قسمتها - و ذكر نحوه - و قال عليه السلام : في علم النجوم عندنا معرفة المؤمن من الكافر .

بيان : لعلمه عليه السلام قال ذلك عند ذكر علم النجوم لبيان إحاطة علمه بما يدعيه المنجمون وبغيره ، لأنّه عليه السلام كان يعرف ذلك من النجوم ، مع أنه يحمل ذلك أيضاً لبيان قصور علمهم وعدم إحاطتهم به ، فإنّهم لا يدعون علم أمثال ذلك من جهة النجوم .

٥٠ - الاحتجاج و النهج : من كلام له قاله لبعض أصحابه ممّا عزم على

(١) فتسلحت (خ) .

المسير إلى الخوارج فقال له : يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم ، فقال ﷺ : أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صُرف عنه السوء ، و تخوف^(١) الساعة التي من سار فيها حاق به الضر ؟ فمن صدقك^(٢) بهذا فقد كذب القرآن ، و استغنى عن الاستعانة^(٣) بالله [تعالى] في نيل المحبوب و دفع المكروه ، و تبغني في قولك للعامل بأمرك أن يولييك الحمد دون ربه ، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع و أمن فيها الضر . ثم أقبل ﷺ على الناس فقال : أيها الناس ! إيتاكم و تعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر^(٤) أو بحر ، فإنها تدعو إلى الكهانة ، المنجم كالكاهن ، و الكاهن كالساحر ، و الساحر كالكافر ، و الكافر في النار . سيروا على اسم الله و عونه^(٤)

بيان : « فمن صدقك بهذا » كأنه أسقط السيد من الرواية شيئاً كما هو دأبه ، و قد مرّ تمامه . و على ما تقدم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابة ، و إن لم يكن سقط هنا شيء ، فيحتمل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله عز وجل « و ما تدري نفس ما ذا تكسب غدا^(٥) » و لقوله سبحانه « قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله^(٦) » و قوله جل و علا « و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو^(٧) » و ما أفاد مثل هذا المعنى ، و يمكن حمل الكلام على وجه آخر و هو أن قول المنجم بأن صرف السوء و نزول الضر تابع للساعة ، سواء قال بأن الأوضاع العلوية مؤثرة تامة في السفليات و لا يجوز تخلف الآثار عنها ، أو قال

(١) في النهج : من الساعة .

(٢) د ، د ، صدق .

(٣) د ، د ، الاعانة :

(٤) الاحتجاج ، ١٢٥ ، النهج ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٥) لقمان ، ٣٤ .

(٦) النمل : ٦٥ .

(٧) الانعام : ٥٩ .

بأنها مؤثرات ناقصة ولكن باقي المؤثرات أمور لا يتطرق إليها التغيير ، أو قال بأنها علامات تدل على وقوع الحوادث حتماً فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنه سبحانه يمجو ما يشاء ويثبت ، وأنه يقبض ويبسط ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولم يفرغ من الأمر ، وهو تعالى كل يوم في شأن ، والظاهر من أحوال المنجمين السابقين وكلماتهم جلهم بل كلهم أنهم لا يقولون بالتخلف وقوعاً أو إمكاناً ، فيكون تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن وما علم من الدين والإيمان من هذا الوجه ، ولو كان منهم من يقول بجواز التخلف ووقوعه بقدره الله واختياره ، وأنه نزول نجوسة الساعات بالتوكل والدعاء والتوسل والتصديق ، وينقلب السعد نحساً والنحس سعداً ، وأن الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أن الله سبحانه لم تتعلق حكمته بتبديل أحكامها كان كلامه ﷺ مخصوصاً بمن لم يكن كذلك ، فالمراد بقوله « صرف عنه السوء ، وحق به الضر » أي حتماً . قوله ﷺ « في قولك » أي على قولك أو بسبب قولك ، أو هي للظرفية المجازية « إلا ما يهتدى به » إشارة إلى قوله سبحانه « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ^(١) » .

والكهانة - بالفتح - : مصدر قولك كهن بالضم أي صار كاهناً ، ويقال كهن يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة إذا تكهن ، والحرفة الكهانة بالكسر ، وهي عمل يوجب طاعة بعض الجان له بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة ، وهو قريب من السحر . قيل : قد كان في العرب كهنة كشق و سطيح وغيرهما ، فمنهم من يزعم أن له تابعا من الجن و رثيئا يلقي إليه الأخبار ، و منهم من كان يزعم أنه يعرف الامور بمقدّمات و أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف ، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق و مكان الضالة و نحوهما . و دعوة علم النجوم إلى الكهانة إما لأنه ينجر أمر المنجم إلى الرغبة في تعلم الكهانة و التكسب به ، أو ادعاء ما يدعيه الكاهن . و السحر قيل :

هو كلام أو كتابة ورقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ومنه عقد الرجل عن زوجته ، وإلقاء البغضاء بين الناس ، ومنه استخدام الملائكة والجنّ واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب ، واستحضارهم وتلبّسهم ببدن صبي أو امرأة وكشف الغائب على لسانه (انتهى) والظاهر أنه لا يختص بالضرر ، وسيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت وماروت ، وتمام تحقيقه في باب الكبائر . ووجه الشبه في تشبيه المنجم بالكاهن إما الاشتراك في الإخبار عن الغائبات ، أو في الكذب والإخبار بالظنّ والتخمين والاستناد إلى الأمارات الضعيفة والمناسبات السخيفة ، أو في العدول والانحراف عن سبيل الحقّ والتمسك في نيل المطالب ودرك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة ، وصدّهم عن التوسّل إلى الله تعالى بالدعاء والصدقة وسائر أصناف الطاعة ، أو في البعد عن المغفرة والرحمة . ويجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين الأخيرين ، والمشبه به في التشبيهات أقوى ، ونتيجة الجميع دخول النار . ويمكن أن يكون قوله « والكافر في النار » إشارة إلى وجه الشبه ، وإن كان بعيداً ، والمراد إما الخلود أو الدخول والأخير أظهر ، وإن كان تحققه في الكافر في ضمن الخلود .

وقال ابن ميثم - ره - في شرح هذا الكلام منه عَلَيْهِ السَّلَامُ : اعلم أنّ الذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبويّة عن تعلم^(١) النجوم أمران : أحدهما اشتغال متعلّمها^(٢) بها ، واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب والأوقات ، والاشتغال بالفرع إليه وإلى ملاحظة الكواكب عن الفرع إلى الله تعالى ، والغفلة عن الرجوع إليه فيما يهيم من الأحوال وقد علمت أنّ ذلك يضاف لمطلوب الشارع ، إذ كان غرضه ليس إلا دوام التفات الخلق إلى الله ، وتذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه . الثاني أنّ الأحكام النجومية إخبارات عن أمور ، وهي تشبه الاطلاع على الأمور الغيبية ، وأكثر الخلق من

(١) تعليم (خ) .

(٢) متعلّمها (خ) .

العوام^١ أو النساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به ، فكان تعلم تلك الأحكام والحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق ، وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات ، إذ الإخبار عن الكائنات منها ، وكذا في عظمة براءتهم ويشككهم في عموم صدق قوله تعالى « قل لا يعلم من في السماوات ومن في الأرض الغيب إلا الله^(١) » ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو^(٢) » وقوله « إن الله عنده علم الساعة^(٣) » - الآية - ، فالمنجم إذا حكم لنفسه بأنه يصيب كذا فقد ادعى أن نفسه تعلم ما تكسب غداً وبأي أرض تموت ، وذلك عين التكذيب للقرآن ، وكان هذين الوجهين هما المقترضان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها ، وأما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبيانها أن أهل النظر إما متكلمون فإما معتزلة أو أشعرية ، أما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على أحد الأمرين أحدهما أن الشريعة كذبت به وعندهم أن كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي وإن لم يعلم عين ذلك الوجه ، والثاني مناقشة في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أو فساد ، وأما الأشعرية فهم وإن قالوا لامؤثر في الوجود إلا الله تعالى وزعم بعضهم أنهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب ، إلا أنه لا مانع على مذهبهم أن يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم أو حر كته علامة على كون كائن أو فساد ، وذلك مما لا يبطل على المنجم قاعدة ، فيرجعون أيضاً إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه ومناقشته في ذلك ، وأما الحكماء فاعلم أنه قد ثبت في أصولهم أن كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بد له من أسباب أربعة : فاعلي ومادي ، وصوري ، وغائي ، أما السبب الفاعلي القريب فالحركات السماوية والذي هو أسبق منها فالبحر^٢ كذا لها إلى أن ينتهي إلى الجود الإلهي المعطي لكل قابل ما يستحقه ، وأما سببه المادي فهو القابل لصورته ، وتنتهي القوابل إلى

(١) النمل ، ٦٥ .

(٢) الانعام ، ٥٩ .

(٣) لقمان ، ٣٤ .

القابل الأول ، وهو مادة العناصر المشتركة بينها ، و أمّا الصوري فصورته التي تقبلها مادته ، و أمّا الغائي فهي التي لأجلها وجد ، أمّا الحركات السماوية فإنّ من الكائنات ما يحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك ، ومنها ما يحتاج إلى بعض دورة ، ومنها ما يحتاج إلى جملة من أدواره و اتصالاته ، و أمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضاً أنّ قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له ، و ذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه ، وهكذا قبل كل [صورة] صورة معدة لحصول الصورة بعدها ، و كل صورة منها أيضاً يستند إلى الاتصالات و الحركات الفلكية ، و لكل استعداد معين زمان معين و حركة معينة و اتصال معين يخصه لا يفي بدررها القوة البشرية ، إذا عرفت ذلك فنقول : الأحكام النجومية إمّا أن تكون جزئية أو كلية ، أمّا الجزئية فإن يحكم مثلاً بأنّ هذا الإنسان يكون من حاله كذا و كذا ، و ظاهر أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهة أسبابه ، أمّا الفاعلية فإن يعلم أنّ الدورة المعيّنة أو الاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل البلد المعين مثلاً ، و أنّه لا سبب فاعلي لذلك إلا هو ، و الأول باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتصال أو هو مع غيره ، أقصى ما في الباب أن يقال : إنّما كانت هذه الدورة و هذا الاتصال سبباً لهذا الكائن لأنها كانت سبباً لمثله في الوقت الفلاني ، لكن هذا أيضاً باطل ، لأنّ كونها سبباً للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلقاً دورة و اتصالاً ، بل لعلّه أن يكون لخصوصية كونها تلك المعيّنة التي لا تعود بعينها فيما بعد ، و حينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث ، لأنّ المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها و الثاني أيضاً باطل ، لأنّ العقل يجزم بأنّه لا اطلاع له على أنّه لا مقتضي لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلا الاتصال المعين ، و كيف وقد ثبت أنّ من الكائنات ما يفتقر إلى أكثر من اتصال واحد و دورة واحدة أو أقل ، و أمّا القابلية فإن يعلم أنّ المادة قد استعدت لقبول مثل هذا الكائن ، و استجمعت بجميع شرائط قبوله الزمانية المكانية و السماوية و الأرضية ، و ظاهر أنّ الإحاطة بذلك غير ممكنة للإنسان .

وأما أحكامهم الكلية فكان [كما] يقال كلما حصلت الدورة الفلانية كان كذا ، فالمنجّم إنّما يحكم بذلك الحكم عن جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها منكرّة ، ولذلك يعدلون إذا حقّق القول عليهم إلى دعوى التجربة ، وقد علمت أنّ التجربة تعود إلى تكرّر مشاهدات يضبطها الحسّ ، والعقل يحصل منها حكماً كلياً كحكمه بأنّ "كلّ نار محرقة ، فإنّه لما أمكن للعقل استنباط الاحراق بواسطة الحسّ أمكنه الجزم الكليّ" بذلك ، فأما التشكّلات الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة المقتضية لكون ما يكون ، فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت ، وإنّ جاز أن يكون تشكّلات وعودات متقاربة الأحوال و متشابهة إلّا أنّه لا يمكن للإنسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت ، وذلك أنّ حساب المنجّم مبنيّ على قسمة الزمان بالشهور والأيام والساعات والدرج والدقائق وأجزائها ، وتقسيم الحركة بأزائها ورفع بينهما نسبة عدديّة ، وكلّ هذه أمور غير حقيقيّة وإنّما تؤخذ على سبيل التقريب ، أقصى ما في الباب أنّ التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة ، لكنّه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة ، ومع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكليّ الثابت الذي لا يتغيّر باستمرار أثرها على وتيرة واحدة ؟

ثمّ لو سلّمنا أنّه لا يظهر تفاوت أصلاً إلّا أنّ العلم بعود تلك الدورة لا يقتضي بمجرد هذه العلم بعود الأثر السابق ، لتوقف العلم بذلك على عدد أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد و سائر أسبابه العلويّة والسفليّة ، وعلى ضبطها فإنّ العلم التجريبيّ إنّما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها وتكرّرها ، وكلّ ذلك ممّا لا سبيل للقوّة البشريّة إلى ضبطه ، فكيف يمكن دعوى التجربة ؟

ثمّ قال : و اعلم أنّ الذي ذكرناه ليس إلّا بيان أنّ الأصول التي يبني عليها الأحكاميون أحكامهم و ما يخبرون به في المستقبل أصول غير موثوق بها ، فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الأحكام و الجزم بها ، وهذا لا ينافي كون تلك القواعد مهيّدة بالتقريب ، كقسمة الزمان و حركة الفلك و السنة و الشهر و اليوم مأخوذاً عنها

حساب يبني عليه مصالح إماماً دينية كمعرفة أوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما أو دنيوية كآجال المدائيات و سائر المعاملات ، وكمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة و السفر و أسباب المعاش ، و كذلك معرفة قوانين تقريبيّة من أوضاع الكواكب و حرّاتها يهتدي بقصدها و على سمتها المسافرون في برّ أو بحر ، فإنّ ذلك القدر منها غير محرّم ، بل لعله من الأمور المستحبة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفساد التي تشتمل عليها الأحكام كما سبق و لذلك امتنّ الله تعالى على عباده بخلق الكواكب في قوله « هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ و البحر »^(١) و قوله « لتعلموا عدد السنين و الحساب »^(٢) .

أقول : و روى ابن أبي الحديد هذه الرواية [بوجه آخر] أبسط ممّا أورده السيّد -ره- نقلاً من كتاب صفين لابن ديزيل مرسلًا قال: عزم عليّ عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحرورية ، و كان في أصحابه منجم ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة ، و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار ، فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك و أصحابك أذى و ضرّ شديد ، و إن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت و ظهرت و أصبت ما طلبت فقال له عليّ عليه السلام : أتدري ما في بطن فرسي هذا أذكر أم أنثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، فقال عليه السلام : فمن صدّقك بهذا فقد كذب بالقرآن ، قال الله تعالى « إن الله عنده علم الساعة - الآية (٣) - » ثم قال عليه السلام : إن محمداً صلى الله عليه وآله ما كان يدعي علم ما ادّعت علمه ، أتزعم أنك تهتدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، و تصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ؟ فمن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ و عزّ في صرف المكروه عنه ، و ينبغي للموقن بأمرك أن يولّيك الحمد دون الله جلّ جلاله ، لأنك

(١) الانعام ٩٧ .

(٢) يونس : ٥ .

(٣) لقمان ، ٣٣ .

بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، و صرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدًا و ندًا ، اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا ضير إلا ضيرك ، ولا إله غيرك ثم قال : بل نخالف و نسير في الساعة التي نهيتنا ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ! أيّاكم و التعلّم للنجوم ، إلا ما يهتدى به في ظلمات البرّ و البحر ، إنّما المنجم كالكاهن ، و الكاهن كالكاfer ، و الكافر في النار أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لا تخلدنك السجن أبداً ما بقيت ، و لأحرّ منك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاء عنه المنجم فظفر بأهل النهر ، و ظهر عليهم ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم و ظفر و ظهر ، أما إنه ما كان لمحمد صلى الله عليه و آله منجم ولا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيصر . أيها الناس توكلوا على الله و ثقوا به ، فإنه يكفي بمن سواه .

و أقول : قال السيّد الجليل عليّ بن طاووس - ره - في كتاب النجوم بعد ما أورد هذه الرواية نقلاً من النهج : إنني رأيت فيما وقعت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمد بن بابويه - ره - حديث المنجم الذي عرض لمولانا عليّ عليه السلام عند مسيره إلى النهراون مسنداً عن محمد بن عليّ ما جيلويه ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن محمد بن عليّ القرشي ، عن نصر بن مزاحم المقرئ ، عن عمر ابن سعد ، عن يوسف بن يزيد ، عن عبدالله بن عوف بن الأشعر ، قال : لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجم ثم ذكر حديثه ، فأقول : إن في هذا الحديث عدّة رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السلام على روايتهم ، و يمنع من يجوز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و شهادتهم ، و فيهم عمر بن سعد ابن أبي وقاص مقاتل الحسين عليه السلام ، فإن أخباره و رواياته مهجورة ، ولا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه ، ثم طعن في الرواية بأنّها لو كانت صحيحة لكان عليه السلام قد حكم في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغة أنّه من

أصحابه أيضاً بأحكام الكفار ، إمّا بكونه مرتدّاً عن الفطرة فيقتله في الحال ، أو بردة عن غير الفطرة فيتوبه ، أو يمتنع من التوبة فيقتل ، لأنّ الرواية قد تضمنت أنّ المنجّم كالكافر ، أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة ، لأنّ الرواية تضمنت أنّه كالكاهن و الساحر ، وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجّم أحكام الكفار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعده ولا عزّره ، بل قال : سيروا على اسم الله ، و المنجّم من جهلته لأنّه صاحبه ، وهذا يدلّك على تباعد الرواية من صحّة النقل ، أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل .

ثمّ قال : ومما نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الراوي فيها « إن من صدّقك فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله » و نعلم أنّ الطلائع للحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش و كثير من النحوس و يبشّرون بالسلامة ، و ما ألزم من ذلك أن يولّهم الحمد دون ربهم .
ثمّ إنّنا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعمّذ من أهل الكهانة و السحرة ، فلو كان المنجّم مثلهم كان قد تضمّن بعض الأدمية التعمّذ منه ، و ما عرفنا في الأدمية التعمّذ من النجوم و المنجّم إلى وقتنا هذا ، و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدعوات تضمّن كثير منها و غيرها من صفات النبي ﷺ أنّه لم يكن كاهناً ولا ساحراً ، و ما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم ، فلو كان المنجّم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضمّن بعض الروايات و الدعوات في ذكر الصفات (انتهى) .

واقول : أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصّة و العامّة ولذا أورده السيّد في النهج ، إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين ، و ضعف سند الرواية التي أورده الصدوق - ره - لا يدلّ على ضعف سائر الأسانيد ، و عمر بن سعد الذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان محارب الحسين عليه السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصفيين الذي عندنا فإنّ أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل ، و في كثير من المواضع « عمرو » مكان « عمر » ولم يكن الملعون من جملة

رواية الحديث وحملة الأخبار ، حتى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة ، وأيضاً رواية نصر عنه بعيد جداً ، فإن نصرأ كان من أصحاب الباقر عليه السلام و الملعون لم يبق بعد شهادة الحسين عليه السلام إلا قليلاً ، والشواهد على كونه غير ، كثيرة لاتخفى على المتدرب في الأخبار ، العارف بأحوال الرجال ، وهذا من السيد - ره - غريب ، وأما قوله أنه عليه السلام لم يحكم بكفر المنجم فيرد عليه أن الظاهر من التشبيه بالكافر أنه ليس بكافر ، وإنما يدل على اشتراكه معه في بعض الصفات لاني جميع الأحكام حتى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة ، على أنه عليه السلام لم يشبهه بالكافر بل بالمشبه بالكافر ، وأما قوله ولا بعده ولا عززه ، ففيه أنه قد ظهر مما رواه ابن أبي الحديد الإيعاد بالحبس المؤبد ، و التحريم من العطاء ، ولم يعلم أنه أصر المنجم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتى يستحق تعزيراً أو نكلاً ، وعدم اشتمال رواية السيد على هذه الزيادة لا يدل على عدمها ، فإن عادة السيد الاقتصار على ما اختاره من كلامه عليه السلام بزعمه لاستيفاء النقل والرواية ، مع أن عدم النقل في مثل هذا لا يدل على العدم ؛ و كونه من أصحابه وبينهم لا يدل على كونه مرضياً ، فإن جيشه عليه السلام كان مشتملاً على كثير من الخوارج والمنافقين كالأشعث أخي هذا المنجم على ما ذكره السيد وغيره أنه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين ومثير أكثر الفتن و أما قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بين ، فإن ما يهدي إليه الطلائع ونحوهم ليست أموراً يترتب عليها صرف السوء ونيل المحبوب حتماً ، بل يتوقف على اجتماع الأمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع ، وكل ذلك لا يتيسر الظفر بها إلا بفضل مسبب الأسباب ، بخلاف ما ادعاه المنجم من أن الظفر يترتب حتماً على الخروج في الساعة التي اختاره وأما عدم التعوذ من النجوم والمنجم فلأن المنجم إنما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكاهن فإنه يترتب منهما ضرر كثير على الناس ، مع أن الدعاء الذي رواه السيد في كتاب الاستخارات وأوردناه في هذا الباب يتضمن البراءة إلى الله من اللجأ إلى العمل بالنجوم وطلب الاختيارات منها وأما عدم وصف النبي صلى الله عليه وآله بأنه لم يكن منجماً لأن الكفار إنما كانوا يصفونه

صلى الله عليه وآله بالسحرا والكهانة والشعر ، فورد براءته عنها رداً عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم ، مع أنه كان عالماً بالحق من علم النجوم وكان من فضائله .
٥١ - المكارم : في الحديث أنه نهى عن الحجامة في الأربعاء إذا كانت الشمس في العقرب (١) .

٥٢ - الذهبية : عن الرضا عليه السلام : اعلم أن جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل ، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر . بيان : لعله قال ذلك موافقاً لرأي المأمون ، ولما اشتهر في ذلك الزمان كما أشعر عليه السلام به في تلك الرسالة .

٥٣ - المهج : في حرز الجواد عليه السلام : وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج العقرب .

٥٤ - التهذيب : عن محمد بن علي بن محبوب ، عن أحمد بن الحسن بن علي بن علي بن علي بن يعقوب الهاشمي ، عن مروان بن مسلم ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كسوف الشمس أشد على الناس والبهايم .

بيان : هذا مما يوهم أن لآحوالها وأوضاعها تأثيراً في بعض الأشياء ، ويمكن أن يكون المعنى أنه علامة غضب الله عليهم ، أو أنهم يفتنون لذلك لحدوث الظلمة في غير وقتها .

٥٥ - نوادر علي بن أسباط : عن إبراهيم بن محمد بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنى .
الكافي : عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن علي بن أسباط عن إبراهيم بن حمران عن أبيه مثله (٢) .

بيان : الظاهر أن المراد بكون القمر في العقرب هنا كونه محاذياً لكواكبها كما هو دأب العرب في البوادي وغيرها ، إذ لم يكن عندهم ضوابط البروج والانتقالات

(١) مكارم الاخلاق : ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢) روضة الكافي : ٢٧٥ .

إليها والاستخراجات الشائعة في تلك الأزمان . ولم يكن دأبهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إحالة الناس في الأحكام التي تحتاج إليها عامة الخلق على ما لا يعرفه إلا الآحاد من العلماء لاسيما إذا لم يكن شائعا في تلك الأزمنة عند العلماء أيضاً ، و الكواكب الثابتة والأشكال التي سميت البروج بها قد اتهمت في زماننا عن البروج التي عيّنوها بمقدار برج تقريباً ، فالعقرب في مكان القوس ، فظهر أن ما وقع في الشريعة أيضاً لا يوافق قواعدهم المقررة عندهم .

٥٦ - الخصال : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن علي بن الحسين السعدابادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه وغيره ، عن محمد بن سليمان الصنعاني ، عن إبراهيم بن الفضل ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه ، فرد عليه السلام فقال (١) له : مرحباً بك ياسعد ! فقال له الرجل : بهذا الاسم سمّيتني أمي وما أقل من يعرفني به . فقال له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : صدقت ياسعد المولى ! فقال الرجل : جعلت فداك ، بهذا كنت ألقب . فقال له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ لاخير في اللقب ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه « ولا تنازوا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان (٢) » ما صنعتك (٣) ياسعد ؟ فقال : جعلت فداك ، أنا من أهل بيت ننظر في النجوم ، لانتقول إن باليمن [أحداً] أعلم بالنجوم منّا . فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فأسألك ؟ فقال اليماني : سل عما أحببت من النجوم ، فإنني أجيبك عن ذلك بعلم . فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : صدقت ، فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : صدقت ، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة ؟ فقال اليماني : لأدري ، فقال له أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : صدقت ، فما اسم النجم الذي

(١) في المصدر ، وقال له .

(٢) الحجرات : ١١ .

(٣) في المصدر : ما صنعتك ؟

إذا طلعت هاجت البقر؟ فقال اليماني: لأدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت في قولك لأدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني: نجم نحس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: مه الاتقولن هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء وهو النجم الثاقب الذي قال الله عز وجل في كتابه. قال اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: إن مطلعته في السماء السابعة، وإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله عز وجل النجم الثاقب. يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ فقال اليماني: نعم جعلت فداك، إن باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما يبلغ من علم عالمهم؟ فقال له اليماني: إن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر في الساعة الواحدة مسيرة شهر للراكب المجدد! فقال أبو عبد الله عليه السلام (١) إن علم عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفو الأثر ويزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر رجاً، واثني عشر برًا واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً قال: فقال له اليماني: جعلت فداك، ما ظننت أن أحداً يعلم هذا أودري ما كنهه! ثم قام اليماني فخرج (٢).

النجوم: قال السيد - ره - : وجدت في كتاب عتيق تأليف علي بن عبد العزيز النيسابوري، عن علي بن أحمد، عن إبراهيم بن الفضل، عن أبان بن تغلب. و ذكر نحوه إلا أن فيه « سعيد » مكان « سعد » في المواضع، « والمزني » مكان « المولي » وفيه « فما اسم النجوم التي إذا طلعت هاجت الإبل؟ قال: لأدري، قال: فما اسم اسم النجم الذي إذا طلعت هاجت الكلاب، قال: لأدري، قال: فما اسم النجم الذي إذا طلعت هاجت البقر إلى آخر الخبر، ثم قال السيد - ره - : ورويت هذا الحديث بأسانيد إلى أبان من كتاب عبد الله ابن القاسم الحضرمي.

٥٧ - الكافي: عن عذرة من أصحابه، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان

(١) في المصدر، فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن، فقال اليماني، وما بلغ من علم عالم المدينة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام.

(٢) الخصال، ٨٤.

ابن عيسى، عن أبي إسحاق الجرجاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدّة من ليال وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطله بإدارته، فطالت أيتامهم ولياليهم وسنينهم ^(١) وشهورهم، وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا. أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بإدارته، فقصرت لياليهم وأيتامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى له عز وجل بعدد الليالي والشهور ^(٢).

بيان: قد مرّ الكلام في مثله.

٥٨ - الكافي: عن محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، وعدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، جميعاً عن علي بن الحسين بن حسان، عن علي بن عطية الزيات، عن معلّى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هي؟ فقال: نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتّى ظن أنه قد بلغ، ثم قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال: فتحاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتّى ظن أنه قد بلغ، و قال: انظر إلى المشتري أين هو، فقال: إن حسابي ليدل على أنك أنت المشتري، وقال: ^(٣) فشبه شقة فمات: و ورث علمه أهله فالعلم هناك ^(٤).

بيان: «في صورة رجل» لعل المراد على تقدير صحّة الخبر أن الله تعالى

(١) و سنوهم (خ).

(٢) روضة الكافي، ٢٧١.

(٣) في المصدر، قال وشهق.

(٤) روضة الكافي، ٣٣٠. أقول: على فرض صدور الرواية يحتمل أن يكون الإمام عليه السلام حكى هذه الاحدوثه عن قول غيره لمصلحة، فزعم بعض الرواة انها حكايه عن الواقع فرواها عنه. ويؤيده ما مر في الحديث (٢٦) من هذا الباب عن الرضا عليه السلام انه قال للصباح بن نصر الهندي: اصل هذا العلم من عند الله عز وجل، ويقال: ان الله بعث النجم الذي يقال له المشتري .. الخ.

جعله في هذا الوقت ذا روح و حياة و علم و بعثه إلى الأرض ، لئلا يناني ماسياتي من إجماع المسلمين على عدم حياة الأجسام الفلكية و شعورها ، و أما أنه كيف صار صغيراً بحيث وسعه الأرض و حضر عند الرجل فيمكن أن يكون على التكاثف ، أو على إعدام بعض الأجزاء ، سوى الأجزاء الأصلية التي بها تشخص الكوكب ، ثم إيجاد تلك الأجزاء ، و إعادتها ، كما أن الشخص تتبدل أجزاؤه من أول العمر إلى آخره و تشخصه محفوظ بالأجزاء الأصلية . « وورث علمه أهله » أي كتبه و ما علمهم قبل موته ، و الخبر يدل على أن لهذا العلم أصلاً و لا يدل على جواز النظر فيه و تعليمه و تعلمه و استخراج الأحكام منه لسائر الخلق ، و لعله يكون فتنة كقصّة هاروت و ماروت .

٥٩ - الفقيه : بسنده الحسن عن عبد الملك بن أعين ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني قد ابتليت بهذا العلم ، فأريد الحاجة ، فإذا نظرت إلي الطالع و رأيت الطالع الشرّ جلست ولم أذهب فيها ، و إذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة ، فقال لي : تقضي ؟ قلت : نعم ، قال : أحرق كتبك (١) .
دعوات الراوندي : عن عبد الملك مثله .

بيان : قوله « تقضي » على بناء المعلوم ، أي تحكم بالحوادث و تخبر بالأُمور الآتية أو الغائبة ، أو تحكم بأن للنجوم تأثيراً ، أو أن ذلك الطالع أثرأ ، أو على بناء المجهول أي إذا ذهبت في الطالع الخير تقضي حاجتك و تعتقد ذلك ، و الأوّل عندي أظهر . و هذا خبر معتبر يدل - على أظهر الوجوه - على أن الإخبار بأحكام النجوم و الاعتناء بسعادة النجوم و الطوالع محرّم يجب الاحتراز عنه .

٦٠ - الفقيه : روي عن ابن أبي عمير أنه قال : كنت أنظر في النجوم و أعرفها و أعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء ، فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال : إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أوّل مسكين ثم امض ، فإن

(١) لم يوجد في المصدر .

الله عز وجل يدفع عنك (١) .

النجوم : نقلاً من الفقيه عن ابن أبي عمير مثله ، ثم قال السيد - ره - : وروينا هذا الحديث أيضاً من كتاب التجمّل عن محمد بن أذينة عن ابن أبي عمير و ذكر نحوه ، ثم قال : لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلا محمد بن أبي عمير لكان حجة في صحتها وإباحتها ، لأنّه من خواص الأئمة والحجج ، في مذاهبها وروايتها (٢) .
بيان : أقول : روى هذا الخبر البرقي في المحاسن ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن سفيان بن عمر كما مرّ ، فظهر أنّ العارف بالنجوم لم يكن ابن أبي عمير بل رجلاً مجهول الحال ، و وقع سقط من نسخ الفقيه ، ولو سلم فجوأ به عليه السلام يدلّ على أنّه لمّا كان ابتلي بهذا العلم و كان في نفسه من ذلك شيء علمه عليه السلام ما يدفع ذلك من الصدقة كما يدفع به الطيرة التي لأصل لها ، ولم يكن ابن أبي عمير - رحمه الله - معصوماً حتّى يكون فعله حجة .

٦١ - دلائل الامامة للطبري و كتاب النجوم عن عبدالله بن محمد البلوي عن عمّار بن زيد المدني ، عن إبراهيم بن سعيد و محمد بن مسعر ، عن محمد بن إسحاق صاحب المغازي ، عن عطاء بن يسار ، عن عبدالله بن عباس ، قال : مرّت بالحسن بن علي عليه السلام بقرة فقال : هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرّة في جبهتها ورأس ذنبها أبيض فانطلقنا مع القصاب حتّى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها ، فقلنا له : أوليس الله عز وجل يقول « و يعلم ما في الأرحام » فكيف علمت ؟ قال : إنّنا نعلم المخزون المكتوم الذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبي مرسل غير محمد و ذريته عليهم السلام .

بيان : يدلّ على أنّه ليس للمنجّمين وأمثالهم علم بأمثال ذلك .

٦٢ - الكافي : بسند فيه إرسال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان بيني و بين رجل قسمة أرض ، وكان الرجل صاحب نجوم ، وكان يتوخى ساعة السعود فيخرج

(١) الفقيه ، ٢٢٢ .

(٢) رواياتها (خ) .

فيها ، وأخرج أنا في ساعة النحوس ، فاقنسمنا فخرج لي خير القسامين ، فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى ثم قال : مارأيت كاليوم قط ! قلت : ويل الآخر ، ماذا ؟ قال : إنني صاحب النجوم ^(١) ، أخرجتك في ساحة النحوس و خرجت أنا في ساعة السعود ، ثم قسمنا فخرج لك خير القسامين . فقلت : ألا أحدئك بحديث حدثتني به أبي عليه السلام ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه ، و من أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته . و إنني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم ^(٢) .

بيان : يدل على أنه لو كانت لها نحوسة فهي تندفع بالصدقة ، وأنه لا ينبغي مراعاتها بل ينبغي التوسل في دفع أمثال ذلك بما ورد عن المعصومين عليهم السلام من الدعاء والتصدق والتوكل وأمثاله .

٦٣ - معاني الاخبار : عن القطان ، عن ابن زكريا ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الفضل ، عن أبيه ، عن أبي خالد الكابلي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : الذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر (الخبر) ^(٣) .

بيان : ظلمة الهواء كناية عن التحير في الأمور ، أو شدة البلية وظهور آثار غضب الله في الجو .

٦٤ - النجوم : روى الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في كتاب العرائس : إنما سمى إدريس لكثرة درسه للكتب وصحف آدم وشيث ، وكان أوّل من خطّ بالقلم ، و أوّل من خاط الثياب ، و لبس المخيط ، و أوّل من نظر في علم النجوم والحساب .

(١) في المصدر : نجوم .

(٢) فرع الكافي ، ج ٣ ، ص ٦ .

(٣) معاني الاخبار : ٢٧١ .

قال السيد - ره - : وذكر علي بن المرتضى في كتاب «ديوان النسب» فيما حكاه عن التورانية أن إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من حسب حساب النجوم . قال : ورأيت في رسالة أبي إسحاق الطريوسي إلى عبد الله بن مالك في باب معرفة أصل العلم ما هذا لفظه : إن الله تبارك وتعالى أهبط آدم من الجنة ، وعرفه علم كل شيء ، فكان مما عرفه النجوم والطب . قال : ووجدت في كتاب «المنتخب» من طريق أصحابنا في دعاء كل يوم من رجب «ومعلم إدريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور والأزمان» وذكر عبد الله بن محمد بن طاهر في كتاب «لطائف المعارف» : أول من أظهر علم النجوم ودل على تركيبه و قدر مسير الكواكب وكشف عن وجوه تأثيرها هرمس .

٦٥ - الدر المنثور : عن قتادة ، قال : إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوماً للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد فال رأيه وأخطأ حفظه وأضاع نصيبه وتكلم ^(١) ما لا علم له به ، وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة : من أعرس بنجم كذا وكذا [كان كذا وكذا] ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود ، والطويل والقصير ، والحسن والدميم ، ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء ^(٢) .

٦٦ - وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ، ثم انتهوا ^(٣) .

٦٧ - وعن مجاهد ، قال : لا بأس أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر والبحر ، ويتعلم منازل القمر ^(٤) .

٦٨ - وعن حميد الشامي ، قال : النجوم هي علم آدم عليه السلام ^(٥) .

(١) في المصدر «تكلف» وهو الصواب .

(٢ - ٥) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٣٤ .

٦٩ - وعن الحسن بن صالح قال : سمعت عن ابن عباس أنه قال : ذلك علم ضيعة الناس النجوم (١) .

٧٠ - وعن عكرمة أنه سأل رجلاً عن حساب النجوم ، وجعل الرجل يتحرج أن يخبره ، فقال عكرمة سمعت ابن عباس يقول علم عجز الناس عنه ، وددت أني علمته (٢) قال الخطيب مراده الضرب المباح الذي كانت العرب تختص به .

٦٩ - وعن عبدالله بن حفص قال : خصت العرب بخصال : بالكهانة ، و القيافة ، والعيافة ، والنجوم ، والحساب ، فهدم الإسلام الكهانة و ثبت الباقي بعد ذلك (٣) .

٧٠ - وعن القرطي قال : والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم ولكن يتبعون الكهنة ويتخذون النجوم علة (٤) .

٧١ - وعن سمرة بن جندب ، أنه خطب فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : أما بعد فإن ناساً يزعمون أن كسوف الشمس و كسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظام من أهل الأرض ، وإنهم قد كذبوا ولكنها آيات من آيات الله يعتبر بها عباده ، لينظر ما يحدث له منهم توبة (٥) .

٧٢ - وعن علي بن أبي طالب قال : نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم ، و أمرني بإسباغ الطهور (٦) .

٧٣ - وعن أبي هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم (٧) .

٧٤ - وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا

(١) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٤

(٢) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٣) د ، د ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٤) د ، د ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٥) د ، د ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٦) د ، د ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

- و إذا ذكر القدر فأمسكوا ، و إذا ذكرت النجوم فأمسكوا (١) .
- ٧٥ - و عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أخاف على أمتي خصلتين : تكذيباً بالقدر ، و تصديقاً بالنجوم . و في لفظ : و حذقاً بالنجوم (٢) .
- ٧٦ - و عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد (٣) .
- ٧٧ - و عن ابن عباس قال : إن قوماً ينظرون في النجوم ، و يحسبون أباجاد ، و ما أرى للذين يفعلون ذلك من خلاق (٤) .
- ٧٨ - و عن ميمون بن مهران قال : قلت لابن عباس : أوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله ، و إيتاك و علم النجوم ، فإنه يدعو إلى الكهانة (٥) .
- ٧٩ - و عن الحسن بن علي ﷺ قال : لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر دعا بقوسه فاتسكأ على سيتها ، و حمد الله و ذكر ما فتح الله عليه و نصره ، و نهى عن خصال : عن مهر البغي ، و عن خاتم الذهب ، و عن المياثر الحمر ، و عن لبس الثياب القسي ، و عن ثمن الكلب ، و عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، و عن (٦) الصرف الذهب بالذهب و الفضة بالفضة [و] بينهما فضل ، و عن النظر في النجوم (٧) .
- ٨٠ - و عن مكحول قال : قال ابن عباس : لا تعلم النجوم ، فإنها تدعو إلى الكهانة (٨) .
- ٨١ - و عن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله : لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم (٩) .
- ٨٢ - و عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن متعلم حروف أبي جاد ليرى في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة (١٠) .

(١ - ٥) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٦) كذا في نسخ البحار و المصدر .

(٧ و ٨) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٣٥ و ٣٦ .

(٩ و ١٠) د : ج ٣ ، ص ٣٦ .

بيان : قال الفيروز آبادي « قال رأيته » أخطأ و ضعف . و قال : عفت الطير أعيفها عيافة زجرتها ، و هو أن يعتبر بأسمائها و مساقطها و أنواعها فيتسعد أو يتشأم و العائف المتكهن بالطير أو غيرها^(١) . وفي النهاية : الميثرة من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج ، و تتخذ كالغراش الصغير ، و تجشى بقطن أو صوف يجعلها الركب تحته على الرحال فوق الجمال ، و يدخل فيه مياثر السروج^(٢) و قال : فيه أنه نهى عن لبس القسي ، هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل^(٣) البحر قريباً من تنيس يقال لها « القس » بفتح القاف و بعض أهل الحديث يكسرها ، و قيل : أصل القسي « القزّي » بالزاي منسوب إلى القز و هو ضرب من الأبريسم ، فأبدل من الزاي سيناً ، و قيل : منسوب إلى القس ، و هو الصقيع لبياضه^(٤) . و الصقيع : الساقط من السماء بالليل كأنه ثلج .

تذييل جليل و تفصيل جميل - نذكر فيه أقوال بعض أجلاء أصحابنا رضوان الله عليهم - في حكم النظر في علم النجوم ، و الاعتقاد به ، و الإخبار عن الحوادث بسببه ، و رعاية الساعات المسعودة والمنحوسة بزعمهم ، و القول بتأثيرها ، ثم نذكر ما ظهر لنا من الأخبار السابقة في جميع ذلك .

قال الشيخ السعيد المفيد - ره - في كتاب المقالات على ما نقل عنه السيد بن طاووس - ره - في كتاب « فرج المهموم بمعرفة علم النجوم » و إن لم نجد فيما عندنا من نسخه حيث قال : أقول إن الشمس و القمر وسائر النجوم أجسام نارية لاحياة لها ولا موت ولا تميز ، خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده ، و جعلها زينة لسماواته ، و آيات من آياته ، كما قال سبحانه « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق » يفصل

(١) القاموس ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

(٢) النهاية : ج ٤ ، ص ١٩٣ ،

(٣) في المصدر ، شاطئ البحر .

(٤) النهاية ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

الآيات لقوم يعلمون^(١) ، وقال تعالى « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر » والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون^(٢) ، وقال تعالى « وعلامات بالنجم هم يهتدون^(٣) ، وقال تعالى « وزينا السماء الدنيا بمصابيح^(٤) ، فأما الأحكام على الكائنات بدلائلها أو الكلام على مدلول حرركاتها فإن العقل لا يمنع منه ، ولسنا ندفع أن يكون الله تعالى أعلمه بعض أنبيائه ، وجعله عالماً له على صدقه غير أننا لا نقطع عليه ولا نعتقد استمراره في الناس إلى هذه الغاية ، وأما ما نجده من أحكام المنجمين في هذا الوقت وإصابة بعضهم فيه فإنه لا ينكر أن يكون ذلك بضرب من التجربة و بدليل عايدة ، وقد تختلف أحياناً و يخطئ المعتمد عليه كثيراً ولا يصح إصابته فيه أبداً ، لأنه ليس بجار مجرى دلائل العقول ، ولا براهين الكتاب و أخبار الرسول ﷺ ، وهذا مذهب جمهور متكلمي أهل العدل ، وإليه ذهب بنو نوبخت^(٥) من الإمامية ، و أبو القاسم و أبو علي من المعتزلة (انتهى) .

وقال الشيخ محمد بن الحسين الكيدري في شرح نهج البلاغة في تهجين أحكام النجوم : كيف يمكن أن يكون الإنسان يعرف الحوادث و أسبابها في الحال حتى

(١) يونس : ٥ .

(٢) الأنعام : ٩٧ .

(٣) النحل : ١٦ .

(٤) فصلت : ١٢ .

(٥) آل نوبخت طائفة كبيرة خرج منهم جماعات كثيرة من العلماء و الأدباء و المنجمين و الفلاسفة و المتكلمين و الكتاب و الحكماء و الامراء ، و كانت لهم مكانة و تقدم في دولة بني العباس ، و أصلهم من الفرس و أول من أسلم منهم جدهم « نوبخت » و هو من عشيرة « كيوين كودرز » و كان منجماً لأبي جعفر المنصور خصيصاً به ، فلما ضعف عن صحبة المنصور أقام مقامه ابنه « أبا سهل » و هو الذي ينتهي إليه سلسلة هذه الطائفة ، وله عشرة اولاد كان لاثنتين منهم ذرية كثيرة مشهورة و هما . اسحاق و اسماعيل و ممن ينسب إلى هذه الطائفة الشيخ الاجل أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي أحد السفراء الارمن في الغيبة الصغرى . و آل نوبخت معروفون بولاية علي و ولده عليهم السلام

يعرف المسبب في المستقبل كما في الجزر والمد ، ومن ادعى أنه يعرف أسباب الكائنات فمقدّماته ليست برهانية وإنما هي تجريبية أو شعرية أو خطأ بيّة مؤلّفة من المشهورات في الظاهر أو المقبولات و المظنونات ، ومع ذلك فلا يمكنه أن يتعرّض إلا لجنس من أجناس الأسباب ، وهو تعرّض بعض الأسباب العلوية ، ولا يمكنه أن يتعرّض لجميع الأسباب السماوية والقوابل ، وإذا تغيّرت القوابل عن أحوالها تغيّر أثر الفاعل فيها ، فإنّ النار في الحطب اليابس مؤثرة تأثيراً لا تؤثر في الرماد وكذا معرفة بقائها على استعداد القبول شرط ، ويمكن أن يكون للقوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب والمسببات إلا الله تعالى وأيضاً فإنّ المنجم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها ممتزجة ، وكما أنّ أحكام مفردات الترياق وسائر المعاجين غير أحكام المركّب الذي حصلت له صورة نوعيّة كذلك حكم الكواكب المر كوزة في الأفلاك غير حكم أفرادها ، وإذا لم يمكن للمنجم الحكم إلا على المفردات كان الحكم ناقصاً غير موثوق به . ثمّ إنّه ربما يحصل التوأمان في غشاء فيكشف عنهما فإذا فيه صبيان حيّان ، وعلى قوانين الأحكاميين يجب أن يكونا مثلين في الصورة والعمر والحركات ، حتّى لا يجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء ، ولا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام الآخر ، ولا يقوم في وقت قعود الآخر ، ولا ينام في وقت لا ينام فيه الآخر ، وإذا دخلا بيتاً فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدخول فإنّه لا بدّ ههنا من التقدّم والتأخّر ، ولا يجوز أن يمسه إنسان أحدهما دون الآخر ، ولا يجوز أن يكون في التزويج امرأة أحدهما غير امرأة الآخر ولا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر في الأرض ، وهذا ممّا لا يخفى فساده وأيضاً فإنّ الحكم الكلي عند أكثرهم يغلب الجزئي ، ألا ترى أنّ طالع ناحية أو بلد إذا كان فاسداً فإنّه لا يفيد عطية الكدخدا لإنسان ، فكيف يعتمد على الطوالع والاختيارات مع نفي العلم بالكليات ؟ ! ومن شنيع قولهم أنّهم يقولون إذا ولد للملك في حال ولد لسوقي ولد ، فإنّ الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما تدلّ لابن السوقي مع اتّفاقهما في كميّة العمر ، لأنّ هيلاجهما وكدخداهما

لا يختلفان ، فإذا جاز أن تكون دلالة النجوم مختلفة في سعادة هذين الولدين فما أنكر وأن يكون مقادير أعمارهما أيضاً مختلفة ؟ واختلفوا في تقويم الكواكب باختلاف الزيجات ، ولا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها ، فربما يوجد في تقويم الشمس من التفاوت خمس درج ، و تختلف درج الطوالع و بروج التحاويل بسبب ذلك فنفسد الأحكام .

ثم أورد عليهم كثيراً من الاختلافات و التناقضات لانطيل الكلام بإيرادها . و قال الشيخ إبراهيم بن نوبخت في كتاب « الياقوت » : قول المنجمين يبطله قدم الصانع و اشتراط اختياره ، و يلزم عليهم أن لا يستقر الفعل على حال من الأحوال ، و قول أهل الطبائع يبطل بمثل ذلك .

و قال العلامة - ره - في شرحه : اختلف قول المنجمين على قسمين : أحدهما قول من قال إن الكواكب السبعة حية مختارة ، و الثاني قول من قال إنها موحية و القولان باطلان ، أمّا الأول فلا أنها أجسام محدثة فلا تكون آلهة ، و لا أنها محتاجة إلى محدث غير جسم فلا بد من القول بالصانع . و أمّا الثاني فلا أن الكواكب المعيّنة كالمرّيخ مثلاً إذا كان مقتضياً للحرب لزم دوام وقوع الهرج و المرج في العالم ، و أن لا يستقر أفعالهم على حال من الأحوال ، و لمّا كان ذلك باطلاً كان ما ذكره باطلاً^(١) . و أمّا القائلون بالطبائع الذين يسندون الأفعال إلى مجرد الطبيعة فيبطل قولهم بمثل ذلك أيضاً ، فإن الطبيعة قوّة جسمانية و كل جسم محدث فكل قوّة حالة فهي محدثة تفتقر إلى محدث غير طبيعته ، و إلّا لزم التسلسل ، فلا بد من القول بالصانع سبحانه و تعالى .

و قال السيّد الشريف المرتضى - ره - في كتاب « الغرر و الدرر » في أجوبة

(١) يمكن المناقشة في هذا الكلام بان المنجم لا يقول بكون المريخ بذاته يقتضى وقوع الحرب في الارض دائماً بل عند تحقق وضع خاص له و حصول شرائط معينة في الارض مضافاً إلى ان اقتضاه لذلك لا يوجب وقوعه دائماً ، لان المقتضى انما يؤثر إذا لم يمنع عن تأثيره مانع

المسائل السلالية ، حين سئل - ره - : ما القول فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث و يضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم ؟ و ما المانع من أن تؤثر الكواكب على حدّ تأثير الشمس الأدمة فينا ؟ و إن كان تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بهجرى العادة عند طلوع هذه الكواكب أو انتقالها ؟ فلينعّم ببيان ذلك ، فإنّ الأنفس إليه متشوّقة ، و كيف تقول إنّ المنجمون حادسون مع أنّه لا يفسد من أقوالهم إلا القليل ؟ حتّى أنّهم يخبرون بالكسوف و وقته و مقداره فلا تكون إلاّ على ما أخبروا به ، فأبى فرق بين إخبارهم بحصول هذا التأثير في هذا الجسم و بين حصول تأثيرها في أجسامنا ؟

الجواب : اعلم أنّ المنجمين يذهبون إلى أنّ الكواكب تفعل في الأرض و من عليها أفعالاً يسندونها إلى طباعها ، و ما فيهم [من] أحد يذهب إلى أنّ الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض أو بعده أفعالاً من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك ، و من ادعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما ذهب القدماء في ذلك ، و متجمل بهذا المذهب عند أهل الإسلام و متقرّب إليهم بإظهاره ، و ليس هذا بقول لأحد ممن تقدّم ، و كان الذي كان يجوز أن يكون صحيحاً - و إن ذلك الدليل على فساده - لا يذهبون إليه ، و إنّما يذهبون إلى المحال الذي لا يمكن صحته . و قد فرغ المتكلمون من الكلام في أنّ الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلة ، و تكلمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك ، و بيّنا بطلان الطبائع الذين يهذون بذكرها و إضافة الأفعال إليها ، و بيّنا أنّ الفاعل لا بد أن يكون حياً قادراً ، و قد علمنا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفة ، و كيف تفعل و ما يصحح الأفعال مفقود فيها ؟ و قد سطر المتكلمون طرقاً كثيرة في أنّها ليست بحية ولا قدرة أكثرها معترض ، و أشفّ ما قيل في ذلك أنّ الحياة معلوم أنّ الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها و لا تثبت معها ، و معلوم أنّ حرارة الشمس أشدّ و أقوى من حرارة النار بكثير ، لأنّ الذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار ، و ما كان بهذه الصفة من الحرارة

يستحيل كونه حياً ، و أقوى من ذلك كله في نفي كون الفلك و ما فيه من شمس و قمر و كوكب أحياء ، السمع و الإجماع و أنه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب ، و أنها مسخرة مدبرة مصرفة و ذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة ، و إذا قطعنا على نفي الحياة و القدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة . و على أننا قد سلمنا لهم استظهاراً في الحجّة أنها قادرة ، قلنا : إن الجسم و إن كان قادراً فإنه لا يجوز أن يفعل في غيره إلا على سبيل التوليد ، و لا بدّ من وصلة بين الفاعل و المفعول فيه ، و الكواكب غير مماسة لنا و لا وصلة بينها و بيننا ، فكيف تكون فاعلة فينا ؟ فإن ادعى أن الوصلة بيننا هي الهواء ، فالهواء أو لا لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة و حمل الأثقال ثم لو كان الهواء آلة تحرّ كذا بها الكواكب لوجب أن نحسّ بذلك و نعلم أن الهواء يحرّ كذا و يصرّفنا كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حرّ كناه بآلة ، على أن في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة و لا يتولّد عن سبب كالإرادات و الاعتقادات و أشياء كثيرة ، فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا و هي لا تصحّ أن يكون مخترعة للأفعال ، لأنّ الجسم لا يجوز أن يكون قادراً إلا بقدرة ، و القدرة لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال ، فأما الأداة فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجوها و أبداننا ، و إنما الله تعالى هو المؤثر لها و فاعلها بتوسط حرارة الشمس ، كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار و الهاشم لما يهشمه الحجر بثقله و حرارة الشمس مسوّدة للأجسام من جهة معقولة مفهومة ، كما أن النار تحرق الأجسام على وجه معقول ، فأى تأثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تمييزه و العلم بصحّته فليشر إليه ، فإن ذلك مما لا قدرة عليه (١) .

(١) إن كان المراد أن كل تأثير في الإنسان من كل مؤثر يجب أن يكون على وجه يعقله فعلى المدعى إثبات هذه الكلية ، و هي غير بينة و لا مبينة . و إن كان المراد الإنكار على من يدعى تأثير الكواكب على هذا الوجه فله وجد ، لكنه لا يدفع أمكانه .

و مما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة فينا و مصرفة لنا أن ذلك يقتضي سقوط الأمر و النهي و الذمّ عنّا و نكون معذورين في كلّ إساءة تقع منّا و نجنيها بأيدينا ، و غير مشكورين على شيء من الإحسان و الإفضال ، و كلّ شيء نفسد به قول المجبّرة فهو مفسد لهذا المذهب . و أمّا الوجه الآخر و هو أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع الكواكب أو غروبه و اتصاله أو مفارقتها ، و قد بينّا أن ذلك ليس بمذهب المنجمين البتّة وإنّما يتجمّلون الآن بالتظاهر به و أنّه قد كان جائزاً أن يُجري الله تعالى العادة بذلك لكن لا طريق إلى العلم بأنّ ذلك قد وقع و ثبت ، و من أين لنا بأنّ الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحل أو المريخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً ، وأنّ المشتري إذا كان كذلك كان سعداً ؟ و أيّ سمع مقطوع به جاء بذلك ؟ و أيّ نبيّ خبّر به ، و استفيد من جهته ؟ فإن عوّلوا في ذلك على التجربة بأنّ جرّبنا ذلك و من كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة ، وإذا لم يكن موجباً و جب أن يكون معناداً قلنا : و من سلّم لكم صحّة هذه التجربة و انتظامها و اطّرادها ؟ و قدرأينا خطاءكم أكثر من صوابكم فيها ، و صدقكم أقلّ من كذبكم ، فألاّ نسبتم الصحّة إذا اتّفقت منكم إلى الاتّفاق الذي يقع من المخمّن و المرجّم ، فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممّن يخطئ ، و هو على غير أصل معتمد و لا قاعدة صحيحة . فإذا قلتم : سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو تسيّر الكواكب ، قلنا : ولم لا كانت إصابته سببها التخمين ؟ و إنّما كان يصحّ لكم هذا التأويل و التخريج لو كان على صحّة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجم ، فأما إذا كان دليل صحّة الأحكام الإصابة فألاّ كان دليل فسادها الخطاء ؟ فما أحدهما في المقابلة إلاّ كصاحبه . و مما أفحم^(١) به القائلون بصحّة الأحكام ولم يتحصّل منهم عنه جواب أن قيل لهم في شيء بعينه : خذوا الطالع و احكموا هل يؤخذ أو يترك ؟ فإن حكموا

(١) أفحمه ، أسكته بالحجة في خصومة و غيرها .

إمّا بالأخذ أو الترك خولفوا و فعل خلاف ما خبروا به . وقد أعضلتهم هذه المسألة و اعتذروا عنها بأعذار ملفقة لا يخفى على عاقل سمعها بعدها من الصواب ، فقالوا في هذه المسألة : يجب أن يكتب هذا المبتلى بها ما يريد أن يفعل أو يخبر به غيره فإننا نخرج ما قد عزم عليه من أحد الأمرين . و هذا التعليل منهم باطل ، لأنه إذا كان النظر في النجوم يدل على جميع الكائنات التي من جملتها ما يختاره أحدنا من أخذ هذا الشيء أو تركه فأى فرق بين أن يطوى ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه حتى يقول المنجم ما عنده و بين أن يخبره به و يكتبه قبل ذلك ؟ وإنما فرغوا إلى الكتابة و ما يجري مجراها حتى لا يخالف المنجم فيما يذكره و يحكم به من أخذ أو ترك ، ولو كانت الأحكام صحيحة و فيها دلالة على الكائنات لوجب أن يعرف المنجم ما اختاره من أحد الأمرين على كل حال . ولو نزلنا تحت حكمهم و كتبنا ما نريد أن نفعله لما وجدنا إصابتهم في ذلك إلا أقل من خطائهم ، ولم يزيدوا فيه على ما يفعله المخمّن المرجم من غير نظر في طالع ولا غارب ولا رجوع إلى أصل و إلا فالبلوى بيننا و بينهم .

و كان بعض الرؤساء بل الوزراء ممن كان فاضلاً في الأدب و الكتابة و مشغولاً بالنجوم عاملاً عليها قال لي يوماً - وقد جرى حديث يتعلّق بأحكام النجوم و رأى من مخالفي التعجب ممن يتشاغل بذلك و يفني زمانه به - : أريد أن أسألك عن شيء في نفسي ، فقلت : سل عما بدالك ، قال : أريد أن تعرفني هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى أن لا تختار يوماً لسفر و لبس ثوب جديد و توجه في حاجة ؟ فقلت : قد بلغت إلى ذلك - و الحمد لله - و زيادة عليه ، و ما في داري تقويم ، ولا أنظر فيه ، و ما رأيت مع ذلك إلا خيراً . ثم أقبلت عليه فقلت : ندع ما يدل على بطلان أحكام النجوم مما يحتاج إلى ظن دقيق و روية طويلة ، و ههنا شيء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقتة في الفهم أو انخفضت ، خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة و طريقاً يمشي فيه الناس ليلاً و نهاراً ، و في محجته آبار متقاربة ، و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقّف حتى يتخلص من السقوط في بعض

تلك الآبار، هل يجوز أن تكون سلامة من يمشي في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي فيه من البصراء - وقد فرضنا أنه لا يخلو طرفة عين من المشاة فيه بصراء وعميان - ؟ وهل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان ، أو سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء ؟ فقال : هذا ممّا لا يجوز ، بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان ، ولا يجوز في مثل هذا التقارب . فقلت : إذا كان هذا محالاً فأحيلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه ، وأنتم تجيزون شبيه ما ذكرنا وعديله ، لأن البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم ويميزون سعدتها ونحسها ، ويتوقون بهذه المعرفة مضار الزمان ويتخطونها ، ويعتمدون منافعه ويقصدونها ، ومثال العميان كل من لا يحسن تعلم النجوم ولا يلتفت إليه من الفهماء والفقهاء ، وأهل الديانات والعبادات ، ثم سائر العوام والأعراب والأكراد وهم أضعاف أضعاف من يراعي عدد النجوم . ومثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضي عليه الخلق أجمعون ، ومثال آباره مضائبه ونوائبه ومحنه ، وقد كان يجب لو صح العلم بالنجوم وأحكامها أن تكون سلامة المنجمين أكثر ومصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها ، وتكون محن كل من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر وأظهر ، حتى تكون السلامة هي الطريقة الغربية ، وقد علمنا خلاف ذلك وأن السلامة أو المحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة . فقال : ربما اتفق مثل ذلك ، فقلت له ، فيجب أن نصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بأن سلامة العميان كسلامة البصراء ونقول : لعل ذلك اتفق ، و بعد فإن الاتفاق لا يستمر بل ينقطع ، وهذا الذي ذكرناه مستمر غير منقطع . فلم يكن عنده عذر صحيح .

ومما يفسد مذهب المنجمين ويدل على أن ما لعلّه يتفق لهم من الإصابة على غير أصل أننا قد شاهدنا جماعة من الزرايين الذين لا يعرفون شيئاً من علم النجوم ولا نظروا قط في شيء منه يصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة ، وقد كان المعروف بالشعراني الذي شاهدناه وهو لا يحسن أن يأخذ الأسطرلاب للطلاع ، ولا

نظر قطّ في زيج ولا تقويم ، غير أنّه زكيّ حاضر الجواب فطن بالزرق معروف به كثير الإصابة و بلوغ الغاية فيما يخرج من الأسرار ، و لقد اجتمع يوماً بين يدي جماعة كانوا عندي ، و كنّا قد اعترنا جهة نقصدها لبعض الأغراض ، فسأله أحدنا عمّا نحن بصدده ، فابتدأه من غير أخذ طالع ولا نظر في تقويم ، فأخبرنا بالجهة التي أردنا قصدنا ، ثمّ عدل إلى كل واحد من الجماعة فأخبره عن كثير من تفصيل أمره و أغراضه ، حتّى قال لأحدهم : و أنت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء يوصله إليك ، و قلبك به متعلق ، وفي كمّك شيء ممّا يدلّ على هذا ، وقد انقضت حاجتك وانتجرت . و جذب يده إلى كمّته فاستخرج ما فيه فاستحى ذلك الرجل و وجه و منع من الوقوف على ما في كمّته بجهد ، فلم ينفعه ذلك و أعان الحاضرون على إخراج ما في كمّته لما أحسّوا بالإصابة من الزرق ، فأخرج من كمّته رقاع كثيرة في جعلتها صكّ على دار الضرب بصلّة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت ، فعجبنا ممّا اتفق من إصابته مع بعده من صناعة النجوم . و كان لنا صديق يقول أبداً : من أدلّ دليل على بطلان أحكام النجوم إصابة الشعراني^(١) .

و جرى يوماً مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث ، فقال : عند المنجمين إنّ السبب في إصابة من لا يعلم شيئاً من علم النجوم أن مولده و ما يتولاه و يقتضيه كواكبه اقتضى له ذلك . فقلت له : لعلّ بطلميوس و كلّ عالم من عالم المنجمين

(١) غاية ما يثبت بهذا و نظائره ان طريق الكشف عما يقع في الارض من الحوادث لا ينحصر في علم النجوم ، فليس للمنجم إذا وقع ما أخبر بوقوعه ان يحتج علينا بذلك ، فمن الممكن ان يكون ذلك مستنداً إلى حدسه أو إلى شيء آخر غير النجوم لكن لا يثبت بذلك بطلان قول المنجمين بان اوضاع الكواكب تدل على وقوع الكائنات الارضية فان القول بدلائلها عليها لا يستلزم القول بعدم وجود دليل و كاشف غيرها يدل على ذلك ، حتى يبطل بأمثال هذه الوقائع ، و إلا فلينقض بما أخبر به الانبياء والاولياء عليهم السلام من المنغيات ، بل بما يخبر به الكهنة واصحاب تسخير الارواح و الجن و امثالهم . مضافاً إلى ان السيد - ره - يدعى ان جميع المنجمين يقولون بتأثير الكواكب استقلالاً ، و من البديهي ان الكاشف غير المؤثر ، و ان دلالة غيرها على وقوع شيء من الحوادث و حصول العلم به من غير جهتها لاتنافى كونها مؤثرة

و مصيب في أحكامه عليها إنما سبب إصابته مولده و ما يقتضيه كواكب من غير علم و لافهم ، فلا يجب أن يستدل بالإصابة على العلم إذ كانت تقع من جاهل و يكون سببها المولد ، و إذا كانت الإصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث و لعب لا يحتاج إليه ، لأن المولد إن اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلم لا ينفع و تركه لا يضر ، و هذه علة تسري إلى كل صنعة ، حتى يلزم أن يكون كل شاعر مفلق و صانع حاذق ، و ناسج للديباج موق لا علم له بتلك الصناعة ، و إنما اتفقت الصناعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده ، و ما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى . و اعلم أن التعب بعلم مراكز الكواكب و أبعادها و أشكالها و تسييراتها متى لم يكن ثمرته العلم بالأحكام و الاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له و لا غرض فيه ، لأنه لا فائدة في أن يعلم ذلك كله و يختص نفس العلم به ، و ما يجري الاطلاع على ذلك إذا لم تتعد المعرفة إلى العلم بالأحكام إلا مجرى العلم بعدد الحصى و كيل النوى و معرفة أطوال الجبال و أوزانها ، و كما أن العناء في تعرف ذلك عبث و سفه لا يجدي نفعاً فكذلك العلم بشكل الفلك و تسييرات كواكبها و أبعادها و المعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك و تفاصيلها فيه ، و ماشقي القوم بهذا الشأن و أفنوا أعمارهم إلتقديريهم أنه يفضي إلى معرفة الأحكام ، فلا تغتر بقول من يقول منهم : إنما ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ، و لطيف ما فيها من الأعاجيب فإن ذلك تجمّل منهم و تقرب إلى أهل الإسلام ، و لولا أن غرضهم معرفة الأحكام لما تعنوا بشيء من ذلك كله ، و لا كانت فيه فائدة ، و لا منه عائدة . و من أدل الدليل على بطلان أحكام النجوم أننا قد علمنا أن من جملة معجزات الأنبياء ﷺ الاخبار عن الغيوب ، و عد ذلك خارقاً للعادات كاحياء الميت و إبراء الأكمه و الأبرص و لو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً و لا خارقاً للعادات ^(١) فكيف يشتهه على مسلم بطلان أحكام النجوم و قد أجمع المسلمون قديماً

(١) الفرق بين ما يخبر به النبي اعجازاً و بين ما يخبر به الكاهن او المنجم او من يجرى مجراهما ان اخبار النبي ليس بسبب عادي يمكن تعاطيه لغيره ، بل بسبب غيبي و وحى الهى ، و اما اخبار الكهنة و امثالهم فانما هو عن طريق عادي يمكن سلوكه لغيرهم أيضاً .

و حديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم و بطلان أحكامهم ، ومعلوم من دين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون و الإزراء عليهم و التعجيز لهم ، و في الروايات عنه ﷺ من ذلك ما لا يحصى كثرة و كذا عن علماء أهل بيته ﷺ و خيار أصحابه ، فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجمين و يعدونها ضلالاً و محالاً ، و ما اشتهر هذه الشهرة في دين الإسلام كيف يفتر^(١) بخلافه منتسب إلى الملة ، و مصل^٢ إلى القبلة ؟ فأما إصابتهم في الإخبار عن الكسوفات و ما مضى في أثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك و بين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا ، فالفرق بين الأمرين أن الكسوفات و اقترانات الكواكب و انفصالها طريقة الحساب و تسيير الكواكب ، وله أصول صحيحة ، و قواعد سديدة ، و ليس كذلك ما يدعيونه من تأثيرات الكواكب في الخير و الشر^٣ ، و النقع والضرب^٤ ، ولو لم يكن في الفرق بين الأمرين إلا الإصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات و ما يجري مجراها ، فلا يكاديبين فيها خطأ البتة ، و إن الخطأ المعهود الدائم إنما هو في الأحكام الباقية ، حتى أن الصواب هو العزيز فيها و ما يتفق لعله فيها من الإصابة قد يتفق من المخمسين أكثر منه ، فحمل أحد الأمرين على الآخر بهت و قلّة دين (انتهى كلامه ضاعف الله إنعامه) .

و نقل عنه السيد بن طاووس - ره - أنه كتب في أجوبة بعض ما سئل عنه : قلنا إن الذي جاء بعلم النجوم من الأنبياء هو إدريس عليه السلام و إنما علم من جهته على الحد الذي ذكرناه و نعلم أنه لا يجوز كونها دلالة إلا على هذا الوجه فقط لأن الشيء إنما يدل على هذا الحد أو على الوجه الذي يدل الدليل العقلي عليه ، و قد بيننا تعذر ذلك في النجوم ، فلم يبق إلا ما ذكرناه ، و القطع على أن كيفية دلالتها معلوم الآن غير ممكن ، لأن شريعة إدريس عليه السلام و ما علم من قبله كالمندرس فلا نعلم الحال فيه ، فإن كان بعض تلك العلوم قد بقي محفوظاً عند قوم

(١) يفترى (خ) .

تناقلوه و تداولوه لم نمنع أن يكون معلوماً لهم إذا اتصل التواتر ، وإن لم يكن كذلك لم نمنع أن يكون العلم به وإن بطل و زال أن يكون أمانة يقتضي غالب الظن عند كثير منهم ، وهذا هو الأقرب فيما يتمسك به أهل النجوم ، لأنهم إذا تدبرت أحوالهم وجدتهم غير واثقين بما يحكمون ، وإنما يتقدم أحدهم في ذلك العلم كتقدم الطبيب في الطب ، فكما أن علوم الطب مبنية على الأمارات التي تقتضيها التجارب و غالب الظن فكذلك القول في علم النجوم ، إلا في أمور مخصوصة يمكن أن يعلم بصروب من الأخبار (انتهى) .

و قال العلامة - ره - في كتاب « منتهى المطلب » : التنجيم حرام ، و كذا تعلم النجوم مع اعتقاد أنها مؤثرة ، أو أن لها مدخلاً في التأثير بالنفع و الضرر ، و بالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية و الطبيعية بالحركات الفلكية و الاتصالات الكوكبية كافر ، و أخذ الأجرة على ذلك حرام ، و أما من يتعلم النجوم فيعرف قدر سير الكواكب و بعده و أحواله من التربيع و الكسوف و غيرهما فإنه لا بأس به . و نحوه قال في التحرير و القواعد .

و قال الشيخ الشهيد - ره - في قواعده : كل من اعتقد في الكواكب أنها مدبرة لهذا العالم و موجدة ما فيه فلا ريب أنه كافر ، وإن اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها . والله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطيء ، إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي ، و بعض الأشعرية يكفرون هذا كما يكفرون الأول ، و أوردوا على أنفسهم عدم تكفير المعتزلة و كل من قال بفعل العبد ، و فرقوا بأن الإنسان و غيره من الحيوان يوجد فعله من أن التدلل ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتمام لجانب الربوبية ، بخلاف الكواكب فإنها غائبة عنه ، وربما أدى ذلك إلى اعتقاد استقلالها و فتح باب الكفر . و أما ما يقال من أن استناد الأفعال إليها كاستناد الإحراق إلى النار و غيرها من العاديات بمعنى أن الله تعالى أجرى عادته أنها إذا كانت على شكل مخصوص أو وضع مخصوص يفعل ما ينسب إليها ، و يكون ربط المسببات بها كربط مسببات الأدوية و الأغذية بها

مجازاً باعتبار الربط العادي "لا الفعل" (١) الحقيقي ، فهذا لا يكفر معتقده ولكنه مخطيء أيضاً ، وإن كان أقلّ خطأ من الأول ، لأن وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم ولا أكثرى .

وقال - ره - في الدروس : و يحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة أو بالشركة و الاخبار عن الكائنات بسببها أمّا لو أخبر بجريان المعادة أن "الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم و إن كره ، على أن العادة فيها لا تطرد إلا فيما قلّ ، و أمّا علم النجوم فقد حرّمه بعض الأصحاب ، ولعلّه لما فيه من التعرّض للمحظور من اعتقاد التأثير ، أو لأن أحكامه تخمينية ، و أمّا علم هيئة الأفلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحباً لما فيه من الاطلاع على حكم الله و عظم قدرته .

و قال المحقق الشيخ علي - أجزل الله تشريفه - : التنجيم الاخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية و الاتصالات الكوكبية التي مرجعها إلى القياس و التخمين - إلى أن قال - وقد ورد عن صاحب الشرع النهي عن تعلم النجوم بأبلغ وجوهه ، إذا تقرّر ذلك فاعلم أن التنجيم مع اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية و لو على جهة المدخلة حرام ، و كذا تعلم النجوم على هذا الوجه ، بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه - نعوذ بالله - أمّا التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرّز عن الكذب فإنه جائز ، فقد ثبت كراهية النزويج و سفر الحج في العقرب ، و ذلك من هذا القبيل ، نعم هو مكروه و لا ينجر إلى الاعتقاد الفاسد ، و قد ورد النهي عنه مطلقاً حسماً للمادة .

و قال الشيخ البهائي - ره - : ما يدّعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام العلوية إن زعموا أن تلك الأجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو أنها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده ، و علم النجوم المبتني على هذا كفر و العياذ بالله ، و على هذا حمل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم و النهي عن اعتقاد صحته ، و إن قالوا إن الاتصالات تلك

(١) الفعل (خ) .

الأجرام وما يعرض لها من الأوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجد
الله سبحانه به بقدرته وإرادته ، كما أن حركات النبط و اختلافات أوضاعه علامات
يستدل بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحة أو اشتداد المرض و نحو
ذلك ، و كما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلية ، فهذا
لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده ، وما روي من صحة علم النجوم و جواز نقله محمول
على هذا المعنى .

ثم قال - ره - : الأمور التي يحكم بها المنجمون من الحوادث الاستقبالية
أصول بعضها مأخوذة من أصحاب الوحي سلام الله عليهم ، وبعض الأصول يدعون
فيها التجربة ، و بعضها مبنين على أمور متشعبة لا تفي القوة البشرية في الأغلب
بضبطها و الإحاطة بها ، كما يوميء إليه قول الصادق عليه السلام « كثيره لا يدرك و قليله
لا ينتج » ، فلذلك وجد الاختلاف في كلامهم ، و تطرق الخطاء إلى بعض أحكامهم
و من اتفق له الجري على الأصول الصحيحة صح كلامه و صدقت أحكامه لا محالة
كما نطق به كلام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة قبيل هذا الفصل - يعني رواية
ابن سيابة - و لكن هذا أمر عزيز المنال ، لا يظفر به إلا القليل ، والله الهادي إلى
سواء السبيل .

ولابن سينا كلام في هذا الباب ، قال في فصل المبدء والمعاد من إلهيات الشفاء :
لو أمكن إنساناً من الناس أن يعرف الحوادث التي في الأرض والسماء جميعاً وطبائعها
لفهم كيفية ما يحدث في المستقبل ، و هذا المنجم القائل بالأحكام مع أن أوضاعه
الأولى ومقدماته ليست مستندة إلى برهان بل عسى أن يدعي فيها التجربة أو الوحي
وربما حاول قياسات شعرية أو خطابية في إثباتها فإنه إنما يعول على دلائل جنس
واحد من أسباب الكائنات ، وهي التي في السماء ، على أنه لا يضمن الإحاطة بجمع
الأحوال التي في السماء ، ولو ضمن لنا في ذلك و وفى به لم يمكنه أن يجعلنا بحيث
نقف على وجود جميعها في كل وقت ، و إن كان جميعها من حيث فعله و طبيعه معلوماً
عنده . ثم قال في آخر كلامه : فليس لنا إذن اعتماد على أقوالهم ، و إن سلمنا

مثير عين أن جميع ما يعطونا من مقدّماتهم الحكمية صادقة (انتهى) .
 وقال الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي - ره - في كتاب كنز الفوائد
 في الرد على من قال إن الشمس و القمر و النجوم علل موجبات كلاماً طويل
 الذيل يرجع حاصله إلى أن هذه الكواكب و الأوضاع إن كانت عللاً للحوادث
 فما الحاجة إلى الاطلاع على الأحكام ، وأخذ الطوالع عند المواليد ، و عمل الزوايج
 و تحاويل السنين ، مع أن الإنسان لا يقدر على أن يزيد فيه في سعيه ولا أن يتقص
 به من نحسه ، و ما أوجبه مولده فهو كائن لا مغير له ، مع أنه إذا علم حصول سعادة
 قبل وقوعها يكون قلق النفس ، منقسم الخاطر ، يستبعد قرب الساعات ، و يستطيل
 قصر الأوقات ، تشوّقاً إلى ما يرد ، و تطلّعاً إلى ما وعد ، و في ذلك ما يقطع عن
 منافعها ، و يقصر به عن حرّكاته في مصالحه اتكلاً على ما يأتيه ، و ربما أخلف الوعد
 و تأخر السعد ، فليس جميع أحكامكم تصيب ، ولا الغلط منكم بعجيب فتصير المنفعة
 مضرة ، و أمّا متوقع المنحسة فلا شك أنه قد تعجّل الشدة رهبة من قدومها ، و عظم
 هلعها بهجومها ، و إن قلتم إن الإنسان يمكنه أن يحترز من المنحسة في دفعها أو ينقص
 منها فقد أبطلتم دعواكم أنها مدبّرة .

ثم قال : وأنا أخبرك بعد هذا بطرق من بطلان أفعالهم ، و نكت من فساد
 استدلالهم . اعلم أن تسمية البروج الاثني عشر بالحمل و الثور و الجوزاء وغيرها
 لأصل لها و لا حقيقة ، و إنما وضعها الراصدون لهم فحصل متعارفاً بينهم ، و كذلك
 جميع الصور التي عن جنبي منطقة البروج ، و الجميع ثمان و أربعون صورة عندهم
 مشهورة ، و علماؤهم معترفون بأن ترتيب هذه الصور و تشبيهاها و قسمة الكواكب
 عليها و تسميتها صنعها حدّاقهم الراصدون لها ، و قد ذكر هذا أبو الحسين عبد الرحمن
 ابن عمر الصوفي ، وهو من جهلتهم ، وله مصنّفات لم يعمل مثلها في علمهم ، و بيّنه في
 الجزء الأوّل من كتابه الذي عمله في الصور ، و قد ذكر رصد الأوائل منهم الكواكب
 و أنّهم رتبوها في المقادير و العظم ست مراتب ، و بيّن أنّهم الفاعلون لذلك ، و قال :
 إنّهم وجدوا من هذه الكواكب تسعمائة و سبعة عشر كوكباً ينتظم منها ثمانية

و أربعون صورة ، كل صورة منها تشتمل على كواكبها ، و هي الصور التي أثبتتها بطليموس في المجسطي^١ ، بعضها في النصف الشمالي من الكرة ، و بعضها على منطقة البروج التي هي طريقة الشمس و القمر و الكواكب السريعة السير ، و بعضها في النصف الجنوبي منها ، فسموا كل صورة منها باسم الشيء المشبه بها ، فبعضها على صورة الإنسان مثل كوكبة الجوزاء ، و كوكبة الجاثي على ركبتيه و كوكبة العواء^(١) ، و بعضها على صورة الحيوانات البرية والبحرية ، مثل الحمل والثور والسرطان والأسد و العقرب والحوت و الدب الأكبر و الدب الأصغر ، و بعضها خارج عن شبه الإنسان وسائر الحيوانات ، مثل الإكليل والميزان ، و إنما فعلوا ذلك ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه ، لمعرفة أوقات الليل و الطالع في كل وقت وأشياء عظيمة المنفعة (انتهى) .

ثم قال الكراجكي : وهو دليل واضح على أن الصور و الأشكال والأسماء والألقاب ليست على سبيل الواجب والاستحقاق ، وإنما هي اصطلاح واختيار ، ولو غيرت عن ذلك إلى تشبيه آخر لأمكن و جاز . ثم إنهم بعد هذه الحال جعلوا كثيراً من الأحكام مستخرجاً من هذه الصور و الأشكال ، و منتسباً إلى الأسماء الموضوعية والألقاب ، حتى كأنها على ما ذكره بنحو واجب و دليل عقل ثبت ! فقالوا إن الحكم على الكسوف على ما حكاه ابن هنبثي عن بطليموس أنه إذا كان البرج الذي يقع فيه الكسوف من ذوات الأجنحة مثل العذراء والرامي والدجاجة والنسر وما أشبهها كان الحادث في الطير الذي يأكله الناس ، و إن كان في صورة الحيوان مثل السرطان والدلفين كان الحادث في الحيوانات البحرية أو النهرية . وفي هذه فضيحة عظيمة . أما يعلم هؤلاء القوم أنهم الذين جعلوا ذوات الأجنحة بأجنحة و الصور البحرية بحرية ؟ ! وأنه لولا ما فعلوه لم يكن شيء مما ذكره ، فكيف صارت أفعالهم التي ابتدعوها و تشبهاتهم التي وضعوها موجبة لأن يكون حكم

(١) الحواء (خ) .

الكسوف مستخرجاً منها و صادراً عنها! و هذا يؤدي إلى أنهم المدبرون للعالم إذ كانت أفعالهم سبباً لما توجبه الكوكب .

ثم أورد - ره - كثيراً من هذه الالزامات المسكّنة عليهم ، ثم قال : والصور عندهم لا تثبت في مواضعها ولا تستقرّ على أقسامها ، وصورة الحمل التي يقولون إنّها أوّل البروج قد سفّل إلى مكان البرج الثاني ، و الحمل في الحوت ، إذ الثوابت متحرّكة عندهم بحرّكة بطيئة خفيفة ، ولخفاء حرّكتها سمّوها الثابتة ، وإن وجدوها في الأرصّاد مختلفة . و قال الصوفيّ في كتاب الصور : إنّ مواضع هذه الصور التي على منطقة فلك البروج كانت منذ ثلاثة آلاف سنة في غير هذه الأقسام ، وإنّ صورة الحمل كانت في القسم الأوّل و كان يسمّى الأوّل من البروج الثور ، و الثاني الجوزاء ، و الثالث السرطان ، ولما جدّوا الأرصّاد في أيام « طيموخارس » وجدوا صورة الحمل قد انتقلت إلى القسم الأوّل من الأقسام الاثني عشر الذي هو بعد نقطة التقاطع غيروا أساميها ، فسّموا القسم الأوّل الحمل ، و الثاني الثور و الثالث الجوزاء . قال : ولا يخالفنا أحد في أنّ هذه الصور تنتقل حرّكتها على مرّ الدهور على أماكنها ، حتّى تصير صورة الحمل في القسم التاسع الذي للميزان و صورة الميزان في القسم الأوّل الذي للحمل ، فيسمّى أوّل البروج الميزان ، و الثاني العقرب ثمّ مرّ في كلامه موضحاً عمّا ذكرناه من تنقلها الموجب لتغيّر أسماء بروجها : وهم مجمعون على أنّ الكوكبين المتقاربين المعروفين بالشرطين على قرني الحمل ، وهما أوّل منازل القمر ، فيجب أن يكونا أوّل البروج الاثني عشر ومن امتحنهما في وقتنا هذا - وهو من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة للهجرة الموافقة لسنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين لذي القرنين - وجد أحدهما في عشرين درجة من من الحمل والأخرى في إحدى وعشرين منه ، أعني من البرج الأوّل ، فأيّ برج من البروج الاثني عشر يبقى على صورة واحدة ؟ وكيف يثبت الحكم لأوّل البروج بأنّه دالّ على الوحوش وعلى كلّ ذي ظلف ؟ وقد انتقلت إليه أكثر صورة الحوت وكذلك حال جميع البروج .

ثم ذكر - ره - كثيراً من أغلاطهم و اشتباهاتهم إلى أن قال : و أنا أذكر لك بعد هذا مقالتنا في النجوم و ما نعتقده فيها لتعرف الطريقة في ذلك فتعلم عليها : اعلم أيّدك الله أن الشمس و القمر و النجوم أجسام محدثة من جنس أجسام العالم ، مؤتلفة من أجزاء تحلّها الأعراض ، وليست بفاعلة في الحقيقة و لا ناطقة ، و لا حية قادرة ، و قد قال شيخنا المفيد - ره - إنها أجسام نارية ، فأما حرّ كتبها في فعل الله تعالى فيها ، و هو المحرّك لها ، و هي من آياته الباهرة في خلقه ، و زينة لسماائه ، و فيها منافع لعباده لا تحصى ، و بها يهتدي السائرون برّاً و بحرّاً ، قال الله تعالى « و علامات و بالنجم هم يهتدون ^(١) » ، و فيها للخلق مصالح لا يعلمها إلا الله ، فأما التأثير المنسوب إليها فإننا لا ندفع كون الشمس و القمر مؤثرين في العالم ، و نحن نعلم أن الأجسام و إن كان لا يؤثر أحدها في الآخر إلا مع مماسة بينهما بأنفسهما أو بواسطة فإن الشمس و القمر شعاعاً متصلاً بالأرض و ما عليها ، يقوم مقام المماسّة ، و تصحّ به التأثيرات الحادثة ، و من ذا الذي ينكر تأثير الشمس و القمر و هو موجود مشاهد؟ و إن كان تأثير الشمس أظهر للحسّ و أبين من تأثير القمر في الأزمان و البلدان و النبات و الحيوان ، فأما غيرهما من الكواكب فلنسا نجد لها تأثيراً نحسّ ، و لا نقطع على وجوبه بالعقل ، و لا هو أيضاً من الممتنع المستحيل ، بل من الجائز في العقول ، لأن لها شعاعاً متصلاً بالأرض ، و إن كان دون شعاع الشمس و القمر فغير منكر أن يكون لها تأثير يخفى عن الحسّ خارج عن أفعال الخلق ، فإن كان لها تأثير كما يقال كان تأثيرها مع تأثير الشمس و القمر في الحقيقة من أفعال الله عزّ و جلّ ، و ليس يصحّ إضافته إليها إلا على وجه التوسّع و التجوّز ، كما تقول : أحرقت النار ، و برد الثلج ، و قطع السيف ، و شجّ الحجر ، و في الحقيقة إن النار أحرقت بها ، و الثلج برد بها ، و قطع أيضاً بالسيف ، و شجّ بالحجر ، و كذلك قولنا : أحمّت الشمس الأرض و نفعت الزرع ، و في الحقيقة إن الله تعالى أحمى بها و نفع ، و ممّا يدلّ على أن الله تعالى يستعمل شيئاً بشيء قوله عزّ و جلّ « و هو

الذي أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهبّح فتريه مصفراً^(١) ، وقوله تعالى « وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون^(٢) » ، وليس فيما ذكرناه رجوع إلى قول أصحاب الأحكام ، والإقرار بما أنكرناه عليهم في متقدم الكلام ، لأننا أنكرنا عليهم إضافتهم تأثيرات الشمس والقمر إليهما من دون الله سبحانه ، وقطعهم على ما جوزه من تأثيرات الكواكب بغير حجة عقلية ولا سمعية ، وإضافتهم إلى جميع الأفعال في الحقيقة ، مع دعويهم لها بالحياة والقدرة ، فأنكرنا عليهم أن يكون الشمس والقمر أو شيء من الكواكب فاعلاً لفعالنا ، أو تكون حركته شيئاً موجباً لوقوع الأفعال عننا ، لشهادة العقل الصحيح بأن أفعالنا لو كانت مختصرة فينا أو كائنة عن سبب أو جيبها من غيرنا لم تقع بحسب قسودنا وإرادتنا ، وكانت لا فرق بينها وبينها ، وبين جميع ما يفعل فينا من صحتنا وسقمنا وتأليف أجسامنا ، وفي حصول الفرق دلالة على اختصاصها بنا ، وبرهان واضح على أنها حدثت عن قدرتنا ، وأنه لا سبب لها غير اختيارنا ، وأنكرنا عليهم قولهم إن الله لا يفعل في العالم فعلاً إلا والكواكب دالة عليه ، فإن كل شيء تدل عليه فلا بد من كونه ، وهذا باطل لأنه لو ثبت لها تأثير أو دلالة فإن الله تعالى أجرى بذلك العادة ، وليس بمستحيل منه تغيير تلك العادة لما يراه من المصلحة ، وقد يصرف الله تعالى السوء عن عبده بدعوة ويزيد في أجله بصلة رحم أو صدقة . هذا الذي ثبتت لنا عليه الأدلة ، وهو الموافق للشريعة ، وليس هو بملائم لما يدعيه المنجمون - والحمد لله - وأنكرنا عليهم اعتمادهم في الأحكام على أصول متناقضة ، ومقدمات مفتعلة ، ودعا ومظنونة وليس لهم على شيء منها بيينة ، فإن كان لهذا العلم أصل صحيح على وجه يسوغ في العقل ويجوز ، فليس هو ممناً في أيديهم ، ولا من جملة دعاويهم ، وقد قال شيخنا المفيد

(١) الزمر ، ٢١ .

(٢) الاعراف ، ٥٦ .

- رحمه الله - : إن الاستدلال بحركات النجوم على كثير مما سيكون لا يمنع العقل منه
ولسنا نمنع أن يكون الله جلّ اسمه أعلمه بعض أنبيائه ، وجعله علماً على صدقه
(انتهى كلام الكراچكي - ره -) .

وقال شيخ المتكلمين محمود بن عليّ الحمّصيّ - ره - في ذكر علم النجوم :
إننا لا نردّ عليهم فيما يتعلّق بالحساب في تسيير النجوم واتصالاتها التي يذكرونها
فإنّ ذلك ممّا لا يهمنّا ولا هو ممّا يقابل بالإنكار وردّ . ثمّ قال - ره - في إنكار كون
النجوم عللاً موجبة : يبطل ذلك بكلّ ما يبطل به دعوة المجبّرة بأننا غير مختارين .
ثمّ قال : فإن قيل : كيف تنكرون الأحكام وقد علمنا أنّهم يحكمون بالكسوف
والخسوف ورؤية الأهلّة ويكون الأمر على ما يحكمون في ذلك ؟ وكذلك يخبرون
عن أمور مستقبلّة تجري على الإنسان وتجرى تلك الأمور على ما أخبروا عنها
فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام ؟

قلنا : إنّ إخبارهم عن الكسوف والخسوف ورؤية الأهلّة فليس من الأحكام
وإنّما هو من باب الحساب ، إنّما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف
كان من الحوادث كذا وكذا .

ثمّ قال : فأما الأمور المستقبلّة التي يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على
ما يخبرون عنه ، وإنّما يقع قليلٌ منه بالاتفاق ، ومثل ذلك يتفق لأصحاب
القال والزجر الذين لا يعرفون النجوم ، بل للعاجز اللواتي يتفألن بالأحجار ، و
الذي قد يخبر المصروع وكثير من ناقصي العقول عن أشياء فيتفق وقوع ما يخبرون
عنه (انتهى) .

والسيدّ الجليل النبيل عليّ بن طاووس - ره - لا نسّ قليل له بهذا العلم عمل
في ذلك رسالة ، وبالغ في الإنكار على من اعتقد أنّ النجوم ذوات إرادة أو فاعلة
أموثّرة ، واستدلّ على ذلك بدلائل كثيرة ، وأيده بكلام جمّ غفير من الأفاضل
إلاّ أنّه أنكر على السيّد الأجل المرتضى - ره - في تحريره ، وذهب إلى أنّه من
العلوم المباحات ، وأنّ النجوم علامات ودلالات على الحوادث ، لكن يجوز للقادر

الحكيم أن يغيّرهما بالبرّ والصدقة والدعاء و غير ذلك من الأسباب والدواعي على وفق إرادته و حكمته ، و جوزّ تعليم علم النجوم و تعلّمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد أنّها مؤثّرة ، و حمل أخبار النهي والذمّ على ما إذا اعتقدت ذلك ، ثمّ ذكر - ره - تأييداً لصحّة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به : فقال : إنّ جماعةً من بني نوبخت كانوا علماء بالنجوم ، و قدوةً في هذا الباب ، و وقفت على عدّة مصنّفات لهم في النجوم ، و أنّها دلالات على الحوادث ، منهم الحسن بن موسى النوبختي ، و من علماء المنجّمين من الشيعة أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، و ذكر النجاشي في كتبه كتاب النجوم ، و منهم أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة ، فقد عدّ الشيخ والنجاشي من كتبه كتاب النجوم ، و الشيخ النجاشي كان له تصنيف في النجوم و من المذكورين بعلم النجوم الجلودي البصري ، و منهم علي بن محمد بن العدوي الشمشطي ، فإنّه ذكر النجاشي أنّ له رسالةً في إبطال أحكام النجوم ، و منهم علي بن محمد بن العباس ، فإنّ النجاشي ذكر في كتبه كتاب الردّ على المنجّمين و كتاب الردّ على الفلاسفة ، و منهم محمد بن أبي عمير - و استند إلى الخبر السابق و قد عرفت ما فيه - قال : و منهم محمد بن مسعود العياشي ، فإنّه ذكر في تصانيفه كتاب النجوم ، و منهم موسى بن الحسن بن عبّاس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت قال النجاشي : كان حسن المعرفة بالنجوم ، وله مصنّفات فيه ، و كان مع ذلك حسن العبادة و الدّين ، و منهم الفضل بن أبي سهل بن نوبخت ، و صل إلينا من تصانيفه ما يدلّ على قوّة معرفته بالنجوم ، و ذكر عن العيون ما أورده في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من أنّه أخبر المأمون بخطأ المنجّمين في الساعة التي اختاروها لولاية العهد ، فزجره المأمون و نهاه أن يخبر به أحداً ، فعلم أنّه تعمّد ذلك . و منهم السيّد الفاضل عليّ ابن أبي الحسن العلوي المعروف بابن الأعلم ، و كان صاحب الزيج ، و منهم أبو الحسن النقيب الملقّب « بأقيراط » و منهم الشيخ الفاضل الشيعيّ عليّ بن الحسين بن عليّ الموسويّ مصنّف كتاب « مروج الذهب » و منهم أبو القاسم بن نافع من أصحابنا الشيعة ، و منهم إبراهيم الفزاريّ صاحب القصيدة في النجوم و كان منجّماً للمنصور

ومنهم الشيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصري^١ كاتب آل طولون ، ومنهم الشيخ الفاضل محمد بن عبدالله بن عمر البازيار القمي^٢ تلميذ أبي معشر ، ومنهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبي الخضيب القمي^٣ ، ومنهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشيخ في الرجال ، ومنهم محمد بن أحمد بن سليم الجعفي^٤ مصنف كتاب الفاخر ، ومنهم محمود بن الحسين بن السندي^٥ بن شاهك المعروف بكشاجم ، ذكر ابن شهر آشوب أنه كان شاعراً منجماً متكلماً ، ومنهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ، ذكره المبرّد وقد مر^٦ أنه قيل : هو الذي أشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام بترك قتال الخوارج في الساعة التي أراد .

ثم قال - ره - : وممن أدر كتبه من علماء الشيعة العارفين بالنجوم وعرفت بعض إصاباته الفقيه العلم الزاهد الملقّب خطير الدين محمود بن محمد ، وممن رأيت الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن علي^٧ القمي^٨ . ثم عدت - ره - من اشتهر بعلم النجوم وقيل إنه من الشيعة ، فقال : منهم أحمد بن محمد السجزي ، والشيخ الفاضل علي^٩ ابن أحمد العمراني^{١٠} ، والفاضل إسحاق بن يعقوب الكندي^{١١} قال : وممن اشتهر بالنجوم من بني العباس محمد بن عبد العزيز الهاشمي^{١٢} ، وعلي^{١٣} بن القاسم القصري^{١٤} وقال - رحمه الله - : وجدت فيما وقفت عليه أن علي^{١٥} بن الحسين بن بابويه القمي كان ممن أخذ طالع في النجوم ، وأن ميلاده بالسنبلة . ثم قال السيد - ره - : روى الشيخ في اختيار الكشي^{١٦} في بيان حال أبي خالد السجستاني^{١٧} : حدويه وإبراهيم عن محمد بن عثمان ، قال : حدثنا أبو خالد السجستاني^{١٨} أنه لما مضى أبو الحسن عليه السلام وقف عليه ثم نظر في نجومه فزعم أنه قدمته ، فقطع على موته وخالف أصحابه . ثم قال - ره - : ففي هذه عدّة فوائد : منها أن هذا أبو خالد كان واقفياً يعتقد أن أبا الحسن موسى عليه السلام مامات ، فدلّه الله تعالى بعلم النجوم على موته ، وقد كان هذا العلم سبب هدايته ، ومنها أنه كان من أصحاب الكاظم عليه السلام ولم يبلغنا أنه أنكر عليه علم النجوم ، ومنها أنه لو علم أبو خالد أن علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته ، ومنها اختيار جدي الطوسي^{١٩} لهذا الحديث و تصحيحه

وقد تقدم ثناؤه - ره - على جماعة من العلماء بالنجوم . ثم قال : و ممن اشتهر بعلمه من بني نوبخت عبدالله بن أبي سهل ، و من العلماء بالنجوم محمد بن إسحاق النديم كان منجماً للعلويّ المصريّ ، و من المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد بن محمد بن عاصم المعروف بالعاصميّ المحدث الكوفيّ ، ثقة سكن بغداد ، فمن كتبه الكتب النجومية ، ذكر ذلك ابن شهر آشوب في كتاب «معالم العلماء» و ممن اشتهر بعلم النجوم من المنسويين إلى مذهب الإمامية الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمد بن عبدوس الجمشاريّ وغيره ما معناه أنّه لما وقع بين الأمين والمأمون ما وقع و اضطرت خراسان و طلب جند المأمون أرزاقهم و توجه عليّ بن عيسى ابن ماهان من العراق لحرب المأمون و صعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده و معه الفضل و قد ضاق عليه مجال التدبير و عزم على مفارقة ما هو فيه أخذ الفضل طالعه و رفع أظفر لآباً و قال : ما تنزل من هذه المنزلة إلا خليفة غالباً لأخيك الأمين ، فلا تعجل ! و ما زال يسكنه و يثبتته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس عليّ بن عيسى و قد قتله طاهر ، و ثبت ملكه ، و زال ما كان يخافه ، و ظفر بالأمان . و روي خبر آخر أيضاً مثل ذلك .

ثم قال : و ممن كان عالماً بالنجوم من المنسويين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثم ذكر ما أخرجنا من العيون في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من حديث الحمّام و فتل الفضل فيه ، ثم قال : رأيت في كتاب الوزراء جمع عبد الرحمن بن المبارك أنّه ذكر محمد بن سعيد أنّه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين بخطه : هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة ، و إلى الله نرغب في دفعها ، و إن صحّ من حساب الفلك شيء فالأمر واقع فيها لا محالة ، و نسأل الله تعالى أن يختم لنا بخير بمنه . و كان يعمل لذي الرياستين تقويم في كل سنة فيوقع عليه : هذا يوم يصلح لكذا ، و يجنب في هذا اليوم كذا . فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه اليوم ، فجعل يوقع فيه ما يصلح ، حتى انتهى إلى اليوم الذي قتل فيه ، فقال : أف لهذا اليوم ! ما أشره عليّ ! و رمى بالتقويم . و روي عن أخت الفضل ، قالت : دخل الفضل

إلى أمة في الليلة التي قتل في صبيحتها ، فقعدها إلى جانبها ، وأقبل يعظها ويعزّيها عن نفسه ، و يذكرها حوادث الدهر وتقضي الأمور العباد ، ثم قبّل صدرها وئديها وودّعها وداع المثارق ، ثم قام فخرج وهو قلق منزعج لما دلّه عليه الحساب ، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع ، ومن مجلس إلى مجلس ، و امتنع عليه النوم فلما كان في السحر قام إلى الحمام و قدّر أن يجعل غمّه و حرارته و كربه هو الذي دلّت عليه النجوم ، و قدّمت له بغلة فركبها و كان الحمام في آخر البستان فكبت به البغلة ، فسرّه ذلك و قدّر أنّها هي النكبة التي كان يتخوّفها ، ثم مشى إلى الحمام ولم يزل حتى دخل الحمام فاغتسل فيه ، فقتل .

قال : و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل ، وجدت في مجموع عتيق أن بوران كانت في المنزلة العليا بأصناف العلم لاسيما في النجوم فانّها برعت فيه و بلغت أقصى نهايته ، و كانت ترفع الأضرلاب كل وقت وتنظر إلى مولد المعتمصم ، فعثرت يوماً يقطع عليه ، سببه خشب ، فقالت لو الدها الحسن : انصرف إلى أمير المؤمنين ، و عرفه أن الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد و رفعت الأضرلاب فدلّ الحساب - و الله أعلم - أن قطعاً يلحق أمير المؤمنين من خشب في الساعة الفلانية من يوم بعينه . قال الحسن : يا قرّة العين ! ياسيدة الحرائر ! إن أمير المؤمنين قد تغيّر علينا وربما أصغى إلى شيخك بخلاف ما يقتضيه وجه المشورة والنصيحة . قالت : يا أبه ! وما عليك من نصيحة إمامك ، لأنّه خطر بروح لاعوض منها ، فإن قبلها وإلا كنت قد أدّيت المفروض عليك . قال : فانصرف الحسن إلى المعتمصم ، و عرفه ما قالت بوران . قال المعتمصم : أيها الحسن ! أحسن الله جزاءها و جزائك ، انصرف إليها و خصّها عنّي بالسلام و أسألها ثانياً واحضر عندي اليوم الذي عيّنت عليه و لازمني حتى ينصرم اليوم و يذهب ، فليست أشاركك في هذه المشورة والتدبير أحداً من البشر . قال : فلما كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتمصم حتى خرج كل من في المجلس و خلا إليه وأشار عليه أن ينتقل عن المجلس السققيّ إلى مجلس ابن أرخى لايوجد فيه وزن درهم واحد من الخشب

وما زال الحسن يحدثه و المعتصم يمازحه و ينشطه حتى أظهر النهار و ضربت نوبة الصلاة ، فقام المعتصم ليتوضأ ، فقال الحسن : لا تخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس ويكون الوضوء والصلاة وكل ما تريده فيه ، حتى ينصرم اليوم . فجاء خادم و معه المشط والسواك ، فقال الحسن للخادم : امتشط بالمشط و استك بالسواك . فامتنع وقال : كيف أتناول آلة أمير المؤمنين ؟ قال المعتصم : ويلك ، امتثل قول الحسن ولا تجالף . ففعل ، فسقطت ثناياه و انتفخ دماغه و خر مغشياً عليه ، و رفع ميتاً و قام الحسن ليخرج ، فاستدعاه المعتصم واحتضنه و لم يفارقه حتى قبل عينيه ، ورد على بوران أملاًكاً و ضياعاً ، و كان ابن الزيات حلماً عنها و ذكر مثله برواية أخرى .

وروى من كتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس ، عن إسماعيل بن صبيح ، قال : كنت أكتب يوماً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رآه صاح و أعرض بوجهه عنه و قطب و كره رؤيته ، فلما انصرف قلت له : أطال الله بقاءك ، تفعل هذا بابنك و حاله عند أمير المؤمنين حالة لا يقدم عليه ولدأ ولا ولياً ؟ فقال : إليك عنِّي أيها الرجل ! فو الله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسببه . فلما كان بعد مدة من ذلك دخل عليه أيضاً جعفر وأنا بحضرتة ففعل مثل ما فعل الأول ، و أكدت عليه القول ، فقال : أذن مني الدواة : فأدنيتهما و كتب كلمات يسيرة في رقعة و ختمها و دفعها إلي ، و قال : بلى ، ليكن عندك ، فإذا دخلت سنة سبع و ثمانين و مائة و مضى فانظر فيها . فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم فنظرت في الرقعة ، فكان الوقت الذي ذكره . قال إسماعيل : و كان يحيى أعلم الناس بالنجوم . و روى أيضاً عن محمد بن عبدوس من كتاب الوزراء عن موسى بن نصر الوصيف ، عن أبيه ، قال : غدوت إلى يحيى بن خالد في آخر أمرهم أريد عيادته من علة كان يجدها ، فوجدت في دهليزه بغلاً مسرجاً ، فدخلت إليه فكان يأنس بي ويفضي إلي بسرته ، فوجدته مفكراً مهموماً ، و رأيتة مستخلياً مشتغلاً بحساب النجوم وهو ينظر فيه ، فقلت له : إنني لمّا رأيت بغلاً مسرجاً سرتني ، لأنني قد رت انصراف العلة وأن عزمك الر كوب ، ثم قد غممني ما أراه من همك ، قال : فقال لي : إن

لهذا البعل قصة ، إنني رأيت البارحة في النوم كأنني راكبه حتى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر ، فوقفت فإذا صائح يصيح من الجانب الآخر « شعر » .
 كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ✽ أنيس ولم يسمر بمكة سامر
 قال : فضربت يدي على قربوس السرج ، وقلت « شعر » :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ✽ صروف الليالي و الجودود العواثر
 ثم انتهت فلجأت إلى أخذ الطالع ، فأخذته وضربت الأمر ظهر البطن
 فوقفت على أنه لا بد من انقضاء مدتنا وزوال أمرنا . قال فما كان يكاد يفرغ من
 كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم بخوان مغطاة وفيها رأس جعفر بن يحيى ، و
 قال له : يقول : لك أمير المؤمنين : كيف رأيت نقمة الله في الفاجر ؟ فقال له يحيى :
 قل له : يا أمير المؤمنين ! أرى أنك أفسدت عليه دنياه . وأفسد عليك آخرتك .

ثم قال : وممن رأيت ذكره في علماء النجوم وإن لم أعلم مذهبه إبراهيم بن
 السدي بن شاهك ، وكان منجماً طبيباً متكلماً . ومن العلماء بالنجوم عضد الدولة
 ابن بويه ، وكان منسوباً إلى التشيع ، ولعله كان يرى مذهب الزيدية . ومنهم
 الشيخ المعظم محمود بن علي الحمصي - ره - كما حكينا عنه ، ومنهم جابر بن حبان
 صاحب الصادق عليه السلام وذكره ابن النديم في رجال الشيعة ، وممن ذكر بعلم النجوم
 من الوزراء أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياتي ، وممن ظهر منه العمل على النجوم
 البرامكة ، ذكر عبد الرحمن بن المبارك أن جعفراً لما عزم على الانتقال إلى قصره
 الذي بناه وجمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه فاختاروا له وقتاً من الليل ، فلما
 حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي ينزله إلى قصره ، والطرق خالية
 والناس ساكنون ، فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلاً يقول : « شعر »

يدبر بالنجوم وليس يدري ✽ ورب النجم يفعل ما يريد
 فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له : أعد علي ما قلت ، فأعاده فقال : ما
 أردت بهذا ؟ قال : والله ما أردت به معنى من المعاني ، لكنني عرض لي وجاء علي لساني
 فأمر له بدنانير .

ثم ذكر - زه - إصابات كثيرة من المنجمين نقلاً من كتبهم ، ونقل من كتاب ربيع الأبرار أن رجلاً أدخل إصبعيه في حلقتي مقراض ، وقال للمنجم : أيش ترى في يدي ؟ فقال : خاتمي حديد . وقال : فقدت في دار بعض الرؤساء مشربة فضة فوجه إلى ابن ماهان يسأله فقال : المشربة سرقت نفسها ، فضحكت منه واعتاظ ، وقال : هل في الدارجارية اسمها فضة أخذت الفضة ؟ فكان كما قال . وقال : سعي بمنجم فأمر بصلبه ، فقيل له : هل رأيت هذا في نجومك ؟ فقال : رأيت ارتفاعاً ، ولكن لم أعلم أنه فوق خشبة .

وقال : ومن الملوك المشهورين بعلم النجوم و تقريب أهله المأمون ، و ذكر محمد بن إسحاق أنه كان سبب نقل كتب النجوم وأمثالها من بلاد الروم و نشرها بين المسلمين . و ذكر المسعودي في حديث وفاة المأمون ، قال : فأمرنا بإحضار جماعة من أهل الموضوع ، فسألهم ما تفسير « النديون » فقالوا : تفسيره « مدّ رجلك » فلما سمع المأمون بذلك اضطرب وتطير بهذا الاسم ، و قال : سلوهم ما اسم هذا الموضوع بالعربية ؟ قالوا : اسمه بالعربية « الرقة » وكان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالرقة ، فلما سمع اسم الرقة عرف أنه الموضوع الذي ذكر في مولده ، وأنه لا يموت إلا بالرقة ، فمات به كما اقتضت دلالة النجوم في طالعهِ .

و ذكر محمد بن بابويه في دلائل النبوة أن « بخت نصر » لما رأى رؤياه أحضر من جملة العلماء أصحاب النجوم ، و ذكر التنوخي في كتابه ، قال : حدثني الصوفي المنجم ، قال - و كان أبو الحسين حاضراً و عضد الدولة يحدثني - قال : اعتللت علة صعبة أيس منّي فيها الطبيب ، و أيست من نفسي ، و كان تحويل سنتي تلك في النجوم ردياً جداً نحساً موحشاً ، ثم زادت العلة عليّ ، فأمرت أن يحجب الناس كلهم لا يدخل إليّ أحد بوجه ولا سبب إلا حاجب البويه في أوقات ، حتى منعت الطبيب عن الوصول فحجراً بهم بل بنفسي و يأساً من العافية ، فأقامت كذلك أياماً ثلاثة وأربعة و أنا أبكي في خلوتي على نفسي ، إذ جاءني حاجب البويه فقال : في الدار أبو الحسين الصوفي من الغداة يطلب الوصول ، وقد اجتهدنا به في الانصراف بكل رفق و جميل

فما فعل ، و قال : لا بد من أن أصل . ولم أحب أن اُحدّثه في الانصراف على أي وجه كان إلا بأمرك ، و قد عرفت أنه قد رسم لي أن لا يصل إليه أحد من خلق الله أجمعين ، فقال : الذي حضرت له بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها ، فعرفت أنه هذا عني و استأذنه لي في الوصول إليه . فقلت له بضعيف صوت و كلام خفيف : يريد أن يقول لي قد بلغ الكوكب الفلاني الموضع الفلاني ، و يهدي إلي من هذا الجنس ما يضيّق به صدري ، و يزيد به همّي ، و ما أقدر على سماع كلامك فانصرف . فخرج الحاجب و رجع إلي مستعجلاً و قال : إمّا أن يكون أبو الحسين الصوّفي قد جنّ أو معه أمر عظيم ! فانّي قد عرفت بما قال مولانا ، فقال : ارجع إليه و قل له : والله لو أمرت بضرب عنقي ما انصرفت أو أصل إليك ، و والله ما أكلمك في معنى النجوم بكلمة واحدة . فعجبت من ذلك عجباً شديداً مع علمي بعقل أبي الحسين و أنه بما لا يخرق معي في شيء ، و تطلعت نفسي إلى ما يقوله فقلت : أدخله فلما دخل إلي قبل الأرض و بكى و قال : أنت والله في عافية لا بأس عليك ، و اليوم تبرء و معي معجزة في ذلك ! فقلت له : ما هي ؟ فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و الناس يهرعون إليه يسألونه حوائجهم ، و كان قد تقدّمت إليه و قلت : يا أمير المؤمنين ! أنا رجل غريب في هذا البلد ، تركت نعمتي بالري و تجارتي ، و تعلقت بحب هذا الأمير الذي أنا معه ، و قد بلغ إلى حدّ الأياس من العلة ، و قد أشفقت أن أهلك بهلاكه ، فادع الله تعالى بالعافية له . فقال : تعني فنّا خسرو بن الحسن بن بويه ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين . فقال : امض إليه غداً و قل له : أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رأيته و هي حامل بك ؟ أليس قد أخبرتك ^(١) بمدّة عمرك ، و أنك ستعتل إذا بلغت كذا و كذا سنة علة يأيس منها أطبائوك و أهلك ثم تبرأ منها ؟ و أنت تصلح من هذه العلة غداً و تبرأ ، و أرى صلاحك أن تركب و تعاود عادتك كلّها في كذا و كذا يوماً ، و لا قطع عليك قبل الأجل الذي خبرتك به أمك عني . قال لي عضد الدولة : و قد

(١) أخبرتها (خ) .

كنت أنسيت أن أمي قالت لي في المنام إذا بلغت هذه السنة اعتللت العلة التي قد ذكرت حتى قال لي أبو الحسين الصوفي ، فحين سمعت الكلام حدثت لي في نفسي في الحال قوة لم يكن من قبل ، فقلت : أقعدوني ، فجاء الغلمان فأمسكوني حتى جلست على الفراش ، وقلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث ، فقد قويت نفسي فأعاده فتولدت لي شهوة الطعام فاستدعيت الأطباء ، فأشاروا بتناول غذاء وصفوه عمل في الحال وأكلته ، ولم تنقض الحال في اليوم حتى بان لي في الصلاح أمر عظيم ، و أقبلت العافية فركبت و عاودت عاداتي في اليوم الذي قال أبو الحسين في المنام أن أركب فيه ، و كان عضد الدولة يحدّثني وأبو الحسين يقول : كذا والله كان ، وكذا قلت لمولانا ، و : أعيذ بالله ما أحسن حفظه وذكر ماجرى حرفاً بحرف . ثم قال : ما فاتني في نفسي من هذا المنام شيء ، كنت أشتهي الأشياء ، كنت أشتهي أن يكون فيه مثبتاً و شيئاً [كنت] أشتهي أن لا يكون فيه . فقلت : يبلغ الله مولانا آماله و يحدث له كل ما يسرّ به ، و يصرف عنه كل ما لا يؤثر كونه . ولم أزد على الدعاء ، فعلم غرضي و قال : أمّا الذي كنت أشتهي أن لا يكون فيه فهو أنه وقف على أنني أملك حلباً ، ولو كان عنده أنني أملك شيئاً مما تجاوز حلباً لقاله ، و كأنني أخاف أن يكون هذا غاية حدثي من تلك الناحية ، حتى أنه جاءني الخبر بأن سيف الدولة أظهر الدعوة لي بحلب و أعماله ، و دخل تحت طاعتي ، فذكرت المنام فتنفّص عليّ لأجل هذا الاعتقاد . و أمّا الذي كنت أشتهي أن يكون فيه فهو أنني أعلم من هذا الذي يملك من ولدي ، و يستقلّ (١) الملك على يديه ، فدعوت له و قطعت الحديث بعدها بنحو سنتين ، و ما تجاوزت دعوته أعمال حلب بوجه ولا سبب .

قال : و روى الحاكم النيسابوري في تاريخه بإسناده عن النبي ﷺ قال : بعث تبّع إلى مكة لنقل البيت إليه ، قال : فابتلي بجسده فقال لمنجميه : انظروا فنظروا فقالوا : لملك أردت بيت الله بشيء ، قال : نعم ، أردت أن ينقل إليّ ، قالوا إذاً لا يكون ، ولكن اكسه وردّهم من ذلك ، فردّهم عن ذلك و كساه فبرأ (انتهى

(١) يستقر (ظ) .

ما أردت إيراده من كلاه السيد - ره - .

و سأل السيد مهنا بن سنان العلامة - ره - : ما يقول سيدنا فيما يقال : إن كسوف الشمس بسبب حيلولة جرم القمر بينه وبين الشمس ، وإن سبب خسوف القمر حيلولة الأرض ، ويدل على ذلك ما يخبر به أهل التقويم فيطابق أخبارهم ؟ وإذا كان الأمر على هذه الصورة فلِمَ أمرنا بالخوف عند ذلك والفرع إلى الدعاء والصلاة في المساجد ؟ فأجاب - ره - : استناد الكسوف والخسوف إلى ما ذكره - آدم الله أيامه - مستند إلى الرصد ، وهو أمر ظني غير يقيني ، ولو سلم لم يضر في التكليف بالصلاة وسؤال الله في رد النور^(١) ويجوز أن يكون هذا الحادث سبباً لتجدد حادث في الأرض من خير أو شر ، فجاز أن يكون العبادة رافعة لمانيط بذلك الحادث من الشر والخوف بسبب ذلك .

ثم سأل عن أخبار المنجمين وأصحاب الرمل بالأشياء المغيبة ، فأجاب بأن هذا كله تخمين لاحقيقة له ، وما يوافق قولهم من الحوادث فإنه يقع على سبيل الاتفاق ، و علم الرمل ينسب إلى إدريس عليه السلام وليس بمحقق ، ولكنه جرى لنا وقائع غريبة عجيبة وامتحانات طابقت حكمه ، لكن لا يثمر ذلك علماً محققاً (انتهى) .
و أقول : إذا أحطت خبراً بما تلونا عليك من الأخبار و الأقوال لا يخفى عليك أن القول باستقلال النجوم في تأثيرها بل القول بكونها علّة فاعلية بالإرادة والاختيار وإن توقّف تأثيرها على شرائط كفر ومخالفة لضرورة الدين^(٢) ، والقول بالتأثير الناقص يحتمل وجهين : الاول : تأثيرها بالكيفية كحرارة الشمس وإضاءتها وسائر الكواكب و تبريد القمر ، فلا سبيل إلى إنكار ذلك ، لكن الكلام في أنها

(١) لم يضر بالأخبار بحسن الصلاة والدعاء في رد النور (خ)

(٢) القول بكون الكواكب حية مريدة مختارة مؤثرة في العالم الارضى خطأ لكنه لا يوجب الكفر ، إلا أن يعتقد أنها واجبة الوجود وليس فوقها مؤثر ، أو أن الله لا يقدر على منعها من التأثير ، قال الشهيد في القواعد على ما حكى عنه المؤلف ، وإن اعتقد أنها - بمعنى الكواكب - تفعل الانار الغنوسية إليها والله سبحانه هو المؤثر الاعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطيء ، اذ حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي وبعض الاشعرية يكفرون هذا (الخ) وعلى هذا فدعوى كون هذا القول مخالفاً لضرورة الدين كما ترى .

مؤثرات أو معدّات لتأثير الربّ سبحانه ، أو أنّه تعالى أجرى العادة بخلق الحرارة أو الضوء عقيب محاذة الشمس مثلاً ، والأكثر على الأخير . والثاني كون حركاتها وأوضاعها ومقارناتها واتصالاتها مؤثرة ناقصة في خلق الحوادث على أحد الوجوه الثلاثة المتقدمة ، فلا ريب أن القول به فسق وقول بما لا يعلم ، ولادليل يدلّ عليه من عقل ولا نقل ، بل ظواهر الآيات والأخبار خلافاً ، والقول ، به جرأة على الله . وأما أنّه ينتهي إلى حدّ الكفر فيشكل الحكم به ، وإن لم يكن مستبعداً . والكراحيكي - ره - لم يفرّق فيما مرّ بين هذا الوجه والوجه الأوّل ، وإنّما النزاع في الثاني دون الأوّل . وأمّا كونها أمارات وعلامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث في عالم الكون والفساد ، فغير بعيد عن السداد ، وقد عرفت أنّ كثيراً من الأخبار تدلّ على ذلك ، وهي إمّا مفيدة للعلم العادي لكنّه مخصوص ببعض الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ومن أخذها منهم لأنّ الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلائلهم وحي أو إلهام والإحاطة بجميع الشرائط والموانع والقوابل مختصة بهم ، أو مفيدة للظنّ ووقوع مدلولاتها مشروط بتحقيق شروط ورفع موانع ، وما في أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلاً أو بعضه منه لكنّه غير معلوم بخصوصه ، ولا يفيد العلم قطعاً ، وإفادته نوعاً من الظنّ مشكوك فيه .

و أمّا تعليمه وتعلّمه والعمل به فأقسام : منها استخراج التقاويم والإخبار بالأمور الخفية أو المستقبلية وأخذ الطوالع والحكم بها على الأعمار والأحوال ، و الظاهر حرمة ذلك لشمول النهي له ، وما ورد أنّها دلالات وعلامات لا يدلّ على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع ذلك من المعصومين عليهم السلام ، وما دلّ على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفة ، و يمكن حمل بعضها على التقيّة بشيوع العمل بها في زمن خلفاء الجور والسلطين في أكثر الأعصار ، وتقرّب المنجمين عندهم ، وربما يومئذ بعض الأخبار إليه ، ويمكن حمل أخبار النهي على الكراهة الشديدة ، والجواز على الإباحة ، أو حمل أخبار النهي على ما إذا اعتقد التأثير ، والجواز على عدمه كما فعله السيّد بن طاووس - ره - وغيره ، لكنّ الأوّل أظهر وأحوط .

ومنها الاعتناء بالساعات المسعودة والمنحوسة واختيار الأوتلة لارتكاب الأعمال والشروع فيها ، والاحتراز عن الثانية ، وهذا أيضاً يحتمل الكراهة والحرمة ، و ما ورد من رعية العقرب والمحاق في التزويج والسفر فلا دلالة فيه على العموم مع أنك قد عرفت أن اصطلاح البروج في الأخبار الظاهر أنه غير اصطلاح المنجمين وأما سعادة الكواكب والبروج ونحوستها فتحتمل الأخبار الواردة فيها أمرين : أحدهما أن يكون لها سعادة ونحوسة واقعية ، لكن ترتفع النحوسة بالتوكل والدعاء والصدقة والتوسل بالله تعالى ، ونحن إنما أمرنا بتلك الأمور لا برعاية الساعات ، وثانيهما أن يكون تأثيرها من جهة الطيرة لما اشتهر بين الناس من نحوسة تلك الساعات ، وإنما يتأثر بها من يتأثر من الطيرة ممن ضعف توكلهم واعتمادهم على ربهم ، ولهم عقول ضعيفة ، و نفوس دنيئة يتأثرون بأدنى شيء ، و يومئذ إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام عند خبر المنجم « اللهم لا طير إلا طيرك » فعلى الوجهين الأولى لمن قويت نفسه وصدق في توكله على ربه أن لا يلتفت إلى أمثال ذلك ، و يتوسل بجنابه تعالى في جميع أموره ، و يطلب منه الخيرة ، وقد روي عن الصادق عليه السلام أن الطيرة على ما تجعلها ، إن هو نقها تهوت ، و إن شدتها تشددت و إن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً . و عنه عن آبائه عليهم السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها ، و كما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون . و سيأتي القول فيها في الباب الآتي .

و منها تعليم هذا العلم بوجهيه المتقدمين وتعلمه والنظر والتفكير فيه ، و هو أيضاً يحتمل الحرمة والكراهة ، و احتمال الكراهة هنا أقوى مما سبق .

و منها علم الهيئة والنظر في هيئات الأفلاك وحركانها ، و جوازه لا يخلو من قوة إذا لم يعتقد فيه ما يخالف الآيات و الأخبار كتطابق الأفلاك ، و لم يجزم بما لا برهان عليه ، وإنما قال به على سبيل الاحتمال . و أما ما ذكره الشهيد - ره - من استحباب النظر في علم الهيئة فإنما هو إذا ثبتت مطابقة قواعده لما هي عليها في

نفس الأمر ، و عدم اشتماله على قاعدة مخالفة لما ظهر من الشريعة ، و إلا فيكون بعضها داخلاً في القول بغير علم ، أو فيما حرم اتباعه لمخالفة الشريعة وأما الآيات الدالة على التفكر في خلق السماوات والأرض فالظاهر أن المراد بها التفكر فيها من جهة دلالتها على وجود الصانع و علمه و قدرته و حكمته ، لإمن جهة نضدها و ترتيبها و كيفيات حرركاتها ، و إن احتمل شمولها لها أيضاً .

و منها الحكم بالكسوف و الخسوف و أوائل الأهلّة و المحاقق و أشباه ذلك فالظاهر جوازها و إن كان الأحوط اجتناب ذلك أيضاً ، فإن الأحكام الشرعية فيها مبتنية على الرؤية لا على أحكام المنجمين بذلك . و بالجملة ينبغي للمتدين المنتسب لأهل بيت العصمة عليهم السلام المدعي لكونه شيعة لهم مقتدياً آثارهم أن لا يتعرض لشيء من ذلك إلا في قليل منه يتعلّق بمعرفة أوقات الصلوات و سائر العبادات ، و تعيين جهة القبلة و أشباه ذلك ، ولو كانت هذه العلوم و الأعمال مما له مدخلة في صلاح الدين لأمرنا عليهم السلام شيعتهم بذلك ، و رغبتهم فيها ، و حشوتهم عليها و علموهم قواعدها ، ولم ينقل من عادة أهل البيت عليهم السلام و سيرتهم الرجوع إلى الساعات و استعمالها ، أو بيانها لشيعتهم ، و احترازهم عن ساعة بسبب أنها نحس بحسب النجوم ، بل كانوا يأمرونهم بالصدقة و الدعاء و التضرع و التوسل إلى الله سبحانه في الاحتراز عن البلايا و الآفات ، و المنحوسة من الساعات ، و في هذه الأزمان تركوا جميع ذلك و اكتفوا بالرجوع إلى التقاويم و أصحاب النجوم ، و اتكّلوا عليها . و أيضاً لعلمهم بأخبار المنجمين بأوقات الكسوفات و الخسوفات لا يحصل لهم في وقوعها فزع ، و لا يتضرعون إلى الله في رفعها و دفع شرّها ، مع أنه يصير في أكثر الناس سبباً للمقول بتأثير النجوم و حياتها و تدبيرها في العالم ، أعاذنا الله و سائر المؤمنين من ذلك ، و إنما أظننا الكلام قليلاً في هذا المقام لكثرة ولوع الناس بهذا العلم و العمل به ، و تقرّبهم إلى الملوك بذلك ، فيوقعون الناس به في المهالك ، والله العاصم من فتن المبتدعين ، و الهادي إلى الحقّ واليقين .

﴿ باب آخر ﴾

﴿ في النهي عن الاستمطار بالانواء و الطيرة و العدوى ﴾

الآيات :

النمل : قالوا اطيّرنا بك و بمن معك قال طائر كم عند الله بل أنتم قوم تفتنون (١) .

يس : قالوا إنّنا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجنكم و ليمسّنكم منّا عذاب أليم قالوا طائر كم معكم أئنّ ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون (٢) .
الواقعة : و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٣) .

تفسير : « قالوا اطيّرنا بك و بمن معك » أي تشأنا بكم إذ تتابعنا علينا الشدائد من القحط وغيره ، و وقع بيننا الافتراق بما اخترعتم من دينكم « قال طائر كم » أي سببكم الذي جاء منه شرّكم « عند الله » وهو قضاؤه و قدره ، أو أعمالكم السيئة المكتوبة عنده « بل أنتم قوم تفتنون » أي تختبرون بتعاقب السراء والضراء وفيه دلالة على أنّه لأصل للطيرة ، و أنّ ما يقع من الخير و الشرّ بقدر الله مترتباً على الأعمال الحسنة و السيئة ، كما قال : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (٤) » قال صاحب الكشاف : كان الرجل يخرج مسافراً فيمرّ بطير فيزجره و إن مرّ سانحاً تيمّن ، و إن مرّ بارحاً تشأّم ، فلما نسبوا الخير و الشرّ إلى الطائر استعير لما كان سبباً للخير و الشرّ وهو قدر الله و قسمته .

« إنّنا تطيّرنا بكم » قال البيضاوي : تشأنا بكم ، وذلك لاستغرابهم ما دعوهم

(١) النمل : ٤٧ .

(٢) يس ، ١٨ ، ١٩ .

(٣) الواقعة ، ٨٢ .

(٤) الشورى : ٣٠ .

واستقباحهم له وتفقدهم عنه « لئن لم تنتهوا » عن مقاتلتكم هذه « طائر كم معكم » سبب شومكم معكم ، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم « أئن ذكركم » وعظمت به ، وجواب الشرط محذوف مثل « تطيرتم » أو « توعدتم بالرجم والتعذيب » « بل أنتم قوم مسرفون » قوم عادتكم الإسراف في العصيان ، فمن ثم جاءكم الشوم ، أو في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به (١) .

« وتجعلون رزقكم » قال الطبرسي - ره - : أي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم أنكم تكذبون به ، وقيل : وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال : أصاب الناس عطش في بعض أسفاره فدعا صلى الله عليه وسلم فسقوا ، فسمع رجلاً يقول : مطرنا بنوء كذا ، فنزلت الآية . وقيل : معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به ، عن الحسن (٢) وقرأه علي عليه السلام وابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم « وتجعلون شكركم » (٣) ، فالمعنى : تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب ، وقد يكون المعنى : وتجعلون شكر رزقكم التكذيب (٤) ، قال ابن جني : هو على « وتجعلون بدل شكركم » (٥) .

١ - تفسير علي بن ابراهيم : عن محمد بن أحمد بن ثابت ، عن الحسن بن محمد بن سماعة وأحمد بن الحسن القرظي ، جميعاً عن صالح بن خالد ، عن ثابت بن شريح عن أبان بن تغلب ، عن عبد الأعلی الثعلبي ، ولأراني إلا وقد سمعته من عبد الأعلی عن أبي عبد الرحمن السلمی أن علياً عليه السلام قرأ بهم الواقعة « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون » فلمّا انصرف قال : إنني قد عرفت أنه سيقول قائل : لم قرأها هكذا قراءتها ، إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها كذلك ، وكانوا إذا مطروا قالوا . مطرنا

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٣٠٩

(٢) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢١٦ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٢٣ .

(٤) في المصدر : فهو حذف المضاف وقال .

(٥) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .

بنوه كذا وكذا ، فأنزل الله « وتجعلون شكركم أنتم تكذبون ^(١) » .

٢ - وعن علي بن الحسين ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله « وتجعلون رزقكم أنتم تكذبون » قال : بل هي « وتجعلون شكركم أنتم تكذبون ^(٢) » .

توضيح : قوله « ولا أراني » كلام ثابت ، أي أظن أني سمعت الحديث من عبد الأعلى بغير توسط أبان . وقال الجزري في النهاية : فيه : ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، والأنواء . وقد تكرر ذكر النوء والأنواء في الحديث ومنه الحديث « مطرنا بنوء كذا » والأنواء هي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمري في كل ليلة في منزلة منها ، ومنه قوله تعالى « والقمر قد رنا منازل » يسقط في المغرب كل ثلاث عشر ليلة منزلة مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابلتها ^(٣) ذلك الوقت في المشرق ، فتقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر ، وينسبونه إليها ، فيقولون : مطرنا بنوء كذا ، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق : يقال : ناء بنوء نوء أي نهض وطلع ، وقيل : أراد بالنواء الغروب وهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : لم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع . وإنما غلظ النبي صلى الله عليه وآله في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر إليها ، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أي في وقت كذا وهو هذا النواء الفلاني فإن ذلك جائز ، أي أن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات ^(٤) (انتهى) وقال ابن العربي : من انتظر المطر منها على أنها فاعلة من دون الله أو يجعل الله شريكاً فيها فهو كافر ، ومن انتظره منها على إجراء العادة فلا شيء عليه . وقال النووي : لكنه يكره لأنه شعار الكفر وموهم له .

(٢١) تفسير على بن إبراهيم القمي : ٦٦٣ .

(٣) في المصدر ، مقابلها - بالنسب على الظرفية - .

(٤) النهاية : ج ٤ ، ص ١٧٨ .

٣ - معاني الاخبار : عن ابن عقدة^(١) ، عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : ثلاثة من عمل الجاهلية : الفخر بالانساب ، والظعن في الاحساب والاستسقاء بالانواء .

قال الصدوق - ره - : أخبرني محمد بن هارون الزنجاني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن أبي عبيد أنه قال : سمعت عدة من أهل العلم يقولون : إن الانواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمان السنة كلها ، من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمي ، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة ، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بد أن يكون عند ذلك رياح ومطر ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا ، و الدبران ، و السماك ، و ما كان من هذه النجوم فعلى هذا ، فهذه هي الانواء واحدها « نوء » و إنما سمّي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع ، و هو بنوء نوءاً وذلك النهوض هو النوء ، فسمّي النجم به ، وكذلك كل ناهض ينتقل بابطاء فإنه بنوء عند نهوضه ، قال الله تبارك و تعالی « لتنوء بالعصبة أولي القوة ^(٢) » .

٤ - و منه : عن محمد بن هارون الزنجاني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن

(١) في المصدر ، احمد بن زياد بن جعفر الهمداني عن علي بن ابراهيم . و ابن عقدة هو احمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي الثقة المتوفى سنة (٣٣٣) ويمكن روايه الصدوق - ره - عنه لانه تولد سنة (٣٠٥) وكان عند وفاة « ابن عقدة » ابن ثمانية وعشرين ، و إن لم يذكر في مشايخه ، والله العالم .

(٢) القصص ، ٧٦ . معاني الاخبار ، ٣٢٦ .

أبي عبيد القاسم بن سلام بأسانيد متصلة إلى النبي ﷺ قال : نهى ﷺ عن ذبائح الجن ، و ذبائح الجن أن يشتري الدار أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك فيذبح له ذبيحة للطيرة .

قال أبو عبيد : معناه أنهم كانوا يتطيرون إلى هذا الفعل مخافة إن لم يذبحوا أو يطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن ، فأبطل النبي ﷺ هذا و نهى عنه (١) .
 ٥ - و قال ﷺ لا توردن (٢) ذوعاهة على مصحح . يعني الرجل يصيب إبله الجرب أو الداء ، فقال لا توردتها (٣) على مصحح ، و هو الذي إبله و ماشيته صحاح بريئة من العاهة . قال أبو عبيد : وجهه عندي - والله أعلم - أنه خاف أن ينزل بهذه الصحاح من الله عز وجل ما نزل بتلك ، فيظن المصحح أن تلك أعدتها ، فيأثم في ذلك (٢) .

٦ - الخصال : عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي ، عن سليمان بن جعفر البصري ، عن عبدالله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آباءه ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة لا تزال في أمتي إلى يوم القيامة : الفخر بالأحساب و الطعن في الأنساب ، و الاستسقاء بالنجوم ، و النياحة (٤) (الخبر) .

٧ - الخرائج : روي أنه في وقعة تبوك أصاب الناس عطش ، فقالوا : يا رسول الله لودعوت الله لسقانا ، فقال ﷺ : لودعوت الله لسقيت ، قالوا : يا رسول الله ادع لنا ليسقينا ، فدعا ، فسالت الأودية ، فاذا قوم على شفير الوادي يقولون : مطرنا بنوء الذراع ، وبنوء كذا . فقال رسول الله ﷺ : ألا ترون ؟ فقال خالد : ألا أضرب أعناقهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : يقولون هكذا وهم يعلمون أن الله أنزله .

(١) معاني الاخبار : ٢٨٢ .

(٢) في المصدر : لا يوردن .

(٣) > ، لا يوردنها .

(٤) الخصال ، ١٠٥ .

بيان : يدل على حرمة هذا القول أو الكراهة الشديدة ، وأنه لا يصير سبباً للكفر مع عدم الاعتقاد بكونها مؤثرة ، وأن هذا الاعتقاد كفر يوجب الارتداد واستحقاق القتل .

٨ - العياشي : عن يعقوب بن شعيب ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ^(١) » قال : كانوا يقولون : نمطر بنوء كذا و بنوء كذا ، و منها أنهم كانوا يأتون الكهّان فيصدّقونهم بما يقولون . بيان : قال الطبرسي - ره - في قوله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » : اختلف في معناه على أقوال : أحدها أنهم مشركوا قريش ، كانوا يقرّون بالله خالقاً و محيّياً و مميتاً ، ويعبدون الأصنام ويدعونها آلهة ، عن ابن عباس و ثانيها أنها نزلت في مشركي العرب ، إذا سئلوا : من خلق السماوات والأرض و ينزل القطر ؟ قالوا : الله ، ثم هم يشركون ، كانوا يقولون في تليبتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هوك ، تملكه و ماملك . و ثالثها أنهم أهل الكتاب ، آمنوا بالله و اليوم الآخر و التوراة و الإنجيل ثم أشركوا بإنكار القرآن و إنكار نبوة نبينا عليه السلام و هذا القول مع ما تقدم رواه دارم بن قبيصة ، عن الرضا عن جده أبي عبد الله عليه السلام و رابعها أنهم المنافقون ، يظهرون الإيمان و يشركون في السرّ و خامسها أنهم المشبهة ، آمنوا في الجملة و أشركوا ^(٢) بالتفصيل ، عن ابن عباس أيضاً . و سادسها أن المراد بالاشراك شرك الطاعة لاشرك العبادة ، أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها ممّا أوجب الله عليها النار ، فأشركوا بالله في طاعته ، ولم يشر كوا في ^(٣) عبادته ، فيعبدون معه غيره ، عن أبي جعفر عليه السلام . و روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : قول الرجل لولافلان لهلكت و لولافلان لضع عيالي جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه و يدفع عنه . فقيل له : لو قال : لولأن من الله علي بفلان

(١) يوسف : ١٠٦ .

(٢) في المصدر ، في التفصيل ، و روي ذلك عن ابن عباس أيضاً .

(٣) ، ولم يشر كوا بالله شرك عبادة .

لهلكت ، قال لأبأس بهذا . وفي رواية زرارة و محمد بن مسلم وجران عنهما عليهما السلام أنه
شرك النعم ، و روى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنه شرك لا
يبلغ به الكفر ^(١) (انتهى) و أقول : ما ورد في الخبر قريب من الوجه الأخير ، و
يدل على حرمة الاعتقاد بالنجوم و الكهانة .

٩ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب
عن النضر بن قرواش الجمال ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجمال يكون بها
الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن يعديها جربها ، و الدابة ربما صفرت لها حتى
تشرب الماء ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول
الله ، إنني أصيب الشاة و البقرة و الناقة بالثمن اليسير و بها جرب ، فأكره شراءها
مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي و غنمي . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أعرابي
فمن أعدى الأول ؟ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا
شؤم ، ولا صفر ، ولا رضاع بعد فصال ، ولا تعرب بعد هجرة ، ولا صمت يوماً إلى
الليل ، ولا طلاق قبل نكاح ، ولا عتق قبل ملك ، ولا يتم بعد إدراك ^(٢) .

إيضاح : قوله صلى الله عليه وآله « لا عدوى » قال في النهاية : فيه : « لا عدوى ولا صفر »
العدوى اسم من الإعداء كالدعوى و التقوى من الإدعاء و الاتقاء ، يقال : أعداء

(١) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ .

(٢) روضة الكافي : ١٩٦ . أقول ، المراد بنفى العدوى ان مخالطة المرضى ليست علة
تامة مستقلة في سراية الامراض ، وان كانت مؤثرة كان تأثيرها ناقصاً و منوطاً باذن الله و مشيئة .
و بمباراة اخرى الغرض من هذا البيان انه لا ينبغي للموحدان بسند الفعل إلى غير الله تعالى ، لا
أنه ليس لغيره أى تأثير حتى مع تسببه تعالى و جعله اياه مؤثراً . و مثل ذلك الشفاء ، فان الله
سبحانه هو الذي يبرىء و يشفى ، ولا يستلزم ذلك عدم تأثير الدواء ، لانه تعالى هو الذى جعل
الدواء مؤثراً ، فالفعل بحسب الحقيقة مستند اليه ، و على هذا فلا منافاة بين هذا الحديث و بين
ما ثبت في الطب و الحديث من سراية بعض الامراض بواسطة المخالطة . مضافاً إلى ان سببية ذلك
انما هو على سبيل الاقتضاء أو الاعداد وربما يمنع عن تأثيره مانع ظاهرى كبعض الادوية أو غير
ظاهرى كالادعاء و التوسل و نحوهما والله عز و جل هو مسبب الاسباب و هو على كل شيء قدير .

الداء يعديه إعداء ، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء ، و ذلك أن يكون بعبير جرب مثلاً فتتقى مخالطته بإبل أخرى حذراً أن يتعدى إليها ما به من الجرب فيصيبها ما أصابه ، وقد أبطله الإسلام ، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس الأمر كذلك ، وإنما الله تعالى هو الذي يمرض و ينزل الداء ، ولهذا قال في بعض الأحاديث : فمن أعدى البعير الأول ؟ أي من أين صار فيه الجرب (١) (انتهى) .

و أقول : يمكن أن يكون المراد نفي استقلال العدوى بدون مدخلة مشيته تعالى ، بل مع الاستعاذة بالله يصرفه عنه ، فلا ينافي الأمر بالفرار من المجدوم وأمثاله لعامة الناس الذين لضعف يقينهم لا يستعيذون به تعالى ، و تتأثر نفوسهم بأمثاله . وقد روي أن علي بن الحسين عليهما السلام أكل مع المجدومين و دعاهم إلى طعامه و شاركهم في الأكل ، مع أنه يمكن أن يكون من خصائصهم عليهم السلام لأن الله يعصمهم عن الأمراض المشينة التي توجب نفرة الناس عنهم ، وقيل : الجذام مستثنى من هذه الكلية ، أي عدم العدوى . و قال الطيبي في شرح المشكوة : العدوى مجاوزة العلة أو الخلق إلى الغير ، وهو بزعم الطب في سبع : الجذام والجرب والجدرى والحصبة و البخرو الرمد و الأمراض الوبائية ، فأبطله الشرع أي لا تسري علته إلى شخص و قيل : بل نفي استقلال تأثيره بل هو متعلق بمشية الله تعالى ، ولذا منع من مقارنته كمقاربة الجدار المائل و السفينة المعيبة ، و أجاب الأوتون بأن النهي عنها للشفقة خشية أن يعتقد حقيقته إن اتفق إصابة عاهته ، و أرى هذا القول أولى لما فيه من التوفيق بين الأحاديث والأصول الطبية التي ورد الشرع باعتبارها على وجه لا يناقض أصول التوحيد (انتهى) .

و ولا طيرة « هذه أيضاً مثل السابقة ، و المراد به النهي عن التطير و التثؤم بالأموار التي يحترز منها العوام ، أو لتأثير للطيرة مطلقاً ، أو على وجه الاستقلال بل مع قوة النفس وعدم التأثير بها والتوكل على الله تعالى يرتفع تأثيرها ، ويؤيد

الأخير ماسياتي وما ورد في بعض الأخبار الدالة على تأثيرها في الجملة ، وما ورد في بعض الأدعية من الاستعاذة منها . قال الجزري في النهاية : الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشؤم بالشيء ، وهو مصدر تطير ، يقال : تطير طيرة كتحبير خيرة ، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما ، وأصله فيما يقال : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، فكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم فنقاه الشرع وأبطله ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ودفع ضرر ، و منه الحديث « ثلاث لا يسلم ^(١) منها أحد : الطيرة ، والحسد ، والظن » ، قيل : فما نصنع؟ قال : إذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقّق ^(٢) . وقال في قوله « ولاهامة » الهامة الرأس واسم طائر وهو المراد في الحديث ، و ذلك أنهم كانوا يتشائمون بها ، وهي من طير الليل وقيل هي البومة ، وقيل : إن العرب كانت تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقوني ، اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت ، وقيل : كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة ويسمونه « الصدى » فنقاه الإسلام و نهاهم عنه ^(٣) (انتهى) وقيل : هي البومة إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له أو لبعض أهله ، وهو بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديدها .

وقوله « ولا شؤم » هو كالتأكيّد لما سبق ، قال الجزري فيه أيضاً : قال إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاث : المرأة ، والدار ، والفرس . أي إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاث ، وتخصيصه لها لأنه لما أطل مذهب العرب في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ، ونحوهما قال : فإن كانت لأحدكم دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره ارتباطها فليغارقها ، بأن ينتقل عن الدار ويطلق المرأة ، ويبيع الفرس . وقيل : إن شوم الدار ضيقها و سوء جارها ، وشوم

(١) في المصدر ، لا يسلم منهن أحد .

(٢) النهاية ، ج ٣ ، ص ٥١ .

(٣) النهاية : ج ٤ ، ص ٢٥٨ .

المرأة أن لا تلد ، وشوم الفرس أن لا يفزى عليها و الواو في الشؤم همزة ولكنها خففت فصارت واواً و غلب عليها التخفيف ، حتى لم ينطق بها مهموزة . والشوم ضد اليمن ، يقال : تشأمت بالشيء و يتمنت به ^(١) (انتهى) و قيل : شوم المرأة غلاء مهرها وسوء خلقها ، و قال الخطابي من العامة : هو مستثنى من الطيرة ، أي هي منهية إلا في الثلاثة فليفارقها . و قال الطيبي : ليس هو من باب التطير ، بل إرشاد بأن من يكره واحداً من الثلاثة يفارقها ، ولذا جعل منه فرساً يقول إن يكن الطيرة (انتهى) .

وأقول : هذا الأخير أظهر ، وورد الخبر في أخبارنا أيضاً كما سيأتي في كتاب النكاح إن شاء الله .

« ولا صفر » قال في النهاية : كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال له « الصفر » تصيب الإنسان إذا جاع و تؤذيه ، و أنها تعدي ، فأبطل الإسلام ذلك و قيل : أراد به النسبي الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، و هو تأخير المحرم إلى صفر ، و يجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله ^(٢) (انتهى) و قيل : هو الشهر المعروف ، زعموا أنه تكثر فيه الدواهي والفتن ، فنقاه الشارع ، و يحتمل أن يكون المراد هنا النهي عن الصفر ، بقرينة أنه ﷺ لم يذكر الجواب عنه وهو بعيد ، و الظاهر أن الراوي ترك جواب الصفر ، و يظهر من بعض الأخبار كراهته .

« ولا رضاع بعد [فصال] » و في سائر الروايات « بعد [فطام] أي لا حكم للرضاع بعد الزمان الذي يجب فيه قطع اللبن عن الولد ، أي بعد الحولين فلا ينشر الحرمة . « ولا تعرب بعد هجرة » أي لا يجوز اللحوق بالأعراب و ترك الهجرة بعدها ، و عد في كثير من الأخبار من الكبراء . « ولا صمت يوماً إلى الليل ، أي لا يجوز التعبد بصوم الصمت الذي كان في الأمم السابقة ، فإنه منسوخ في هذا

(١) النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

الشرع بدعة « ولا طلاق قبل نكاح » كأن يقول : إذا تزوجت فلانة فهي طالق .
فلا يتحقق هذا الطلاق و كذا قوله « لا عتق قبل ملك » .
« ولا يُتَم بعد إدراك » أي ترتفع أحكام اليتيم من حجره و ولاية الولي عليه
و حرمة أكل ماله بغير إذن وليه وغيرها بعد بلوغه ، وستأتي تفاصيل تلك الأحكام
في محالها إن شاء الله تعالى .

١٠ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني
عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كفارة الطير التوكل ^(١) .
بيان : أي التوكل على الله يرفع ذنب ما خطر بالبال من التشؤم بالأشياء
التي نهي عن التشؤم بها ، أو أنه يرفع تأثير ذلك كما ترفع الكفارة تأثير الذنب
قال الجزري : « الطيرة شرك و ما منّا [إلا] و لكن الله يذهب
بالتوكل » هكذا جاء الحديث ^(٢) مقطوعاً ولم يذكر المستثنى ، أي إلا وقد يعتريه
التطير و تسبق إلى قلبه الكراهة ^(٣) فيحذف اختصاراً و اعتماداً على فهم السامع ، و
إنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو
يدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه ، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى في ذلك ، وقوله
« و لكن الله يذهب بالتوكل » معناه [أنه] إذا خطر له عارض التطير فتوكل على
الله تعالى وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله تعالى [له] ولم يؤاخذ به ^(٤) .

١١ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن
عمرو بن حريث ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : الطيرة على ما تجعلها ، إن هوّتها
تهوّنت ، و إن شدّتها تشدّدت ، و إن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً ^(٥) .

(١) روضة الكافي ، ١٩٨ .

(٢) في المصدر ، جاء في الحديث .

(٣) الكراهية (خ) .

(٤) النهاية : ج ٣ ، ص ٥٢ .

(٥) روضة الكافي ، ١٩٧ .

١٢ - و منه : عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي مالك الحضرمي عن حمزة بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة لم ينج منها نبيّ فمن دونه : التفكّر في الوسوسة في الخلق ، و الطيرة ، و الحسد ، إلا أن المؤمن لا يستعمل حسده (١)

١٣ - الخصال : عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس و محمد بن يعقوب العطار ، جميعاً عن محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري ، بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاث لم يعرف منها نبيّ فمن دونه : الطيرة ، و الحسد ، و التفكّر في الوسوسة في الخلق . قال الصدوق - ره - : معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطير منهم قومهم فأماهم عليهم السلام فلا يتطيرون ، و ذلك كما قال الله عزّ و جلّ عن قوم صالح « قالوا اطيّرنا بك و بمن معك قال طائر كم عند الله (٢) » و كما قال آخرون لأنبيائهم « إنّنا تطيّرنا بكم - الآية - (٣) » و أمّا الحسد في هذا الموضع هو أن يحسدوا لأنّهم يحسدون غيرهم ، و ذلك كما قال الله عزّ و جلّ « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً (٤) » و أمّا التفكّر في الوسوسة في الخلق فهو بلواهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك ، و ذلك كما حكى الله عن وليد بن المغيرة المخزوميّ « إنّهُ فكّر و قدّر فقتل كيف قدّر (٥) » يعني قال للمقرآن « إنّ هذا إلا سحر يؤثر إنّ هذا إلا قول البشر (٦) » . بيان : ما ذكره الصدوق - ره - وجه متين في الخبر الذي رواه في الخصال و أمّا سائر الأخبار المروية من طرق الخاصّة و العامّة المشتملة على التتمّات فهذا

(١) روضة الكافي ، ١٠٨ .

(٢) النمل ، ٣٧ .

(٣) يس : ١٨ .

(٤) النساء : ٥٣ .

(٥) المدثر ، ١٨ و ١٩ .

(٦) الخصال ، ٤٢ .

الوجه لا يجري فيها إلا بتكلف كثير ، والظاهر أن المراد بالطيرة فيها انفعال النفس عما يتشأم به ، أو تأثيرها واقعاً وحصول مقتضاها ، و الأول في المعصومين عليهم السلام أظهر ، بأن يخطر ببالهم الشريفة ثم يدفعوا أثرها بالتوكل ، وهذا لا ينافي العصمة و أما الحسد فظاهرها أن الحسد المر كوز في الخاطر إذالم يظهره إلا إنسان لم يكن معصيةً ولا استبعاد فيه ، فإنه في أكثر الخلق ليس باختيارى ، و يمكن أن يراد به ما يعم الغبطة و يكون هذه هي الحاصلة فيهم ، و أما التفكر في الوسوسة في الخلق فيحتمل وجهين : الاول أن يراد به التفكر فيما يحصل في نفس الإنسان في خالق الأشياء و كيفية خلقها ، و منها ربط الحادث بالقديم ، و خلق أعمال العباد و مسألة القضاء و القدر ، و التفكر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم ، كل ذلك من غير استقرار في النفس و حصول شك بسببها ، كما روى الكليني بإسناده عن محمد بن عمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوسوسة ^(١) فقال : لا شيء فيها تقول : لا إله إلا الله ^(٢) . و بإسناده عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له : إنه يقع في قلبي أمر عظيم ! فقال : قل : لا إله إلا الله ، فقال جميل : فكلمما وقع في قلبي شيء قلت لا إله إلا الله فذهب عني ^(٣) و بإسناده عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله هلكت ! فقال له : أتاك الخبيث فقال لك : من خلقك ؟ فقلت : الله ، فقال لك : الله من خلقه ؟ فقال : إي والذي بعثك بالحق لكان كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذاك والله محض الإيمان . قال ابن أبي عمير : فحدثت بذلك عبد الرحمن بن الحججاج فقال : حدثني ^(٤) أبو عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما عنى بقوله « هذا والله محض الإيمان » خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه ^(٥) و قدروت العامة

(١) في المصدر ، و ان كثرت .

(٢) الكافي ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٣) في المصدر ، حدثني أبي عن أبي عبد الله .

(٤) الكافي ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

في صحاحهم أنه سئل النبي ﷺ عن الوسوسة ، فقال : تلك محض الايمان ، و في رواية اخرى : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا و كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعد بالله و لينته .

الثاني أن المراد بالخلق المخلوقات ، وبالتفكر فيهم بالوسوسة التفكر وحديث النفس بعيوبهم و تفتيش أحوالهم ، و يؤيد هذا الوجه ما رواه الجزري في النهاية و نقلناه آنفا .

١٤ - الخصال : عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن سعد بن عبد الله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز بن عبد الله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : رفع عن أمتي تسعة : الخطاء ، و النسيان ، و ما أكرهوا عليه ، و ما لا يعلمون ، و ما لا يطيقون ، و ما اضطررنا إليه ، و الحسد ، و الطيرة و التفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة (١) .
الفقيه : عن النبي ﷺ مرسلًا مثله (٢) .

بيان : لعل قوله ﷺ « ما لم ينطق بشفة » قيد للثلاثة الأخيرة ، و قد مر شرح الخبر بتمامه في كتاب العدل .

١٥ - الكافي : عن عدة من أصحابه ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بكر بن صالح ، عن سليمان الجعفري ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : الشوم للمسافر (٣) في طريقه خمسة أشياء : الغراب النائق عن يمينه ، و الناشر لذنبه ، و الذئب العاوي الذي يعوي في وجه الرجل ، و هو مقع على ذنبه (٤) ثم (٥) يرتفع ثم ينخفض ثلاثاً و الظبي السانح عن يمين إلى شمال ، و البومة الصارخة ، و المرأة الشمطاء تلقي

(١) الخصال ، ٤٥ .

(٢) الفقيه ، ١٣ .

(٣) في الخصال : الشوم في خمسة للمسافر .

(٤) في المصدر ، على ذنبه يعوى .

(٥) في الخصال ، حتى يرتفع .

فرجها ، و الأتان العضباء - يعني الجدعاء - فمن أوجس في نفسه ممنه^(١) شيئاً فليقل : اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي^(٢) فيعصم من ذلك^(٣) .

الخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد مثله إلى قوله « من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك » .

بيان : « الشؤم للمسافر » أي ما يتشأم به الناس ، وربما تؤثر بتأثير النفس بها ، و يدفع ضررها بالتوكل و الدعاء المذكور في الخبر وغيره كما مر في الطيرة قوله عليه السلام « خمسة » كذا في الخصال و المحاسن و أكثر نسخ الفقيه ، و في بعضها « سبعة » و في بعضها « ستة » و في الفقيه « و الكلب الناشر » و في الخصال كالكافي « و الناشر » فيكون نوعاً آخر لشؤم الغراب ، و في المحاسن بدون الواو أيضاً فيكون صفة أخرى للغراب ، فقد ظهر أن الظاهر على بعض النسخ ستة ، و على بعضها سبعة ، فالخمس إما من تصحيف النسخ ، أو مبني على عدد الثلاثة المصوتة واحدة ، أو عدد الكلب و الذئب واحداً لأنهما من السباع ، و الغراب و البوم واحداً لأنهما من الطير ، و يمكن عطف المرأة على بعض النسخ و الأتان على بعضها على الخمسة ، فيكون أفراد الخمسة لشهرتها بينهم أو لزيادة شؤمها .

قوله عليه السلام « و هو مقع » يقال أقعى الكلب إذا جلس على إسته مفترشاً رجله و ناصباً يديه ، و الظاهر رجوع ضميري « يرتفع » و « ينخفض » إلى الذئب ، و يقال : إن هذا دأبه غالباً إذا لقي إنساناً يفعل ذلك لإثارة الغبار في وجهه ، و قيل : هما يرجعان إلى صوته أو إلى ذنبه ، و لا يخفى بعدهما . قوله عليه السلام « و الظبي السانح » قال في النهاية : البارح ضد السانح ، فالسانح ما مر من الطير و الوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، و العرب تميمن بذلك ، لأنه أمكن للرمي و الصيد و البارح ما مر من يمينك إلى يسارك ، و العرب تطيّر به ، لأنه لا يمكنك أن

(١) في الخصال : من ذلك .

(٢) في الكافي : قال : فيعصم من ذلك .

(٣) روضة الكافي ، ٣١٤ .

ترميهِ حتّى تنحرف^(١) و نحوه قال الجوهري " وغيره ، فالمراد بالسانح هنا المعنى اللغوي من قولهم « سنح له » أي عرض له و ظهر ، وقال الكفعمي - ره - : منهم من يتيمن بالبارح و يتشائم بالسانح كأهل الحجاز ، وأما النجديون فهم على العكس من ذلك .

« و المرأة الشمطاء » قال الجوهري : الشمط بياض شعر الرأس يخالطسواده و الرجل أشمط ، و المرأة شمطاء . و قوله « تلقي فرجها » الظاهر عندي أنه كناية عن استقبالها إياك و مجيئها من قبل وجهك ، فإن فرجها من قدامها . وقال الفاضل أمين الدين الاسترابادي - ره - : الظاهر أن المراد من قوله تلقاء فرجها أن تستقبلك بفرج خمارها فتعرف أنها شمطاء ، و قال غيره ممن لقينته : يحتمل أن يكون المراد افتراشها على الأرض من الإلقاء ، أو كناية عن كونها زانية ، و يحتمل أن يكون « تلتقى » فحذفت إحدى التائين ، فالمراد مواجبتها لفرجها بأن تكون جالسة بحيث يواجه الشخص فرجها ، ولا يخفى بعد تلك الوجوه وركاكتها . و الأتان العضباء : المقطوعة الأذن ، و لذا فسرها بالجدعاء لئلا يتوهم أن المراد المشقوقة الأذن . قال الجوهري : « ناقة عضباء أي مشقوقة الأذن^(٢) . و قال الفيروز آبادي : العضباء الناقة المشقوقة الأذن ، و من آذان الخيل الذي جاوز القطع ربعها^(٣) . وقال : الجدع كالمنع قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة^(٤) .

١٦ - الدر المنثور : عن ابن عباس : قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله فقال النبي ﷺ : أصبح من الناس شاكر و منهم كافر ، قالوا : هذه رحمة وضعها الله ، و قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا ، فنزلت هذه الآية « فلا

(١) النهاية ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٢) الصحاح ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٣) القاموس : ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٤) القاموس ، ج ٢ ، ص ١١ .

أقسم بمواقع النجوم ، حتى يبلغ (١) « و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٢) » .
 ١٧ - و عن ابن عباس أنه كان يقرء « و تجعلون شكركم أنكم تكذبون »
 قال : يعني الأ نواء ، و ما مطر قوم إلا أصبح بعضهم كافراً ، و كانوا يقولون مطرنا
 بنوء كذا و كذا ، فأ نزل الله « و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٣) » .

١٨ - و عن أبي خدرة قال : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة
 تبوك ، و نزلوا (٤) الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً ، ثم
 ارتحل ثم نزل منزلاً آخر و ليس معهم ماء ، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام
 فصلى ركعتين ثم دعا ، فأرسل الله سحابة فأمرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال
 رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق : و يحك ! قد ترى ما دعا النبي
 صلى الله عليه و آله فأمر الله علينا السماء ، فقال : إنما مطرنا بنوء كذا و كذا
 فأ نزل الله « و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٥) » .

١٩ - و عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ في قوله « و تجعلون رزقكم أنكم
 تكذبون » قال : شكركم ، تقولون : مطرنا بنوء كذا و كذا ، و بنجم كذا و
 كذا (٦) .

٢٠ - و عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قرأ علي الواقعة في الفجر فقال :
 « و تجعلون شكركم أنكم تكذبون » فلما انصرف قال : إنني قد عرفت أنه
 سيقول قائل : لم قرأها هكذا ؟ إنني سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها كذلك ، كانوا
 إذا مطروا (٧) قالوا : مطرنا بنوء كذا و كذا ، فأ نزل الله : و تجعلون شكركم
 أنكم إذا مطرتم به تكذبون (٨) .

(١) في المصدر : حتى بلغ .

(٢) (٣ و ٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

(٣) في المصدر : بالحجر .

(٤) (٥ و ٨) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٥) في المصدر : إذا مطروا .

٢١ - وعن قتادة « وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » قال (١) : أما الحسن فقال : بئس ما أخذ القوم لأنفسهم ! لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب . قال : وذكر لنا أن الناس أمحلوا على عهد نبي الله ﷺ فقالوا : يا نبي الله لو استقيت لنا ! فقال : عسى قوم أن سقوا أن يقولوا سقيننا بنوه كذا وكذا ، فاستسقى (٢) نبي الله ﷺ لهم فمطروا ، فقال رجل : إنه قد كان بقي من الأنواء كذا وكذا ، فأنزل الله « وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » (٣) .

٢٢ - وعن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : لو أمسك الله المطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة كافرين ! قالوا : هذه بنوء الدبران (٤) .

٢٣ - وعن زيد بن خالد الجهني ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح من (٥) الحديبية في أثر سماء (٦) فلما سلم أقبل علينا فقال : ألم تسمعوا ما قال ربكم في هذه الآية ؟ ما أنعمت على عبادي نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين فأما من آمن بي وحمدني على سقياي فذلك الذي آمن بي وكفر بالكوكب ، و من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذي آمن بالكوكب وكفر بي (٧) .

و عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنه يقول : إن الذين يقولون نستسقى (٨) بنجم كذا وكذا فقد كفر بالله و آمن بذلك النجم ، والذين يقولون سقانا الله فقد آمن بالله وكفر بذلك النجم (٩) .

(١) فقال (خ) ،

(٢) فاستسقى (خ) .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ١٦٣

(٤) في المصدر ، زمن الحديبية .

(٥) أي عقيب مطر .

(٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٤ .

(٨) في المصدر « نسقى » ، وفي بعض نسخ البحار « نستسقى » .

(٩) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٦٣

- ٢٥ - و عن عبد الله بن سخير أن سليمان بن عبد الملك دعاه فقال : لو تعلمت علم النجوم فازددت إلى علمك . فقال : قال رسول الله ﷺ : إن أخوف ما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم ، و التكذيب بالقدر ، و ظلم الأمة ^(١) .
- ٢٦ - وعن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أخاف على أمتي ثلاثاً : استسقاء بالأنواء ، و حيف السلطان ، و تكذيباً بالقدر ^(٢) .
- ٢٧ - و عن معاوية الليثي قال : قال رسول الله ﷺ : يكون الناس مجدين فينزل الله عليهم رزقاً من رزقه فيصبحون مشركين ! قيل له : كيف ذلك يا رسول الله قال : يقولون مطرنا بنوء كذا و كذا ^(٣) .
- ٢٨ - و عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء كذا و كذا ^(٤) .
- ٢٩ - و عن ابن عباس قال : ماطر قوم إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون : مطرنا بنوء كذا و كذا و قرأ ابن عباس « و تجعلون شكركم أنكم تكذبون » ^(٥) .

١٢

﴿ باب ﴾

﴿ ما يتعلق بالنجوم و يناسب أحكامها من كتاب ﴾

﴿ دانيال عليه السلام و غيره ﴾

- ١ - قصص الراوندي : بإسناده عن الصدوق ، عن الحسين بن علي الصوفي عن حمزة بن القاسم العباسي ، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري ، عن محمد بن الحسين بن زيد الزييات ، عن عمرو بن عثمان الخزاز ، عن عبد الله الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام قال : كان في كتاب دانيال عليه السلام أنه إذا كان أول يوم من المحرم يوم السبت فإنه يكون الشتاء شديد البرد كثير الريح ، يكثر فيه الجليد ، و تغلو

فيه الحنطة ، و تقع فيه الوباء و موت الصبيان ، و يكثر الحمى في تلك السنة ، و يقل العسل ، و تكسر الكماة ، و يسلم الزرع من الآفات ، و يصيب بعض الأشجار آفة و بعض الكروم ، و تخصب السنة ، و يقع بالروم الموتان ، و يغزوهم العرب ، و يكثر فيهم السبي والغنائم في أيدي العرب ، و يكون الغلبة في جميع المواضع للسلطان بمشيئة الله . و إذا كان يوم الأحد أوّل المحرم فانه يكون الشتاء صالحاً ، و يكثر المطر ، و يصيب بعض الأشجار و الزرع آفة ، و يكون أوجاع مختلفة و موت شديد و يقل العسل ، و يكثر في الهواء الوباء و الموتان ، و يكون في آخر السنة بعض الغلا في الطعام ، و يكون الغلبة للسلطان في آخره . و إذا كان يوم الاثنين أوّل المحرم فانه يكون الشتاء صالحاً ، و يكون في الصيف حرّ شديد ، و يكثر المطر في أيامه و يكثر البقر و الغنم ، و يكثر العسل و يرخص الطعام و الأسعار في بلدان الجبال و يكثر الفواكه فيها ، و يكون موت النساء ، و في آخر السنة يخرج خارجي على السلطان بنواحي المشرق ، و يصيب بعض فارس غم ، و يكثر الزكام في أرض الجبل و إذا كان يوم الثلاثاء أوّل المحرم فانه يكون الشتاء شديد البرد ، و يكثر الثلج و الجمد بأرض الجبل و ناحية المشرق ، و يكثر الغنم و العسل ، و يصيب بعض الأشجار و الكروم آفة ، و يكون بناحية المغرب و الشام آفة من حدث يحدث في السماء يموت فيه خلق ، و يخرج على السلطان خارجي قوي ، و تكون الغلبة للسلطان ، و يكون في أرض فارس في بعض الغلات آفة ، و تغلو الأسعار بها في آخر السنة . و إذا كان يوم الأربعاء أوّل المحرم فان الشتاء يكون وسطاً ، و يكون المطر في القيظ صالحاً نافعاً مباركاً ، و تكثر الثمار و الغلات بالجبال كلها و ناحية جميع المشرق ، إلا أنه يقع الموت في الرجال في آخر السنة ، و يصيب الناس بأرض بابل و بالجبل آفة ، و يرخص الأسعار ، و تسكن مملكة العرب في تلك السنة ، و يكون الغلبة للسلطان . و إذا كان يوم الخميس أوّل المحرم فانه يكون الشتاء ليئناً ، و يكثر القمح و الفواكه و العسل بجميع نواحي المشرق ، و تكثر الحمى في أوّل السنة و في آخره و بجميع أرض بابل في آخر السنة ، و يكون للروم على المسلمين غلبة ، ثم تظهر

العرب عليهم بناحية المغرب . و يقع بأرض السند حروب و الظفر لملوك العرب . و إذا كان يوم الجمعة أوّل المحرم فانه يكون الشتاء بلابرد ، و يقل المطر والأودية و المياه ، و تقل الغلات بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ ، و يكثر الموت في جميع الناس ، و يغلو الأسعار بناحية المغرب ، و يصيب بعض الأشجار آفة ، و يكون للروم على الفرس كربة شديدة .

✽ (في علامات كسوف الشمس في الاثني عشر شهراً) ✽

إذا انكسفت الشمس في المحرم فانه السنة تكون خصيبة ، إلا أنه يصيب الناس أوجاع في آخرها وأمراض ، و يكون من السلطان ظفر ، و يكون زلزلة بعدها سلامة . وإذا انكسفت في صفر فانه يكون فزع و جوع في ناحية المغرب ، و يكون قتال في المغرب كثير ، ثم يقع الصلح في الربيع و الظفر للسلطان . وإذا انكسفت في ربيع الأول فانه يكون بين الناس صلح ، و يقل الاختلاف و الظفر للسلطان بالمغرب ، و يعز البقر و الغنم ، و يتسع في آخر السنة ، و يقع الوباء في الإبل بالبدو . و إذا انكسفت في شهر ربيع الآخر فانه يكون بين الناس اختلاف كثير ، و يقتل منهم خلق عظيم ؛ و يخرج خارجي على الملك ، و يكون فزع و قتال ، و يكثر الموت في الناس . و إذا انكسفت في جمادى الأولى فانه تكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق و المغرب ، و يكون للسلطان إلى الرعيّة نظر ، و يحسن السلطان إلى أهل مملكته ، و يراعي جانيهم . و إذا انكسفت في جمادى الآخرة فانه يموت رجل عظيم بالمغرب ، و يقع ببلاد مصر قتال و حروب شديدة ، و يكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة و إذا انكسفت في رجب فانه تعمر الأرض ، و يكون أمطار كثيرة بالجبال و بناحية المشرق ، و يكون جراد بناحية فارس ولا يضرهم ذلك . و إذا انكسفت في شعبان يكون سلامة في جميع الناس من السلطان و يكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب ، و يقع وباء في الجبال في آخر السنة و يكون عاقبته إلى سلامة . و إذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون

عظيم فارس ، و يكون للروم على العرب كربة شديدة ، ثم يكون على الروم و يُسبى منهم و يُغنم . و إذا انكسفت في الشوال فإنه يكون في أرض الهند و الزنج قتال شديد ، و يكثر نبات الأرض بالمشرق . و إذا انكسفت في ذي القعدة فإنه يكون مطر كثير متواتر ، و يقع خراب بناحية فارس . و إذا انكسفت في ذي الحجة فإنه يكون فيه رياح كثيرة ، و ينقص الأشجار ، و يقع بالأرض من المغرب سبع و خراب في كل أرض من ناحية المغرب ، و ينقص الطعام و يغلو عليهم ، و يخرج خارجي على الملك و يصيبه منه شدة ، و يقل طعام أهل فارس ثم يرخص في العام الثاني .

﴿ في علامات خسوف القمر طول السنة ﴾

إذا انكسف القمر في المحرم فإنه يموت في المغرب رجل عظيم ، و ينتقص الفاكهة بالجبال ، و يقع في الناس حكة ، و يكثر الرمذ بأرض بابل ، و يقع الموت و يغلو أسعارها ، و يخرج خارجي على السلطان و الظفر للسلطان ، و يقتلهم و إذا انكسف في صفر فإنه يكون جوع و مرض ببابل و بلادها حتى يتخوف على الناس ثم تكون أمطار كثيرة فيحسن نبات الأرض و حال الناس ، و يكون بالجبال فاكهة كثيرة . و إذا انكسف في شهر ربيع الأول فإنه يقع بالمغرب قتال ، و يصيب الناس يرقان ، و يكثر فاكهة البلاد بناحية « ماه » و يقع الدود في البقول بالجبال ، و يقع خراب كثيرة بماه . و إذا انكسف في شهر ربيع الآخر فإنه يكثر الأنداء بالجبال و يكثر الخصب و المياه ، و تكون السنة مباركة ، و يكون للسلطان الظفر بالمغرب و إذا انكسف في جمادى الأولى فإنه تهراق دماء كثيرة بالبدو ، و يصيب عظيم الشام بليمة شديدة ، و يخرج خارجي على السلطان و الظفر للسلطان . و إذا انكسف في جمادى الآخرة فإنه تقل الأمطار و المياه بنيوى ، و يقع فيها جزع شديد و غلاء و يصيب ملك بابل إلى المغرب بلاء عظيم . و إذا انكسف في رجب فإنه يكون بالمغرب موت و جوع ، و يكون بأرض بابل أمطار ، و يكثر وجع [الأنف و] العين في الأمصار . و إذا انكسف في شعبان فإن الملك يقتل أو يموت و يملك ابنه ، و

يغلو الأسعار ، و يكثر جوع الناس . و إذا انكسف في شهر رمضان يكون بالجبل
برد شديد و ثلج و مطر ، و كثرت المياه ، و يقع بأرض فارس سباع كثيرة ، و يقع
بأرض « ماه » موت كثير بالصبيان و النساء . و إذا انكسف في شوال فإن الملك
يغلب على أعدائه ، و يكون في الناس شر و بليّة . و إذا انكسف في ذي القعدة فإنّه
تفتح المدائن الشداد ، و تظهر الكنوز في بعض الأرضين و الجبال . و إذا انكسف
في ذي الحجة فإنّه يموت رجل عظيم بالمغرب ، و يدعي فاجر الملك .

قال الراوندي - ره - : و جميع ذلك إن صحّت الروايات عن دانيال النبي
عليه السلام يجري مجرى الملاحم و الحوادث في الدنيا وعلاماتها ، و قد قال النبي
صلى الله عليه و آله : إذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم بالليل و شمسهم بالنهار . و
قال ﷺ : إذا غضب الله على أمة و لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها ، و قصرت
أعمارها ، و لم تربح تجارتها ، و لم تترك ثمارها ، و لم تغزر أنهارها ، و حبس عنها
أمطارها ، و سلط عليها أشرارها . و قال ﷺ : إذا منعت الزكوة هلكت المشاية
و إذا جار الحكام أمسك القطر من السماء ، و إذا خفرت الذمة نُصر المشركون
على المسلمين . و أمثلة ذلك كثيرة و الله أعلم بحقيقة ذلك .

بيان : قال في القاموس : الجليد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد (١) .
و قال : الكمؤ نبات معروف ، و الجمع : أكمؤ و كماء ، أو هي اسم للجمع ، أو
هي للواحد و الكمؤ للجمع ، أو هي تكون واحدة و جمعاً (٢) . و قال : بلاد الجبل
مدن بين آذربيجان و عراق العرب و خوزستان و فارس (٣) . و قال : الماء قصبّة
البلد ، و الماهان الدينور و نهاوند أحدهما (٤) ماهة الكوفة و الآخر ماهة البصرة (٥) .

(١) القاموس : ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢) > ج ١ ، ص ٢٦ .

(٣) > ج ٣ ، ص ٣٤٤ .

(٤) في المصدر ، أحدهما ماء الكوفة و الآخر ماء البصرة .

(٥) القاموس : ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

أقول : وجدت في بعض الكتب القديمة أخباراً طويلة في الملاحم و الأحكام
تركتها لعدم الاعتماد على أسانيدھا وإن كان مروياً بعضها عن الصادق عليه السلام وبعضها
عن دانيال عليه السلام.

٢ - **الاختصاص :** اعلم إذا قرنت الزهرة مع المريخ في برج واحد هلك
ملك الروم أو يكون بالروم مصيبات عظيمة أو بلايا ، و إذا قرنت مع زحل كان في
العامة شدة و ضيق ، و إذا قرنت الزهرة ^(١) المشتري أصاب الناس رخاء من العيش
و إذا قرنت الزهرة عطارد يكون إهراق الدماء و فتح عظيم ، و إذا قرن بهرام
زحل ^(٢) في برج واحد ملك مملك ^(٣) حديث في أرض ذلك البرج ، و إذا اجتمع
بهرام و المشتري مات ملك عظيم الشأن ، و إذا اجتمع زحل و عطارد وقع في التجار
الخوف و الحزن ، و كذلك في أهل الأدب . و إذا اجتمع زحل و المشتري في برج
واحد تغيرت الدنيا في سائر الأحوال ، و يتغير أمور الناس ، و تخرج الخوارج
من النواحي كلها ، و خاصة من الجبلان و الديلم و الأكراد ، و يقتلون الناس
قتلاً شديداً ، و يشتد الأمر عليهم من الخوف و الحزن ، و ترتفع السفلة شأنهم ، و
تغير طبائع الناس كلهم ، و يذهب عنهم الحياء و الإنسانية ^(٤) و يزيد فيهم كثرة
الفساد خاصة في النساء ، و إسقاط الوالدات أولاد الحرام ، و إهراق الدماء و القتل
و الجوع . و إذا اجتمع المشتري و العطارد ^(٥) أصاب الأرض طاعون ، و يقع فيما
بين الناس العداوة و البغض ، و إذا ركب القمر فوق زحل ذهب ملك ملك ، و إذا
اجتمع بهرام و عطارد في العقرب فذلك آية قتل ملك بابل ، و إذا اجتمع المشتري
و الزهرة في العقرب فذلك آية فزع و مرض بأرض بابل ، و إذا اجتمع الشمس و

(١) في المصدر ، مع المشتري .

(٢) > مع زحل .

(٣) بفتح اللام في الاول و كسرھا في الثاني ، و في المصدر « هلك ملك » و الصواب

ما في المتن .

(٤) في المصدر : و يطعم كل واحد في آخر .

(٥) كذا ، و في المصدر ، و عطارد .

زحل في العقرب في شولة العقرب فذلك آية اختلاف الروم وقتل ملكهم ، وإذا اجتمع المريخ وعطارد في شولة العقرب فذلك خراب بيت ملك بابل ، وإذا اجتمعت الشمس والقمر في شولة العقرب وبهرام في سرطان فإن استطعت أن تتخذ سرباً لتدخل فيه فافعل ، وإذا اجتمعت الزهرة والمشتري فإن النساء يخشين أزواجهن عداوة ، وإذا نزل كيوان الطرفة أو الدبران وقع الطاعون بالعراق ومات كثير من الناس ، وإذا نزل الطرفة على آخره يكون في أرض العراق قتال وفتنة ، وإذا نزل النثرة بدلت أعمال العراق : ولقوا بلاء وشدّة ، وإذا نزل كيوان الغفر يكون بأرض العراق قتال وفتنة ، وإذا نزل كيوان جبهة وقع الموت في البقر والسباع والوحش ، وإذا نزل كيوان والمشتري الإكليل والقلب والشولة يقع في المشرق والمغرب طاعون شديد ، ويموت من الناس أناس كثير ، ويقع الفساد والبلايا في الأرض كلها ، ويكون بلايا عليهم كلها في الناس ، ويقتل الملوك والعلماء وترتفع سفلة من الناس .

واعلم أن مع الشمس كواكب لها أذنان بعضها فوق بعض نفر فإذا بدا كوكب منها في برج من البروج وقع في أرض ذلك البرج شرّ وبلاء وفتنة وخلع الملوك ، وإذا رأيت كوكباً أحمر لا تعرفه وليس على مجاري النجوم ينتقل في السماء من مكان إلى مكان يشبه العمود وليس به فإن ذلك آية الحرب والبلايا وقتل العظام وكثرة الشرور والهموم والآشوب في الناس (١) .

أقول : وكان في أصل الكتاب هكذا : قوبل ونسخ من خط ابن الحسن بن شاذان - رحمه الله - .

بيان : لما ذكر الشيخ المفيد - ره - هذه الأحكام في الاختصاص أوردته ولم يستنده إلى رواية ، وأخذه من كتب أصحاب علم النجوم بعيد .



(١) الاختصاص ١٦٠ - ١٦٢ .

﴿ أبواب ﴾

﴿ (الازمنة وأنواعها وسعادتها ونحوستها وسائر أحوالها) ﴾

١٣

﴿ باب ﴾

﴿ (السنين و الشهور وأنواعهما والفصول وأحوالها) ﴾

الآيات :

التوبة : « إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم - إلى قوله تعالى - إنما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (١) .

تفسير : « إن عدّة الشهور » قال الرازي : اعلم أن السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمرية ، و الدليل عليه هذه الآية ، وأيضاً قوله : « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب (٢) » فجعل تقدير القمر بالمنازل علّة للسنين ، و ذلك إنّما يصح إذا كانت السنة معلّقة بسير القمر ، و أيضاً قال تعالى « يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس و الحج (٣) » و عند سائر الطوائف عن (٤) المدّة التي تدور الشمس فيها دورة تامّة . و السنة القمرية أقلّ من الشمسية بمقدار معلوم ، و بسبب ذلك النقصان تنتقل

(١) التوبة ، ٣٦ - ٣٧ .

(٢) يونس ، ٥ .

(٣) البقرة ، ١٨٩ .

(٤) في المصدر : عبارة عن المدّة .

الشهور القمرية من فصل إلى فصل ، فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى ، وكان يشق عليهم الأمر بهذا السبب ، و أيضا إذا حضروا الحج حضروا للتجارة ، وربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور التجار من الأطراف ، وكان يخل بأسباب تجارتهم بهذا السبب ، فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة على ما هو معلوم في علم الزيجات ، واعتبروا السنة الشمسية و عند ذلك بقي زمان الحج مختصا بوقت معين ، فهو ^(١) أخف لمصلحتهم ، وانفعوا بتجاراتهم ومصالحهم ، فهذا النسيء وإن صار سببا لحصول المصالح الدنيوية إلا أنه لزم منه تغيير حكم الله تعالى ، لأنه لما خص الحج بأشهر معلومة على التعيين و كان بسبب النسيء يقع في سائر الشهور فتغير حكم الله ^(٢) لتكليفه . و الحاصل أنهم لرعاية مصالحهم في الدنيا سعوا في تغيير أحكام الله وإبطال تكليفه ، فلهذا استوجبوا الذم العظيم في هذه الآية ^(٣) . قال النيسابوري : قال المفسرون : إنهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل و غارة ، فإذا اتفق لهم في شهر منها أو في المحرم حرب أو غارة أخرتوا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر . قال الواحدي : وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم إلى صفر ، ويروى أنه حدث ذلك في كنانة ، لأنهم كانوا فقراء ، محاييج إلى الغارة ، و كان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه ، وكان يقوم على جعل في الموسم فيقول بأعلى صوته : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ! ثم يقوم في القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرّموه ! و الأكثرون على أنهم كانوا يحرّمون من جملة شهور العام أربعة أشهر ، وذلك قوله « ليواطئوا عدة ما حرم الله » أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوا ، ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص ، وذلك قوله تعالى « فيحلّوا ما حرم الله » أي من القتال وترك الاختصاص .

(١) في المصدر : بوقت واحد معين موافق لمصلحتهم .

(٢) في المصدر : تغير حكم الله وتكليفه .

(٣) مفاتيح الغيب : ج ٤ ، ص ٦٣٣ .

قال ابن عباس : إنهم ما أحلوا شهراً من الأشهر الحرم إلا حرموا مكانه شهراً آخر من الحلال ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً آخر من الحرم لأجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى . وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر ، حتى يلتحق بالسنة الشمسية ، وذلك أن السنة القمرية أعني اثني عشر شهراً قمرية هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك إليها بحر كتبها الخاصة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم إلا كسراً قليلاً ، فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام وإحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريباً ، وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل ، فيكون الحج واقعاً في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى ، وكذا في الربيع والخريف ، وكان يشق الأمر عليهم ، إذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الأطراف فكان تختل أسباب تجارتهم ومعايشهم ، فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائماً عند اعتدال الهواء وإدراك الثمرات والفلات ، وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي ، فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فرادوا في السنة الثانية شهراً ثم في الخامسة ، ثم في السابعة ، ثم في العاشرة ، ثم في الثالثة عشر ، ثم في السادسة عشر ، ثم في الثامنة عشر ، وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى ، فإنهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم ، فالشهر الزائد هو الكيبس ، وسمي بالنسيء ، لأنه المؤخر ، و الزائد مؤخر عن مكانه ، وهذا التفسير يطابق ما روي أنه ﷺ خطب في حجة الوداع ، و كان في جملة ما خطب به : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذوالقعدة ، وذوالحجة والمحرم ، ورجب مضر^(١) بين جمادى وشعبان . والمعنى : رجعت الأشهر إلى ما

(١) مضر - كسرد - قبيلة معروفة ، و لعل إضافة رجب إليها لاجل أنهم كانوا يعظمونه

دون غيرهم كما قيل .

كانت عليه ، وعاد الحجّ في ذي الحجّة ، و بطل النسيء الذي كان في الجاهليّة ، و قد وافقت حجّة الوداع ذا الحجّة في نفس الأمر ، و كانت حجّة أبي بكر قبلها في ذي القعدة التي سمّوها ذا الحجّة . وإنّما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لأنّهم إذا حكموا على بعض السنين بأنّها ثلاثة عشر شهراً كان مخالفاً لحكم الله بأنّ عدّة الشهور اثنا عشر شهراً ، أي لا يزيد ولا أنقص ، و إليه الإشارة بقوله « ذلك الدين القيم » على هذا التفسير ، ويلزمهم أيضاً ما لزمهم في التفسير الأوّل من تغيير أشهر الحرم عن أماكنها ، فتكون الإشارة إلى المجموع (انتهى) .

وقال الطبرسي - ره - : « إنّ عدّة الشهور عند الله » أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره « اثنا عشر شهراً » وإنّما تعبّد الله المسلمين أن يجعلوا سنتهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلّة ومنازل القمر ، دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ^(١) من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحلّ ديونهم وحجّهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلّقة بالشهور ، و قوله « في كتاب الله » معناه ما كتب الله في اللوح المحفوظ ، و في الكتب المنزلة على أنبيائه . و قيل : في القرآن ، و قيل : في حكمه وقضائه ، عن أبي مسلم . و قوله « يوم خلق السماوات و الأرض » متصل بقوله « عند الله » والعامل فيها الاستقرار ، و إنّما قال ذلك لأنّه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر ، وبمسيرهما تكون الشهور و الأيّام ، وبهما تعرف الشهور « منها أربعة حرم » ثلاثة منها سرد : ذوالقعدة ، وذو الحجّة والمحرم ، و واحد فرد وهو رجب ، و معنى « حرم » أنّه يحرم^(٢) انتهاك المحارم فيها أكثر ممّا يحرم^(٣) في غيرها ، وكانت العرب تعظّمها حتّى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها ، وإنّما جعل الله بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لماعلم من المصلحة في الكفّ عن الظلم فيها ، لعظم منزلتها ، ولأنّه ربما

(١) مأخوذ (خ) .

(٢) (٣٥٢) في المصدر : يعظم .

أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة و انكسار الحميّة في تلك المدّة فإنّ الأشياء تجرّت إلى أشكالها .

وشهور السنة : المحرّم^م، سمّي بذلك لتحريم القتال فيه ؛ و صفر ، سمّي بذلك لأنّ مكّة تصفر من الناس فيه أي تخلو ، وقيل لأنّه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال أبو عبيد : سمّي بذلك لأنّه صفرت فيه أوطابهم^(١) عن اللبن ؛ و شهر ربيع سمّي بذلك لنبات الأرض و إمراعها^(٢) فيهما ، وقيل : لارتباع القوم أي إقامتهم و الجماديان ، سمّيّا بذلك لجمود الماء فيهما ؛ و رجب سمّي بذلك لأنّهم كانوا يرجبونه ويعظّمونه ، يقال : رجبته ورجبته - بالتخفيف و التشديد - وقيل : سمّي بذلك لترك القتال فيه ، من قولهم « رجل أرجب » إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي ﷺ أنّه قال : إنّ في الجنّة نهرأ يقال له « رجب » ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج و أحلى من العسل ، من صام يوماً من رجب شرب منه ؛ و شعبان سمّي بذلك لشعب القبائل فيه ، عن أبي عمرو ، وروي زياد بن ميمون أنّ النبي ﷺ قال : إنّما سمّي شعبان لأنّه يشعب فيه خير كثير لرمضان ؛ و شهر رمضان ، سمّي بذلك لأنّه يرمض الذنوب ، وقيل : سمّي بذلك لشدة الحرّ وقيل : إنّ رمضان من أسماء الله تعالى ؛ و شوال ، سمّي بذلك لأنّ القبائل كانت تشول فيه أي تبرح عن أمكنتها ، و قيل : لشولان الناقة^(٣) أذناها فيه ؛ و ذوالقعدة سمّي بذلك لقعودهم فيه عن القتال ؛ و ذوالحجّة ، لقضاء الحجّ فيه .

« ذلك الدين القيم » أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح ، لاما كانت العرب تفعله من النسيء ، و قيل : معناه ذلك الحساب^(٤) المستقيم الحقّ ، و قيل : معناه

(١) الاوطاب : جمع « الوطب » وهو سقاء اللبن .

(٢) امرع المكان : أخصب .

(٣) في المصدر : التوق .

(٤) في المصدر : القضاء .

ذلك الدين تعبد به ، فهو اللازم « فلا تظلموا فيهن » أي في هذه الأشهر ^(١) كلها عن ابن عباس . وقيل : في هذه الأشهر الحرم « أنفسكم » بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه ، وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهياً عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الأشهر الحرم ففائدة التخصيص أن الطاعة فيها أعظم ثواباً ، والمعصية أعظم عقاباً ، وذلك حكم الله في جميع الأوقات الشريفة ، والبقاع المقدسة ^(٢) (انتهى) .

أقول : ويحتمل أن يكون المراد : فلا تظلموا أنفسكم في أمرهن بهتك حرمتهن . وقال الطبرسي - ره - : قال مجاهد : كان المشركون يحججون في كل شهر عامين ، فحججوا في ذي الحجة عامين ، ثم حججوا في المحرم عامين ، ثم حججوا في صفر عامين ، وكذلك في الشهور ، حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع ، فوافقت ذا - الحجة فلذلك ^(٣) قال النبي ﷺ في خطبته : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض (الخبر) أراد ﷺ بذلك أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها ، وعاد الحج إلى ذي الحجة ، وبطل النسب ^(٤) .

« يضل به الذين كفروا » قال البيضاوي : أي ضللاً زائداً ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص « يضل » على البناء للمفعول « يحلونه عاماً » أي يحلون النسب من الأشهر الحرم سنة ، ويحرمون مكانه شهراً آخر « ويحرمونه عاماً » فيتركونه على حرمة « ليواطئوا عدة ما حرم الله » أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة ، واللام متعلقة بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين « فيحلوا ما حرم الله » بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ^(٥) (انتهى) .

(١) في المصدر : الشهور .

(٢) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) في المصدر : فوافقت في ذي الحجة فذلك حين .

(٤) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(٥) انوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

واقول : لما كانت معرفة الأختيار المذكورة في هذا الباب وغيره متوقفة على معرفة الشهور والسنين ومصطلحاتهما قد منا شيئاً من ذلك فنقول : لما احتاجوا في تقدير الحوادث إلى تركيب الأيام ، وكان أشهر الأجرام السماوية الشمس ثم القمر ، وكان دورة كل منهما إنما تحصل في أيام متعددة ، كما متعنين بالطبع لاعتبار التركيب ، فصار القمر أصلاً في الشهر والشمس أصلاً في السنة . ثم إن الظاهر من حال القمر ليس دورة في نفسه ، بل باعتبار تشكلاته النورية ، فذلك كان الشهر مأخوذاً منها ، وهي إنما تكون بحسب أوضاعه مع الشمس ، ويتم دوره إذا صار فضل حركة القمر على حركة الشمس الحقيقيين دوراً ، و العلم به متعذر لأنهما إذا اجتمعا مثلاً بمقوميهما وعاد القمر بمقومه إلى موضع الاجتماع فقد سارت الشمس قوساً ، فإذا قطع القمر تلك القوس فقد سارت قوساً أخرى ، ومع تعذره مختلف لاختلاف حركتهما بمقوميهما ، فلا يكون ذلك الفضل أمراً منضبطاً فمستعملوا الشهر القمري من أهل الظاهر منهم من يأخذونه من يوم الاجتماع إلى يومه وهم اليهود و الترك ، و منهم من ليلة رؤية الهلال إلى ليلتها وهم المسلمون أو من تشكّل آخر إلى مثله بحسب ما يصطلحون عليه ، واعتبار الاستهلال أولى ، لأنه أبين أوضاعه من الشمس وأقربها إلى الإدراك ، مع أن القمر في هذا الموضع كالموجود بعدالعدم ، والمولود الخارج من الظلم . لكن لما لم يكن لرؤية الأهلة حد لا يتعداه لاختلافها باختلاف المساكن وحدة الأبصار إلى غير ذلك لم يلتفت إليها إلا في الأحكام الشرعية المبتنية على الأمور الظاهرة ، ومستعملوه من أهل الحساب يأخذون الدور من الفضل بين الحركتين الوسطيتين ، فيجدونه في تسعة وعشرين يوماً ونصف يوم و دقيقة واحدة وخمسين ثانية إذا جرى يوماً ^(١) بليته بستين دقيقة ، وكل دقيقة بستين ثانية ، وهذا هو الشهر القمري الاصطلاحي الملبني على اعتبار سير الوسط في السيرين ، و إذا ضرب عدد أيامه في « اثني عشر » عدد أشهر السنة خرج

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا .

أيام السنة القمرية الاصطلاحية وهو ثلاثمائة وأربع وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم ، وهي ناقصة عن أيام السنة الشمسية بعشرة أيام وعشرين ساعة و نصف ساعة مستوية بالتقريب ، فيأخذون لشهر ثلاثين يوماً ولشهر آخر تسعة وعشرين يوماً ، و ذلك لأنهم اصطلمحوا على أخذ الكسر الزائد على النصف صحيحاً ، فأخذوا المحرّم الذي هو أوّل شهور السنة القمرية ثلاثين يوماً لكون الكسر أزيد من النصف فصار صفر تسعة و عشرين لذهاب النصف عنه بما احتسب في المحرّم ، فلم يبق إلا ضعف فضل الكسر الزائد على النصف أعني ثلاث دقائق وأربعين ثانية وهو غير ملتفت إليه لتصوره عن النصف ، و صار أوّل الربيعين ثلاثين يوماً وثانیهما تسعة و عشرين وعلى هذا الترتيب إلى آخر السنة ، فصار ذو الحجة تسعة وعشرين [يوماً] وخمس وسدس يوم وهما اثنتان وعشرون دقيقة ، لأنها الحاصلة من ضرب ما زاد في الكسر على النصف - وهو دقيقة واحدة وخمسون ثانية - في « اثني عشر » عدد الشهور ، وإذا فعل بشهور السنة الثانية مثل ما فعل بشهور الأولى اجتمع لذي الحجة في الثانية مثل ما مرّ ، فيصير الجميع أربعاً وأربعين دقيقة ، وهو زائد على النصف فيؤخذ ذو الحجة في السنة الثانية ثلاثين يوماً ، ويذهب في السنة الثالثة من الكسر اللازم بعد كل سنة ست عشرة دقيقة بما اعتبر في السنة السابقة ^(١) وتبقى ست دقائق ، فتتضم إلى الكسر اللازم من السنة الرابعة فيصير المجموع ثمانين دقيقة ، وهو أقل من النصف ، فإذا انضم إلى كسر السنة الخامسة صار مجموعهما خمسين دقيقة ، وهو أكثر من النصف فيجعل ذو الحجة في هذه السنة ثلاثين يوماً ويذهب من الكسر اللازم في السنة السادسة ، عشر دقائق ، وتبقى اثنتا عشرة دقيقة ، فينضم إلى كسر السنة السابعة و يصير المجموع أربعاً و ثلاثين دقيقة ، فيؤخذ ذو الحجة فيها ثلاثين يوماً ، و على هذا القياس يؤخذ ذو الحجة ثلاثين يوماً في السنة العاشرة ، والثالثة عشرة ، والسادسة

(١) لان ذا الحجة اخذ في السنة الثانية ثلاثين يوماً و هو ناقص عنه بست عشرة دقيقة لانه كان زائداً على التسعة و العشرين يوماً بأربع و أربعين دقيقة ، و الاربع و الاربعون دقيقة تنقص عن الستين دقيقة بست عشرة دقيقة .

عشرة ، و الثامنة عشرة ، و الحادية و العشرين ، و الرابعة و العشرين ، و السادسة و العشرين ، و التاسعة و العشرين ، و من لم يعتبر في اعتبار الكسر مجاوزة النصف بل يكتفي بالوصول إليه يجعل ذا الحجّة في السنة الخامسة عشرة ثلاثين يوماً بدل السادسة عشرة ، و على التقديرين إذا أخذ ذو الحجّة في السنة التاسع و العشرين ثلاثين يوماً بقي عليهم لتمام يوم اثنتان و عشرون دقيقة ، فينجبر بالكسر اللازم في السنة الثلاثين ، و يتمّ عدد أيّام الشهور بلا كسر في كلّ ثلاثين سنة ، ثمّ يستأنف و السبب في ذلك أنّ الكسر اللازم في سنة واحدة اثنتان و عشرون دقيقة كما مرّ و نسبته إلى « ستين » بالخمسة و السدس ، وهما إنّما يصحّان من « ثلاثين » فثلاثون خمس يوم ستّة أيّام ، و ثلاثون سدس يوم خمسة أيّام ، و المجموع أحد عشر يوماً و تسمّى هذه الأيّام « كبائس » فسوّوا الكبس على ترتيب « بهزيجح كادوط^(١) » أو « بهزيجوح كادوط » على القولين المتقدمين . هذا هو المشهور في الكبس . و ذكر شراح التذكرة نوعين آخرين من الكبس : الاول ما يفعله اليهود و الترك فانهم كانوا يردّون السنين القمرية إلى السنين الشمسية بكبس القمرية في كلّ سنة أو ثلاث بشهر . و الثاني ما تفعله العرب في الجاهلية من النسيء . و هو أنّهم كانوا يستعملون شهور الأهلّة ، و كانوا حجّتهم الواقع في عاشر ذي الحجّة كما رسمه إبراهيم عليه السلام دائراً في الفصول كما في زماننا هذا ، فأرادوا وقوعه دائماً في زمان إدراك الغلات و الفواكه و اعتدال الهواء ، أعني أوائل الخريف ، ليسهل عليهم السفر و قضاء المناسك ، فكان يقوم في الموسم عند اجتماع العرب خطيب يحمداً الله و يثني عليه و يقول : إنّي أزيد لكم في هذه السنة شهراً ، وهكذا أفعل في كلّ ثلاث سنين

(١) الباء للسنه الثانيه ، و الهاء للخامسه ، و الزاي للسابعه ، و الياء للمعاشره ، و الجيم للثالثه عشر ، و الهاء للخامسه عشر ، و الحاء للتاسعه عشر ، و « ك » للحاديه و العشرين و هكذا و الاختلاف بين الكلمتين في الهاء الثانيه ، فعلى القول بكون الكبسيه هي الخامسة عشر يكون الرمضاء ، و على القول بكونها السادسة عشر يكون و او كما مرّ آنفاً .

حتى يأتي حجكم في وقت سهل فيه مسافرتكم . فيوافقونه على ذلك ، فكان يجعل المحرم كسباً ويؤخر اسمه إلى صفر ، و اسم صفر إلى ربيع الأول ، وهكذا إلى آخر السنة ، فكان يقع الحج في السنة القابلة في عاشر محرم ، و هو ذو الحجة عندهم ، لأنهم لما سموا صفر بالمحرم و جعلوه أول السنة صار المحرم الآتي ذا الحجة و آخر السنة ، و يقع في السنة محرمان : أحدهما رأس السنة ، و الآخر النسيء ، و يصير شهورها ثلاثة عشر، و على هذا يبقى الحج في المحرم ثلاث سنين متوالية ، ثم ينتقل إلى صفر، و يبقى فيه كذلك إلى آخر الأشهر ، ففي كل ست و ثلاثين سنة قمرية تكون كبيستهم اثنا عشر شهراً قمرياً . وقيل : كانوا يكسون أربعاً و عشرين سنة باثني عشر شهراً ، و هذا هو الكبس المشهور في الجاهلية ، و إن كان الأول أقرب إلى مرادهم . و بالجملة إذا انقضى سنتان أو ثلاث و انتهت النوبة إلى الكبيس قام فيهم خطيب و قال : إننا جعلنا اسم الشهر الفلاني من السنة الداخلة للذي بعده . و حيث كانوا يزيدون النسيء على جميع الشهور بالنوبة حتى يكون لهم في سنة محرمان و في أخرى صفران ، فإذا اتفق أن يتكرر في السنة شهر من الأربعة الحرم نبأهم الخطيب ^(١) بتكريره ، و حرم عليهم واحداً منها بحسب ما تقتضيه مصالحتهم . ولما انتهى النوبة في أيام النبي ﷺ إلى ذي الحجة و تم دور النسيء على الشهور كلها حج في السنة العاشرة من الهجرة بوقوع الحج فيها في عاشر ذي الحجة ، و قال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض . يعني به رجوع الحج و أسماء الشهور إلى الوضع الأول ، ثم تلا قوله تعالى « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » إلى آخر الآية (انتهى) و أما السنة الشمسية فمأخوذة من عود الشمس إلى موضعها من فلك البروج ، المقتضي لعود حال السنة بحسب الفصول ، و يحصل ذلك في ثلاث مائة و ستين يوماً و ربع يوم إلا كسراً ، كما ذكره في التذكرة ، و الكسر عند بطلميوس جزء واحد من ثلاث مائة جزء من يوم ، و يتم في أيام السنة المذكورة من الشهور القمرية

(١) خطيبهم (خ) .

الوسطية اثني عشر شهراً و أحد عشر يوماً إلا سبع دقائق و اثنتي عشرة ثانية ، و هذه المدّة أعني اثني عشر شهراً قمرياً و سطيّاً تسمى سنة قمريّة اصطلاحية . و مستعملوا السنة الشمسيّة لهم طرق : الاولى طريقة قدماء المنجمين فإنهم يأخذون السنة من يوم تحلّ الشمس فيه نقطة بعينها كالاعتدال الربيعي إلى مثل ذلك اليوم و يأخذون شهورها من الأيام التي تحلّ فيها أمثال تلك النقطة من البروج فإن كانت النقطة التي هي مبدأ السنة الموافق لمبدء الشهر الأوّل أوّل برج كأوّل الحمل كانت أمثالها أوائل البروج الباقية ، و إن كانت عاشره برج مثلاً كانت أمثالها عواشر البروج . الثانية الفرس ^(١) القديم و ليس فيها كسور و كبائس ، و سنتهم ثلاثمائة و خمسة و ستون يوماً ، و شهورهم ثلاثون ثلاثون ، و يزيدون الخمسة في آخرها و يسمونها « الخمسة المسترقة » و هذه أسماء شهورهم : فروردينماه ، أردبي بهشت ماه ، خرداد ماه ، تير ماه ، مرداد ماه ، شهر يور ماه ، مهر ماه ، أبان ماه ، آذر ماه ، دي ماه ، بهمن ماه ، اسفندارمذ ماه ، و كان في العهد القديم لهذا التاريخ كبيسة و أنهم كانوا يجمعون الأرباع الزائدة ، و يؤخّرونها إلى عشرين و مائة سنة ، و كانوا يزيدون لذلك شهراً في سنة الإحدى و العشرين و المائة ، فنصير هذه السنة ثلاثة عشر شهراً ، و لهم في ذلك تفصيل من دور الكبس و غير ذلك أعرضنا عن ذكرها و كان مبدأ هذا التاريخ من زمان جمشيد أو كيومرث ، و استمرّ إلى زمان يزدجرد فلما انتهى ملكهم تركوا الكبس . و كان بعض المنجمين يزيدون الخمسة المسترقة بعد أبان ماه ، و بعضهم بعد إسفندارمذ ماه ، ففي كلّ أربع سنين أو خمس سنين تتقدّم هذه السنة على السنة الشمسيّة بيوم الثالثة التاريخ الملكي وهو منسوب إلى السلطان جلال الدين ملك شاه ، و السبب في وضعه أنّه اجتمع في حضرته ثمانية من الحكماء منهم الخيام ، فوضعوا تاريخاً مبدؤه نزول الشمس أوّل الحمل ، و أوّل السنة يوم تكون الشمس في نصف نهاره في الحمل سمّوه بالنيروز السلطاني ، فسنوه شمسيّة حقيقية ، و كذا شهوره إذا اعتبرت بحلول الشمس في أوائل البروج كما فعله بعض

(١) كذا في جميع النسخ و الظاهر أن الصواب « طريقة الفرس » .

المنجمين ، وإذا أخذت ثلاثين ثلاثين وألحقت الكسر بآخر السنة وكبس الكسر في كل أربع سنين أو خمس بيوم ليوافق أوّل السنة دائماً نزول الشمس الحمل كما فعله أكثر المنجمين كانت اصطلاحية ، وأسماء شهورها أسماء شهور الفرس القديم المتقدم ، وعليه بناء التقاويم الآن الرابعة التاريخ الرومي ، مبدؤه بعد اثنتي عشرة سنة شمسية من وفات الإسكندر بن فيلقوس الرومي ، و سنوه شمسية اصطلاحية ، هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع تام ، وكذا شهورهم اصطلاحية شمسية ، وأسماء شهورهم وعددها هكذا : تشرين الأوّل (لا) تشرين الآخر (ل) كانون الأوّل (لا) كانون الآخر (لا) شباط (كح) آذار (لا) نيسان (ل) أيار (لا) حزيران (ل) تموز (لا) آب (لا) أيلول (ل) ومستعملوا هذا التاريخ يعدّون أربعة منها ثلاثين ، وهي : تشرين الآخر ، و نيسان ، و حزيران ، و أيلول و السبعة البقية غير شباط أحداً و ثلاثين ، و شباط في ثلاث سنين متوالية ثمانية و عشرين ، و في الرابعة وهي سنة الكبيسة تسعة و عشرين فالسنة عندهم ثلاثمائة و خمسة وستون و ربع كامل ، مع أن السنة الشمسية أقلّ من ذلك عندهم لكسر في الربع كما عرفت ، و وجدوا الكسر مختلفاً في أصددهم ، ففي رصد التبانّي ثلاثة عشرة دقيقة و ثلاثة أخماس دقيقة ، و في رصد المغربي اثنتا عشرة دقيقة ، و على رصد مراغة إحدى عشرة دقيقة ، و على رصد بعض المتأخّرين تسع دقائق و ثلاثة أخماس دقيقة ، و على رصد بطلميوس أربع دقائق و أربعة أخماس دقيقة . و الفرس من زمان جمشيد أو قبله و الروم من عهد إسكندر أو بعده كانوا يعتبرون الكسر رباعاً تاماً موافقاً لرصد « أبرخس » فالشهور الروميّة مبنية على هذا الاعتبار و هذا الرصد و على ما وجدته سائر أصحاب الأرصاد فلا يوافق هذه السنة الشمسية . و بمرور الأزمان تدور شهورها في الفصول . وقال بعضهم : في كل ثلاثين سنة تقريباً تتأخّر سنتهم عن مبدأ السنة الشمسية بيوم ، و أوّل سنتهم و هو تشرين الأوّل في هذه الأزمان يوافق تاسع عشر الميزان ، و أوّل نيسان في الدرجة الثالثة و العشرين من الحمل .

و اعلم أن كثيرًا من الأمور الشرعية منوطة بهذه الشهور ، من الأحوال و الأعمال و الآداب ، كالمطر في نيسان و آدابه ، ولا يعلم أن الشارع بناه على الفصول أو على الشهور ، ولعل الأول أظهر فيشكل اعتبار الشهور في تلك الأزمان ، إذ لعلمهم أرادوا تعيين أوقات الفصول فعيّنوها بهذه الشهور لموافقتها لتلك الأوقات في تلك الأزمان لكن في بعض الأعمال التي في وقتها اتّسع يمكن رعاية الاحتياط بحسب التفاوت بين الزمانين و إيقاعها في الوقت المشترك ، وما لم يكن فيه اتّسع بعملها في اليومين معاً .

ثم إن انقسام السنة الشمسية عند الروم إلى هذه الشهور الاثني عشر التي بعضها ثمانية و عشرون وبعضها ثلاثون وبعضها أحد و ثلاثون إنّما هو محض اصطلاح منهم ، لم يذكر أحد من المحصّلين له وجهاً أو نكتة ، و ما توهم بعض المشاهير من أنّه مبني على اختلاف مدّة قطع الشمس كلّاً من البروج الاثني عشر ظاهر البطلان فإن الحمل و الثور عندهم أحد و ثلاثون ، و الجوزاء اثنان و ثلاثون ، و السرطان و الأسد و السنبله أحد و ثلاثون ، و الميزان و العقرب ثلاثون ، و القوس و الجدي تسعة و عشرون و الدلو و الحوت ثلاثون ، و ظاهر أن الأمر في الشهور الرومية ليس على طبقها ، كيف و كانون الأول الذي اعتبروه أحداً و ثلاثين هو بين القوس و الجدي ، و كلّ منهما تسعة و عشرون .

ثم اعلم أن التاريخ تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع كملّة أو دولة ، أو حدث فيه أمر هائل كطوفان أو زلزلة أو حرب عظيم ، لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث و لضبط ما يجب تعيين وقته في مستقبل الزمان ، و قد مرّت الإشارة إلى تاريخ الروم و الفرس ، و الشائع المستعمل في زماننا تاريخ الهجرة ، و سبب وضعه على ما نقل أنّه دفع إلى عمر صكّ محلّه شعبان ، فقال : أي شعبان هو ؟ هذا الذي نحن فيه أو الذي يأتينا ؟ أو أن أبا موسى كتب إليه أنّه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف كيف نعمل فيها ، قد قرأنا صكاً محلّه شعبان فما ندرى أي الشعبانين هو ؟ الماضي أو الآتي ؟ فجمع الصحابة و استشارهم فيما يضبط به الأوقات ، فقال له الهرمزان ملك الأهواز

- وقد أسلم على يديه حين أُسر وحمل إليه - : إن للعجم حساباً يسمونه «ماه روز» وأسنده إلى من غلب عليهم من الأكاسرة ، و بين كيفية استعماله ، فعربوا «ماه روز» بمورخ ، وجعلوا مصدره التاريخ ، فقال ابن الخطّاب : ضعوا للناس تاريخاً نضبط به أوقاتهم . فقال بعض الحاضرين من مسلمي اليهود : لنا حساب مثله نسندُه إلى إسكندر ، فما ارتضاه الصحابة ، و اتفقوا على أن يجعل مبدؤه هجرة النبي صلى الله عليه وآله ، إذ بها ظهرت دولة الإسلام ، و كانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل ، و أوّل هذه السنة أعني المحرم كان يوم الخميس بحسب الأمر الأوسط ، و على قول أهل الحديث ، و يوم الجمعة بحسب الرؤية و حساب الاجتماعات ، فعمل عليه في أكثر الأزياج إلا زيح المعتبر فإنّه عمل على يوم الخميس ، و كان اتّفاقهم على ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة و مبادئ شهور تلك السنة على الرؤية وقد تكون تامّة و أكثر المتوالية منها أربعة ، وقد تكون ناقصة و أكثر المتوالية منها ثلاثة .

واعلم أنّ القوم تمسّكوا في اختيار واقعة الهجرة بمبدء التواريخ الإسلامية على سائر الوقائع المعروفة كالمبعث و المولد بوجوه ضعيفة ، كقولهم إنّ المبعث غير معلوم ، و المولد مختلف فيه ، ولا يخفى وهنه ، فإنّه لو أريد بذلك عدم اتّفاقهم في شيء منهما على يوم معين من شهر معين فظاهر أنّ أمر الهجرة أيضاً كذلك كما بينناه في محلّه ، مع أنّ العلم باليوم والشهر لا مدخل له في المطلوب و هو ظاهر ، و إن أريد به اختلافهم في خصوص سنتيهما فكلاً ، فإنّه لا خلاف فيه في زماننا فضلاً عن أوائل الإسلام ، و كذا الوجوه الأخرى التي ذكروها في هذا الباب ، و لقد عثرت على خبر يصلح مرجحاً و مخصّصاً لذلك قلّ من تفتّن به ، و هو ما ورد في خبر الصحيفة الشريفة السجّادية صلوات الله على من ألهمها حيث قال الصادق عليه السلام : إنّ أبي حدثني عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة و هو على منبره ، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزوال القردة ، يردون الناس على أعقابهم القهقري ! فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً و الحزن يعرف في

وجبه ، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن ^(١) - الآية - » يعني بني أمية . قال : يا جبرئيل ! أعلى عهدي يكونون و في زمني ؟ قال : لا ، و لكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرآ ، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً (إلى آخر الخبر) فيدل على أن جعل مبدأ التاريخ من الهجرة مأخوذ من جبرئيل عليه السلام و مستند إلى الوحي السماوي ، و منسوب إلى الخبر النبوي ، و هذا يؤيد ما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار عليهم بذلك في زمن عمر عند تحيّرهم ، و العلة الواقعية في ذلك يمكن أن تكون ما ذكر من أنها مبدء ظهور غلبة الإسلام و المسلمين ، و مفتح ظهور شرائع الدين ، و تخلص المؤمنين من أسر المشركين ، و سائر ما جرى بعد الهجرة من تأسيس قواعد الدين المبين .

و لنشر ههنا إلى فوائد :

الفائدة الاولى : أنه قد وردت أخبار كثيرة تدل على أن عدد أيام السنة ثلاثمائة و ستون ، كالأخبار الواردة في عدد الطواف المستحبة و كخبر الاختزال و غيرها ، و هي لا توافق شيئاً من المصطلحات المتقدمة ، و لا السنين الشمسية و لا القمرية ، و يمكن توجيهه بوجوه : الاول أن يكون المراد بها السنة الإلهية كما مرّت الإشارة إليه في الباب الأوّل . الثاني أن يكون المراد به السنة الأولى من خلق الدنيا بضم الستة المصروفة في خلق الدنيا إلى السنة القمرية . الثالث أن يكون مبنياً على بعض مصطلحات القدماء ، قال أبو ريحان البيروني في تاريخه : سمعت أن الملوك البيشدادية من الفرس و هم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها كانوا يعملون السنة ثلاثمائة و ستين يوماً ، كل شهر منها ثلاثون يوماً بلا زيادة و نقصان و أنهم كانوا يكبسون في كل ست سنين بشهر و يسمونها « كبسة » و في كل مائة و عشرين سنة شهرين أحدهما بسبب الخمسة أيام ، و الثاني بسبب ربع اليوم ، و أنهم كانوا يعظّمون تلك السنة و يسمونها « المباركة » و يشتغلون فيها بالعبادات و

(١) الاسراء ، ٦٠ .

المصالح . ثم قال بعد ذكر نسيء العرب و كبس أهل الكتاب و غيرهم : وقد حكي أبو محمد النائب الآملي في كتاب الفرة عن يعقوب بن طارق أن الهند تستعمل أربعة أنواع من المدد : أحدهما من عودة الشمس من نقطة من فلك البروج إليها بعينها و هي سنة الشمس و الثانية طلوعها ثلاثمائة و ستين مرة ، و تسمى السنة الوسطى لأنها أكثر من سنة القمر و أقل من سنة الشمس ، و الثالثة عودة القمر من الشرطين و هما رأس الحمل إليهما اثنتي عشرة مرة ، و هي سنة القمر المستعملة .

الفائدة الثانية : قال الرازي في قوله تعالى « ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً » فإن قالوا : لم لم يقل ثلاثمائة و تسع سنين ؟ وما الفائدة في قوله « وازدادوا تسعاً » ؟ قلنا : قال بعضهم كانت المدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية و ثلاثمائة و تسع سنين من القمرية ، و هذا مشكل ، لأنه لا يصح بالحساب هذا القول ^(١) . و روى الطبرسي - ره - و غيره أن يهودياً سأل علياً عليه السلام عن مدة لبنهم ، فأخبر عليه السلام بما في القرآن ، فقال : إننا نجد في كتابنا ثلاثمائة . فقال عليه السلام : ذلك بسني الشمس ، و هذا بسني القمر ^(٢) .

و تفصيل القول في ذلك أنه يمكن تقرير الإشكال الوارد على هذا التفسير الذي أوماً إليه الرازي بوجهين : أحدهما أن أيام السنة القمرية في مدة ثلاثمائة و تسع سنين إذا قسمت على ثلاثمائة تخرج حصّة كل سنة شمسية ثلاثمائة و أربعة و ستين يوماً و ثلثاً و عشرين ساعة مستوية و ستاً و خمسين دقيقة و ثمانين و ثلاثين ثانية و أربعة و عشرين ثالثة ، و لا يوافق ذلك شيئاً من الأرصاد المتداولة بل ناقص عن الجميع . و ثانيهما أن التفاوت المضبوط بين السنتين في مدة ثلاثمائة سنة يزيد على تسع سنين على جميع الأرصاد ، فإنه على رصد التبانني ، مع أن مقتضاه أقل من سائر الأرصاد يبلغ إلى عشرة أيام و عشرين ساعة و ست و أربعين دقيقة و

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٧٠٦ .

(٢) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٣٦٣ .

أربع وعشرين ثانية ، وإذا ضرب هذا المقدار من الزمان في ثلاثمائة وقسم المحاصل على مقدار السنة القمرية يزيد الخارج على تسع سنين قمرية بأربعة وسبعين يوماً و أربع ساعات و ثمان و أربعين دقيقة ، فكيف على سائر الأرصاء ؟ حتى أنه على رصد أبرخس المبنى عليه حساب الروم و الفرس من قديم الأيام بل المعروف بين جميع الطوائف في صدر الإسلام يزيد على تسع سنين بسبعة و سبعين يوماً و ثمانين و أربعين دقيقة ، فلا تستقيم الموافقة المستفادة من التفسير المذكور و الرواية المنقولة وقد يجاب بأن عدم الاعتماد بالكسور القليلة في جنب آحاد الصحاح تارة باسقاطها سيما إذا لم تبلغ النصف ، و تارة باكمالها أي عدّها تامّة سيما إذا تجاوزت النصف و كذا بالآحاد القليلة في جنب العشرات والعشرات القليلة في جنب المئات و هكذا أمر شائع و عرف عام في المحاورات الحسابية ، يبتني عليه كثير من القرآن و الحديث كما سنشير إليه في حديث الصباح بن سيابة ، فلا بأس أن يخبر تعالى بأن مدة لبث أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة بالشمسية أو ثلاثمائة و تسع سنين بالقمرية ، و كانت ناقصة عن الأولى حقيقة بمثل تلك الأيام القلائل ، أو كانت مطابقة لها و كانت زائدة على الثانية حقيقة بمثلها ، أو كان في الأول نقصان و في الثانية زيادة يصير المجموع مساوياً لمثل تلك الأيام ، فإن في رعاية مطابقة العرف في تلك المحاورات لمندوحة عن كذبها حتى أنه يمكن أن يقيّد عرفاً أمثال ذلك بأنّه كذلك بلا زيادة ولا نقصان ، اعتماداً على أن تحققّ الزيادة و النقصان في عرف الحسابيين إنما هو بالصحاح أو ما في حكمها ، دون أمثال تلك الكسور .

و أقول : قد مرّ في المجلد التاسع في باب علم أمير المؤمنين عليه السلام بعض القول

في ذلك .

الفائدة الثالثة : قد ورد في الأخبار بناء كثير من الأهور الشرعية من الصوم و غيره على عدّ شهر من الشهور القمرية تاماً و شهراً ناقصاً ، كعدّ الخمسة من شهر آخر مثله ، أو الستة في سنة الكبيسة و سيأتي بيانها و بسط القول فيها في كتاب الصيام إن شاء الله تعالى ، و عليه يبنى ما روي أن يوم الأضحى يوم الصوم و يوم

عاشورا يوم الفطر ، لكنّه إنّما يستقيم في سنة الكبيسة ، فإنّه إذا كان أوّل شهر رمضان يوم السبت مثلاً كان أوّل شوّال يوم الاثنين لأنّه من الشهور التامة ، وأوّل ذي القعدة يوم الثلاثاء وأوّل ذي الحجّة يوم الخميس ، فالأضحى يوم السبت موافقاً ليوم الصوم ، و ذو الحجّة لمّا كان من الشهور الناقصة في غير سنة الكبيسة فالجمعة أوّل المحرم فعاشوراء يوم الأحد و هو لا يوافق يوم الفطر ، و في الكبيسة يوافقها لا تمام ذي الحجّة فيها . ويمكن أن يكون مبنيّاً على الغالب ، أو على ما إذا غمّت الأهله كما عمل بها جماعة من الأصحاب على هذا الوجه ، أو على استحباب صوم يوم الشكّ فإنّ هذا الحساب متقدّم على الرؤية غالباً ، و ما قيل في الخبر الأخير من أنّ المعنى أنّ العارفين يوم صومهم يوم عيدهم و يوم فطرهم يوم تعزيتهم فهو ممّا تضحك منه الشكلى ، و سيأتي مزيد تحقيقه في محله الأنسب .

و قال أبو ريحان في تاريخه يبتدؤون بالشهر من عند رؤية الهلال ، و كذلك شرع في الإسلام كما قال الله تعالى « و يسألونك عن الأهله قل هي مواقيت للناس و الحجّ »^(١) ، ثمّ نبتت نابتة و نجمت ناجمة و نبغت فرقة جاهليّة فنظروا إلى أخذهم بالتأويل و ميلهم إلى اليهود و النصارى ، فإنّ لهم جداول و حسابات يستخرجون بها شهورهم و يعرفون منها صيامهم و المسلمون مضطرونّ إلى رؤية الهلال ، و وحدوهم شاكّين فيه مختلفين مقلدين بعضهم بعضاً بعد استقراغهم أقصى الوسع في تأمل مواضعه و تفحص مواضعه ، ثمّ رجعوا إلى أصحاب الهيئة فألفوا زيجاتهم و كتبهم مفتتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات و أنواع الجداول ، فظنّوا أنّها معموله لرؤية الأهله ، و أخذوا بعضها و نسبوه إلى جعفر الصادق عليه السلام و أنّه سرّ من أسرار النبوة ، و تلك الحسابات مبنيّة على حرّكات النيرين الوسطى دون المعدّلة ، و معموله على عدّ سنة القمر ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوماً و خمس و سدس و أنّ سنّة أشهر من السنة تامة و سنّة ناقصة ، و أنّ كلّ ناقص منها فهو نال لتامّ على ما عمل عليه في الزيجات فلما قصدوا استخراج أوّل الصوم و أوّل الفطر بها خرجت

تقبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال ، فأولوا قول النبي ﷺ « صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته » بأن معناه صوموا الذي يرى الهلال في عشيته ، كما يقال : تبيّؤوا لاستقباله ، فيقدم التهيؤ على الاستقبال ! قالوا ، وإن شهر رمضان لا ينقص من ثلاثين ، فأما أصحاب الهيئة و من تأمل الحال بعناية شديدة فإنهم يعلمون أن رؤية الهلال غير مطرد على سنن واحد ، لاختلاف حركة القمر المرئية بطيئة و سريعة ، و قربه من الأرض و بعده و صعوده في الشمال و الجنوب و هبوطه فيهما و حدوث كل واحد من هذه الأحوال له في كل نقطة من فلك البروج ، ثم بعد ذلك لما يعرض من سرعة غروب بعض القطع من فلك البروج و بطء بعض ، و تغيير ذلك على اختلاف عروض البلدان و اختلاف الأهوية إما بالإضافة إلى البلاد الصافية الهواء بالطبع و الكدرة المختلطة بالبخارات دائماً و المغبرة في الأغلب ، و إما بالإضافة إلى الأزمنة إذا غلظ في بعضها ورق في بعض و تفاوت قوى بصر الناظرين إليه في الحدة و الكلال . و إن ذلك كله على اختلاف بصنوف الاقترانات كائنة في كل أول شهرين رمضان و شوال على أشكال غير معدودة ، و أحوال غير محدودة فيكون لذلك رمضان ناقصاً مرة و تاماً أخرى ، و إن ذلك كله يفتن بتزايد عروض البلدان و تناقصها ، فيكون الشهر تاماً في البلدان الشمالية مثلاً ، و ناقصاً هو بعينه في الجنوبية منها و بالعكس . ثم لا يجري ذلك فيها على نظم واحد ، بل لا يتسق فيها أيضاً حالة واحدة بعينها لشهر واحد مراراً متوالية و غير متوالية ، فلو صح عملهم مثلاً بتلك الجداول و اتفق مع رؤية الهلال أو تقدمه يوماً واحداً كما أصلوا لاحتاجوا إلى إفرادها لكل عرض ، على أن اختلاف الرؤية ليس متولداً من جهة العرض فقط ، بل لاختلاف أطوال البلدان فيها أوفر نصيب ، فإذن لا يمكن ما ذكره من تمام شهر رمضان أبداً ، و وقوع أوله و آخره في جميع المعمورة من الأرض متفقاً ، كما يخرج الجدول الذي يستعملونه . فأما قولهم إن مقتضى الخبر المأثور تقديم الصوم و الفطر على الرؤية فباطل ، و ذلك أن حرف اللام يقع على المستأنف كما ذكره ، و يقع على الماضي ، كما يقال : كتب لكذا مضى من الشهر

أي من عند مضي كذا ، فلا تتقدم الكتابة الماضي من الشهر ، وهذا هو مقتضى الخبر دون الأول . ألا ترى إلى ما روي عنه عليه السلام أنه قال : نحن قوم أميون لانكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا . وكان يشير في كل واحدة منها بأصابعه العشر يعني تاماً ثلاثين يوماً ، ثم أعاد فقال : هكذا وهكذا وهكذا ، وخص إبهامه في الثالثة يعني ناقصة تسعة وعشرين يوماً ، فنص عليه السلام نصاً لا يخفى على أحد أن الشهر يكون تاماً مرة ويكون ناقصاً أخرى ، وأن الحكم جار عليه بالرؤية عليه دون الحساب بقوله لانكتب ولا نحسب . فان قالوا : عنى أن كل شهر تام فإن تاليه ناقص كما يحسبه مستخرجوا التواريخ ، كذبهم العيان إن لم ينكروه ، وعرف تمويههم الصغير والكبير فيما ارتكبهوه ، على أن تتممة الخبر الأول يفسح باستحالة ما ادعوه ، وهو قوله عليه السلام « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا شعبان ثلاثين يوماً » وفي رواية أخرى « فان حال بينكم وبين رؤيته سحاب أو قمام فأكملوا العدة ثلاثين » وذلك أنه إذا عرف أن الهلال يرى إما بجداولهم وحسابهم أو بما يستخرجه أصحاب الزيجات وقدم الصوم أو الفطر على رؤيته لم يحتج إلى إتمام شعبان ثلاثين أو إكمال شهر رمضان ثلاثين إذا انطبقت الآفاق بسحاب أو غبار ، ولو كان أيضاً شهر رمضان تاماً أبداً ثم عرف أنه لا يستغنى به عن الرؤية لسؤال ، مع ما روي في كتب الشيعة الزيدية أن الناس صاموا شهر رمضان على عهد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرين يوماً ، فأمرهم بقضاء يوم واحد فقضوه ، وإنما اتفق ذلك لتوالي شهر شعبان وشهر رمضان عليهم ناقصين معاً ، وكان حال بينهم وبين الرؤية لرأس شهر رمضان حائل ، فأكملوا العدة وتبين الأمر في آخره . وروي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال : يصيب شهر رمضان ما يصيب سائر الشهور من الزيادة والنقصان ، وروي عنه أيضاً أنه قال : إذا حفظتم شعبان وغم عليكم فعدوا ثلاثين وصوموا . وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه سئل عن الأهلة فقال : هي الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم ، وإذا رأيتته فأفطر . فأما ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إذا رأيت هلال رجب فعد تسعة وخمسين يوماً ثم صم

و ما رووا عنه أنه قال : إذا رأيت هلال شهر رمضان لرؤيته فعدّ ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوماً ثم صم في القابل ، فإن الله خلق السنة ثلاثمائة و ستين يوماً ، فاستثنى منها ستة أيام فيها خلق السماوات و الأرض فليست في العدد . فلو صححت الرواية عنه لكان إخباره عن ذلك على أنه أكثر من الوجود في بقعة واحدة ، لا أنه مطرد في جميع البقاع كما ذكرنا . و أمّا تعليل الأيام الستة بهذه العلة فتعليل ركيك يكذب الرواية و تبطل له صحتها ، وقد قرأت فيما قرأت من الأخبار أن أبا جعفر محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء و هو خال معن بن زائدة و كان من المانوية ، فكثرت شفاعته بمدينة السلام و ألقوا على المنصور حتى كتب إلى محمد بالكف عنه ، و كان عبد الكريم يتوقع ورود الكتاب في معناه ، فقال لأبي الجبار و كان منقطعاً إليه : إن أخترني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف درهم . فأعلم أبو الجبار محمداً فقال : ذكرتني و كنت نسيتي ، فإذا انصرفت من الجمعة فاذا ذكرني . فلما انصرف ذكره إياه فدعاه فأمر بضرب عنقه ، فلما أيقن أنه مقتول قال : أما والله لئن قتلتوني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال و أحلّ به الحرام ، و لقد فطرتكم في يوم صومكم ، و صومتمكم في يوم فطركم . ثم ضربت عنقه و ورد الكتاب في معناه بعده ، و ما أحق هذا الرجل الملاحد بأن يكون متولّي هذا التأويل الذي ذهبوا إليه و أصله (انتهى) و تمام القول فيه في كتاب الصوم .

الفائدة الرابعة : اعلم أن ما ذكرناه من أن مدة الشهر القمري تسعة و عشرون يوماً و اثنتا عشرة ساعة و أربع و أربعون دقيقة إنّما هو باعتبار وضع القمر بالنسبة إلى الشمس إلى حصول مثل ذلك الوضع له ، فكان قدر مسير الشمس في هذا الزمان منضمماً إلى قدر دورته من نقطة معينة إليها ، و أمّا باعتباره في نفسه فإنه يتم دوره في مدة سبعة و عشرين يوماً و ثلث يوم ، فالنفاوت بين الاعتبارين بيومين و أربع ساعات و أربع و أربعين دقيقة ، فلمداره بالاعتبار الأخير حدود ينزل في كل ليلة في أحدها إلى أن يرجع إلى الأوّل منها ، فهي حقيقة اثنان و ثمانون منزلاً

في ثلاث دورات له مكان الكسر المذكور ، ولكن الناس تسامحوا فيه و اصطلمحوا على تقسيم كل دورة له إما إلى سبعة و عشرين منزلاً كما اصطلمح عليه أهل الهند إسقاطاً للكسر ، و إما إلى ثمانية و عشرين كما اصطلمح عليه العرب إتماماً له ، و علموها بالكواكب القريبة منها وقد مر ذكرها ، و نظموها بالفارسية على الترتيب هكذا :

اسماء منازل قمر نزد عرب	✧	شرطين و بطين است و ثريادبران
هقعه هنعه ذراع و نثره پس طرف	✧	جبهة زبره صرفه و عو ايس ازان
پس سماك و غفر و زبانا اكليل	✧	قلب و شوله نعائم و بلده بدان
سعد ذابح سعد بلع سعد سعود	✧	باشد پس سعد احميه چارمشان
از فرع مقدم بمؤخر چه رسيد	✧	آنكه برشاء شد كه باشد پايان ^(١)

فلاجل التفاوت المذكور بين الاعتبارين إذا فرضنا القمر بداراً في منزل معين في شهر معين فبعد إتمام دورة منه إليه يكون فيه بعينه في الشهر التالي ناقصاً عن البدرية بحسب ذلك التفاوت ، وهكذا يزيد النقصان المذكور بعد كل دورة حتى يبلغ بعد ست دورات في المنزل المذكور بعد تمام الشهر السادس إلى مرتبة الهلالية و قس عليه عكسه فيبلغ بعد إتمام ست دورات آخر فيه إلى البدرية ، فعلى أي حالة يرى في منزل معين يرى فيه بعد ست دورات على الحالة المقابلة لها ، و بعد اثنتي عشرة دورة على الحالة الموافقة لها ، و هكذا دائماً .

فإذا تمهد هذا فنقول : قد عرفت ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى : « و القمر قد رناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم^(٢) » و يرجع حاصله إلى أن القمر من أول ظهوره بالعشيات مستهلاً إلى آخر رؤيته بالغدوات مستنيراً يسير جميع المنازل ، و في آخرها يشبه بالعرجون القديم فيما يعرضه بسبب مرور الزمان

(١) قد مر مناقب الاسماء ووجوه تسمية المنازل بها في هذا الجزء (ص ١٣٥ و ١٣٦)

فراجع .

(٢) يس ٣٩٠ .

كالدقة و الانحاء . قال الطبرسي - ره - في جامع الجوامع : والمعنى قد رنامسيره منازل ، و هي ثمانية و عشرون منزلاً ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر منها ^(١) على تقدير مستو « حتى عاد كالعرجون القديم » و هو عود العذق الذي تقادم عهده حتى يبس و تقوس ، و قيل : إنه يصير كذلك في ستة أشهر ، قال الزجاج : هو « فعلون » من الانعراج و هو الانعطاف ، و القديم يدق و ينحني و يصغر ، فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (انتهى) و قال الزمخشري بعد تفسير الآية بنحو مما مر : و قيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول ، فلوان رجلاً قال « كل مملوك لي قديم فهو حر » أو كتب ذلك في وصيته ، عتق له من مضى له حول أو أكثر (انتهى) و روى علي بن إبراهيم و الطبرسي - رحمهما الله - و غيرهما أنه دخل أبو سعيد ، ^(٢) المكاري على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال : ما تقول في رجل قال عند موته « كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله ؟ » فقال أبو الحسن عليه السلام : ما ملكه لستة أشهر فهو قديم و هو حر . قال : و كيف صار ذلك ؟ قال : لأن الله يقول « و القمر قد رناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » سماه الله قديماً و يعود كذلك لستة أشهر ^(٣) (الخبر) وفي الكافي هكذا : قال نعم ، إن الله يقول في كتابه « حتى عاد كالعرجون القديم » فما كان من مملكته التي له ستة أشهر فهو حر ^(٤) . فظهر من سياق ما نقلناه من التفسير و الحديث أن بين العامة و الخاصة في المسألة المذكورة من العتق موضع وفاق ، هو أن حكمها مستنبط من الآية المذكورة ، و موضع خلاف هو أن العامة لم يجاوز نظرهم عمافيتها من توصيف العرجون بالقديم فظنوا بمحض زعمهم أن ثبوت هذا الوصف له بعد أن يحول الحول ، فحكموا في المسألة على طبقه ، وأن الخاصة عرفوا بتفريع إمامهم الحكم فيها بستة أشهر على

(١) عنها (خ) .

(٢) في الكافي : ابن أبي سعيد .

(٣) تفسير القمي ، ٥٥١ ، مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ و ٢٢٥ .

(٤) الكافي (طبعة دار الكتب) ج ٦ ، ص ١٩٥ و فيه فهو قديم و هو حر .

الآية أنه الحق" الموافق لما تضمنه الكتاب ، فاكتفوا به لعدم احتياجهم معه إلى تعرف وجه استنباطه منها ، إذ لهم ^{الكلام} طرق في استخراج الأحكام و الوقائع من الكلام المجيد لا سبيل لنا إلى معرفتها . لكن ذكر بعض المحققين هنا وجهاً دقيقاً نوره ههنا وهو أن عبارة «حتّى عاد كالعرجون القديم» المذكورة من الآية في الحديث للاحتجاج عليه مشتملة على عدّة ألفاظ فابتدأوها المتكفل للدلالة على اعتبار انتهاء ما صورّه تعالي فيها من سير القمر بالمطابقة متضمّن للدلالة على اعتبار ابتداء له أيضاً بالالتزام ، و ذكر العود يدلّ على اتّحادهما ، به معنى أن ما اعتبره من منازل في هذا السير للابتداء اعتبر هو بعينه للإنتهاء ، و تقييده في ضمن التشبيه بكونه هلالاً في خصوص حال العود يدلّ على اعتبار كونه بدرّاً مقابلاً لها في حال البدء المقابل له ، كما يتبادر من لفظ القمر أيضاً سيّما مع مقابلة الشمس من الطرفين و النكتة حينئذ في اعتبار هذا الترتيب في البدء والعود دون العكس أظهر من الشمس ثمّ توصيف المشبه به بالقدم يدلّ على اعتبار هذا الوصف أيضاً في جملة وجوه الشبه بل هو أحقّ بالاعتبار ، لاختصاصه بالذكر ، و كونه مناطاً لسائر الوجوه ، كقولهم فلان كالبدر المنير أو كالأسد الغضبان ، فمجمّل ما أوجز في تلك الكلمات التامّات إنّما يرى من حال سير القمر في منازل المقدّرة له من أنّه في أيّ منزل كان بدرّاً فيه ، في وقت يصير فيه بعينه هلالاً شبيهاً بالعرجون القديم بعد دورات معدودة في أزمنة محدودة على تدرّج خاصّ و نظام معيّن لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يزيد ولا ينقص وهكذا حاله في جميع الأزمان من عجائب الآيات و غرائب التدبيرات ، فبذلك التصوير و التشبيه مع ما عرفت ممّا مهدّاه من أن صيرورته هلالاً في منزل كان فيه بدرّاً يتمّ بتمام الشهر السادس و حينئذ بتعرّضه للصفات المعتبرة في المشبه به و من جعلتها القدم تعرف أن الشيء إذا أتى له ستّة أشهر صار موصوفاً بالقدم و هذا هو المطلوب .

فان قيل : مدّة ستّة دورات ناقصة عن ستّة أشهر كما عرفت .

قلنا : قد مرّ أنّه شاع في عرف أهل الحساب عدّ ما زاد على النصف من الكسور

كاملاً ، و النقصان هنا أقلّ من نصف شهر كما لا يخفى .

و ربّما يؤيّد هذا الوجه بأنّ الخبر على ما رواه عليّ بن إبراهيم ظاهره وصف القمر بالقديم ، إذ الظاهر رجوع الضمير في « سماء » إلى القمر ، بقريضة قوله « و يعود كذلك » .

و أقول : هذا وجه لطيف مشتمل على دقائق جليّة ، لكنّه في غاية البعد و التكلّف ، والله يعلم حقائق كلامه ، و من خصّه بمزيد الفضل من إنعامه .

الفائدة الخامسة : اعلم أنّ أصحابنا اتفقوا على أنّ ولادة نبيّنا ﷺ كانت في شهر ربيع الأوّل ، إمّا في السابع عشر منه كما هو المشهور ، أو في الثاني عشر كما اختاره الكلينيّ - ره - وهو المشهور بين المخالفين . و ذكر الكلينيّ وغيره أنّ الحمل به ﷺ كان في أيام التشريق ، فيلزم أن يكون مدّة حملته ﷺ إمّا ثلاثة أشهر أو ستة وثلاثة أشهر ، مع أنّ الأصحاب اتفقوا على أنّه لا يكون الحمل أقلّ من ستة أشهر ولا أكثر من سنة ، ولم يذكر أحد من العلماء أنّ ذلك من خصائصه صلى الله عليه و آله و الجواب أنّ ذلك مبنيّ على النسبيّ الذي حققناه في صدر الباب ، و ذكروا للنسبيّ ثلاثة معان أو مآناً إلى بعضها : الاول أنّهم كبسوا تسع عشرة سنة تامّة قمرية ، حتّى صارت تسع عشرة سنة تامّة شمسيّة على ترتيب « بهزيجوح » فدور النسبيّ على هذا الوجه تسع عشرة سنة تامّة قمرية مكبوسة بسبعة أشهر تامّة قمرية ، لأنّ تسع عشر منه وسبعة أشهر تامّتين قمريتين تسع عشرة سنة تامّة شمسيّة ، والشهر الزائد وهو الكبس يسمّى النسبيّ ، لأنّه المؤخّر عن مكانه لأنّ المحرّم لو سمّي بذوي الحجّة صار صفر محرّماً ، فتأخّر المحرّم إلى مكان صفر و السنة التي يزيدون الشهر فيها هي السنة الكبيسة أي المدخولة المزيدة فيها ، من الكبس بمعنى الطمّ . الثاني أنّهم كانوا يكبسون في كلّ ثلاث سنين شهراً ، فدور النسبيّ ستّ و ثلاثون سنة تامّة قمرية مكبوسة باثني عشر شهراً قمرياً كذلك . الثالث أنّهم كانوا يكبسون في كلّ سنتين شهراً ، فدور النسبيّ على هذا الوجه أربع وعشرون سنة تامّة قمرية مكبوسة باثني عشر شهراً تامّاً قمرياً ، وهذا الوجه أشهر

موافقاً لما ذكره الطبرسي وغيره . وبالجملة إنهم كانوا يزيدون في بعض السنين شهراً
ويتركون بعضها بحاله ، فبعض سنينهم اثنا عشر شهراً ، وبعضها ثلاثة عشر شهراً ، و
الزيادة دائماً تكون في آخر السنة التي ينتقل الحج بعدها من شهر إلى آخر ، لأن
من شهر إلى مثله اثني عشر شهراً ، ومنه إلى ما يليه ثلاثة عشر شهراً والنسيء المشهور مبني
على الأخير ، وربما يبنى على الأول والثاني أيضاً فنقول على الوجه الثالث المشهور لمّا
تبين أن الولادة في الربيع الأول إما في السابع عشر أو في الثاني عشر والوفاة إما في
الثاني عشر منه كما اختاره الكليني - ره - وفقاً للمشهور بين العامة ، أوفي الثامن
والعشرين من الشهر قبله أعني صفر كما هو المشهور عند الإمامية والمشهور أن مدة حياته
الشريفة عليه السلام ثلاث وستون سنة تامة قمرية تحقياً على الأول وتقريباً على الثاني
فمن جمادى الآخرة المؤخر عن ولادته عليه السلام بثلاثة أشهر إلى ذي الحجة من حجة
الوداع المقدم على وفاته عليه السلام بمثله اثنان وستون سنة تامة قمرية وستة أشهر ، و
هو ستون سنة تامة نسيئية ، لأن ستين سنة نسيئية زائدة على ستين سنة تامة قمرية
بثلاثين شهراً ، لأن كل سنتين تامتين نسيئتين زائدة على سنتين تامتين قمريتين
بشهر ، باعتبار انتقال الحج من شهر إلى آخر كما عرفت ، و ثلاثون شهراً سنتان
وستة أشهر ، فظهر أن من جمادى الثانية التي في خلال عام مولده إلى حجة الوداع
ستون سنة تامة نسيئية ، وظهر أن الحج وقع في خلال عام مولده في جمادى الثانية
إذ المفروض أن مبدأ كل سنة من السنين التامة النسيئية الحج الواقع في شهر و
منتهاها الحج الآخر الواقع في هذا الشهر أوفي الشهر الآخر بعده ، فمبدأ الستين
السنة النسيئية جمادى الثانية ، و منتهاها ذوالحجة حجة الوداع ، فالستون السنة
محصورة بين حجتين : إحداهما المبدأ والأخرى المنتهى ، فالحجج الواقعة في هذه
المدّة إحدى وستون حجة لأن كل سنة تامة نسيئية محصورة بين حجتين ، وكل
حجة بداية سنة تامة نسيئية و نهاية سنة أخرى إلا حجة الوداع لأن النسيء
انقطع عنده ، فهي نهاية سنة ستين نسيئية فقط ، و الحجة الواقعة في خلال عام
مولده هي الحجة الأولى الواقعة فيها ، لأن حجة الوداع كانت أولى حجة وقعت

في ذي الحجة كما مر ، والواقعة قبلها في الشهر السابقة كانت في ذي القعدة ، فالشهر الزائد في آخر سنة الستين و المزيد فيها شهر سنة الستين لآلتي قبلها ، وكذا كل شفيع من السنين النسيئية هي التي زيد في آخرها شهر ، وقد مر أن الزيادة تكون باعتبار انتقال الحج من شهر إلى آخر ، فلو كانت الحجّة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده ﷺ هي الحجّة الثانية لزم أن تكون الحجّة الواقعة بعدها التي هي مبدأ السنة الثانية من السنين النسيئية ومنتهى السنة الأولى قد وقعت في رجب ، لأن المفروض عدم وقوع أزيد من حجّتين في شهر ، وأن تكون الزيادة في السنة الأولى لا في الثانية ، وفي الوتر من السنين النسيئية لآلتي الشفيع ، وأن تكون حجّة الوداع الحجّة الثانية الواقعة في ذي الحجّة ، لا الأولى ، وهو خلاف المنقول والمروي . فظهر أن الحجّة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده صلى الله عليه وآله كانت الحجّة الأولى ، فالحمل به ﷺ في أيام التشريق في السنة السابقة في جمادى الأولى ، فمدّة الحمل عشرة أشهر بلا زيادة ولا نقصان ، أو بزيادة يوم أو بنقصان على ما ذهب إليه الكليني ، و بزيادة أيام على المشهور ، من أن يوم الولادة السابع عشر وقد مر بعض القول منّا في ذلك في المجلد السادس في باب ولادته ﷺ وقد ذكرنا هنا جملة من القول في الاختلاف الواقع في يوم مولده صلى الله عليه وآله ولندكر هنا أيضاً بعض القول فيه لما انتهى الكلام إليه ، فإن الحديث ذو شجون .

فاعلم أنه لا خلاف في أن يوم الولادة الشريفة من أيام ربيع الأول في عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة ، وإنما الخلاف في أنه أي يوم من الشهر المذكور ، ولكن علماء الإمامية - رضوان الله عليهم - متفقون على كونه غير خارج من الثاني عشر والسابع عشر ، فالمشهور السابع عشر ، قال الشيخ المفيد - ره - في المقنعة : ولد ﷺ بمكة يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول في عام الفيل وصدع بالرسالة في يوم السابع والعشرين من رجب وله يومئذ أربعون سنة (انتهى) ونحو ذلك قال شيخ الطائفة وغيرهما من العلماء والمحدثين إلا ثقة الإسلام في

الكافي حيث قال : ولد النبي ﷺ لائنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة^(١) وهو موافق لما هو المشهور بين العامة في الحرمين زاد الله في شرفهما وغيرهما من بلاد المخالفين ، وهذا القول مع ندرته بيننا قدماً يد بوجوده :

الأول أن وفاته ﷺ كانت في يوم الاثنين بالاتفاق ، وكانت إما لليلتين بقيتا من شهر صفر كما هو المشهور بين الشيعة ، أو في الثاني عشر من ربيع الأول كما في الكافي وهو أيضاً مشهور بين المخالفين ، وعلى كل تقدير يكون لامحالة غرة ربيع الأول في السنة الحادية عشر من هجرته الموافقة لوفاته ﷺ مطابقة ليوم الخميس ويلزم منه بالبرهان الحسابي أن يكون غرة ربيع الأول في سنة المولد يوم الاثنين أو يوم الثلاثاء ، إذ بين غرتي هذين الربيعين ثلاث و ستون سنة قمرية بلا زيادة ولا نقصان لعدم الخلاف في مدة عمره ﷺ ثلاث وعشرون أو أربع وعشرون منها ذات كبسة ، و الباقية خالية عنها ، و التردد باعتبار عدم العلم بمبدأ الكبائس ، و بعد طرح الأسبوعات التامة من كل سنة يبقى من ذوات الكبائس خمسة أيام ، و من غيرها أربعة أيام ، و هذا ظاهر ، فيجتمع من بقايا أسبوعات تلك السنين مائتان وخمسة وسبعون أو ستون وسبعون يوماً ، و الباقي منها بعد طرح سبعة سبعة اثنان أو ثلاثة ، فيلزم من ذلك أن تكون غرة ربيع المولد يوماً من الأسبوع مقدماً على يوم غرة ربيع الوفاة باثنين أو ثلاثة ، و كان هذا يوم الخميس فكان ذلك يوم الاثنين أو الثلاثاء كما ذكرنا و كونه يوم الثلاثاء ساقط بالاتفاق لعدم إمكان مطابقة الثاني عشر ولا السابع عشر على تقديره ليوم الجمعة ، فتعيّن يوم الاثنين فيصادفه الثاني عشر دون السابع عشر ، وهو المطلوب .

والثاني أن وفاة العسكري وانتقال الأمر إلى صاحب الزمان ﷺ باتفاق الكليني والمفيد - رضي الله عنهما - في الكافي والإرشاد كان في يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة ستين ومأتين من الهجرة^(٢) . فكانت غرة الشهر المذكور أيضاً

(١) الكافي ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٢) الكافي ج ١ ، ص ٥٠٣ ، الإرشاد : ٣٣٥ .

وما بين غرة هذا الربيع وربيع المولد ثلاثمائة واثناعشرة سنة كاملة ، فيظهر بالحساب المتقدّم أن بقايا أسبوعات أيام تلك السنين أربعة أو خمسة أيام ، فتكون غرة ربيع المولد مقدّماً على الجمعة بمثلها ، فيكون يوم الاثنين أو يوم الأحد ، والثاني ساقط بالاتّفاق ، والأوّل مستلزم للمطلوب .

والثالث : أن غرة محرّم الحرام لسنة الهجرة مضبوطة عند أهل الهيئة والحساب ، بأنّها كانت يوم الخميس بحسب الحساب ، و يوم الجمعة باعتبار رؤية الهلال كما هو مذكور في التحفة والزيج الجديد وكذا غرة رجب المرجّب سنة المبعث مضبوط بأنّها كانت يوم الاثنين كما يظهر ممّا رواه الشيخ في المصباح من أن المبعث كان في يوم السبت ، ولم أطلع على خلاف فيه ، فيستفاد من هذين الضبطين أيضاً دليلان آخران على هذا المطلوب .

والرابع : ذكر بعض الأفاضل - ره - أن غرة ربيع الأوّل فيما نحن فيه من الزمان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة كانت يوم الثلاثاء بلاشك ، وقدمضى حينئذ من غرة ربيع المولد ألف ومائة وأربعون سنة ، و من المقرّرات الحسابيّة المعلومة لأهل الخبرة أن في كلّ مائتين وعشرة سنين يعود وضع أيام الأسابيع مع أيام الشهور العربيّة إلى ما كان ، ففي ألف وخمسين سنة يتمّ العود المذكور خمس مرّات ، فيكفي لنا النظر في تتمتها وهي تسعون سنة ، ثلاث وثلاثون منها ذات كبيسة وسبع وخمسون بلا كبيسة ، وقد عرفت أن الباقي من الأسبوعات كلّ من الأولى خمسة ، و من الثانية أربعة ، فمجموع البقايا ثلاثمائة و ثلاث وتسعون يوماً ، وإذا طرحناه سبعة سبعة يبقى واحد ، فظهر أن غرة ربيع المولد مقدّم على غرة ربيعنا بيوم ، وهذا كان يوم الثلاثاء فذلك كان يوم الاثنين وهو يستلزم المطلوب كما مرّ .

ثمّ قال - ره - : فإن قيل : ذكر الشيخ في المصباح وغيره رواية مشتملة على تفسير المولد بالسابع عشر . قلنا : لكونها منافية لمقتضى هذه الدلائل الحسابيّة الغير المشكوك فيها ، بل معارضة لما رواه أيضاً في المصباح من موافقة المبعث يوم

السبت ، لعدم إمكان اجتماعهما على ما مرّ ينبغي حملها على أن لا يكون التفسير المذكور من كلام الإمام ، بل من كلام بعض الرواة ، لإزالة الإبهام عنها على حسب اعتقاده ومثل ذلك ليس بعزيز في الروايات .

ثم إذا أتقنت هذا المسلك يتبين لك الحق بمعوتته في كثير مما وقع الخلاف فيه ، فمن ذلك أن الأمة بعد اتّفاقهم على وقوع هجرة نبيّنا ﷺ من مكة إلى المدينة في السنة الرابعة عشر من المطبعت اختلفوا في شهرها ويومها بالنسبة إلى الشهر وبالنسبة إلى الأسبوع ، فقيل : يوم الاثنين السادس والعشرون من صفر ، وقيل : ليلة الاثنين السابع والعشرون منه ، وقيل : يوم الخميس أوّل ربيع الأوّل ، وقيل : يوم الثلاثاء ثامنه ، وقيل : يوم الاثنين بدون ذكر شهرها ، وقيل : أوّل ربيع الأوّل بدون ذكر يومه ، وقيل : الرابع منه ، وقيل : العاشر منه كذلك ، فهذه أقوال ثمانية ، ولما عرفنا ما مرّ من مطابقة غرّة المحرّم سنة الهجرة ليوم الخميس أو الجمعة واطّلعتنا على سائر التواريخ المعلومة ومن حملتها أن غرّة ربيع المولد يوم الاثنين ، وأنّ بينها وبين غرّة ربيع الهجرة ثلاثاً وخمسين سنة ، ووجدناها مشتملة على أسابيع تامّة بلا كسر ، ومستلزمة لموافقة غرّة تيمها يوماً ، حصل لنا بتلك المعارف العلم بتهافت القولين الأوّلين ، لعدم موافقة السادس والعشرين والاسابع والعشرين من صفر ليوم الاثنين ، وكذا بتهافت القول الثالث والرابع لعدم مطابقة أوّل ربيع الأوّل للخميس ، ولا الثامن منه للثلاثاء ، ثم نعلم بارتفاع احتمال الثلاثاء والخميس من البين ، تعيين يوم الاثنين موافقاً لليوم الخامس المروي عن ابن عباس بل عن رسول الله ﷺ . ثم بتعيينه بطلان القولين الأخيرين لتناقضهما ، ثم ببطلانهما تعيين أوّل ربيع الأوّل موافقاً للقول السادس المنقول عن الشيخ المفيد - ره - فتبين لنا أن هجرته ﷺ كانت في يوم الاثنين أوّل ربيع الأوّل والحمد لله .

ثم بعد هذا التحقيق إذا نظرنا في تاريخ وصوله ﷺ إلى المدينة و اختلاف القوم فيه ، فقيل : لهلال ربيع الأوّل ، وقيل لليلتين خلّتا منه ، وقيل لاثنتا عشرة مضت منه عرفنا بطلان القولين الأوّلين من طريق العادة ، فتعيّن القول الأخير

الذي ذهب إليه المفيد - ره - في حدائق الرياض ، وقد نقل ابن الجوزي في تلقيحه عن ابن سعد أنه هو المجمع عليه ، ثم بتعيينه عرفنا أن ما نقله ابن الجوزي عن ابن عباس وغيره و ادعى صاحب روضة الضفا اتفاق أئمة الأخبار عليه من مصادفة يوم وصوله ﷺ إلى المدينة ليوم الاثنين لا عبرة به ، لعدم إمكان اتفاق الأول و الثاني عشر من شهر في يوم ، فيكون وصوله ﷺ يوم الجمعة ، فظهر أيضاً فساد ما نقله عن عروة أنه مكث بقبا ثلاث ليال ، ثم ركب يوم الجمعة ، فالمعتمد هو ما نقله عن الزهري أنه ﷺ نزل في بيت عمرو بن عوف بقبا ، فأقام به بضعة عشرة ليلة ، فإنه موافق لما رواه الكليني في الروضة بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عليه السلام في ذكر إسلام علي عليه السلام وموضع الحاجة منه قوله عليه السلام : « حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة و خلف علياً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره ، وكان خروج رسول الله ﷺ من مكة في أول يوم من ربيع الأول و ذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث ، و قدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس فنزل بقبا فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين ، ثم لم يزل مقيماً ينتظر علياً عليه السلام يصلّي الخمس صلوات ركعتين ركعتين وكان نازلاً على عمرو بن عوف ، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له : أتقيم عندنا فتتخذك منزلاً و مسجداً ؟ فيقول : لا ، إنني أنتظر علي بن أبي طالب ، وقد أمرته أن يلحقني ، و لست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي ، و ما أسرع إن شاء الله تعالى فقدم علي عليه السلام و النبي ﷺ في بيت عمرو بن عوف ، فنزل معه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله لما قدم علي عليه السلام تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف ، و علي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس ، فخط لهم مسجداً و نصب قبلته فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين ، و خطب خطبتين ، ثم راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها ، و علي معه لا يفارقه يمشي بمشيه ^(١) (الحديث) .

ولا يخفى أن فيه إشكالين : أحدهما في قوله « وذلك يوم الخميس » لماعرفت

أن أول ربيع الأول في سنة الهجرة يوم الاثنين ، و الآخر في قوله « من سنة ثلاث عشرة من المبعث » ، لما عرفت أيضاً من الاتفاق على كونه في السنة الرابعة عشر منه ، ويمكن توجيه الأول بأن ذلك ليس إشارة إلى أول يوم ولا إلى خروج رسول الله ﷺ كما يتبادر إلى الأذهان ، بل إلى التخليف المذكور قبلهما ، ولعل هذا أقرب إلى ذلك لفظاً لكونه أبعد ، ومعنى لما نقل أنه ﷺ توقف بعد خروجه من مكة في الغار المشهور ثلاثة أيام ، وكان عليّ ﷺ يصل إليه فيه سرّاً ، فالظاهر أن تخليفه فيما أوصى إليه من أموره كان عند ارتحاله عنه فتدبر . و توجيه الثاني بأن الاتفاق على كونها في الرابعة عشر مبني على أن المبعث كان في رجب ، و مبدأ السنة عند العرب هو المحرم ، فما بعد المحرم إلى رجب من جملة السنة الثالثة عشر من المبعث و إن كان معدوداً عندهم من الرابعة عشر باعتبار مبدأ السنة فهما متوافقان معنى ، و المخالفة إنما هي في اللفظ فقط .

و من ذلك اختلاف القوم بعد اتفاقهم على وقوع نص غدیر خمّ في ثامن عشر ذي الحجة من السنة العاشرة الهجرية في خصوص يوم (١) الأسبوعي ، فنقل عن ابن مردويه وعن أخطب خوارزم مروياً عن أبي سعيد الخدري أنه كان يوم الخميس وقال بعض الشيعة إنه كان يوم الجمعة ، وما نقل في حبيب السير من اتفاق المؤرخين على أن يوم عرفة في حجة الوداع كان مطابقاً ليوم الجمعة مقتضى للقول منهم بكونه يوم الأحد ، و كذا ما يتوهم ممّا في كتاب الحجة من المكافي في أثناء رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ حيث قال بعد بيان نزول الصلوة والزكوة و الصوم و الحج : « ثم نزلت الولاية و إنما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة ، أنزل الله عزّ وجلّ « اليوم أكملت لكم دينكم (١) » (الحديث) و كونه توهماً لأنه لا يصح أن يكون المراد بلفظ عرفة هنا يوم عرفة لمكان الباء ، و لا الموقوف لأن اسمه عرفات و إطلاق عرفة عليه شبيه بمولد كما في الصحاح و القاموس فإنّها مستعملة فيه في كثير من روايات

(١) كذا ، و الصواب « اليوم الأسبوعي » .

(١) المكافي ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

كتاب الحج من الكافي و الفقيه ، بل لظاهر الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بأن نزولها ما بين مكة و المدينة بعد الانصراف من حجة الوداع موافقاً لما نقل في مجمع البيان عن الربيع بن أنس إماماً قبل وصوله إلى غدير خم كما روي في تفسير علي بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام ، و إماماً بعده كما روي في مجمع البيان و غيره عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام موافقاً لما رواه المخالفون عن أبي سعيد الخدري و وجه الجمع حمل النزول في الأول على تمهيد ما ينزل ، أو في الثاني على إقامة ما نزل بالتبليغ ، فلو كان هذا اللفظ ههنا من كلام الامام عليه السلام لاحتمل أن يكون « عرفة » بالضم ، إذ هي كما في القاموس اسم لثلاثة عشر موضعاً ، فلا يبعد أن يكون أحدها قريباً من غدير خم ، هذا ، و لكن التحقيق أن ليس شيء من هذه الأيام الثلاثة موافقاً للتواريخ المضبوطة المعلومة مع اختلافها بالنسبة إليه قريباً و بعداً ، فإن أقربها منه غرة صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة سنة وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم وهي كما ظهر مما مر كانت مطابقة للثلاثاء ، فكانت غرة المحرم فيها موافقة للأحد أو الاثنين ، فكانت غرة ذي الحجة من السنة السابقة العاشرة من الهجرة غير خارجة عن الجمعة و السبت و الأحد ، فكانت الثامن عشر منه لا يخلو من الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء . و أن أبعدا عنه غرة ذي الحجة من سنة سبع و ثمانين و ألف قبيل ما نحن فيه من الزمان ، وهي كانت يوم الخميس بحسب الحساب و الرؤية جميعاً بلا اشتباه ، و غرة ذي الحجة من السنة العاشرة مقدّمة عليها بألف و سبع و سبعين سنة تامّة ، فبطريق الحساب الذي مرّ بيانه يكون الباقي منها بعد طرح أسبوعاتها ستة فتكون مطابقة للجمعة ، فكان ثامن عشره مصادفاً ليوم الاثنين ، فيدل كل من هذين التاريخين المعلومين على خلاف كل من الأقوال الثلاثة ، و يدل على تعيين رابع هو يوم الاثنين ، و يطابقه أيضاً ما ضبط ابن الجوزي في التلخيص من أن قتل عثمان كان في يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين ، فإن ما بينهما خمس و عشرون سنة كاملة ، و الباقي بعد طرح أسبوعاتها أربعة ، فإذا كان هذا يوم الجمعة فكان ذلك مقدّماً عليه بأربعة أيام ، فكان يوم الاثنين ، و يوافق أيضاً

ما ذكره الطبري في تاريخه من أن أول جمعة صلى علي عليه السلام بالناس وخطب بهم بعد قتل عثمان كان مطابقاً للخامس والعشرين من ذي الحجة كما لا يخفى .
 فان قلت : الصدوق - ره - قال في الفقيه : وروي أنه ماطلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة ، و كان اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خم يوم الجمعة (١) (الحديث) .
 قلنا : أولاً إن دأبه - ره - في هذا الكتاب أن يذكر ما لم يعتمد عليه من الروايات بهذا السياق .

وثانياً إن قوله « و كان اليوم الذي - إلى آخره - » يجوز أن يكون من عبارة الراوي ، أو من عبارته على طبق طريقتة في هذا الكتاب من إدراج كلامه كثيراً بين الأحاديث بدون علامة فاصلة بينهما ، ويؤيدهما أن مثل صدر هذا الحديث مروى في التهذيب والكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام بدون هذه التسمية (٢) وفي الكافي أيضاً عن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام مع تسمية أخرى (٣) .

و ثالثاً : إنه يمكن أن يوجه فيحمل اليوم الذي نصب فيه علي عليه السلام على اليوم الذي نزل فيه الأمر بالنصب المذكور ، أو على اليوم المقدر فيه ذلك ، وهو يوم الميثاق ، أو يقال : أفاد عليه السلام أحد هذين المعنيين بلفظ آخر ، فنقله بعض الرواة بهذا اللفظ على طبق وهمه ، فيطابق على الأول ما مر من رواية أبي الجارود ، و على الثاني ما روي في الباب المذكور من الكافي و التهذيب عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال له رجل : كيف سميت الجمعة ؟ قال : إن الله عز وجل جمع فيها خلقه لولاية محمد صلى الله عليه وآله ووصيته في الميثاق ، فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه (٤) (الحديث) فتأمل .

(١) الفقيه : ١١٣ .

(٢) الكافي : ج ٣ ، ص ٤١٣ .

(٣) > ج ٣ ، ص ٤١٥ .

(٤) > ج ٣ ، ص ٤١٥ .

ومن ذلك أنهم بعد اتّفاقهم على وقوع الواقعة العظمى بكر بلا في العاشر من المحرّم سنة إحدى وستين من الهجرة اختلفوا في يومه الأسبوعيّ ، فقيل : كان يوم الجمعة ، وقيل : يوم السبت ، وقيل : يوم الإثنين ، و التواريخ المعلومة المضبوطة لاتوافق شيئاً منها ، فإنّ أقربها إلى يوم الغدير في السنة العاشرة ، وكونها مطابقةً للإثنين على ما مرّ مستلزم لعدم خروج غرّة المحرّم في الحادية عشر عن السبت والأحد ، وما بين المحرّمين خمسون سنة تامّة ، و الباقي من أسبوعاتها واحد ، و يحتمل اثنين أيضاً من جهة زيادة الكبائس لو فرضنا مثلاً [مبدئه] الخمسين المذكور مطابقتاً لخامس الثلاثين المعتبر فيها الكبائس لإحدى عشرة كما لا يخفى على أهل الخبرة ، فيلزم أن يكون غرّة المحرّم في سنة إحدى وستين مؤخّرةً عن السبت أو الأحد بواحد أو اثنين ، فيكون موافقاً للأحد أو الإثنين ، أو الثلاثاء ، فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء والأربعاء والخميس وأبعد التواريخ المذكورة عنها غرّة المحرّم فيما نحن فيه من السنة الثامنة والثمانين بعد الألف ، وهي كما ثبت بالحساب و الرؤية جميعاً بلا اشتباه كانت يوم الجمعة ، وما بين ذينك المحرّمين ألف وسبع وعشرون سنة ، فإذا أسقطنا عنها « ثمانمائة وأربعين » أربع دورات تامّة كلُّ منها مائتان وعشرة سنين على ما مرّ وجهه يبقى مائة وسبع وثمانون سنة ، و الباقي من أسبوعاتها خمسة مع احتمال أربعة أيضاً من جهة نقصان الكبائس لو فرضنا مثلاً مبدأ المدّة المذكورة مطابقتاً لثالث الثلاثين المذكور ، فيلزم أن يكون غرّة ذلك المحرّم مقدّمةً على غرّة محرّم سنتنا بخمسة أو أربعة ، فكانت يوم الأحد أو الإثنين ، فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء و الأربعاء ، و سائر التواريخ المعلومة أيضاً دالّة على مثل ما دلّ عليه هذان التاريخان من حال الأقوال المذكورة بالنسبة إلى القواعد الحسابية .

فان قلت : القول الأخير مضبوط في الكافي ، و الثاني في إرشاد المفيد على التعيين ، و الثلاثة في مقننته على التردد ، و بالجملة القدر المشترك بينها هو ما اتفق عليه الشيخان الجليلان .

قلنا : اتّفاقهما بل نقل كلِّ منهما مقبول ما لم يظهر في خلافه ما لا يعتمده الشكّ

و الشبهة ، و أمّا مع ذلك فالعذر واضح ، و باب التأويل مفتوح ، والله أعلم بحقائق الأمور .

ومن ذلك أن ابن إدريس - ره - في سرائره بعد ذكر فضيلة أيام ذي الحجة وما وقع فيها قال : وفي اليوم السادس والعشرين منه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طعن عمر بن الخطاب ، فينبغي للإنسان أن يصوم هذه الأيام ، فإن فيها فضلاً كثيراً وثواباً جزيلاً ، وقد تلبس على بعض أصحابنا يوم قبض عمر بن الخطاب فيظن أنه اليوم التاسع من ربيع الأول ، وهذا خطأ من قائله بإجماع أهل التواريخ والسير ، وقد حقق ذلك شيخنا المفيد في كتاب التواريخ وذهب إلى ما نقلناه (انتهى) .

ثم إن صاحب كتاب أنيس العابدين على طبق الكفعمي في ذكر أعمال أيام ربيع الأول قال : و تاسعه روى فيه صاحب مسار الشيعه أن من أنفق شيئاً غفر له ويستحب فيه إطعام الإخوان و تطيبهم ، والتوسعة في النقفة ، و لبس الجديد ، و الشكر ، و العبادة ، و هو [يوم] نفي الهموم ، و روي أنه ليس فيه صوم . و جمهور الشيعة يزعمون أن فيه قتل عمر بن الخطاب و ليس بصحيح ، ثم ذكر مضمون السرائر و كتاب التواريخ ، ثم قال : و إنما قتل عمر يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة نص على ذلك صاحب الغرّة ، و صاحب المعجم ، و صاحب الطبقات ، و صاحب كتاب مسار الشيعة ، و ابن طاووس ، بل الإجماع حاصل من الشيعة و السنة على ذلك (انتهى) .

و فيه أن اليوم المذكور من ذي الحجة من السنة المذكورة لا يمكن كونه موافقاً ليوم الاثنين ، بل الضوابط الحسابية على نحو ما مرّ تدل على أنه غير خارج عن الثلاثاء و الأربعاء ، فالقول بهما مشتمل على التهاوت .

اقول : أكثر ذلك ذكره بعض أفاضل المدققين ممن كان في عصرنا - ره - ولقد دقق و أفاد ، و أحسن و أجاد ، لكن بعض المقدمات المذكورة مبتنية على أقوال بعض العلماء ، تبع فيها بعضهم بعضاً ، أخذاً من بعض المورخين ، فعدّها من الإجماعات ، و ليس من الإجماع في شيء ، فلا يمكن القدح بها في الأخبار المعتبرة

و بعضها متفرقة على ما ظهر لهم من الأرصاد المختلفة في الكسور و الكبائس، مع أن حسابهم مبني على الأمر الأوسط في القمر، وقد تتقدم الرؤية عليه بيومين و تتأخر بيومين، لما مر أنه قد تتوالى أربعة من الشهر تامة، و قد تتوالى ثلاثة من الشهر ناقصة، مع أنه قد يمكن تأخر أول الشهور و تأخره بأكثر من ذلك لما نع غيم أو غيره، فيمكن أن يكون ماورد في الأخبار مبنياً على حكم ظاهر الشرع لا على قوانين الهيئة، ومع ذلك كله يصلح أن يكون مرجحاً لبعض الأقوال و الأخبار المختلفة، و لذا أطلنا الكلام بذكرها، و سنعيد القول في كل منها في باب إن شاء الله تعالى، و قد مر الكلام في بعضها، و الله الموفق للحق و الصواب.

١ - مهج الدعوات : روينا من كتاب عبد الله بن حماد الأنصاري، عن أبي عبد الله عليه السلام - و ذكر عنده حزيان - فقال : هو الشهر الذي دعا فيه موسى على بني إسرائيل، فمات في يوم و ليلة من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف من الناس .

٢ - و في حديث آخر من الكتاب المذكور عنه عليه السلام قال : إن الله خلق الشهور و خلق حزيان، و جعل الآجال فيه متقاربة .

بيان : تقارب الآجال كناية عن كثرة الموت، إما لأن أجل بعضهم يقرب من بعض، أو لأن أجل كل منهم يقرب من ابتدائه . و في القاموس : « إذا تقارب الزمان لم تكدرؤيا المؤمن تكذب » المراد آخر الزمان و اقتراب الساعة، لأن الشيء إذا قل تقاصرت أطرافه (١) .

٣ - الخصال : عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الصباح بن سيابة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله خلق الشهور اثني عشر شهراً، و هي ثلاثمائة وستون يوماً، فحجر منها ستة أيام خلق فيها السماوات و الأرضين، فمن ثم تقاصرت الشهور (٢) .

(١) القاموس : ج ١ ، ص ١١٥ .

(٢) الخصال : ٨٣ .

العلل : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد مثله (١) .
العياشي : عن الصباح مثله .

٤ - الفقيه : بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن محمد بن يعقوب ، عن شعيب ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : إن الناس يروون أن رسول الله ﷺ ما صام (٢) من شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً أكثر مما صام ثلاثين . قال : كذبوا ، ما صام رسول الله ﷺ إلا تاماً ، ولا تكون الفرائض ناقصة ، إن الله تعالى خلق السنة ثلاثمائة وستين يوماً ، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام ، فحجرها (٣) من ثلاثمائة وستين يوماً ، فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، و شهر رمضان ثلاثون يوماً لقول الله عز وجل « و لتكملوا العدة » و الكامل تام ، و شوال تسعة وعشرون يوماً ، و ذو القعدة ثلاثون يوماً ، لقول الله تعالى « و واعدنا موسى ثلاثين ليلة » فالشهر هكذا ، ثم هكذا ، أي شهر تام و شهر ناقص ، و شهر رمضان لا ينقص أبداً ، و شعبان لا يتم أبداً (٤) .

توضيح : قد عرفت سابقاً أن السنة القمرية تزيد على ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوماً بثمان ساعات و ثمان و أربعين دقيقة على ما هو المضبوط بالأرصاد ، فما في الخبر مبني على ما تعارف من إسقاط الكسر الناقص عن النصف في الحساب مساهلةً ، فإن كان ثلاث مائة و ستون بلا كسر فالسنة المخزن له ناقصة منها أيضاً بالقدر المذكور ، و إلا فيحتمل تمامها .

٥ - التمهيد : في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن الأهلة فقال : هي أهلة الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم ، و إذا رأيت فافطر .
و منه : بإسناده عن عبدالله بن سنان عنه عليه السلام مثله .

(١) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٢) في المصدر ، صام .

(٣) في المصدر « حجزها » بالزاي المعجمة .

(٤) الفقيه ، ١٩٦ .

المقنعة : عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام مثله .
بيان : « عن الأهله » أي المذكورة في قوله تعالى « يسألونك عن الأهله »
 فاستدل عليه السلام بالآية على أن المدار في الأحكام الشرعية على الرؤية كما قال الشيخ
 - ره - في التهذيب : المعتبر في تعرف أوائل الشهور بالأهله دون العدد على ما يذهب
 إليه قوم من شذاذ المسلمين ، و الذي يدل على ذلك قول الله عز وجل « يسألونك
 عن الأهله قل هي مواقيت للناس والحج »^(١) ، فبين الله تعالى أنه جعل هذه الأهله
 معتبرة في تعرف هذه الأوقات ، ولو كان الأمر على ما يذهب إليه أصحاب العدد
 لما كانت الأهله مراعاة في تعرف هذه الأوقات ، إذ كانوا يرجعون إلى العدد
 دون غيره ، و هذا خلاف التنزيل . و الهلال إنما سمي هلالاً لارتفاع الأصوات
 عند مشاهدتها بالذكر لها و الإشارة إليها بالتكبير أيضاً و التهليل عند رؤيتها ، و
 منه قيل « استهل الصبي » إذا ظهر صوته بالصياح عند الولادة ، و سمي الشهر شهراً
 لاشتهاره بالهلال ، فمن زعم أن العدد للآيتام و الحساب للشهور و السنين يعني في
 علامات الشهور عن الأهله أبطل معنى سمات الأهله و الشهور الموضوعه في لسان
 العرب على ما ذكرناه (انتهى) .

و أقول : يمكن المناقشة في بعض ما ذكره - ره - و سنذكرها في محلها إن

شاء الله .

٦ - التهذيب : في الصحيح عن محمد بن عيسى قال : كتب إليه أبو عمر : أخبرني
 يا مولاي أنه ربما أشكل علينا هلال شهر رمضان فلانراه ، و نرى السماء ليست غلة
 فيفطر الناس و نفطر معهم ؟ و يقول قوم من الحساب قبلنا : إنه يرى تلك الليلة
 بعينها بمصر و إفريقيّة و الأندلس ، فهل يجوز يا مولاي ما قال الحساب في هذا
 الباب حتّى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومهم خلاف صومنا ، و فطرهم
 خلاف فطرنا ؟ فوقع عليه السلام : لا تصومن الشك ، أفطر لرؤيته ، و صم لرؤيته .

بيان : يظهر من كلامه عليه السلام أن المدار على الرؤية ، و اختلاف الفرض إن

وقع الاختلاف في الرؤية غير ضائر .

٧ - الاقبال : روينا بإسنادنا إلى علي بن فضال ، من كتاب الصيام بإسناده إلى ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شهر رمضان رأس السنة ^(١) .

٨ - الفقيه : عن العبد الصالح عليه السلام قال : أَدْعُ بهذا الدعاء في شهر رمضان مستقبلاً دخول السنة . و ذكر أن من دعا به محتسباً مخلصاً لم تصبه في تلك السنة فتنة ولا آفة ، و ذكر الدعاء ^(٢) .

٩ - الكافي و التهذيب : بسند فيه جهالة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض ، فغرة الشهور شهر الله ^(٣) شهر رمضان ، و قلب شهر رمضان ليلة القدر ، و نزل القرآن في أوّل ليلة من شهر رمضان ، فاستقبل الشهر بالقرآن ^(٤) .

تبيين : « فغرة الشهور » أي أوّلها ، قال في النهاية : غرة كل شيء أوّله . وقد ورد في الأخبار أن أوّل السنة شهر رمضان ، أو المراد بها أفضلها و أكملها كما قال في النهاية : كل شيء ترفع قيمته فهو غرة . و الغرة أيضاً البياض ، فيحتمل ذلك أيضاً ، أي منور بالألوان المعنوية ، و الأوّل أظهر . والمشهور بين العرب أن أوّل سنتهم المحرم ، و هذه الأمور تختلف باختلاف الاعتبارات ، فيمكن أن يكون أوّل السنة الشرعية شهر رمضان ، و لهذا ابتداء الشيخ به في المصباحين ، و أوّل السنة العرفية المحرم ، و أوّل سنة التقديرات ليلة القدر ، و أوّل سنة جواز الأكل و الشرب شهر شوال ، كما روى الصدوق في العلل بإسناده إلى الفضل بن شاذان في عملة صلوة العيد : لأنه أوّل يوم من السنة يحلّ فيه الأكل و الشرب ، لأنّ

(١) الاقبال ، ٤٠ .

(٢) الفقيه ، ١٧٥ .

(٣) في المصدر ، شهر الله عن ذكره و هو شهر رمضان .

(٤) فروع الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

أوّل شهور السنة عند أهل الحقّ شهر رمضان^(١) و قال في عملة اختصاص شهر رمضان بالصوم : و فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، و فيها يفرق كلّ أمر حكيم و هو رأس السنة ، و يقدر فيها ما يكون في السنة من خير أو شرّ ، أو مضرّة أو منفعة أو رزق أو أجل ، و لذلك سميت ليلة القدر^(٢) .

و قال السيد بن طاووس - ره - في كتاب الإقبال : و اعلم أنّي وجدت الروايات مختلفات في أنّه هل أوّل السنة المحرّم أو شهر رمضان ، لكنني رأيت من عمل من أدر كنه من علماء أصحابنا المعتبرين و كثيراً من تصانيف علمائهم الماضين أنّ أوّل السنة شهر رمضان على التعيين^(٣) و لعلّ شهر الصيام أوّل العام في عبادات الإسلام ، و المحرّم أوّل السنة في غير ذلك من التواريخ و مهامّ الأنام ، لأنّ الله جلّ جلاله عظم شهر رمضان فقال جلّ جلاله « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان^(٤) » ، فلسان حال هذا التعظيم كالشاهد لشهر رمضان بالتقديم ، و لأنّه لم يجز لشهر من شهور السنة ذكر باسمه في القرآن و تعظيم أمره إلّا لهذا الشهر شهر الصيام ، و هذا الاختصاص بذكره كأنّه ينبّه - و الله أعلم - على تقديم أمره ، و لأنّه إذا كان أوّل السنة شهر الصيام و فيه ما قد اختصّ به من العبادات التي ليست في غيره من الشهور و الأيام ، فكان الإنسان قد استقبل أوّل السنة بذلك الاستعداد و الاجتهاد ، فيرجى أن يكون باقي السنة جارياً على السداد و المراد ، و ظاهر دلائل المعقول و كثير من المنقول أنّ ابتداءات الدخول في الأعمال ، هي أوقات التأهب و الاستظهار لأوساطها و أواخرها على كلّ حال و لأنّ فيه ليلة القدر التي يكتب فيها مقدار الآجال ، و إطلاق الآمال ، و ذلك منبّه على أنّ شهر الصيام هو أوّل السنة ، فكأنّه فتح للعباد في أوّل [دخولها]

(١) الملل ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٢) الملل ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) على اليقين (خ) .

(٤) البقرة ، ١٨٥ .

أن يطلبوا أطول^(١) آجالهم ، و بلوغ آمالهم ، ليدر كوا آخرها ، و يحمدا مواردها و مصادرها . و روى محمد بن يعقوب و ابن بابويه في كتابيهما و اللفظ لابن يعقوب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليلة القدر هي أول السنة ، وهي آخرها^(٢) . و لأنّ الاخبار بأنّ شهر رمضان أول السنة أبعد من التقيّة وأقرب إلى مراد العترة النبويّة و حسبك شاهداً و تنبيهاً و آكداً ما تضمنته الأدعية المنقولة في أول شهر رمضان بأنّه أول السنة على التعيين و البيان^(٣) .

١٠ - الخصال : عن محمد بن عليّ ماجيلويه ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ « إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض » قال : المحرّم و صفر ، و ربيع الأوّل ، و ربيع الآخر ، و جمادى الأولى ، و جمادى الآخرة ، و رجب ، و شعبان ، و شهر رمضان ، و شوّال ، و ذو القعدة ، و ذو الحجّة . منها أربعة حرم : عشرون من ذي الحجّة ، و المحرّم ، و صفر ، و شهر ربيع الأوّل ، و عشر من شهر ربيع الآخر^(٤) .

بيان : الشهور المذكورة في هذا الخبر هي أشهر السياحة التي قال الله عزّ وجلّ « فسبحوا في الأرض أربعة أشهر » و المشهور أنّ ابتداءها يوم النحر إلى العاشر من ربيع الآخر ، و قيل : من أول الشوّال إلى آخر المحرّم ، لأنّ الآية نزلت في شوّال ، و قيل : لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأوّل ، لأنّ الحجّ في تلك السنة كان في ذلك الشهر ، و على التقادير هي غير الأشهر الحرم ، و كانت مختصة بتلك السنة ، فهذا إمّا اصطلاح آخر للأشهر الحرم غير المشهور ، أو سقط من الخبر شيء ، و لعلّه أظهر .

(١) في المصدر ، طول .

(٢) فروع الكافي ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) الاقبال ، ٣ .

(٤) الخصال ، ٨٥ .

١١ - الخصال : في خطبة النبي ﷺ في أيام التشريق : أيها الناس ! إن الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهية يوم خلق الله السماوات والأرضين ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم : رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، فإن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فكانوا يحرّمون المحرم عاماً ويستحلّون صفر ، ويحرّمون صفر عاماً ويستحلّون المحرم (١) .

بيان : قال في النهاية : يقال رجب فلان مولاه أي عظمه ، ومنه سمّي شهر رجب ، لأنه كان يعظّم ، ومنه الحديث « رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » أضاف رجب إلى مضر لأنهم كانوا يعظّمونه خلاف غيرهم وكانتهم اختصّوا به ، و قوله « بين جمادى وشعبان » تأكيد للبيان وإيضاح ، لأنهم كانوا يدسّونه ويؤخّرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه المختص به ، فبيّن لهم أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان ، لا ما كانوا يسمّونه على حساب النسيء .

١٢ - الخصال : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علي بن يقطين ، عن بكر بن علي بن عبد العزيز ، عن أبيه ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السنة كم يوماً هي ؟ قال : ثلاثمائة وستون يوماً منها ستة أيام خلق الله عز وجل فيها الدنيا ، فطرح من أصل السنة ، فصارت السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً ، يستحب أن يطوف الرجل في مقامه بمكة عدد أيام السنة ثلاثمائة وستين أسبوعاً ، فإن لم يقدر على ذلك طاف ثلاثمائة وستين شوطاً (٢) .

١٣ - و منه : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة ، عن معاوية بن عمّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يستحب أن تطوف ثلاثمائة وستين أسبوعاً عدد أيام السنة ، فإن لم تستطع فما قدرت عليه من الطواف (٣) .

١٤ - العلل : عن أبي الهيثم عبدالله بن محمد ، عن محمد بن علي الصائغ ، عن سعيد بن منصور ، عن سفيان^(١) عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا اشتد الحر فابردوا بالصلوة ، فإن الحر من فيح جهنم ، واشتكت النار إلى ربها فأذن لها في نفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فشدت ما يجدون من الحر من فيحها ، وما يجدون من البرد من زهريرها (٢) .

بيان : الخبر عامي ضعيف ، وقال في النهاية : فيه « شدة الحر من فيح جهنم » الفيح سطوع الحر وفورانه ، ويقال بالواو ، وفاحت القدر تفوح وتفيح إذا غلت ، وقد أخرجه مخرج التشبيه والتمثيل ، أي كأنه نار جهنم في حرها (انتهى) وقال الطيبي : « فأذن لها في نفسين » يبيّن أن المراد به الحقيقة لا المجاز وقال الكرماني في شرح البخاري : هو علة لشرعية الإبراد ، فإن شدته يسلب الخشوع ، أو لأنه وقت غضب الله لا ينجع فيه الطلب بالمناجاة ، إلا من أذن له (انتهى) وأقول : سيأتي تمام القول فيه في كتاب الصلوة إن شاء الله .

١٥ - العياشي : عن أبي جعفر ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، فالسنة تنقص ستة أيام .
أقول : و سيأتي فضائل الشهور و خواصها في الأبواب المناسبة لها في عرض الكتاب إن شاء الله تعالى .

فائدة : قال أبوريحان : فأما العرب فإن شهورهم اثنا عشر ، أولها المحرم وقد قيل في علل أسامي هذه الشهور أقاويل : منها أنه قيل في تسمية المحرم أنه

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ذكره الشيخ في أصحاب الصادق ، وقال العلامة ، سفيان بن عيينة ليس من أصحابنا ولا من عدادنا . وقال الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال (ص : ١٢٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولا له أبو محمد الأعمور الكوفي احد ائمة الاسلام - إلى أن قال - مات سنة (١٩٨) .

(٢) العلل ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

لكونه من جملة الجرم ، و صفر لامتيازهم من فرقة تسمى صفرية ، و شهري ربيع للزهر و الأنوار ، و تواتر الأندية و الأمطار ، و هو نسبة إلى طبع الفصل الذي نسميه نحن الخريف ، و كانوا يسمونه ربيعاً ، و شهري جمادى لجمود الماء ، و رجب لاعتمادهم الحركة فيه لامن جهة القتال ، و الرجبة العماد ، و منه قيل : عذق مرجب . و شعبان لتشعب القبائل فيه ، و شهر رمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر ، و شوال لارتفاع الحر و إدباره ، و ذوالقعدة للزومهم منازلهم ، و ذوالحجة لحجهم فيه . و توجد للشهور العربية أسامي أخر قد كان أوائلهم يدعونها بها ، و هي هذه : المؤتمر ، ناجر ، خوان ، صوان ، حنتم ، زباء ، الأصم ، عادل ، نافق ، و اغل ، هواع ، برك . و قد توجد هذه الأسماء مخالفة لما أوردناه و مختلفة الترتيب كما نظمها أحد الشعراء :

بمؤتمر و ناجرة بدأنا	☆	و بالخوان يتبعه الصوان
و بالزباء بايدة تليه	☆	يعود أصم صم به الشنان
و واغله و ناتله جميعا	☆	و عادله فهم غرر حسان
ورنة بعدها برك فتمت	☆	شهور الحول يعقدها البنان

و معاني هذه الأسماء على ما ذكر في كتب اللغة : أمّا المؤتمر فمعناه أن يأتيهم بكل شيء مما تأتي به السنة من أفضيتها ، و أمّا ناجر فهو من النجر و هو شدة الحر و أمّا خوان فهو على مثال فعال من الخيانة . و كذلك صوان على مثال فعال من الصيانة ، و هذه المعاني كانت اتفقت لهم عند أول التسمية ، و أمّا الزباء فهي الداهية العظيمة المتكاثفة ، سمي لكثرة القتال فيه و تكاثفه ، و أمّا البائد فهو أيضاً من القتال إذ كان يبدي فيه كثير من الناس ، و جرى المثل بذلك «العجب كل العجب بين جمادى و رجب» و كانوا يستعجلون فيه و يتوخون بلوغ ما كان لهم من الثأر و الغارات قبل دخول رجب ، و هو شهر حرام ، و أمّا الأصم فلا نهم كانوا يكفون عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح ، و أمّا الواغل فهو الداخل على شراب ولم يدعوه ، و ذلك لهجومه على شهر رمضان ، و كان يكثر في شهر رمضان شرابهم للخمر ، لأن ما يتلوه

هي شهور الحج ، و أمّا نازل فهو مكّيال للخمر سمي به لإفراطهم في الشرب ، و كثرة استعمالهم لذلك المكّيال . و أمّا العادل فهو من العدل لأنّه من أشهر الحجّ و كانوا يشتغلون فيه عن الباطل ، و أمّا الرنة فلأنّ الأنعام كانت ترنّ فيه لقرب النحر ، و أمّا برك فهو لبزوك الإبل إذا اُحضرت المنحر . و أحسن من النظم الذي ذكرنا نظم الصحاب إسماعيل بن عبّاد لها وهي هذه : « شعر »

أردت شهور العرب في جاهليّة ❖ فخذها على سرد المحرّم تشترك
فمؤتمر يأتي ومن بعد ناجر ❖ وخوان مع صوت أن يجمع في شرك
حنين وزبا و الأصمّ و عادل ❖ وناق مع وغل ورتة مع برك (انتهى)
و أقول : في القاموس : فاجر رجب أوصفر ، و كل شهر من شهور الصيف .
و قال : الخوان - كشدّاد ويضمّ - شهر ربيع الأوّل . و قال : « زبا » كربى بلالام
بجادي الآخرة . و قال : حنين كأمير وسكيت وباللام فيهما اسمان لجمادى الأولى
والآخرة .

ثمّ قال أبو ريحان : ذكر محمد بن دريد في كتاب الوشاح أن ثمود كانوا يسمّون الشهور بأسماء آخر وهي هذه : موجب وهو المحرّم ، ثمّ موجر ، ثمّ مولد ، ثمّ ملزم ، ثمّ مصدر ، ثمّ هوير ، ثمّ هوبل ، ثمّ موها ، ثمّ ديمر ، ثمّ دابر ، ثمّ حيفل ، ثمّ مسبل . قال : و أنّهم كانوا يبتدؤون من ديمر ، وهو شهر رمضان ، ولم تكن العرب تسمّي أيّامهم بأسماء مفردة كما سمّتها الفرس ، غير أنّهم أفردوا لكلّ ثلاث ليال من كلّ شهر من شهورهم أسماء عليحدة مستخرجا من حال القمر وضوئه فيها ، فإذا ابتدؤوا من أوّل الشهر فثلاث « غرر » جمع « غرّة » و غرّة كلّ شيء أوّله ، وقيل : لأنّ الهلال فيها يرى كالغرّة . ثمّ ثلاث « نفل » من قولهم « تنقل » إذا ابتدأ بالعطيّة من غير وجوب ، وبعضهم سمّى هذه الثلاث الثانية « شهب » . ثمّ ثلاث « تسع » لأنّ آخر ليلة منها هي التاسعة ، وسمّى بعضهم هذه الثلاث الثالثة « البهر » لأنّه تبهر ظلّمة الليل فيها . ثمّ ثلاث « عشر » لأنّ أوّلها العاشرة ، ثمّ ثلاث « بيض » لأنّها تبيض بطلوع القمر من أوّلها إلى آخرها . ثمّ ثلاث « درع »

لا سوداد أوائلها تشبيهاً بالشاة الدرعاء ، والأصل هو التشبيه بالدرع الملبوس ، لأن لون رأس لابسه يخالف لون سائر بدنه . ثم ثلاث « ظلم » لا ظلامها في أكثر أوقاتها . ثم ثلاث « حنادس » وقيل لها أيضاً « دهم » لسوادها . ثم ثلاث « آدىء » لأنّها بقايا ، وقيل : إن ذلك من سير الأبل ، وهو يقدم إحدى يديه ثم يتبعها الأخرى عجباً ، ثم ثلاث « محاق » لانمحاق القمر والشهر . وخصوا من الشهر ليالي بأسماء مفردة كآخر ليلة منه ، فإنّها تسمى « السرار » لاستسرار القمر وتسمى « الفحمة » أيضاً لعدم الضوء فيها . ويقال لها « البراء » لتبرؤ الشمس فيها .

وآخر الشهر فإنّهم يسمونه « النخيرة » لأنه ينجر فيه ، أي يكون في نجره كالليلة الثالثة عشر فإنّها تسمى « السواء » والرابعة عشر « ليلة البدر » لامتلاء القمر فيها وتمازضه ، وكل شيء قدتم فقد بدر ، كما قيل للعشرة آلاف درهم بدره لأنّها تمام العدد ومنتها بالوضع لا بالطبع .

﴿ بسمه تعالى ﴾

إلى هنا تمّ الجزء الثاني من المجلد الرابع عشر - كتاب السماء والعالم - من بحار الأنوار وهو الجزء الثامن والخمسون حسب تجزئتنا من هذه الطبعة البهية . وقد قابلناه على النسخة التي صححها الفاضل الخبير الشيخ محمد تقي اليزدي ، بما فيها من التعليق والتنميق والله وليّ التوفيق .

محمد الباقر البهردى

من لجنة التحقيق والتصحيح لدار الكتب الاسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على أن وفققني للغوص في بحار الأنوار ، واقتناء درر الحكم والآلي الأخبار ، وأصلي وأسلم على رسولك المختار ، وآله المصطفين الأخيار المجتبيين الأطهار ، معادن العلم و ينابيع الحكمة و مصادر الآثار .
أقتصر من حمدك بالاعتراف بالعجز عن اكتناه وصفك ، وإحصاء نعمك ، و من شكر أوليائك أولياء النعمة بالتطامن تجاه مقامهم المنيع ، و مكانهم الرفيع استحياء من القصور عن إيفاء حقهم ، و خجلاً من التقصير في أداء شكرهم ، و إجلالاً لشأنهم عندك ، وإكباراً لقربهم منك ، أنت كما أثبتت على نفسك ، وأوليائك كما أثبتت عليهم ، فصل عليهم صلاة كثيرة دائمة لا تنبغي إلا لهم ، ولا يعلم مبلغها غيرك .

و بعد من الواجب علينا بنص فتيا العقل ، و بما تواتر عليه من النقل ، شكر المنعم و إيفاء الحق . و لعمر الحق من أعظم الناس حقاً علينا معاشر المسلمين و أكبرهم إحساناً إلينا العلماء العظام و المحدثون الكبار ، حيث بذلوا جهيداهم و أفرغوا طاقتهم و مقدرتهم لحفظ سنن النبي ﷺ و آثار الأئمة من أهل بيته ﷺ و نشر علومهم و حكمهم و إبقائها لنا و لمن أراد الله أن يستخلفه من بعدهم ، فيجزأهم الله عنا و عن كافة أهل الإسلام خير الجزاء ، و أجزل لهم الأجر و العطاء .
و من فطاحل العلماء و جها بذتهم ، و فحول المحدثين و عباقرتهم ، مولانا شيخ الإسلام محمد باقر المجلسي - رضوان الله عليه - وله من تلك الفضيلة حظ وافر ، وعليه منّا و من قاطبة الشيعة ثناء عاطر ، و شكر متواتر .

وقد كابد - رحمه الله - من المشقة والتعب ، وقاسى من العناء والنصب ، في الجمع والتأليف ، والنظم والترصيف ، ما جاز حدّ البيان ، وأعجز القلم واللسان وليس يخفى ذلك على من تأمل في آثاره النفيسة البهية ، ونظر في كتبه الثمينة القيّمة ، وسبر غور تأليفه الضخمة الفخمة . فعلينا وعلى كِلِّ من اقتطف من ثمار آثاره ، وسبح في أجواء بحاره ، وارتشف من مناهل موسوعاته إجمال الثناء عليه إعظماً لشأنه ، وإكثار الدعاء له إيفاءً لحقّه . قدّس الله سرّه ، ورفع شأنه ، وأعلى مقامه .

و لقد بذلنا غاية مجهودنا في تصحيح هذا الجزء من كتابه المسمّى « بحار الأنوار » متناً وسنداً ، وتخريجاً ، والتعليق عليه بما يوضح جده ، و يقيم صدده أداء لبعض حقّه ، وشكراً لما أنعم المولى تعالى علينا من ولاية أوليائه ، ولما يسر لنا من الاستضاءة بأنوارهم والاستفادة من علومهم .

ولست أنسى الثناء على من وازرني وساهمني في هذا المشروع من إخواني الأماجد ، لاسيّما على زميلي الثقة الفاضل البارع « الشيخ عبد الكريم النيرى البروجردى » حيث عاضدني بتصحيح الأسانيد ، وترجمة بعض الرجال ، وعلى الفاضل المنتبّع الذكي « السيّد جعفر الحسنى اليزدى » وعلى سائر إخواني الذين ساعدوني في التخرّيج والمقابلة بالنسخ والمصادر ، وأسأل الله الكريم أن يديم توفيقنا جميعاً ويزيدنا من فضله ، إنّه ذو فضل عظيم .

قم المشرفة : محمد تقى اليزدى

١٢ / شبان المنظم ١٣٧٩

﴿ مراجع التصحيح والتخريج والتعليق ﴾

قوبل هذا الجزء بعدة نسخ مطبوعة ومخطوطة ، منها النسخة المطبوعة بطهران سنة (١٣٠٥) المعروفة بطبعة أمين الضرب ، ومنها النسخة المطبوعة بتبريز ومنها النسخة المخطوطة النفيسة لمكتبة صاحب الفضيلة السيد جلال الدين الأرموي الشهير بـ « المحدث » واعتمدنا في التخريج والتصحيح والتعليق على كتب كثيرة نسرد بعض أساميتها :

- ١ - القرآن الكريم .
 - ٢ - تفسير علي بن إبراهيم القمي
 - ٣ - تفسير فرات الكوفي
 - ٤ - تفسير مجمع البيان
 - ٥ - تفسير أنوار التنزيل للمقاضي البيضاوي
 - ٦ - تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي
 - ٧ - الاحتجاج للطبرسي
 - ٨ - أصول الكافي للكليني
 - ٩ - الاقبال للمسيّد بن طاوس
 - ١٠ - تنبيه الخواطر لورّام بن أبي فراس
 - ١١ - التوحيد للصدوق
 - ١٢ - ثواب الأعمال للصدوق
 - ١٣ - الخصال
 - ١٤ - الدر المنثور للسيوطي
 - ١٥ - روضة الكافي للكليني
- | | | | | | |
|---------|-----|------|----|----------|--|
| | | | | | |
| المطبوع | سنة | ١٣١١ | في | ايران | |
| » | » | ١٣٥٤ | » | النجف | |
| » | » | ١٣٧٣ | » | طهران | |
| » | » | ١٢٨٥ | » | استانبول | |
| » | » | ١٢٩٤ | » | » | |
| » | » | ١٣٥٠ | » | النجف | |
| » | » | | » | طهران | |
| » | » | ١٣١٢ | » | » | |
| » | » | | » | » | |
| » | » | ١٣٧٥ | » | » | |
| » | » | | » | » | |
| » | » | ١٣٧٤ | » | » | |
| » | » | | » | طهران | |

- ١٦ - علل الشرائع للصدوق المطبوع سنة ١٣٧٨ في قم
- ١٧ - عيون الأخبار » » » »
- ١٨ - فروع الكافي للكلينى » » » »
- ١٩ - المحاسن للبرقي » » » » طهران
- ٢٠ - معاني الاخبار للصدوق » » » » »
- ٢١ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب » » » » قم
- ٢٢ - من لا يحضره الفقيه للصدوق » » » » طهران
- ٢٣ - نهج البلاغة للشرىف الرضى » » » » مصر
- ٢٤ - أسد الغابة لعز الدين ابن الأثير » » » » طهران
- ٢٥ - تنقيح المقال للشيخ عبدالله المامقانى » » » » ١٣٥٠ النجف
- ٢٦ - تهذيب الاسماء واللغات للحافظ محمى الدين بن شرف النورى المطبوع في مصر
- ٢٧ - جامع الرواة للاردبيلى المطبوع سنة ١٣٣١ في طهران
- ٢٨ - خلاصة تذهيب الكمال للحافظ الخزر جى » » » » ١٣٢٢ مصر
- ٢٩ - رجال النحاشى » » » » » طهران
- ٣٠ - روضات الجنات للميرزا محمد باقر الموسوى » » » » ١٣٦٧ »
- ٣١ - الكنى و الألقاب للمحدث القمى » » » » » صيدا
- ٣٢ - لسان الميزان لابن حجر العسقلانى » » » » » في حيدرآباد الدكن
- ٣٣ - الرواشح السماوية للسيد محمد باقر الحسينى الشهير بالداماد المطبوع سنة ١٣١١ في ايران
- ٣٤ - القبسات للسيد محمد باقر الحسينى الشهير بالداماد المطبوع سنة ١٣١٥ في ايران
- ٣٥ - رسالة مذهب ارسطاطاليس للسيد محمد باقر الحسينى الشهير بالداماد المطبوعة بهامش القبسات
- ٣٦ - أئو لوجيا المنسوب إلى ارسطاطاليس المطبوع بهامش القبسات

- ٣٧ - رسالة الحدوث لصدر المتألمين المطبوع سنة ١٣٠٢ في ايران
 ٣٨ - الشفاء للشيخ الرئيس ابي علي بن سينا » » » ١٣٠٣ » »
 ٣٩ - شرح التجريد تأليف المحقق الطوسي للعلامة الجلي المطبوع سنة ١٣٦٧ في قم
 ٤٠ - عين اليقين للمولى محسن الفيض الكاشاني » » ١٣١٣ في طهران
 ٤١ - مروج الذهب للمسعودي » » ١٣٤٦ » مصر
 ٤٢ - القاموس المحيط للفيروز آبادي » » ١٣٣٢ »
 ٤٣ - الصحاح للجوهري » » ١٣٧٧ »
 ٤٤ - النهاية لمجد الدين ابن الاثير » » ١٣١١ »

العنوان	الصحيفة
٤ - باب العرش والكرسى وحملتهما	٢ - ٣٩
٥ - باب العجب والأستار والسرادات	٣٩ - ٤٧
٦ - باب سدرة المنتهى ومعنى عليين وسجين	٤٨ - ٥٥
٧ - باب البيت المعمور	٥٥ - ٦١
٨ - باب السماوات و كفيياتها و عددها ، والنجوم و أعدادها و صفاتها و المجرة	٦١ - ١١٣
٩ - باب الشمس و القمر و أحوالهما و صفاتهما و الليل و النهار وما يتعلق بهما	١١٣ - ٢١٦
١٠ - باب علم النجوم والعمل به و حال المنجمين	٢١٧ - ٣١١
١١ - باب آخر في النهي عن الاستمطار بالأ نواء والطيرة والعدوى	٣١٢ - ٣٤٦
١٢ - باب ما يتعلق بالنجوم ويناسب أحكامها من كتاب دانيال <small>عليه السلام</small> وغيره	٣٤٦ - ٣٢٥
* (أبواب الازمنة وأنواعها وسعادتها ونحوستها) *	
* (وسائل أحوالها) *	
١٣ - باب السنين والشهور وأنواعهما والفصول وأحوالها	٣٥٤ - ٣٩٩

رموز الكتاب

عد : للعقائد	ب : لقرب الاسناد .
عدة : للعدة	بشا : لبشارة المصطفى .
عم : لاعلام الورى .	تم : لفلاح السائل .
عين : للعيون و المحاسن .	ثو : لثواب الاعمال .
غر : للفرر و الدرر .	ج : للاحتجاج .
غط : لغيبة الشيخ .	جا : لمجالس المفيد .
غو : لغوالى اللثالى .	جش : لفهرست النجاشى .
ف : لتحف العقول .	جع : لجامع الاخبار .
فتح : لفتح الابواب .	جم : لجمال الاسبوع .
فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .	جئة : للجنة .
فس : لتفسير على بن ابراهيم .	حة : لفرحة الفرى .
فض : لكتاب الروضة .	ختص : لكتاب الاختصاص .
ق : للمكتاب العتيق الفروى .	خص : لمنتخب البصائر .
قب : لمناقب ابن شهر آشوب	د : للعدد .
قبس : لقبس المصباح .	سر : للسرائر .
قضا : لقضاء الحقوق .	سن : للمحاسن .
قل : لاقبال الاعمال .	شا : للارشاد .
قبة : للدروع .	شف : لكشف اليقين .
ك : لاكمال الدين .	شى : لتفسير العياشى .
كا : للكافى .	ص : لقصص الانبياء .
كش : لرجال الكشى .	صا : للاستبصار .
كشف : لكشف الغمة .	صبا : لمصباح الزائر
كف : لمصباح الكفمى .	صح : لمصحفة الرضا <small>عليه السلام</small>
كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .	ضا : لفقہ الرضا <small>عليه السلام</small> .
ل : للخصال .	ضوه : لضوء الشهاب .
لد : للبلد الامين .	ضه : لروضة الواعظين .
لى : لامالى الصدوق .	ط : للصراط المستقيم .
م : لتفسير الامام <small>عليه السلام</small> .	طا : لامان الاخطار .
ما : لامالى الشيخ .	طب : لطب الامتة .
محصن : للتحصين .	ع : لملل الشرائع .
	عا : لدعائم الاسلام .

رموز الكتاب

هد : للمعدة .	نهج : لنهج البلاغة .
مص : لمصباح الشريعة .	نى : لغيبة النعماني .
هصبا : للمصباحين .	هد : للهداية .
مع : لمعاني الاخير .	يب : للتهذيب .
مكا : لمكارم الاخلاق .	يج : للغرارج .
مل : لكامل الزيادة .	يد : للتوحيد .
منها : للمنهاج .	ير : لبصائر الدرجات .
مهج : لمهج الدعوات .	يف : للطرائف .
ن : لعيون أخبار الرضا <small>عليه السلام</small> .	يل : للفضائل .
نبه : لتنبيه الخاطر .	ين : لكتايب الحسين بن سعيد ، اولكتابه والنوادر .
نجم : لكتاب النجوم .	يه : لمن لا يحضره الفقيه .
نص : للكفاية .	

